مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



خريدة القصر وجريدة العصر

للعماد الأصفهاني الكاتب

قسم شعراء الشام

الجزء الأول

عني بتحقيقه

الدكتور شكري فيصل

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١ — الكتاب

عهد إليّ المجمع العلمي العربي أن أحقق هذا القسم من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني « ٥١٩ — ٥٩٧ » .

والخريدة من خير كتب العماد ، أنفق في جمعها فترة طويلة من حياته الحافلة ، منذ كان يدرس في النظامية في بغداد ، واستعان عليها بأسفاره وصلاته ومكانته من السلطان ، فلقي العدد الكبير من العلماء والمحدثين والرواة ، ووقف على الجملة الطيبة من الدواوين ، واتصل اتصالاً مباشراً بكثير من شعراء العصر وأدبائه ، فشافههم وسمع منهم ، وكتبوا له واستكتبهم ، ودارت بينه وبينهم رسائل وقصائد ، وظفر بالمجموعات الشعرية التي أعدّها معاصروه والسابقون عليه ، وتوفّر له من ذلك كله ما ساعده على ان يذكر « الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة [١] » .

وليست قيمة الخريدة في هذه الفترة الفسيحة من الزمان فحسب ، وإنما قيمتها كذلك في هذه الرقعة الفسيحة من المكان ، فهي لا تقتصر على قطر من أقطار الإسلام بعينه ، ولا على

---

(١) ابن خلكان في ترجمة العماد « محمد بن محمد » .

شعراء دولة من الدول بذاتها ؛ وإنما تجمع شعراء العالم الإسلامي كله « شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب[1] » .

والحق أننا نقصر في تقويم الخريدة إن نحن نظرنا إليها على أنها مجموعة من المختارات الشعرية لشعراء القرن السادس . . . ذلك أنها — بحكم هذا الحرص على العديد الكبير من الشعراء الذين قالوا الشعر من العلماء والكتاب والمحدثين والقواد والجند والرواة — تخرج إلى أن تكون كذلك قريبة من كتب التراجم الموثوقة بفضل المعاصرة الواسعة التي أُتيحت للعماد وبفضل الصلات الكثيرة التي كانت له . ولعلّنا نطمئن إلى ذلك حين نذكر الكتب التي تنقل عن الخريدة — وهي كلها من الكتب الأمهات التي نثق بها ونعتمد عليها — مثل وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات لابن شاكر ، والوافي للصفدي ، والروضتين وذيل الروضتين لأبي شامة ، ومعجم الأدباء لياقوت ، والمغرب لابن سعيد ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي . . . وغيرها كثير .

وتستمد الخريدة بعض أهميتها كذلك في أنها حلقة متوسطه في سلسلة من التآليف المتتابعة من قبل ومن بعد . فهم يذكرون[2] أن العماد جعلها ذيلاً على « زينة الدهر » للحَظِيري الورّاق المتوفى سنة ٥٦٨ ، والحظيري جعل كتابه ذيلاً على « دمية القصر وعصرة أهل العصر » للباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ ، والباخرزي جعل كتابه ذيلاً على « يتيمة الدهر » للثعالبي « ٣٥٠ — ٤٢٩ » والثعالبي جعل كتابه ذيلاً على كتاب البارع لهارون بن علي المنجم المتوفى سنة ٢٨٨ » .

ويبدو أن العماد نفسه ذيّل الخريدة بكتابه «السيل على الذيل»[3] . . وغبرت قرون جاء بعدها القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ فانتصر

---

(١) ابن خلكان في ترجمة العماد . (٢) في مقدمة الخريدة : « ... وكنت طالعت كتابيْ يتيمة الدهر ودمية القصر للثعالبي والباخرزي وما وجدتُ بعدهما من حدّث نفسه أن يبلغ غايتها فصنفت هذا الكتاب وألفته ... »

(٣) عند ابن خلكان : وصنف كتاب السيل على الذيل جعله ذيلًا على الذيل لابن السمعاني الذي ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب الحافظ هكذا كنت قد سمعت ثم أني وقفت عليه فوجدته ذيلًا على كتابه خريدة القصر .

لمعاصريه حميّةً وفُتوّةً كما « انتصر لكل عصرٍ من أحيا ميته كصاحب اليتيمة ، وقلائد العقيان ، والدُّمية ، والذخيرة ، وعقود الجمان » وألف كتابه « ريحانة الألبا وزهرة الحياه الدنيا [1] » واختار فيه لشعراء الشام ومصر والمغرب وجزيرة العرب .

وأتمّ عمل الخفاجي رجلان :

أحدهما : المحبّي ، صاحب خلاصة الأثر ، المتوفَّى سنة ١١١١ في كتابه « نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة » ، ذلك أنه نظر في الريحانة ، فوجد بعض النقص وبعض الاغفال ، فذيّلها بالنفحة [2] ورتبها على ثمانية أبواب : الأول محاسن شعراء دمشق ونواحيها ، والثاني نوادر أدباء حلب ، والثالث نوابغ بلغاء الروم ، والرابع ظرائف ظرفاء العراق والبحرين ، والخامس لطائف لطفاء اليمن ، والسادس عجائب نبغاء الحجاز ، والسابع غرائب نبهاء مصر ، والثامن تحائف أذكياء المغرب .

والثاني : علي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم في كتابه « سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر [3] » ، فقد أخذ كذلك على الخفاجي إهماله جماعة من « مجيدي الشعراء ومفيدي البلغاء [4] » والتمس له العذر « ببعد دياره عن ديارهم وأن الليالي لم تأته بأسمائهم [4] » واستدرك عليه ما فاته بتأليف « السلافة » ، وسلك فيها « سبيل يتيمة الدهر ودمية القصر وغيرهما من الكتب المقصورة على هذا الغرض [4] » فاختار لأهل المائة الحادية عشرة ، وكسرها على خمسة أقسام في محاسن أهل الحرمين الشريفين ، والشام ومصر ونواحيهما ، واليمن ، والعجم والبحرين والعراق ، وأهل المغرب .

---

(١) طبع الكتاب ثلاث مرات أولاها سنة ١٢٧٣ « بولاق » .

(٢) من مقدمته : « فخطر لي أن أقدح في تذييله زندي ، وآتي في محاكاته بما اجتمع من تلك الأشعار عندي .. وكنت عزمت على أن لا أترجم أحداً ممن ترجمه ، ثم عدلت لأني رأيت ألسنة النقاد عن زيف بعض تراجمه مترجمة .. فذكرت من أغفله ذكراً شافيا ، وأعدت مما فوته قدراً كافيا .. » مخطوطات الظاهرية « تاريخ ٤٦ »

(٣) القاهرة « المطبعة الأدبية » ١٣٢٤ هـ . (٤) المقدمة ص ٧ – ٨

وقد اختصر الخريدة القاضي علي بن محمد المعروف برضائي زاده القسطنطيني الرومي[١] « سبط شيخ الإسلام زكريا[٢] » المتوفَّى قاضياً بمصر سنة ١٠٣٩ وسماه « عود الشباب » أو « الشهاب بطرد الذباب[٣] » وأهداه[٤] إلى خاله شيخ الإسلام يحيى[٥] بن شيخ الإسلام زكريا[٢] .

٢ — أقسام الكتاب

والخريدة في أربعة أقسام أساسية : الأول قسم العراق ، والثاني العجم وفارس وخراسان ، والثالث الشام ، والرابع مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس .

وقد طبع القسم المتعلق بمصر ، نشره أستاذي المرحوم الدكتور أحمد أمين ، والدكتور شوقي ضيف والدكتور إحسان عباس ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢

وينشر المجمع العلمي العراقي قسم شعراء العراق .

ويفتتح العماد هذا القسم الخاص بشعراء الشام بذكر عدّة من شعراء بلاد الساحل ، ثم يجاوز ذلك إلى شعراء دمشق والقدس ، فشعراء حمص وحماة وشيزر ، فالمعرة وحلب ومنبج وحرّان ، ثم يعقد باباً لشعراء جزيرة بني ربيعة وديار بكر وما يجاورها من البلاد ، وينتهي إلى ذكر محاسن شعراء الحجاز واليمن .

وقد علّل العماد تصنيفه هذا في وضع شعراء الحجاز واليمن هذا الموضع بقوله : « وقد ألحقت بالقسم الثالث شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وأوردت مما سمعته من شعرهم الأحسن ، وجعلت

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج ٣ ص ١٨٧

(٢) ترجم له صاحب شذرات الذهب ج ٨ ص ١٣٤ وانظر ترجمته وافية في مقدمة كتاب « الإعلام والاهتمام بجمع فتاوي شيخ الاسلام . دمشق – مطبعة الترقي – المكتبة العربية ه ١٣٥٥ه » كتبها الاستاذ أحمد عبيد .

(٣) انفرد صاحب كشف الظنون بذكر هذه التسمية .

(٤) في خلاصة الأثر : . . ثم ختم الديباجة « يريد ديباجة عود الشباب » بذكر خاله شيخ الاسلام يحيى . وجعل المختصر معنوناً باسمه . وفي الديباجة : « ولما تم إيجازها ، وكمل إنجازها ، أردت أن أزفها إلى فاضل . . . »

(٥) انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج ٤ ص ٦٧ :

القسم الرابع لمصر والمغرب ، وأثبت فيه المعرب المغرب ، المعجب المطرب ، ورأيت تأخير هذا الاقليم الذي هو أولى بالتقديم ، صيـانةً لمنزل[١] الوحي ومهبط الذكر القديم عن كلام البشر النظيم ، فتيمنت في خاتمة القسم الثالث باليمن ، ونظمتها في سلكه فان ملكها الآن لمالك الشام وتوأم ملكه ، فانها معدودة من مملكة بني أيوب ، الذين عصموها من النوائب العصل النيوب ، وملأوها بالمفاخر وفرغوا عِيابها من العيوب ، لقد تملأت اليمن يمنا ، وعادت عدنها عدنا . . . فآثرت إيرادها بين الشام ومصر واسطة لعقدها ، ورابطة لعقدها[٢] » .

٣ — الصلة بالكتاب

وتعود صلتي بالخريدة إلى هـذه الفترة الممتدة بين سنوات ٤٨ — ٥٠ وكنت حينذاك في القاهرة أعدّ رسالة الدكتوراه ، وكنا جماعة من الزملاء الدارسين الوافدين من كلّ بلد عربي ، يجمع بيننا عملنا المتصل طيلة النهار في جنبات معهد الدراسات في مكتبة الجامعة ، جامعة القاهرة « فؤاد الأول » .

ففي أوائل هذه الفترة كان أحد زملائنا الأستاذ مظفر سلطان يعدّ دراسته عن « العماد الأصفهاني » ، وكنت أستمع إلى ما يدور بينه وبين أستاذنا المشرف الأستاذ أمين الخولي من نقاش وحديث ، وفي أواخرها كان الأخ الدكتور إحسان عباس يدخل كل صباح مكتبة المعهد يحمل أصول الخريدة وتجاريب الطبع ، ينظر في ضوء النهـار ما استغلق عليه في عتمة الليل ، ويلقى في كتب المعهد ما لم يلق في كتب البيت ، ويعاون في ذلك كله على نشر قسم شعراء مصر .

ويستقر في نفسي منذ ذلك الحين أن أشـارك في نشر الخريدة ، فقد باعدت دراستي عن الجتمع في الإسلامية في القرن الأول ما بيني وبين هذه العصور ، ولا بدّ لي من الصلة بها ، ولم

---

(١) في الأصل : صيانة عن منزل .

(٢) مطلع « باب في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن » .

أهتد إلى إقليمية الأدب العربي في مراحله المختلفة ، فلعلّ كتاب العماد في جمعه وتقسيمه هذا التقسيم الإقليمي ، أن يساعد على ذلك .

وأبدأ ، منذ أن تخففت من بعض ما كنت فيه ، في النظر في الكتاب ، ثم أخلص إلى دمشق من القاهرة فأجد المجمع العلمي العربي يهمّ بنشر الخريدة ، ويقع تكليفه لي من نفسي موقعاً طيباً ويصادف هوًى متمكناً كنت وجدته ، ورغبة قوية كنت أحوم حولها .

وألقى من معالي الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي آنذاك — يرحمه الله ما كان أطيب رعايته — كلّ تشجيع ، وتُعدّ لي العدّة المستطاعة من أمر المصوّرات المختلفة .

وحين يغيب الأستاذ كرد علي عن هذا الوجود الضيق ، وتخفت شعلته هذه المتقدة النيّرة بعد أن سكبها في نفوس كثيرة أنواراً وعزائم — لا يغيب شيء من هذه الرعاية ، وإنما تستمر في مثل حدبها وعونها ، فأجد من معالي الرئيس الأستاذ خليل مردم بك أكبر التشجيع وأقوى النصرة ، ويعينني ذلك على مغالبة الطريق الوعرة والصبر على مداها الطويل .

٤ — الأصول التي استعنت بها

وقد استعنت على تحقيق هذا القسم بأصل واحدٍ رئيسي ، وبأصول أخرى مسعفة من حوله :

أ — فأما الأصل الرئيسي فكان مصورة نسخة المكتبة الوطنية بباريس ، وتبدأ بأبن منير الطرابلسي وتنتهي بشعراء اليمن . وقد رمزت لهذا الأصل بالحرف « ب » .

وأما الأصول الأخرى المسعفة فهي :

ب — جزء من الخريدة ، في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية « معهد المخطوطات » مصوّر من مكتبة حسين چلبي « بروسة — تركية » . وهو يبدأ بالأدب الغزي وينتهي بابن رَواحة الحموي من شعراء حماة . وقد رمزت لهذا الأصل بالحرف « ح » .

ج — جزء من الخريدة في معهد المخطوطات ، مصور من مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا . وقد رمزت إليه بالحرف « ك » .

— جزء صغير من الخريدة في معهد المخطوطات ، مصوّر من مكتبة « نور عثمانية » . وقد رمزت إليه بالحرف « ن » .

هـ — عود الشباب لعلي رضائي وهو مختصر الخريدة . ورمزت إليه بالحرف « ع » .

٥ — وصف هذه الأصول والتعريف بها

ما من سبيل إلى حديثٍ كامل عن هـذه الأصول لأن الذي بين أيدينا منها مُصوّراتها ، وليست هذه المصورات كاملة ، وإنما اقتصر أكثرها على قسم الشام أو على أجزاء منه ، ومع ذلك فلابدّ من هذا الوصف والتعريف .

أ — الأصل « ب »

أما الأصل « ب » فهو أكمل الأصول[1] في هذا القسم الذي أُعنى به ، إنه يبدأ بابن منير الطرابلسي وينتهي بالفقيه أبي بكر الحيرفي من شعراء اليمن ، وفي آخره : « وهـذا آخر ما وقع إليّ من شعراء اليمن إلى آخر سنة اثنتين وسبعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وأصحابه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . انتهى ويتلوه القسم الرابع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر »[2] .

وعدد أوراقه ٢٨٩ ورقة ، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطراً على الأغلب ، مكتوب بخط نسخي حسن ، إلا العنوانات فهي مكتوبة بخط الثلث ؛ والإعجام قريب من أن يكون تاماً ، غير أن الشكل نادر . ورقم المصورة في خزانة المجمع العلمي العربي ١٠٣ ، ١٠٤

---

(١) ينخرم هذا الأصل في بضعة مواطن استعنت على تكملتها بالأصول الثانية أو بالكتب المطبوعة التي نقلت عن العماد . انظر مثلاً على ذلك ص ٣٥ ، ٣٦ هامش ١ ، وص ٧٥ ، ٧٦ هامش ٢ من هذا الجزء . (٢) انظر اللوحة ٢

وتقوم الطريقة الـكتابية في هذا الأصل على :

١ — لا يثبت الناسخ الهمزة على الأحرف في الأسماء أو الأفعال أو الحروف : « . . الى ان احفظ اكابرها — اعذرا ان اردتما او فلو ما » ، وقد يعوض عنها بحركتها : « آفاَ ستنجده ».

٢ — يلجأ إلى تسهيل الهمزة في أغلب الأحيان : « صفايها ، حيايها » .

خدع الخدود يلوح تحت صفايها فحذارها ان موهت بحيـايها

ويفعل ذلك خاصة في الجمع الذي على وزن فعائل « القصايد ، الحبايل ، رسايل ، طرايق » .

وقد يجمع بين الهمزة والياء : « اتـئياد ، ايئتلاف ، التـئيام ، اللـئيام » .

٣ — يغلب أن يثبت للألف المقصورة نقطتين ، ومثل ذلك في الألف التي تنتهي بهـا الأفعال أو الحروف : « هكذي ، الشعري ، موسي ، ارتدي ، استوي ، وافي ، أسري ، كان منواراً علي القصايد » .

٤ — قد يهمل نقط بعض الأحرف ، وبخاصة التاء المربوطة في نهاية الكلمة ، كأنه يتقيد بقواعد الوقف في القراءة : « محاسن ابن منير منيره ، وفضايله كثيره ، أنشدني من قصيده » .

٥ — يخالف عن القواعد المتعارفة اليوم في كتابة الهمزة : « ماءِيّ ، مأْ » .

٦ — كلُّ ألف مدّ تكتب همزتين على ألِفين : « الآس = الأأس » .

٧ — يتبع أحيـاناً الطريقة المعروفة في الرسم في عدم اثبـات الألف ، أو في ردّها إلى أصلها : « جمدى ، الحيوة ، في : جمادى ، الحياة » .

٨ — ليست عنده قاعدة متبعة في إثبات ألف « ابن » أو حذفها .

٩ — يغلب أن لا تحذف الألف في أسماء الاستفهام المقترنة بحرف الجر : « بما ، لِما » .

١٠ — كثيراً ما يبادل بين الضاد والظاء : « الضفائر = الظفائر ، مظنة = مضنة » .

١١ — يثبت للأفعال المعتلة الواوية ألفاً لا نثبتها في كتابتنـا اليوم : « اجفوا ، أشكوا ، تبدوا ، يحلوا ، تزهوا ، يتلوا » .

وفي هامش « ب » تعليقات بخطين مختلفين ، أحدهما فارسي ، والآخر وهو الأكثر ، خط النسخة نفسها . ولا تخرج هذه التعليقات عن أن تكون تفسيراً للألفاظ ، أو رداً لمعاني بعض الأبيات [illegible] صولها الأولى التي نظر إليها الشعراء في توليد معانيهم[1] .

وفي النماذج المصوّرة (اللوحة رقم ١ ، ٢) ما يدل على ذلك كلّه .

ب — الأصل « ح »

أما الأصل « ح » فهو لا يبدأ بداءة الأصل الأول بابن منير ، وإنما يبدأ بالأديب الغزي ويثنّي بابن منير الطرابلسي ويجمع بينهما بعنوان واحد هو « عدّة من شعراء بلاد الساحل قدّمت ذكرهم وفخمت أمرهم لأنهم ذوو الفضائل ، وبسبب استيلاء الفرنج على تلك البلاد انتقلوا منها وتحولوا عنها . وأفضلهم[2] : » .

وكذلك يكسبنا هذا الأصل شاعراً كالغزّيّ ، ولكنه لا يستمر طويلاً وإنما ينتهي بانتهاء ابن رَواحة الحموي[3] .

وعدد أوراقه ١٩٣ ورقة في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، مكتوب بخط فارسي حسن ، والعنوانات بخط فارسي مشكول .

وبطاقة معهد المخطوطات الملحقة بالمصورة تطلعنا على أن رقم المخطوطة في مكتبة حسين جلبي « ٢٥ أدبيات » ، ورقم المصورة في المعهد ف ٨٦٧ من ٣٠١ ، وتاريخ النسخ سنة ٦٤٢ ، والقياس كبير .

أما رقم المصورة في المجمع العلمي العربي فهو ١٥٠

وتلحظ في الطريقة الكتابية لهذا الأصل السمات التالية[4] :

١ — تخفيف الهمزة : « جيت ، تهنية ، سمايه » في : جئت ، تهنئة ، سمائه » .

---

(١) انظر مثلاً هوامش الصفحات ٨٠ – ٨٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ... وانظر كذلك اللوحة رقم ٢

(٢) انظر ص ١ من هذا الجزء . (٣) انظر ص ٤٩٦ من هذا الجزء . (٤) انظر اللوحة رقم ٣

٣ — إهمال بعض النقط : « لدمار العلم ، تجدب ، دوق ، بروضه ، في : لذمار العلم ، تجذب ، ذوق ، بروضة » .

٤ — نقط السين بثلاث نقط تحتية .

٥ — حذف الألف : « جمدى ، ألف ، في : جمادى ، آلاف » .

٦ — اثبات ألف للفعل المعتل بعد الواو حيث لا تجب : « أرجوا أن يعفوا الله » .

٧ — تجافي التفريق في رسم الألف ألفاً أو ألفاً مقصورة : « أسدا ، وافا ، أبدا ، في : أسدى ، وافى ، أبدى » .

م — الأصل « ك »

وأما الأصل « ك » فإننا نعتبره كذلك في شيء كثير من التجوّز . . إنه ليس قاصراً على شعراء الشام ، ثم أنه فوق ذلك لا يستكمل التراجم التي يبدؤها ، فيعنون الصفحة باسم شاعر ثم يتوقف فجاءة ، ويكون الشاعر من اليمن والذي بعده من شعراء الشام من أهل المعرّة . وشعر مُثبتٌ مُصحّح ، وشعر منفيّ مشطوب ، وشعر في مكانه من الأسطر ، وشعر مستدرك على الهامش ، وابتداء لا نهاية له ، وصفحة لا تستطيع تعيين صاحبها ، وأسماء تتكرر وأسماء لا تذكر ، وهو يبدأ هكذا بشعراء حلب بحماد الخراط ، ثم يمضي على ما وصفت من غير نظام[1] .

والظن أن هذه الأوراق هي مسوّدة الكتاب ، انها موادّه الأولى وليست صورة الكتاب التي آل إليها ، ولذلك يبدو أن قيمتها إنما هي في الاستدلال على صنيع المؤلف والتعرف إلى المراحل التي جازها في هذا التأليف .

وقد تنبه إلى ذلك أحد الذين تملكوه ، فعلى الصفحة الأولى ما نصه[2] : « خريدة القصر لإمام أهل الأدب الفاضل العماد الكاتب رحمه الله . الظن أن هـذه مسودته ظناً غالبا » ويتلو

(١) انظر اللوحتين رقم ٤ و ٥ (٢) انظر اللوحة رقم ٤

ذلك بنفس الخطّ : « فاز بملك هذه الخريدة إذناً من العلامة / شيخ الإسلام خلف السلف / الكرام شيخي وأستاذي ووالدي / الشيخ شهاب الدين أحمد[1] بن الملا / محمد الشهير بابن الملاولده / الفقيه [illegible]يم[2] بن أحمد / تحريراً في سنة ثلاث / وألف ١٠٠٣ » .

وعدد أوراقه ٣٠٨ ، فيها كثير من الصفحات الفارغة ، فإذا امتلأت الصفحة كان فيها ١٣ — ١٦ سطراً .

وبطاقة معهد المخطوطات تطلعنا على أن رقم المخطوطة في مكتبة الجمعية الأسيوية بكلكتا ٣٥١ ، ورقم المصوّرة في المعهد ف ٣١٤٤ من ٣٤١ — ٦٥٧ ، وتاريخ النسخ القرن السادس ، والمقياس ٩ × ١٣ سم . وتقول عن الخط بأنه خط نسخ نفيس ! .

أما رقم المصورة في المجمع العلمي العربي فهو ١٤٩ في قسمين .

و — الأصل « ن »

ويوشك الأصل « ن » أن يكون قاصراً على الباب الأخير من هـذا القسم من الخريدة « باب في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن » . ذلك أنه يبدأ بالخطيب الحصكفي ، آخر شعراء ديار بكر ، ثم يذكر عدداً « من الأكراد الفضلاء » في صفحات معدودات ، ثم يبدأ بشعراء الحجاز واليمن ، ولكنه لا يستوفيهم ، وإنما تنقطع المصوّرة التي بين أيدينا عند بعض مختارات « القاضي العثماني »[3] .

وعدد أوراقه سبع وعشرون ، في كل صفحة سبعة وعشرون سطراً ، مكتوب بخط نسخ دقيق .

وتشير بطاقة معهد المخطوطات إلى أن هذا الجزء ضمن مجموع في مكتبة « نور عثمانية » ، ورقمه في المكتبة ٣٧٧٤ (٤) ، ورقمه في المعهد ف ٨٣٦ من ١٠١٢ ، وعدد أوراقه ٥٩ ، وقياسه ١٧٫٥ × ٢٦٫٥ سم ، ويبتدئ بترجمة الأديب الحصكفي وينتهي بآخر ترجمة الصالح ابن رُزّيك[4] .

أما رقم هذا الأصل في خزانة المجمع العلمي العربي فهو ١٦٤

---

(١) و (٢) انظر ترجمتيهما في خلاصة الأثر المحبي ج١ ص٢٧٧ و ج١ ص١١ (٣) انظر اللوحة رقم ٦

(٤) على هذا الأصل كان اكثر اعتماد ناشري قسم مصر من الخريدة ، انظر ص ط

٥ — الأصل « ع »

بين أيدينا من عود الشباب نسختان :

الأولى : نسخة في معهد المخطوطات مصورة من مكتبة « نور عثمانية » وهي في ٢٥١ ورقة وبطاقة المعهد تشير إلى أن رقمها في المكتبة ٤١٢٧ ، ورقمها في المعهد ف ٨٣٦ من ١٣٩٨ ، وتاريخ النسخ في القرن الحادي عشر ، وخطها نسخ حسن ولعله خط المؤلف ، وقياسها ١٢٫٥ × ٢٢ سم [١].

وأما رقمها في خزانة المجمع العلمي فهو ١٥١

والثانية : نسخة مصورة من المكتبة الوطنية في « فينّ » وأورقها ٣١٠ ليس فيها الصفحة الأولى ، صفحة العنوان ، وليس في الصفحة الأخيرة ما يشير إلى تاريخ النسخ [٢].

أما رقمها في خزانة المجمع العلمي فهو ١٨١ « في قسمين » .

وليس بين النسختين كبير اختلاف . وليس يفيد الكتاب حيث تطمع أن يفيد حين يواجهك في الأصل خرم أو تستبهم عليك كلمة أو تغيب عنك حاشية ، ذلك أنه يوجز الجريدة فيشتد في الإيجاز ، ويحرّف فيكثر من التحريف ، ويقف عندما كان يروق له ولعصره من حوله أن يختار .

العمل

١ — ولم يكن أمامي ، وهذه هي الأصول التي استطعت الحصول عليها ، أن أعتمد على أصلٍ واحدٍ اعتماداً كاملاً ، ومع ذلك فقد كان عليّ أن أجعل من الأصل « ب » مُنطَلَقي دائماً ، على نقص أوله و بعض الخرم فيه ، ثم أشرك معه الأصول الأخرى حيث تلتقي به . . وعلى ذلك مضيْت .

وقد أفدت من المقارنة بين هذه الأصول حيناً ، وغاب وجه الفائدة في كثير من الأحايين ، حين كان ينفرد الأصل « ب » ، ولكني أنست بها على كلّ حالٍ في تيسير القراءة .

---

(١) انظر اللوحة رقم ٧ (٢) انظر اللوحة رقم ٨

المهذب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي

لا يبعد عنك وجه محتجز ... تستقي المآقي وطرفه الكحيل

خضع الخدود يلوح تحت صفائها ... تحذا بها ان توهمت عيانها

تلك الجبابر بالتخوم والسما ... قطع الصوارم تحت حر ثيابها

نموذج اللوحة الأولى من مصورة النسخة « ب »

نموذج الصفحتين الأخيرتين من مصورة النسخة « ب »

عدة من شعراء بلاد الساحل

الأديب الغزي

صدق الله العظيم

نموذج الصفحتين الأولى والأخيرة من النسخة « ج »

خريدة القصر للامام اهل الادب الفاضل العماد الكاتب

هذه مسودته

ظنا غالبا

حلب

حماد الخراط

هو حماد بن منصور البزاعي وبزاعا بين حلب ومنبج

لم يكن بالشام في عصرنا هذا مثله [illegible]

[illegible]

ومن شعره قوله

من عليل الفؤاد محزون مشتبه بالملاح مفتون

[illegible]

نموذج اللوحة الأولى من مصورة النسخة « ك »

الـ... بن المعري

ابو اليمن ... [illegible]

السيد القاضي ابو الحسن ... [illegible]

ما سلم لا زلت منا على ذكر ولا درست ... [illegible]

وكنا نعد الصبر للخطب ... [illegible]

... السيد ... [illegible]

حاشاك يا ابن ... [illegible]

واقاف ان يرمى سواء ... [illegible]

عبد الكريم بن عبد المحسن

السيد ... [illegible]

يا وادع السلم في الشرور مهنأ ابداً ... [illegible]

ما في القضاء ... [illegible]

سعد بن عبد المحسن

... [illegible]

... [illegible] ... ووعدته ... [illegible]

... سكنا ان الفتى ... اذا ما مشى ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

المرتضى ابو محمد عبد الله بن القسم الشهرزوري

القاضي ... الموصلي

احد الائمة المشهورين والفضلاء المذكورين له شعر رائق

ورق معناه وجل ودق مليح الوعظ فصيح اللفظ

حسن التسجيع لطيف الطبع فاضل عالم ... [illegible]

عبارته ... الشعر ... [illegible]

... الصبا ... ضاع عرفه ... [illegible]

وشاع فضله وذاع ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

صفحتان من النسخة « ك » يبدو فيهما الاختلاف في الخط والتكرار في التراجم والإضافة على النصوص

اللوحة رقم ٦

الصفحة الأولى والأخيرة من مصورة النسخة « ن »

« خريدة القصر »



نموذج الورقة الأولى من عود الشباب « مكتبة نور عثمانية »

« خريدة القصر »

الحمد لله الذي حمده عنوان كل بديع . وصحيفة ما شرح حال الربيع
والشكر على جميل النعمة زينة الفراد وأدانها . وزينة لرياض المعرفة ...
جنيا ثمارها . والصلاة والسلام على من رفع شأن الأدب بأخلاق محمودة
على ماد حده . وصحيح الشهادة بصدق عوده من والم الوحش والاشاعة
محمد المؤيد المؤيد فصيح حديثه بالأدب بديع الأكتناف وأياته
بعثته للأدب آيات الشفاء . صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه . احلهم الله من فردوس الجنان برحمة وبعد
فيقول فقير عفو الله الغني المنعوت محمد المعروف بمنلاك الحسن بن
يسير بال القصور . ان الأدب بديع يكتب . وزينة لمن تلمذ
بل هو في جيد الفضل أغلى حلي . وفي مذاق الروح أحلى أري .
وان الكتاب الموسوم بخريدة القصر . وجريدة العصر كأنه
بما احتواه من أجناس بلاغته سفينة نوح استوى على الجودي
بل هو الحري بأن ينشد ملاحته بشبيهة سعده فلو احتضنها القوم
روضة تحكي الفردوس في لطافة نسيمه . ورقة نسيمه . دوحة
يسترسل الدامع بأسجاع طيرها من منثوره ونظيمه . ولما

أسير بال القلب
آثاري تتعثر

نصف

صفكا عنه الرأي برقه . صف الطل فكان عاصف

ومن شعر ابن خفاجه

وقد سحقت به الغصون كأنها . فتشبهت بظلة زرقاء

ومن شعر ابن بليطه

يتنفس الصهباء في لهواته . كتنفس الريحان في الآصال
وكأنما الخيلان في وجناته . ساعات هجر في زمان وصال

نموذج الصفحة الأولى والأخيرة من عود الشباب « المكتبة الوطنية في فينا »

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّ اللهم على محمد وآله وسلّم

عدّة من شعراء بلاد السّاحل

قدّمتُ ذكرهم وفخمت أمرهم لأنهم ذوو الفضائل ، وبسبب استيلاء الفرنج على تلك البلاد انتقلوا منها وتحوّلوا عنها . وأفضلهم :

الأديب الغزّيّ [1]

أبو إسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي ثم الأَشْهَبِيّ المعروف بالغزي .

مولده غزّة الشام [2] ، وانتقل إلى العراق وإلى خراسان وأصفهان وكِرْمان وفارس وخوزستان ، وطال عمره ، وراج سعر شعره ، وماج بحر فكره ، وأتى بكل معنى مخترع ، ونظم مبتدع ، وحكمة محكمة النسج ، وفقرة واضحة النهج ، وكلام أحلى من منطق الحسناء ، وأعلى من منطقة الجوزاء . فكم له من قصائد كالفرائد ، وقلائد كعقود الخرائد ، وغرر حسان ، ودرر وجُمان .

وله في خطبةِ ألفِ بيتٍ [3] جمعها من شعره يصف بها حاله نثراً ، ويذكر فضيلة الشعر ، ويقول : « إن الشعر زُبدة الأدب ومَيْدان العرب ، كانوا في جاهليتهم يعظّمونه تعظيم الشرائع ، ويعدّونه من أعلى الذرائع . وجاء الإسلام فأجراه على الرسم المعهود في [4] قطع لسان قائله

---

(١) بالأديب الغزي تبدأ نسخة (ح) ، ثم تثني بترجمة ابن منير الطرابلسي . أما النسخة (ب) التي اعتمدناها كأصل نمضي عليه في ترتيب التراجم وترقيم الصفحات ، فتبدأ بالترجمة التالية : ترجمة ابن منير . وعلى ذلك فلم يكن للحديث عن الغزي أصول أخرى نعارض عليها ، لولا مصورة الديوان - او مختارات الديوان - (خزانة المجمع العلمي العربي رقم ١١١ « فوتوغراف ») المنقولة عن نسخة المكتبة الوطنية الأهلية في باريس . وقد استغرقت ترجمة الغزي في النسخة (ح) ستين صفحة .

(٢) ولد عام ٤٤١ هـ ومات عام ٥٢٤ هـ ودفن في بلخ (اقرأ ص ٣٢) وراجع ترجمته في ابن خلكان (١٤ - ١٦ الميمنية) .

(٣) هذه الخطبة التي سيورد العماد أكثرها ، جاءت في مقدمة الديوان الذي أشرنا اليه في الحاشية الأولى ، وفيها يقول الغزي : (وقد جمعت له مما قلتُ فيه وفي غيره خمسة « ألف » بيتٍ مما ضاق نطاق الوقت عن تنقيحها ..) . فلعلّ النص إذن : وله في خطبةِ خمسةِ « ألفِ » بيتٍ . يقصد في خطبةِ خمسةِ آلافِ بيتٍ ..

(٤) في الأصل : ثم . والتصحيح عن الديوان .

بالجود . وإذا طالعت الأخبار ، وصحّ عندك ما فاض من إحسان النبي ﷺ على حسّان[١] ، وثابت بن قيس[٢] ، وخلعه البردة على كعب بن زهير[٣] ، واهتزازه للشعر الفصيح ، وقوله : إن من الشعر لحكماً[٤] — علمتَ أن إكرام الشعراء سُنّةٌ ألغاها الناس لِعَمَى البصائر ، وتركيب

(١) حسان بن ثابت الأنصاري : كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام . وكان النبي يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبي من شعراء قريش كعبد الله بن الزبعرى وأبي سفيان وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب . وكان يدعو له بقوله : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » أو « أهجهم وجبريل معك » .

بلغ من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن أمير القبط أهداه جاريتين أختين : مارية وسيرين ، فتزوج مارية وأولدها ابنه ابراهيم ، وأهدى سيرين حسانَ بن ثابت فولدت له عبد الرحمن . اختلفوا في وفاته ، قبل سنة أربعين في خلافة علي ، أو في سنة خمسين ، أو أربع وخمسين . ولم يختلفوا في أنه عمر مائة وعشرين سنة ، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام . (الإصابة ج ١ ص ٣٢٥ والاستيعاب هامش ٣٣٤)

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي : خطيب الأنصار ، خطب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ، وآخى الرسول بينه وبين عمار بن ياسر ، على ما في إحدى الروايات ، وقتل في حروب الردّة في يوم اليمامة ، خلافة أبي بكر .

وفي سيرة ابن هشام صورة عن إكرام الرسول صلى الله عليه له . فقد استوهبه دمَ الزبير بن باطا القرظي — بعد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة — وكانت للقرظي على ثابت يد — ثم استوهبه امرأته وولده ، ثم استوهبه ماله ، فوهبه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كله .

(الإصابة ج ١ ص ١٩٧ . سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٦١ طبعة مصطفى محمد)

(٣) كعب بن زهير بن أبي سلمى : شاعر مخضرم . هجا الرسول صلى الله عليه وسلم أول عهد الإسلام فهدر دمه . فلما انتشر الإسلام أقبل كعب على الرسول مستأمناً وأنشده لاميته المشهورة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها ، لم يُفد ، مكبول

وفيها يمدحه :

نُبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهنّد من سيوف الله مسلول

(الإصابة والاستيعاب ج ١ ص ٢٧٩ — ٢٨٠)

فعفا عنه وخلع عليه بردته .

(٤) في الأصل : لحكماً . وفي الديوان : لحكمة . والحديث : إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والطيالسي وأحمد من حديث ابن عباس بلفظ : « وإن من الشعر » والباقي مثله ، لكن بدون لامي التأكيد . وأخرج الجملة الأولى منه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وهي عند البخاري في صحيحه من حديث أبي بن كعب بلفظ « حكمة » .

الشحّ في الطباع . وقد كنتُ في عنفوان الصبا ، أُلِمّ بخُزامى الرُّبا ، وأنظمه في غرض[(١)] يستدعيه ، لاذن تَعِيه ، فلما دُفِعتُ إلى مضايق[(٢)] الغُربة جعلته وسيلةً تَستَحلِبُ أخلاف الشيم ، وتستخرج دُرر الأفعال من[(٣)] أصداف الهمم ، حتى إذا خلا الزمان من راغبٍ في مَنْقَبةٍ[(٤)] تُحمد ، ومأثُرة تخلد[(٥)] ، وثبتُ من الانزواء على فريسةٍ لا يزاحمني فيها أسد ، ولا يرضى بها[(٦)] أحد . على أنّ من سالمه الزمان ، أجناه ثمر[(٧)] الإحسان ، ومن ساعدته الأيام ، أعثرته على الكرام . . »

هذا يقوله الغزي وفي الكرام بقية ، والأَعْراضُ من اللؤم نقيّة ، وقد ظفر بحاجته من الممدوحين : كعمّي العزيز بأصفهان[(٨)] ، والصاحب مُكْرَم[(٩)] بكرمان ، والقاضي عماد الدين طاهر بشيراز[(١٠)] ، الذي أَمِنَ بجوده طارق الإعواز ، وكانت جائزته للغزي وللقاضي الأرّجاني[(١١)]

---

(١) في الأصل : في عرض . (٢) في الأصل : مضايقه .

(٣) « « : يستحلب .. ويستخرج . . عن . (٤) « « : خلا الزمان من منقبة .

(٥) في الديوان : تقلد . (٦) لا تظهر اللفظة في الأصل . (٧) في الديوان : ثمرة .

(٨) ابو نصر احمد بن حامد بن محمد . . الأصبهاني الملقب عزيز الدين ، المستوفي . عمّ العماد صاحب الخريدة ، كان رئيساً كبير القدر ، ولي المناصب العلية في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدّماً فيها . قصده بنو الحاجات ومدحه الشعراء وأحسن جوائزهم . وكان ابن أخيه العماد يفتخر به كثيراً وذكره في أكثر تواليفه فقال : إن مولده بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وقتله سنة ست وعشرين وخمسمائة بتكريت .

(وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٠ – ٦١ الميمنية)

(٩) الصاحب مكرم : هو ناصر الدين مكرم بن العلاء ، وزير كرمان . وقد مدحه الغزي بقصائد كثار ، منها قصيدته البائية التي يقول فيها :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا

(وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥ في ترجمة الغزي)

(١٠) أبو الطيب طاهر بن محمد الشيرازي . قاضي القضاة بها . كان من الأفاضل الأفراد ، الأماثل الأجواد . قرأت في كتاب خريدة القصر : قال العماد ، أنشدني من سمع الأديب أبا المختار أحمد (بن) محمد النوبندجاني ينشد في عزاء قاضي القضاة أبي الطيب طاهر بن محمد الجواد بشيراز ، وقد توفي ليلاً ، من جملة أبيات :

على قاضي القضاة نسيج وحده سلام لا يزال حليف لحده
سرى ليلاً إلى الرحمن شوقاً فسبحان الذي أسرى بعبده

(معجم الآداب في معجم الأسماء والألقاب «مخطوطات الظاهرية» ص٦٤)

(١١) القاضي الأرّجاني : القاضي ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني . كان قاضي تُسْتَر وعسكر مكرّم ، وله شعر رائق في نهاية الحسن . مولده سنة ستين وأربعمائة ، ووفاته في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمدينة تستر وقيل بعسكر مكرم .

(ابن خلكان ج ١ ص ٤٧ – ٤٩ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ١٣٧)

وللسيّد أبي الرضا وأمثالهم المعتبرين ، لكلّ واحدٍ ألفُ دينار أحمر على قصيدة واحدة . فما أقول أنا في زماننا هذا ، وقد عدمنا فيه من يفهم ، فضلاً عمّن ينعم . ولقد صدق الغزّي في قوله :

قالوا : هجرتَ الشعر ، قلتُ : ضرورةً ... باب الدواعي والبواعث مُغْلَقُ

خَلَتِ الديار فلا كريمٌ يُرتجىٰ ... منه النوال ، ولا مليح يُعْشَق

ومن العجائب أنه لا يُشترىٰ ... ويُخان فيه ، مع الكساد ، ويُسرق[1]

الغزّي حسن المغزىٰ ، وما يَعِزّ من المعاني الغرّ معنىً إلاّ إليه يُعزىٰ ، يُعنى[2] بالمعنى ويُحْكِم منه المبنى ، ويودِعه[3] اللفظ إيداع الدرّ الصدف ، والبدر السُّدَف . فمن أفراد أبياته التي علت بها راياته ، وبهرت آياته ، ولم تملل منها غاياته . قوله :

مدحتُ الورى قبله كاذباً ... وما صدق الصبح حتى كَذَب[4]

وقوله :

إذا قلّ عقل المرء قَلَّتْ همومه ... ومن لم يكن ذا مُقلةٍ كيف يرمَد[6]

وقوله :

فقد تُصْقَل الضَّبّاتُ[5] وهي كليلةٌ ... ويصدأ حَدُّ السيف وهو مُهَنَّد[6]

وقوله :

تسمَّى بأسماء الشهور ، فكفُّه ... جُمادىٰ ، وما ضمّت عليه المحرّم[7]

وردّده في معرض أحسن منه ، فقال :

أنت جُمادىٰ إذا سُئلت ندًى ... ويومَ تُدْعى إلى العلى رجب[8]

---

(١) الديوان : اللوحة ٣٤ — ٣٥ . وأول البيت الثاني : خلت البلاد . (٢) في الأصل : يغنى .

(٣) في الأصل : ويودعها . (٤) الديوان : اللوحة ٦٥ .

(٥) في الأصل : الضبّات . والضبّة : حديدة عريضة يُضبّب بها الباب « المزلاج » .

(٦) البيتان في الديوان : اللوحة ٦٦ . وقد جاءا على أنهما وحدة .

(٧) الديوان : اللوحة ٦٥ منفرداً ، واللوحة ١٥٥ (تحلى بأسماء ..) واللوحة ١٥٨ في طائفة من الأبيات .

(٨) الديوان : اللوحة ٣٣ وسترد القصيدة فيما يختار العماد (انظر ص ١٨) .

وقوله :

لعلّ هدوءاً في التقلقل كامنٌ لأجل سكون الطفل حُرِّكَ مَهْده

أعاد هذا المعنى في قصيدة أخرى :

سُكونٌ بِهزّ اليَعْمَلات[١] اكتسبتُه كما سكّن الأطفالَ هزٌّ مُهودها[٢]

وقوله :

والناسُ أهدى في القبيح من القَطا وأضلُّ في الحُسنى من الغِربان

وهذه وأمثالها كثيرةٌ في شعره ، منيرة في تباشير فجره .

وقوله أيضاً في الشمع[٣] :

إني لأشكو خطوباً لا أُعيّنها ليبرأَ الناس من لومي ومن عَذَلي
كالشمع يبكي ولا يُدْرى[٤] أعبرتُه من صحبة النار أم[٥] من فُرقة العسل

روى بعضهم من حُرقة النار أو من فُرقة العسل محافظةً على التجنيس اللفظي ، وأنا أرويه صحبة النار للتطبيق المعنوي[٦] . وسمعت أكثر أشعاره من جماعة من الفضلاء كابن كاهَوَيْه وابن فضلويه وسيدنا عبد الرحيم بن الأُخوّة[٧] وغيرهم .

* * *

ومن جملة قصائده قصيدته التي أجاز بها المعري في كلمته :

---

(١) اليَعْملة : الناقة أو الجمل المطبوعان على العمل .

(٢) الديوان : اللوحة ١٢٧ . وسيرد البيت في مكانه من القصيدة فيما نستقبل من المختارات (انظر ص٢٣) .

(٣) « : ذكر البيتان وحدهما في اللوحة ٣٣ وفي مكانهما من القصيدة في اللوحة ١٣٢ .

(٤) « : في اللوحة ٣٣ : وما يُدرى . وفي اللوحة ١٣٢ : فلا تدري . (٥) في الأصل : او . .

(٦) « : وردت الروايتان معاً في المرتين . (٧) أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد . . بن الأخوة العطار . سمع عن جماعة وسافر في طلب الحديث ، وقرأ ونسخ ما لا يدخل تحت الحصر ، حسن الخط ، سريع القراءة والكتابة ، وكانت له معرفة بالحديث والأدب وله شعر . توفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة بشيراز . (لسان الميزان ج٤ ص٣ . فوات الوفيات ج١ ص٣٤١-٣٤٢ وسمّاه عبد الرحمن)

هاتِ الحديث عن الزَّوْراء أوْ هِيتا ومُوقَدِ النار لا تكرى[١] بِتَكْريتا[٢]

وقصيدة الغزي :[٣]

أَمِطْ عن الدُّرَرِ الزُّهر اليواقيتا وأجعلْ لحجّ تلاقينا مواقيتا

فثغرُكَ اللؤلؤ المبيضّ لا الحجر الـ ـمُسْودّ ، لاثمه يطوي السَّباريتا[٤]

واللثم يُجْحف بالملثوم كرّته حاشا ثناياك من وَصْمٍ وَحُوشيتا

قابلتَ بالشَّنَب الأجفانَ مُبتسماً فطاح عن ناظريْك السحرُ منكوتا

فكان فوكَ اليدَ البيضاء جآء بها موسى ، وجفناكَ هاروتاً وماروتا

جمعتَ ضدّين كان الجمع بينهما لكلّ جمعٍ من الألباب تَشْتيتا

جسماً من الماء مشروباً بأعيننا يَضُمُّ قلباً من الأصلاد منحوتا

مِسْكاً حسبتُ فؤاداً صار فيك دماً فلا يغادَر مَسْحوقاً ومَفْتوتا

لو كان كلُّ دمٍ مِسْكاً لصاكَ بنا[٥] ما يخضِب السمرَ والبيض المصاليتا[٦]

كِباءُ ذكرِكَ أذكى الطيبِ رائحةً سنا مُحَيّاكَ ردّ البدر مبهوتا[٧]

فضَحْتَ بالجَيَدِ[٨] الغزلان مُلتفتاً ولم تكن عن صِيال الأُسد مَلْفوتا

فهُنّ ينفِرْن من خوف ومن وَجَلٍ لبعضهن ويسكنّ الأماريتا[٩]

---

(١) في الأصل : لا يكرى . وفي شروح سقط الزند : لا تكرى « لا تخمد » .

(٢) الزوراء : بغداد . هيت : موضع على شاطئ الفرات . تكريت : موضع كانت تحله إياد .

(٣) الديوان : اللوحة ٤٢ - ٤٤ وقد اختار العماد أكثرها . وفي تقديمها : وقال يمدح الحاجب الكافي أبا الفتح بن سلمان .

(٤) السُبروت من الأرض : القفر الذي لا نبات فيه .

(٥) صاك به المسك : لصق .

(٦) المصاليت : الصقيلة الماضية . ورواية الديوان : البيض والسمر المصاليتا .

(٧) الكباء : عود البخور . ورواية البيت في الديوان :

ونشر ذكراك أذكى الطيب رائحة ونور وجهك ردّ البدر مبهوتا

(٨) الجيد : طول العنق وحسنه .

(٩) أرض مَرْت ومَرُوت : قفر لا نبات فيها ، والجمع : أماريت . ورواية الديوان : إذا رمقْن ويسكنّ الأماريتا .

عَذَرْتُ طيفك في هجري وقلتُ له لو اُهتديت سبيلاً في الكرى جيتا
أنىّ ، ودونك من سمر القنا أَجَمٌ مَرَّ الشجاع بها فانصاع مسؤوتا[١]

(ومنها)[٢] في وصف الترك وما سُبق إلى هذا المعنى :

وفتيةٍ من كُماة الترك ما تركت للرعد كبّاتهم[٣] صَوْتاً ولا صِيتا
قومٌ إذا قُوبلوا كانوا ملائكةً حُسناً ، وإن قوتلوا كانوا عفاريتا
مُدّت إلى النهب أيديهم وأعينهم فزادهم قلق الأحداق[٤] تثبيتا
بدار قارون لو مرّوا على عجلٍ لبات من فاقةٍ لا يملك[٥] القوتا
بالحرص فَوَّتني دهري فوائده وكلما زدت حرصاً زاد تفويتا
حبلُ المنى مثل حبل الشمس ، متصلاً[٦] يُرى ، وإن كان عند اللمس مبتوتا
فلا تقل ليت صرف الدهر ساعدني فإنّ في لَيْتَ أَوْماً[٧] يقطع الِليتا[٨]
وشاوِرِ السيف فيما أنت مُزْمعُه فالله نبّت منه العز تنبيتا[٩]
واحرّ قلباه من قوم سواسية[١٠] لما دَعَوْني سُكَيْتاً ظِلْتُ سِكّيتا[١١]
والجهل لو كان عوداً يجتنى ثمراً للعندليب لأمسى فوقه حوتا
دنيا اللئيم يدٌ في كفها بَرَصٌ وكل من[١٢] لمسته صار ممقوتا
كُفْرٌ رجاؤك مَنْ لا فهمَ يَصْحَبُه كان الغبيّ[١٣] لمن يرجوه طاغوتا

(١) مخنوقا . من سأته : خنقه . ورواية الديوان : من صُمّ القنا . (٢) إضافة يقتضيها السياق .
(٣) الكَبّة والكُبة : الحملة في الحرب . (٤) في الأصل : الأخلاق . والتصحيح عن الديوان .
(٥) في الديوان : لا يعرف . (٦) رواية الأصل : متصل .
(٧) رواية الديوان : أوقاً : وهو الثقل والشؤم . (٨) الأوم : شدة العطش . الليت : صفحة العنق .
(٩) رواية الديوان : ... فيما كنت مزمعه فالله أثبت منه العز تثبيتا
(١٠) سواسية : أي هم متساوون في الشر والخسة . (١١) السُّكَيْت والسِّكّيت : الكثير السكوت .
(١٢) رواية الديوان : فكل ما . (١٣) في الأصل والديوان : الغنيّ ، والتصحيح عن (ع) .

ما سامعٌ[١] بيتَ شعرٍ ليس يفهمه إلا كطارق بَيْتٍ ما حوىٰ بِيْتا[٢]

لا تفخرنَّ بما جاد الزمان به ما كلُّ من جاب مَرْتاً كان خِرِّيتا[٣]

كم من بكور إلى إحراز مَنْقَبَةٍ جَعَلْتَه لعُطاسِ الفجر تسميتا[٤]

بعزمةٍ لو غدا[٥] كيوان حاسدها لبات في الفلك العلوي مكبوتا

يا خاطراً موته بالأمس أخرسني أُنْطِقْتَ[٦] بالحاجب الكافي وأُحييتا[٧]

أغناك عن كل مِنطيق ، ولا عجب وُرُودُك البحرَ يُنسيك المراميتا[٨]

سلمان ، سُلِّمَ ، من عزّت مطالبه بُعداً فخاف من الأعداء تبكيتا

مَنْ زيّن الوزراء الشُّمَّ مجتبياً وشرّف الرؤساء الغرّ منعوتا

في العلم والجسم لا تخفى زيادته فهل أعادت لنا الأيامُ طالوتا

أقلامه الشَمَع[٩] المرغوب فيه ضُحىً ما صالحتْ ناره زَنْداً وكبريتا

أما ترىٰ أن قطّ الرأس أصلحها فزاد جِرْمُ سناها بعد ما ليتا[١٠]

وحسبها من ضياء نسجُها حُلَلاً من منطق لم يكن بالهُجْر مسحوتا[١١]

عبارةٌ كزَليخا بهجةً ، لقيت خطّاً كيوسف إذ قالت له هِيتا[١٢]

كن يا أبا الفتح مفتاح النجاح لنا وصارماً في خطوب الدهر إصليتا

---

(١) في الأصل : يا سامعاً . (٢) البيت : القوت .

(٣) جاب : قطع . المرت : القفر . الخرّيت : الدليل الحاذق في البيد . وفي الديوان : بما جاد الغنيّ به .

(٤) سمّت العاطس وشمّته ، بمعنى واحد : دعا له . ورواية الديوان : تشميتا .

(٥) في الديوان : بغرة لو عدا ... (٦) في الديوان : نطقت .

(٧) القصيدة في مدح الحاجب الكافي أبي الفتح بن سلمان .

(٨) المراميت : الآبار . (٩) الشمَع : لغة في الشمْع .

(١٠) من لاته حقه : نقصه إياه . وفي الأصل : فزان .

(١١) الهجر : قبح الكلام . مسحوتا : محرّما (١٢) لغة في هَيْت .

يا مَنْ هو البحر جوداً والأضا نشباً[١] جُدْ لي بما شئت قد أدركت[٢] ما شيتا

* * *

وله من قصيدة في مدح الصاحب مُكْرَم[٣] بِـكَرْمان وقد قصد التجنيس في أوله[٤] :

وُرود ركايا الدمع يكفي الركائبا وشَمُّ تراب الربع يَشْفي الترائبا[٥]

إذا شِمتَ من برق العقيق عقيقـةً فلا تنتجع دون الجفون سحائبا[٦]

منـازل أُنسٍ من رَبائب مازنٍ ألثَّ رَبابُ المزن فيهنّ ساكبا[٧]

ومرّتْ عليها البيضُ والسود برهةً فَبَدَّلْنَها بالبيض أسودَ ناعبـا[٨]

تفرّدِ واجتـاب السواد[٩] فخلته من الزُّهد فيما يجمع الشمل ، راهبا

حملنا من الأيام ما لا نُطيقه كما حمل العظمُ الكسيرُ العصائبا

وليلٍ رجونا أن يَدِبَّ عِذارُه فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

فـلا تحمَدِ الأيام فيما تفيـده فما كان منها كاسياً كان سالبا[١٠]

ومنها في صفة العِيس :

وعيسٍ لها برهان عيسى بن مريمٍ إذا قتل الفَجُّ العميق المطـالبا

---

(١) كذا في الأصل والديوان ، ولعلّها نشباً . والأضا ج الأضاة : الغدير . (٢) في الديوان : قد أوردت .

(٣) انظر ترجمته في الصفحة ٥ . (٤) الديوان : اللوحة ٢ – ٤ في اثنين وخمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح أباعبدالله مُكرم بن العلاء بكرمان ويذكر ما اوقعه في الخوارج من الحرب التي جرت في البحر وظفره بهم .

(٥) الركايا : ج ركية ، البئر ذات الماء . الركائب : ج ركوبة ، ما يركب من الإبل . الترائب : ج تريبة ، عظمة الصدر . (٦) في الأصل : السحائبا .

(٧) ألثّ المطر : دام أياما . الرباب : السحاب الأبيض . المزن : السحاب .

(٨) في الأصل : فبدلها . يريد بالبيض والسود : الأيام والليالي . وبالبيض في الشطر الثاني : البيض من النساء . وبالأسود الناعب : الغراب .

(٩) اجتاب السواد : لبسه . وفي الديوان : أبى البيض واجتاب . . والضمير يعود إلى الغراب .

(١٠) في الأصل كاسبا ، والتصحيح عن الديوان . وفيه : فلا تحمد الأوقات .

يُرَقِّصهنَّ الآلُ إمّا طوافياً تراهُنَّ في آذيِّهِ أو رواسبا

سوابح كالنينان(١) تحسب أنني مسخت(٢) المطايا إذ مسحت السباسبا

تَنَسَّمن من كِرمان عَرْفاً عَرَفْنه فهنّ يلاعِبْن المِراح لواغبا(٣)

ومنها :

إلى ماجدٍ لم يقبل المجدَ وارثاً ولكن سعى حتّى حوى المجد كاسبا

كأنّا بضوء البِشْر فوق جبينه نَرى دونه من حاجب الشمس حاجبا

تُصيخ له الأسماع ما دام قائلاً وتعنو له الأبصار ما دام كاتبا

ولم أر ليثاً خادراً قبل مُكرَم ينافس في العليا ويعطي الرغائبا

ولو لم يكن لَيْثاً مع الجود لم يكن إذا صال بالأقلام صارت مخالبا

فكم(٤) قَطَّ رأساً ذا ذوائب ، قَطُّهُ لهنّ رؤوساً ما حمان ذوائبا

إذا زانَ قوماً بالمناقب واصفٌ ذكرنا له فضلاً يزين المناقبا

له الشِّيَم الشُمُّ التي لو تجسمت لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا

ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه فصارت بأدنى لحظةٍ منه ، كاعبا

تناول أُولاها وما مدّ ساعداً وأحرز أُخراها وما قام واثبا(٥)

وما دافِعُ القوسِ الشديدةِ مَنْزَعاً(٦) برامٍ ، ولكن مُخْرِجُ السهم صائبا

غزير الندى ، لولا ينابيع سَيبِهِ لأصبح ماء الفضل في الناس ناضبا

عَريتُ من الآمال عِزاً وثروةً وكنتُ إلى ثوب المطامع ثائبا

---

(١) النينان : ج النون وهو الحوت . (٢) في الأصل : مسحت .

(٣) في الديوان : يلاعبن النشاط . ولواغب من اللغب : النصب . (٤) في الديوان : وكم .

(٥) جاء البيت في هامش صفحة الأصل مُستدركاً من إهمال . (٦) في الأصل : الشديد مُنزعا .

بكفٍ ترى فيْض الندى من بنانها … على كلٍّ مَنْ تحت السماوات واجبا
عوارفُ من إحسانه مذ عرفتها[١] … نوائبُ عني يوم أخشى النوائبا
ومن حسنات الواردِ البحر أنه … يرى مُذْنِباً من لا يَعاف المَذانبا

ومنها :

طلعتَ طُلوع الفجر، والليلُ غَيْهَبٌ[٢] … فجلّيتَ بل جَلّيْتَ تلك الغَياهبا
وَزُقْتَ كتاباً يوم رُعْتَ[٣] كتيبةً … فواقَعْتَ، مِتلافاً، وَوَقَّعْتَ، واهبا
تَدقّ كعوب الرمح في كلّ دارعٍ … وتقتضّ أبكار المعالي كواعبا[٤]
وكم حَذِرَتْ منك المنيةُ حتفَهـا … وقام القنا لما تنمرت هائبا

و (منها)[٥] يصف وقوعه بالخوارج :

ويوم العُمانيّين، ماجُوا وفوقهم … سماء قِسِيٍّ ترسل النبل حاصبا
قلوبُهم اُسودَّتْ، وصارمُك اُشتكى … مَشيباً، فلم تُعْدِمْهُ منهن خاضبا
فأصبح جسمُ الجامد القلب منهم … بقلب الحديد الجامد الجسم ذائبا
وَهُمْ ذنبٌ بتَّ المهلَّبُ رأسه … فكنتَ لما أبقى المهلب[٦] هالبا[٧]
رأوْكَ ولم تحضر، ومن كان فضله … محيطاً بما يُسْمى، وإن غاب، غائبا
أشرتَ من التدبير، والبحر بينكم[٨] … بنجمٍ رآه الجيشُ في البرّ ثاقبا
ومِن قبلك الفاروق جاء بمثلها … وكان على عود المدينة خاطبا

(١) في الديوان : عرفته .
(٢) في الديوان : طلعت طلوع الشمس والدهر غيهب .
(٣) في الأصل : رقت .
(٤) تقتض : تفتض . وفي الديوان : المعاني .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .
(٦) في الأصل : لما بتّ المهلّب .
(٧) من قولهم : هلب ذنب الفرس : جزّه .
(٨) « « : والرأي بينكم .

دنت ، يومَ أوْمى ، من نهاوند ، يثربٌ فنادى : ألا ميلوا عن الطود جانبا[1]

بدا بك وجه الدين أبيضَ مشرقاً ووجه عدوّ الدين أسودَ شاحبا

شفى وصبَ الميجاء سيفُكَ فليدُمْ لك العزّ ، ما كرّ الجديدان،واصبا[2]

* * *

ومن قصيدة له في مدحه أيضاً : [3]

نُسِخَتْ برِفدكَ آيةُ الحرمان وَعَلَتْ لوفدك رايةُ الإحسان

يا ناصر الدين الذي أمطاه ظهـ ـرَ المجد مُظْهِرُه على الأديان

يُمناك غيث ما استهلّ غَمامُهُ إلاّ غرقتُ بأيسر التَّهْتان

وصِفاتُ مجدِك لا تكلّفَ عندها[4] ألفاظُ من وصف الكرام معان

خُلِقت مساعيك الشريفة في العلى بمثـابة الأرواح في الأبدان

وانقضّ عزمُك فوق كلّ مُلِمّةٍ كالشهب أو كشواقب الشهبان[5]

أيّدتَ فضلك بالتفضّل ، والعلى شطران : خطُّ يدٍ وخطُّ لسان

وأهنتَ ضدّك بالدليل ، ومُكْرَمٌ ما ضدّه في اللفظ غير مُهان

(١) في البيتين إشارة إلى ما كان من أمر فتح المسلمين مدينتي فسا ودَرَابجرد سنة ٢٣ ، بقيادة سارية بن زُنيم : يذكرون أن عمر رأى فيما يرى النائم حرج موقف المسلمين وأنه لا بد لهم من الاستناد إلى جبلٍ من خلفهم يعصمهم من العدو ، فنادى على منبر المدينة يا سارية الجبل الجبل . وكان من تقدير اللهَ أن يلجأ سارية إلى هذا التدبير فينتصر المسلمون .

ومن الملاحظ أن الشاعر يذكر نهاوند على حين كان فتحها سنة ٢١ وليس بينها وبين حديث سارية نسب .

(٢) الواصب : الدائم .

(٣) الديوان : اللوحة ٤ – ٥ في خمسة وأربعين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدحه (يقصد الممدوح السابق: مكرم بن العلاء) .

(٤) في الديوان : لا يكلف عدّها .

(٥) الشُهْب : ج أشهب وهو من كان في لونه الشهبة « البياض يتخلله السواد » ويعني الرماح . والشهبان : ج شهاب وهو الكوكب . وفي الديوان : كشواقب البهتان .

ولقيتَ وفدَكَ والرّكابَ ، بطلعةٍ … تُسْلي عن الأوطان والأعطان[١]

ومنها :

معنى العُلى لك والدعاوىٰ للورىٰ … سُؤْر الهِزَبْر وليمةُ السِرحان
ولقد سَرَيْتُ وللكواكب في الدّجى … سَبْحُ الغريق ومِشيةُ النَّشْوان
والبرق[٢] ألمعُ من حُسامٍ هزّه … بطلٌ ، وأخفقُ من فؤادِ جبان
حتى إذا نثر التبلّجُ وردَه … متدارِكاً فطفا[٣] على الريحان
حَيّيتُ أصحابي وقلت لِيَهْنِكُمْ … وَضَحَ الصباحُ لمن له عينان
كوُضوح فضل الصاحب، الغمر الندى … لا زال صاحب دولة وقِران
مَسحَتْ قذى عينِ الزمانِ خلالُه … فرأته وهي نقية الأجفان

ومنها :

إنّ استواءَ الدهرِ مِنْ تثقيفه … لا من نزول الشمس في الميزان[٤]
ولذاك[٥] يزدحم الورىٰ في بابه … شَرْوىٰ[٦] ازدحامِ الحبّ في الرُّمّان
لا يترك[٧] الدينارُ ساحةَ كَفِّهِ … حتى ينادىٰ أنتَ رزق فلان
وكأنه في كيسه عرض[٨] فما … يبقى زماناً فيه بعد زمان

ومنها :

المجد كفٌّ والسماح بنانها[٩] … لا خير في كفٍّ بغير بَنانِ

---

(١) الركاب : الابل . والأعطان : مباركها .
(٢) في الديوان : فالبرق .
(٣) في الديوان : قطفاً .
(٤) في الديوان : بالميزان .
(٥) في الديوان : فلذاك .
(٦) مثل .
(٧) في الديوان : لاينزل .
(٨) في الديوان : فكأنه.وفي الأصل:عرضاً .
(٩) في الديوان : بنانهٌ .

(ومنها) [١] :

أنا غَرْس نعمتك[٢] الشريفة فأسقني ... وأجنِ المناقب من جِنان جَناني
من شكَّ في أدبي فلستُ ألومُه ... ما أجهلَ الإنسان بالإنسان

ومنها :

يا ابن الأُلىٰ لمّا غدَوْا وَصِلاتهم ... كصَلاتهم[٣] ، شمخوا على الأقران
صِيدٌ إذا ركبوا لِصَيْدٍ شرّدوا[٤] ... بالأُسد لا بنوافر الغِزلان
أبوابُهم قِبَلُ الملوك تحُلُّها ... يومَ السلام جواهر التيجان

ومنها :

إني أراك بناظري فأعُدُّه ... مِلكاً سُرادِقه من الأجفان
وعليك أعقِد خِنْصَري ليصحّ لي ... عددي ، فأعرف أولاً من ثان
فأسلم فإنّ مَصون عرضك سالم ... وعُلاكَ باقيةٌ ومالُكَ فان

* * *

وله من قصيدة في شكوى الزمان [٥]

مَتى ينجلي ليلُ الظُنون الكواذب ... ويَبْدو صباح الصدق من حَدّ قاضب

(ومنها) [٦] :

وحَتّامَ أرجو دولةً ، وزراؤها ... يَردّون ، إن حَيَّيْتَهم ، بالحواجب
مصيبون في تخجيلهم[٧] كلّ مادح ... وعين صواب الرأي تخجيل كاذب

---

(١) أضفنا اللفظة ، ففي الديوان طائفة من الأبيات لم يخترها العماد . (٢) في الديوان : همتك .
(٣) في الاصل : كصلاتهم . (٤) في الأصل : شوّهوا . وفي القرآن الكريم فشرد بهم مَنْ خلفهم (الأنفال ٥٧) .
(٥) في الديون اللوحة ٢٣ - ٢٥ في مائة بيت وثمانية ابيات . وفي تقديمها : وقال في شكوى الزمان وأهله وذكر أيام الصبا ومدح القناعة وترجيحها وذم الحرص وتنقيصه .
(٦) أضفنا اللفظة على الأصل ، لأن بين البيتين الأولين طائفة من الأبيات تجاوزها العماد . (٧) في الأصل : في تخجيل .

سَواءٌ لديهم ما حوى سِلكُ ناظمٍ … وما ضمّه في ظُلمةٍ حبلُ حاطبِ
شَرَوْا سفهاً بالثعاب الليثَ ، واشترَوْا … بصَرْصَرة البازي صَريرَ الجنادبِ

ومنها :

قَضَتْ عُنّة[1] التمييز والفهم في الورى … بتعنيس أبكار العلوم الكواعب
شَواردُ شعري يُفتَرَعْنَ إغارةً … ويُمْلَكْن سبياً[2] كالإماء الجلائب

ومنها :

وإني لتُغنيني[3] عن السيف عزمتي[4] … فهل فيه ما يُغنيه عن كفّ ضارب
وآنفُ من نومٍ يُقلِّد مِنّةً … بوصلِ خيالٍ من حبيبٍ مُجانِب

ومنها :

هو الفقر من كَسْرِ الفَقار اشتقاقه … نِقابٌ به تخفى وجوهُ المَناقب

ومنها :

ولي أدبٌ زان الزمانَ اصطحابُه … وقربُ التلاقي غيرُ قُربِ التناسب
وفي صُحبة الضدّ الشريف تَزيّنٌ … وما الليلُ من جنس النُّجوم الثواقب

ومنها :

عسى بين أحشاء الليالي عجيبةٌ … حُبالى الليالي أُمهات العجائب

ومنها :

وبيدٍ تُبيد الصّبر ، أحسنتُ طيّها … فأُبْتُ ، وما كانت تجود بآيب

(١) في الأصل : قضت عنهم . (٢) في الأصل : سيباً .
(٣) في الأصل : ليغنيني . (٤) أثبت في الديوان روايتين : همتي ، عزمتي .

تمنيَّتُ مآء السيف فيها من الصَّدٰى ... وما كل ما (١) سميت مآءً بذائب

ومنها :

يضيق الفضاء الرَّحب في عين خائفٍ ... ويعظُم قدْرُ الفَلْس في قلب خائب

وتهتزُّ بالقطر البحارُ وإنها ... لمستغنيـاتٌ عن نَوال السحائب

* * *

وله من قصيدة في هجو شروانشاه (٢) :

قُمْ نفترعْها (٣) كأنّها الذهبُ ... بِكْراً ، أبوها وأُمّها العِنَبُ

أرقّ من عَبرةِ اليتيم ومِنْ ... عبارةِ الصبّ (٤) قلبُه وَصِبُ

مُدامة تصقُل القلوب (٥) إذا ... رانتْ عليها الهُمومُ والرِيَبُ

كؤوسُها أنجمٌ نَضِلّ (٦) بها ... لا يهتدي من تُضِلّه الشُهُبُ

لا فَدْم فينا ولا فِدام (٧) لها ... عروسُ دَنّ عُقودها الحَبَبُ

مِنْ كفّ مَنْ كفّ حُسْنُه صِفَتي ... فما إلى وصف حسنه سبب

أغيـدُ ، للعين حين ترمُقُه ... سلامةٌ ، في خِلالها عَطب

تبسَّم (٨) السِّحرُ في لواحظه ... لمّا بكى الناسُ منه وأُنْتحبوا

وأُخْضَرّ في وجنتيه خَطُّها ... بحافة المـاء ينبتُ العُشُبُ

يدير منها كخدِّه قدحاً ... يجتمع المـاء فيـه واللّهب

(١) في الأصل : كلما .

(٢) الديوان: اللوحة ٣١-٣٣ في ثمانية وثمانين بيتاً . وفي تقديمها: وقال يهجو بعض الملوك ويذكر مناظرته إياه.

(٣) في الديوان : نفترغها .   (٤) في الديوان : عبارة الصبّ .

(٥) في الأصل : الهموم :   (٦) في الديوان : تضل .

(٧) الفدْم : الأحمق . الفدام : المصفاة على فم الابريق . وفي الأصل : لا فدم فيها ولا فدام بها .

(٨) في الديوان : تبسّم .

منتهزاً فرصة السرور بها فَمَقْدَم الحادثات مُرْتقَب

هذا البيت يعود إلى البيت الأول كأنه يقول : قم نفترعها منتهزاً لذة السرور بها .

ومنها في هجو شروانشاه :

رأيتُ لؤماً مُصَوّراً جَسَداً [١] مُهجته الاحتيال [٢] والكذبُ
على سريرٍ كالنعش ، لا رَهَبٌ يَعْلوه من هيبةٍ ولا رغب [٣]
وهو عبوس كالفهد مجتمعٌ يكاد من خَنْزُوانةٍ يثب [٤]
إنْ لم تكن همّةٌ [٥] فإنّ له هَمْهَمَةٌ في خلالها صَخَب
يَجْبَه بالهُجْر من يخاطِبُه بين السَّعالى وبينه نَسَب
يَفْرَقه الناس للفّاهةِ ، والعقرب يُخْشى وخدّه [٦] تَرِب
مُحْتَجِباً لا يزالُ وهو إذا رأيتَه بالصُّدودِ مُحْتَجِب
وإنْ بدا سافراً لناظره فوجهه بالصّدودِ منتَقِب
للجمع والمنع قائمٌ أبداً كالفيل لا تَنْثَني له رُكَب

ومنها :

يفرحُ ما صامَ ضَيْفُه وبِشَمٍ [٧] الخُبْزِ، قبل الذواقِ ، يكتئب
يلتهب القلبُ منه بالجُوع ، والياقوت في التاج منه يلتهب

---

(١) في الديوان : حسداً . (٢) في الأصل : بهجته الاختيال .

(٣) في الأصل : رُعُب . (٤) في الديوان : من قبح خلقةٍ يثب .

(٥) في الديوان : همّةٌ . (٦) في الديوان : تخشى وخدّها ... ويجوز في العقرب التأنيث والتذكير .

(٧) في الأصل والديوان : وبشمّ .

ومن هذه القصيدة :

أنت جُمادى إذا سُئلتَ ندًى ويَوْم تُدْعىٰ إلى العُلىٰ رجب [١]

مالك عِرْضٌ تخاف وَصْمتَه أيُّ طلاق يخـافه عَزَب

* * *

وله من قصيدة [٢] :

من عزّ بزّ وعِزُّ الحُرّ في ظَلَفِهْ وإنما يَسْغَبُ الهِرْماس من أنَفِهْ [٣]

أَسِّسْ على العلم ما ترجو تثبُّته [٤] فالجهل ينقُض [٥] ما يُبْنىٰ على جُرُفه

ومنها في المدح :

خِرْقٌ [٦] سَمَتْ كَفُّه أنْ يُسْتعار [٧] لها وَصْفُ الغمام ، جَلِيُّ القَدّ من هَيَفه

فَبِتُّ أَنْظِم في فـكري مناقبه متىٰ سَمِعْتَ بنظم الدرّ في صَدَفه !

ومنها في أن المستقيم لا يفوز بالغِنىٰ والحظ في الدنيا المعوج [٨] :

وأُسم الغِنىٰ لا يفوزُ المستقيم به كذلك الخطّ لا عُجْمٌ على أَلِفه

مُثَقَّفُ الأَسَلِ الظمآن تُرْجِعُه [٩] دِرْعُ الكَمِيِّ حَطِماً دون مُرْتَشَفه

---

(١) سبق اختيار البيت . راجع الصفحة ٦ .

(٢) الديوان : اللوحة ٥٩ – ٦٠ في خمسة وثلاثين بيتاً . واللوحة ١٢٦ – ١٢٧ في خمسة وعشرين بيتاً ، على اتفاق المطلع والبيت الذي يليه وبعض الأبيات الأخرى . ويبدو أنه اختـار منها مرتين أو أنه استخدم المطلع وبعض الأبيات في تجديد قصيدة ثانية . ففي تقديم الأولى : وقال يمدح الإمام السيد الشهيد أشرف بسمرقند . وفي تقديم الثانية : وغيّر القصيدة التي أولها : من عز بز وعز الحر في ظلفه ، في مدح السيد الأشرف وقال فيها : أسس . . الخ .

(٣) ظلِفت النفس عن كذا : كفت . الهرماس والهُرامس : الأسد الشديد العادي على الناس .

(٤) في الديوان : ما يرجوا بنيته . (٥) في الأصل : ينقص .

(٦) الخرق : الكريم السخي . (٧) « « : يستعاد .

(٨) في الأصل : ومنها . وذكر البيت ، ثم تابع : في أن ... ويبدو أن ما أثبتناه أدنى إلى الاستقامة .

(٩) في الديوان : مرجعه .

والسَّيْلُ من أجل أنَّ الرَّعْن[١] منتصبٌ ... أضاه[٢] في منحنىً الوادي ومُنْعَطفه

لأيَّاً تبيّن لي لما تقلّبت الأيـــام أنَّ بقاء المال في تَلَفه

أين الذي ملك الدّنيا وضنّ بها ... مضى وما حملَ الدُّنْيا على كَتِفِه

ومنها :

بالشيب فارقني ذهني ، ولا ثمرٌ ... في العود بعد اُشتعال النار في طرفه

* * *

وله من قصيدة في التسلية[٣] :

خُذْ ما صفا لك فالحياةُ غُرورُ ... والدّهرُ يَعْدِل تارةً ويجور

لا تَعْتِبَنَّ على الزمان ، فإنّه ... فَلَكٌ على قُطْبِ اللّجاجِ يدور

أبداً يُوَلِّدُ ترحةً من فرحةٍ[٤] ... ويصبّ غمّاً[٥] منتهاه سرور

هو مُذْنِبٌ وعُلاك من حسناته ... كالنار مُحْرِقةٌ ومنها النور

تعفو السّطور إذا تقادمَ عَهْدُها ... والخاق[٦] في رِقّ الحياة سُطُور

كلٌّ يَفِرّ من[٧] الرّدى ليفوتَهُ ... وله إلى ما فرّ منه مصير

ومنها :

فانظر[٨] لِنفسكَ فالسلامة نُهْزَةٌ[٩] ... وزمانها ضافي الجناح يطير

---

(١) الجبل الطويل : وفي الأصل : الرُّعن . (٢) الأضى : ج الأضاة : الغدير .
(٣) الديوان : اللوحة ٧ — ٩ في أربعة وخمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح أبا علي شاهنشاه البويهيّ ، وأنشده إياها بفارس بالنّوبَنْدَجان وهي تسلية عن ابن مات له ، ويلتمس منه فرساً .
(٤) في الديوان : في فرحة . (٥) في الديوان : ويصدّ عمّا ..
(٦) في الأصل : والحلق . وفي الديوان : فالخاق . (٧) في الأصل : إلى .
(٨) في الديوان : وانظر . (٩) » » : نزهة .

مرآةُ عَيْشِك بالشَّباب صَقيلةٌ وجَناحُ عُمرك بالمشيب كسير (١)
والحاضرون بلا حُضُورِك غُيَّبٌ والغائبون إذا حضرت حُضور
بادِرْ فإنّ الوقتَ سَيْفٌ قاطع والعُمرُ جَيْشٌ والشبابُ أَمير
وعوائق الأيّام آيةُ بُخْلِها أَنْ يستريح بِنَفْثةٍ مَصْدور

ومنها :

مَلِكٌ أقام وما أقام ثناؤه (٢) ويَسيرُ ما فعل الملوكُ يَسيرُ
أَعطى الكثير من القليلِ تَفَرُّداً مُعطي القليل من الكثير كثير

ومنها :

ومن العجائب أن وَفْرَك قطرةٌ وَيَفيضُ منه على العُفاةِ بحور

ومنها :

كم وقعةٍ أَحدثتَ موقع بأسها (٣) والأرضُ تَرْجُف والسماء تمور
والموتُ جارٍ والقناة قناتُه ولها بأسماعِ الكُماةِ خرير

ومنها :

السّاترين من الحياء وُجوهَهم والكاشِفوها والعَجاجُ سُتور
غُرٌّ إذا ركبوا الجيادَ حَسِبْتَها شُهْبان رجم فَوقهنّ بُدور
يَتزاحَمون على الحِمام كأنّه فَرْضٌ يُفَوِّتُ نَيْلَهُ (٤) التأخير

---

(١) في الأصل : قصير .

(٢) في الديوان : بناؤه . وفي الأصل : ملك أقام ثناؤه . ثم فراغ وإشارة تلفت إلى الهامش ، وليس في الهامش شيء ولعلها استدراك الكلمة الناقصة .

(٣) في الأصل : كم قطعة أحدث . وفي الديوان : واقع ، وفوقها لفظة موقع .

(٤) « « : نيلها .

ومنها في وصف فرسٍ طلبه :

إنْ شاء هَمْلَجَ[(١)] بي[(٢)] جوادٌ سابقٌ كالنجم يَطْلُع ثاقباً ويغور

قَلِقُ العِنان كأنَّ فوق تَليله[(٣)] نَمْلٌ ، وبين سَمِيعَتَيْه صفـير

هو جَنَّةٌ للناظرين إذا مشى أمّا إذا ما جاش فهو سعير

لو قيل ثِبْ ، وثبيرُ[(٤)] مُعْتَرِضٌ له لِيَتِمّ حُضْرك[(٥)] ما ثَناهُ ثَبير

سَبَقَ الجياد مَدىً ، وواهِبُهُ[(٦)] الأَنا مَ ندىً ، فما للسابِقَيْن نظير

* * *

وأعطاني سديد الدولة ابن الأنباري[(٧)] دَرْجاً فيه هـذه القصيدة في مدحه بخط الغزّي وشعره فلا أرويها إلا عنه ، عن الغزي[(٨)] :

سَرَتْ أمّ أَوْفى عاطلاً من فريدِها فوزَّعْتُ دمعي بين خَدّي وجِيدِها

فباتَتْ تَحَلّى مِنْ فرائد عَبْرَتي وتحسِب جِسْمي سِلْكَ بعض عقودها

مُبَرْقَعَةٌ تَمَّ القِيام بقدِّها فلم تُخْلِه من بُرْقُعٍ من قعودها

---

(١) هملج : مشى مشية سهلة في سرعة . (٢) في الأصل : في

(٣) عنقه . (٤) جبل من أعظم جبال مكة .

(٥) في الأصل والديوان : حضرك . والحُضْر : العدْو . (٦) في الأصل : وواهبة .

(٧) سديد الدولة ابن الأنباري . الكاتب محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن رفاعة ، سديد الدولة الشيباني المعروف بابن الأنباري كاتب الإنشاء بالدايون العزيز ببغداد . أقام بديوان الإنشاء خمسين سنة ، وناب في الوزارة ، ونفذ رسولاً إلى ملوك الشام ، وبينه وبين الحريري صاحب المقامات رسـائل مدونة . عاش نيفـاً وثمانين سنة . سمع وروى . كان رائق الخط واللفظ . مدحه الغزي والأرّجاني والقيسراني . توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . (الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٧٩ . شذرات الذهب ج ٤ ص ١٨٤ . النجوم الزاهرة ج ٥ في مواطن متفرقة . الأعلام)

(٨) الديوان : اللوحة ١٢٧ – ١٢٨ . وقد اختارها العماد كلها . وفي تقديمها : وقال يمدح سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري كاتب الانشاء بديوان الخلافة .

أَلَمَّتْ بنا ترنو بألحاظِ جُؤْذُرٍ ... مَناصِلُها في القَطْع دون غمودها[١]

وتَرْفُل في وشْيٍ إذا اشتاق لَمْسَها ... تظلَّ من أردافهـا ونُهودِها

فبتْنا نَشاوَى من مُدامةِ وصْلِها ... وباتَ الكرَى الساقي برغم صدودها[٢]

فيا عجبا من رُؤيةٍ مستحيلة ... يحققها تغميضُ عَيْنَيْ مريدها[٣]

خَليليَّ ، دُونَ الأَجرع الفَرْدِ حِلَّةٌ ... تَحَلَّى بدُرّ الشعر أعناقُ غيدها

أَسِنَّتها يحكين فِعْلَ عُيونِهـا ... وأرماحُها يسْرِقْنَ وصف قدودها

ذَراني وأوهامَ المطامِعِ فالمُنَى ... تقوم نَسَاياها مقام نُقودها

ولا تَكْرَها لَيّان[٤] لُبْنَى فإنني ... رأيتُ اخضِرار العيش بين وُعودها

ولو حصل الإنجاز لم يَبْقَ مَطْمَعٌ ... وَجودُ اشتعال النار داعي خُمودِها

وكنتُ امْرءاً دُنياه دون اهتمامه ... فما ذيُّها في ذوقه كهَبيدِها[٥]

متى جئتُ موماةً تفرّدتُ واثقاً[٦] ... بصُحبة عَسّالَيْن : رمحي وسيْدِها

طُمأنينتي في أن أكونَ مُشَرَّداً ... طريدَ خُطوب عزّ مأوى طريدها

سُكونٌ بهزّ اليَعْمَلات اكتسبتُه ... كما سَكَّن الأَطفالَ هزُّ مُهودها[٧]

وَخَيْرُ مياهِ الوجْهِ ما كان راكداً ... وإنْ أفسدَ الأمواهَ طولُ رُكودها

أرَى كلَّ رَسْمٍ للمكارِمِ دارساً ... سلامٌ على أيّامِهـا وعُهودها

وكلّ من استَشْرَى بقوة حدّه[٨] ... تجاوَزَ في دَعْواه أقصَى حُدودها

(١) في الديوان : دون عقودها . (٢) في الديوان : الشافي برغم حسودها .

(٣) الشطر الثاني في الأصل : لها تغميض عيني عين مريدها .

(٤) الليّان : مصدر لويته ليًّا وليّانا : إذا مطلته . وفي الحديث ليّ الواجد ظلم (الجمهرة) .

(٥) الماذي : العسل . الهبيد : الحنظل . (٦) رواية الديوان : متى جبتُ موماة تفردت دونها .

(٧) تقدم اختيار البيت . راجع الصفحة ٧ . (٨) في الأصل : جهده .

لقد ماتت النُّعْمى التي ظفروا بها — وفي المَيْتة الملتاة حَظٌّ لِدُودِها

يقولون ما سَيَّرْتَ ما يُتَّقىٰ به — مَغانِيك غابات خَلَتْ من أُسودها

وهل سالِبُ العُرْيان إلاّ منبِّهٌ — على عَدمِ الأشياء قَبْلَ وجودها

وقالوا هجرتَ الكُتْبَ، والعلمُ وجْهُهُ — يزيد بياضاً [1] مِنْ تَصَفُّحِ سُودِها

وما الحفظُ إلاّ كالثمار قطفتُها [2] — وعَاقَتْها بالخيط في غير عُودها

طريق البلاغات التصرفُ زادها — وفَخْرُ كُفاة العصر خِرّيتُ بيدها

أفادَ العُلى عبدُ الكريم محمّداً [3] — ولم نره يُعْزىٰ إلى مستفيدها

فلم يَرْضَ حتّى نالها باكتسابه — طَريفُ العلى أَوْلىٰ بها من تليدها

كسا رؤساءَ العصر دام رئيسُهم — مفاخِرَ يجتابُون أسْنىٰ برودها

فتىً لا تَبُلُّ النعلَ طَشّةُ حاله [4] — وجَدْواه قد عام الورىٰ في مُدودها

فصيحٌ، إذا مدّ المِداد حِبالَهُ [5] — لِمَأمومَةٍ لم يُعْيِه صَيْدُ صِيدِها

أَدِمْ ذِكره وأنْسَ الأوائلَ جُملةً — مكارِمُه نَقْضٌ [6] لبيتِ لَبيدها

ولو لم تكن تُصْمي به الدولةُ العِدىٰ — سَما قدرُه عن نَعْته بسَديدها

نشرتَ أبا عبدِ الإلـه [7] مناقباً — أُميتَتْ فلاحتْ منك شُهْبُ سُعُودها

وَجُدْتَ ارتجالاً، والغمامةُ طالما — تكرّر يحدُوها ضجيجُ رُعودها

فما يَقْتضي جَدْواكَ مُورِدُ [8] مِدْحَةٍ — لأسلافِك الأثمان قبل وُرودها

وما زِلتُ في بغداد بالذكر خادماً [9] — وخِدْمةُ مثلي يُكْتفىٰ بزهيدها

---

(١) في الديوان: ايضاحاً. (٢) في الأصل: وقطعها. (٣) في الأصل: محمدٌ.

(٤) الطش: المطر الضعيف. ولما تبها طشة ماله (٥) « « : حبالة. (٦) « « : نقص.

(٧) في الأصل: الالاه. (٨) في الديوان مَوْرِد. (٩) في الديوان: خامداً.

ولو سَمَحَتْ أرض العراق بمُسكةٍ تَرَفَّهْتُ عن جَيٍّ[1] وأكلِ قديدها
وما أنا إلاّ الطيفُ يُنْسَى فلا يُرى ومثلُك مَنْ جاء العُلى من وَصيدها
أطال اختراعي للمعاني تأخّري وقُدِّمَ أقوامٌ بسَلْخ جُلودها
ويكْفيكَ مجداً أنّ نفسَ مَطالبي بك اُعتصمتْ مِنْ قطع حَبْلِ وريدها
وأنّ خيام الاهتمام بنُصُرتي يَلوحُ عَمودُ الفجْرِ تحتَ عمودها[2]
لِيَهْنِ أميرَ المؤمنين سعادةٌ تَفيضُ بها الأعراض[3] بعد جُمودها
فلوْ لم يَصِلْ[4] إلاّ بيمناك وحدَها لأَمكنَ فتح الخافِقَيْن بجودها

* * *

وله وكتبها إلى سديد الدولة ابن الأنباريّ وقد نقلتها من خطه أيضاً يهنئه فيها بخلعة[5] :

رئيسَ الفضْلِ والرؤساء إني كتبت إليك ما أمْلى ضميري
ولي فِكرٌ يوزِّعه التفاتي بصحّتهِ إلى أملٍ كسير
وليس تألُّمي من فَوْتِ رزقٍ ولا عجباً لإعراض الوزير
ولكن من صُاود زِنادِ عزْمٍ تردّدَ في الإقامة والمسير
هُمومي لا تني هضباتُ رَضْوى بهنّ ولا تقوم ذُرى ثَبير
لِيَفْدِكَ مَعْشَرٌ مُدِحُوا فسَنّوا نِكاحَ الشاردات بلا مُهور
متى تجري الخواطرُ في مديحٍ وإيغارُ الصُّدورِ من الصدور
سديدَ الدولة الأمواهُ تثْني على كرمِ المنابعِ بالخرير

(١) جيٌّ : اسم مدينة ، ناحية اصبهان القديمة .
(٢) في الأصل : يلوح دون الفجر دون عمودها .
(٣) الأعراض : ج العَرْض : الوادي . السحاب .
(٤) في الديوان : تَصِل .
(٥) الديوان : اللوحة ١٢٨ – ١٢٩ وقد اختارها العماد كلها . وفي تقديمها : وكتب إليه (يعني إلى ابن الأنباري) أيضاً .

ومُدْمِنُ سَبْكِ عِقْيانِ المعاني	بصيرٌ ، والتأمُّلُ للبصير
كسوْتَ المُلكَ ثوباً من حروفٍ	فقابلهُ بثوبٍ من حرير
وَوَشْيُ الحِبْرِ في القِرطاس أبْقى	على الأيّامِ من وَشْي الحبير
وفي الخِلع الجمالُ (١) ولستُ أحْدو	بتهنئةٍ بهنّ إليك عِيْري
وكيف (٢) وكانت الحالاتُ أحرْى	وأجدرَ أنْ تُهنَّأَ بالبدور
محبّتُكَ الأفاضل في زماني	شُعاعُ الشمسِ في الزمن المطير
فمَهِّدْ عُذرَ من أمسْى نزيفاً (٣)	بترك الكأْسِ في كفّ المدير
وَدُمْ ما أطربَتْكَ صَبا صَباحٍ	بخدشِ نسيمها وجهَ الغدير
مَنابتُك السفيرُ إلى مُرادي	وإسفارُ المَطالب بالسفير

* * *

وكانت بين الغزّي والأُستاذ أبي اسمعيل الطُّغرائيّ (٤) مُكاتبات مفيدة وبينهما لنسب الفضلِ المودّةُ الوكيدة . وكان في زمانه الغزي والأبيوردي (٥) والأَرّجاني

(١) في الأصل : الحال . (٢) في الديوان : فكيف . (٣) النزيف : السكران .

(٤) العميد فخر الكتاب ابو اسمعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشأ المعروف بالطغرائي . كان غزير الفضل لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر . وهو صاحب اللامية المشهورة « لامية العجم » :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ولي الوزارة بمدينة إربل مدة ، وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ، وكان ينعت بالاستاذ . قتل مظلوماً ، حوالي سنة خمس عشرة وخمسمائة . (ابن خلكان ج١ ص١٥٩ – ١٦١ ، شذرات الذهب ج١ ص٤١–٤٢ ، النجوم الزاهرة ج٥ ص٢٢٠)

(٥) الأبيوردي : أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد ... ينتهي نسبه إلى قريش . شاعر مشهور ، وراوية نسابة . نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات . ولد في أبيورد بخراسان ومات مسموماً بأصبهان سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وله ديوان مطبوع . (وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢)

كأنهم مع الأستاذ أربعة أركان الفضل ، ولم يسمح الزمان لهم بالمِثْل ؛ ولا يجتمع في قَرْن واحد أمثالهم ، وقد عمّ الزمان فضلهم وإفضالهم ، لكن الأستاذ كان من الصدور الكبار . فمن مكاتبات الغزي إلى مؤيد الدين أبي اسمعيل الطغرائي اعتذاراً عن أمرٍ نُسِبَ إليه وهو يستميحه :

عليك مؤيّدَ الدين اعتمادي فلا تجنَحْ إلى كَذِب الأعادي

تمادَى المَطْلُ ، والآمالُ زرعٌ وطولُ الانتظار من الجراد

وقد أزِفَ الرحيلُ وأنت كهفي ومن جَدْواك راحلتي وزادي

زففتُ إليك أبكار المعاني فزُفَّ إليَّ أبكار الأيادي

محلُّكَ في السماء فأيُّ شيْءٍ أمُتُّ به إلى السبع الشِداد

وجدتُ جميع ما في الأرض منها وليس المستعاد بمستفاد[1]

لسان الحسود ،أدام الله أيّامَ المجلس السامي دام ساميا ، ولبَيْضة المجد حاميا ؛ إذا عَلِق بعرض الكرام كان كالنار في المندليّ ، يبوح بسرِّ طيِّه الخفيّ . وهذا الخادم لم يزل في الثناء على الفضل المؤيّدي أفصح من الوائلي[2] . فإن وقع من السفهاء إفْك فداعيتُه ما ظهر لهم من انتمائه ، وانتساب مُزْنته إلى سمائه . والمجلس السامي جديرٌ بأن يَمُجَّ المحالَ سمعُه ، ولا يقبل التمويهَ طبعُه ، ورأْيه في التأمّل الصادق أسمى .

* * *

وله :

متى جاوَزَ الشوقُ حدّ النزاع[3] وكان اللقاء عديم الدواعي

جَعَلْتُ الصفاح بكنّ الضمير وشكْوى الهوى بلسان اليراع[4]

(١) الأبيات في الديوان : اللوحة ٧٨ – ٧٩ وقد اختارها العماد كلها . (٢) يعني سَحبان .

(٣) في الديوان : اليراع . والنزاع أشد الشوق . (٤) الديوان : اللوحة ٧٩ .

الحاملُ على تَشْعيث الخاطر الكريم ، وتصديع المجلس السامي ؛ لا زال سامياً ، ولذمار العلم حامياً ؛ ما فغم الأنف ، وشغَل الأذن عن الشَّنْف ، من أنباء ما اختص بملكه ، وانخرط في سلكه ، من وفور المجد ، وبدار مقاطف ثمر الحمد ، على أن التقاط الكواكب ، ومباراة السحائب غير بِدْع ممّن أُجتمع له الكرم الطبيعي ، والمجد المنيعي ، والأدب السافر ، والصيت المسافر ، واعتمد على الهمة التي تجذب حديد الثناء بالجود ، والشّيمة التي ينسب إليها أرجُ العود . ولولا ما سدِكَ[1] بإحدى قدميّ من وجع في الرِّجل ، قام مقام الحَجْل[2] ، لكنتُ إلى خدمته أخفّ من الرِّجْل[3] وإن كنتُ منذ وطئتُ هذه البلاد أجوس غمارها ساكناً كالحوت ، أو كالتمثال المنحوت ، لعلمي بكساد سوق الكلام ، واعتلال الأفهام ، وان قوة البخْت ، تكسر العبل[4] بالشخت[5] ، والمنشود ، بعد القيام تحت راية رأيه المنصورة ، وما أشبه فيه من كشف الصورة ، تمهيد العذر في التأخر عن الاستسعاد باللقاء الحميد ، والشفاء المفيد ؛ ورأيه في اعتبار ذلك وتحقيقه موفق إن شاء الله .

* * *

وسمعتُ للغزيّ في غُلامٍ سرّاجٍ بيتين ، لم أسمع بأظرفَ من معناهما . والبيت الأول منهما دخل في شفاعة الثاني[6] :

أَلاَ قُولوا لِذا السّراج إني ... أراكَ تجيءُ بالعجب العجيب[7]

إذا ما كنتَ لا تُعطي قِياداً ... ففيم عَمِلتَ أسبابَ الركوب[8]

قال مؤلف الكتاب : وسألني بعضُ أصدقائي ببغداد أن أعمل في معناه[9] شيئاً فقلت بديهاً :

وسَرّاجٍ سرى في القلب مني ... هواه ، وحلّ مِنْ طرفي السّوادا

---

(١) سدك به : لزمه ولم يفارقه .
(٢) حجَل حجْلاً : رفع رجلاً ومشى متريثاً على الأخرى .
(٣) القطعة العظيمة من الجراد .
(٤) الضخم .
(٥) الحطب الدقيق .
(٦) في الديوان : اللوحة ١٢٨ .
(٧) في الأصل : أرى من فعله عجب العجيب .
(٨) الديوان : فلِمْ تعنى بآلات الركوب .
(٩) تكررت اللفظة مرتين في الأصل .

يُسَهِّلُ للركوب لنا طريقاً بصنعته ولا يُعطي القِيادا
وما يَفْرِي بشفرته أديماً كما يفري بمُقْلَتِه الفؤادا

وقلتُ أيضاً في غلامٍ سرّاج :

فَدَيْتُ سرّاجاً إذا لم يَرُج للعِشْق عندي حَسَنٌ ، راجَ هو
يَقول لي أركبني ولا تُفْشِه يريد إلجامي وإسراجه

وهذه نظمتها بديهاً . وفي إثباتها هاهنا التكشّفُ لجهابذة الكلام ، والتصدّي للقرائح الصافية بقريحتي المشوبة . وما أوردتها لجودتها ، على أنها ما تقصر عن دون الغاية ، بل لمناسبتها وكونها لائقة بهذا الموضع .

* * *

والغزّي في التجنيس :

وصُدورٍ(١) لا يَشْرحون صدوراً شغلتهم عنّا صُدور الدجاج

* * *

وللأديب الغزّي في مدح نُورِ الهدى أبي طالب الحسينِ بن محمّد الزينبي(٢) أخي طراد قصيدةٌ أوردها أبو سعد السمعاني(٣) في المذيل وذكر أنه قرأها بخطه . فمنها(٤) :

---

(١) يعني صدور الحكام والناس .

(٢) نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي الحنفي ، فريد عصره . ولد سنة عشرين وأربعمائة وقرأ القرآن وسمع الحديث وبرع في الفقه وأفتى ودرّس . انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه ببغداد ولقب بنور الهدى . وترسل إلى ملوك الأطراف من قبل الخليفة وولي نقابة الطالبيين والعباسيين . وكان شريف النفس والحسب ، كثير العلم ، جليل القدر . مات يوم الاثنين حادي عشر صفر سنة ٥١٢ وله اثنتان وتسعون سنة . (شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤ ، النجوم الزاهرة ج ٥)

(٣) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني : أحد كبار العلماء والمصنفين في القرن السادس . أكثر من الرحلات ولقاء العلماء ومجالستهم والأخذ عنهم . ذيّل تاريخ بغداد للخطيب ، وألف تاريخ مرو ، وكتاب الأنساب . ولد بمرو في شعبان من سنة ست وخمسمائة ، وتوفي بها في ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وخمسمائة . (ابن خلكان ج ١ ص ٣٠١ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٠٥ ، النجوم الزاهرة ج ٥)

(٤) الديوان : اللوحة ١٥٤ – ١٥٦ في واحد وخمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح الحسين الزينبي .

جفونٌ يَصِحّ السُّقْمُ فيها فَيُسْقِمُ[(١)] ولَحْظٌ يناجيه الضمير فَيُفْهِمُ
مَعاني جَمالٍ في عِبارات خِلْقةٍ لها تَرْجُمان صامِتٌ مُتَكَلِّمُ
تَأَنَّقن في عينيْ غَزالٍ مُشَنَّفٍ بِفَتْواها في مذهب الحبِّ يُحْكَمُ
تَضاعَفَ بالشكوى أذى الصبِّ، والهوى تَخَرَّصَ فيه الظالمُ المتظلم[(٢)]
محا اللهُ نوناتِ الحواجب لم تزلْ قِسِيًّا، لها دُعْجُ النَّواظِرِ أَسْهُم
وأَطْفأَ نيران الخدود فقلَّ من[(٣)] رأى قبلها ناراً يُقبّلها فم
سقاكِ الكرى من[(٤)] مَوْرِدٍ عزَّ ماؤه عليه القلوبُ الهِيمُ كالطيرِ حُوَّمُ
أصادَكِ غِزلان الحِجاز، وطالما تمنّى تَقِيٌّ صيدَها وهو مُحْرِمُ[(٥)]
طَرَقْنَ ووجْهُ الأرضِ في بُرْقُعِ الدُّجى وعُدْنَ، وكُمّ الليل بالفجر مُعْلَمَ

ومنها:

كفى بمُلوكِ الأرضِ سُقماً حِذارهم وإنْ ملكوا، أن يُسْلَبَ المُلْكُ مِنْهم
وَهَبْ جعلوا ما في المعادن جُمْلةً رهائن أكْياسٍ تُشَدّ وتُخْتَم
فلم يَبْقَ دينارٌ سوى الشمس لم يُنَلْ[(٦)] ولم يبق غيرُ البدر في الناس درهم
أليس أخو الطِّمرينْ في العيشِ فوقهم إذا بات لا يَخْشى ولا يَتَوَهَّم
أرى كلَّ من مدَّت بِضَبْعَيْه دولةٌ تعلَّمَ منها كيف في الماء يَرْقُم
تحلّى بأسماء الشهورِ فكفّه جُمادى وما ضمت عليه المحرَّم[(٧)]

---

(١) في الأصل: جفون يصح السحر فيها فَيَسْقُمُ.
(٢) » » : يضاعف بالشكوى أذى الصب في الهوى ويحرص فيه الظالم المتظلم
(٣) » » : فقل ما. (٤) في الأصل: عن.
(٥) في الديوان: أصادك غزلان الحجاز على منى بمن قد تمنى عن صيدها وهو محرم
(٦) » » : لم تُنل. (٧) سبق ذكر البيت. راجع الصفحة ٦.

من أُستحسن التقريظ وأُستقبح اللُّهَى[١] تَسَمَّى بألمى وهو أفلَحُ أعْلَمُ[٢]
سَرَى الجدّ حتّى في الحروف مؤثّراً[٣] فمنهن في القرطاس غُفْل ومُعْجَم
ولو قدّمَ الإحسانُ والفضلُ لم يَلِقْ بغير الحُسَين الزَّيْنَبِيِّ التقدُّمُ
إمامٌ غدا بالعلم في العصر[٤] غُرّةً برغم العِدى والعَصْرُ بالجهل أدهم
بنُور الهُدى قد صحّ معنى خِطابه وكانَ بعيدٍ من سَنا النُّور مُظْلِم

* * *

وطالَعْتُ كتاب أبي سعدٍ عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني الموسوم بالمذيّل لتاريخ مدينة السلام وقد أورد ذكر الغزي وأثنى عليه وقال : شيخ كبير مُسِنّ قد ناطح التسعين وكان أحد فضلاء الدهر ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر . وكان ضنيناً بشعره ما كان يملي منه إلاّ القليل.

ورد علينا « مرو » وكان نازلاً في المدرسة النظامية إلى أن اتفق له الخروج من مرو إلى بلْخ فباع قريباً من عشرة أرطال من مُسَوَّدات شعره بخطه من بعض القلانسيين ليفسدها ، فحضر بعض أصدقائي وزاد على ما اشتراه شيئاً وحملها في الحال إليّ ، فطالعتها فرأيت شعراً دُهِشْت من حسنه وجودة صنعته ، فبيضت من شعره أكثر من خمسة آلاف بيت وبقي منه شيء كثير . وبقية شعره الذي كان معه اشتراه بعض اليمنيين واحترق ببلْخ مع كُتَيِّبات له .

وقال سمعت أبا نصر عبد الرحمن بن محمد الخطيبي الخَرْجِرْدي[٥] يقول مذاكرةً : وُلد إبرٰهيم

---

(١) العطايا : ج لُهوة . وفي الأصل : التفريط .

(٢) الألمى: من اللمى : سمرة مستحسنة في باطن الشفة . الأفلح: مشقوق الشفة السفلى . الأعلم : مشقوق الشفة العليا. وفي الأصل : أقلح . من القلح : صفرة تعلو الأسنان .

(٣) في الديوان : سرى الجد في خير الحروف مؤثر . (٤) في الأصل : للعصر .

(٥) أبو نصر عبدالرحمن بن محمد بن احمد بن محمد بن منصور البوشنجي الخطيبي ، الفقيه الشافعي . ولد بخَرْجِرد من ناحية بوشنج هراة سنة نيّف وتسعين وأربعمائة وسكن مرو مدة . كان فقيهاً صالحاً متعبداً ، قرأ طرفاً من الأدب ، وأمعن في حفظ التواريخ والفتوح والملاحم . وكان يحفظ كثيراً من الشعر والطرف نظما ونثراً ، ومواليد الناس ووفياتهم . توفي في فتنة الغز بمرو في الثامن عشر من رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . (طبقات السبكي ج ٤ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ . شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٩)

الغزّي في سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ . قال : وسمعت أبا نصر الحرجردي يقول بمرو : إن الأديب الغزي مات في سنة أربع وعشرين وخمسمائة في الطريق وحُمل إلى بَلْخ ودفن بها . وكان يقول : أرجو أن الله تعالى يعفو عني ويرحمني لأنّي شيخ مُسِنّ جاوزتُ التسعين ولأنّي من بلد الإمام المطلبي الشافعي ، يعني محمد بن إدريس (١) .

قال السمعاني في تاريخه: أنشدنا أبو علي الآدمي (٢) بأصفهان ، أنشدنا عبد الواحد الحافظ الأصفهاني (٣) أنشدنا ابراهيم الغزّي لنفسه في الأدب :

الفضلُ فَضْلان : طبعيٌّ ومُكْتَسَب ... وقلّما اجتمعا في المرء واصْطحبا

مَنْ لمْ يكنْ أدبُ الأخلاقِ يصْحَبه ... فلا تعدَّنّه من جُملة الأُدَبا

* * *

قال : وأنشدني أبو طاهر أحمد بن حامد بن أحمد الثقفي ، أنشدنا إبراهيم بن عثمان الكَلْبي ثم الأشهَبي لنفسه من قصيدةٍ (٤) :

يا عاذلي في عبرتي ... والصبّ في أذنيه وَقْرُ

أنا في كَرًى وَلَهي ، ودَمْـــعي في الكَرى فَرَحْ يَسُرُّ

(١) أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس . . الهاشمي القرشي المطلبي ، أحد الأئمة الأربعة ، وإليه نسبة الشافعية كافة . ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين ، وتوفي بالقاهرة سنة ٢٠٤ هـ . كان أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات والحديث . (الأعلام)

(٢) هو الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل بن الحسن بن علي الآدمي من أهل أصبهان . فقيه ، محدّث، واعظ، شاعر ، مات بأصبهان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٤ ص ٢١٢)

(٣) في (التحبير في المعجم الكبير) للسمعاني ، وهو معجم لشيوخه ، - مخطوطات الظاهرية حديث ٥٢٩ - أربعة باسم عبد الواحد ، وكلهم من أصفهان ومن جيل واحد : ١ - أبو الوفا عبد الواحد بن حمد . . ابن الصباغ الشرابي (٤٤٦-٥٣٣) . ٢ - أبو بكر عبد الواحد بن محمد . . التوثي المروزي (جاوز الثمانين - ٥٤٨) . ٣ - أبو المظفر عبد الواحد بن حمد . . المقري السكري (٤٤٤-٥٢٤) . ٤ - أبو طاهر عبد الواحد ابن محمد . . الاصبهاني الصباغ (٤٢٠-٥١٨) .

(٤) الديوان : اللوحة ١٥ في تسعة وثلاثين بيتاً . وموضوعها : المديح والتهنئة بعيد الفطر . ومطلعها :

صوم أغار عليه فِطر ... كالنجم نزّ سناه فجر

والغيمُ غيمٌ كشفُه ... في أن يَبُلَّكَ منه قَطْرُ

وسَنُورِد من هذه القصيدة أبياتاً أُخَر[1] .

* * *

قال : وأنشدني أبو طاهر الثقفي بأصفهان ، أنشدني أبو إسحق الغزّي لنفسه من قصيدة طويلة[2] :

أغْيَد ، للعين حين تَرْمُقُه ... سَلامةٌ ، في خِلالها عَطَبُ

واُخضَرّ في وَجْنَتَيه خَطُّها ... بِحافَةِ الماء ينبتُ العُشُب

يُديرُ فينا بِخَدّه قدحاً ... يجتمعُ الماء فيه[3] واللهب

مُنتهِزاً فُرصةَ السرورِ به ... فمَقْدَمُ الحادثات مُرتَقَب

* * *

وله يعاتب بعض الوزراء[4] :

نَمى لكَ ودّي منذ قَلّمتَ رأسَه ... قياساً على الأقلام والشَّمْع والظُّفُر

وقدّمتُ شكراً ما اقتضته صنيعةٌ ... وأقبحُ ما يُجنى المقصِّر بالشكر

* * *

قال : وأنشدني ابن عمي أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني[5] بمرو ، أنشدني الغزّي لنفسه[6] :

---

(١) انظر الصفحة ٤٧ – ٤٩ .

(٢) سبق ذكر القصيدة (انظر ص ١٨) . وبين بعض الأبيات هنا انقطاع لا يفهم إلا بالرجوع إلى المختارات السابقة .

(٣) في الأصل : منه . (٤) الديوان : اللوحة ٩٦ . وفي تقديمها : وقال أيضاً .

(٥) كان شاباً فاضلاً ظريفاً ، قرأ الأدب وبرع فيه ، وكانت له يد باسطة في الشعر غير أنه اشتغل بما لم يشتغل به سلفه من الجلوس مع الشبان ، والجري في ميدانهم ، وموافقتهم فيما هم فيه . اخترمته المنية في حال شبابه بعد والده بسنتين وذلك ليلة عرفة من سنة ٥٣٣ . (الانساب للسمعاني ظهر الورقة ٣٠٨ ، باختصار)

(٦) الديوان : اللوحة ١٣٤ الأبيات الثلاثة مجتمعة . واللوحة ٩٧ البيتان الأولان .

طولُ حياةٍ ما لها[1] طائلُ ... نَغّص عندي كلَّ ما[2] يُشتهى

أَصبحتُ مثلَ الطِّفلِ في ضعفه[3] ... تَشابه[4] المَبدأُ والمُنتهى

فلا تَلُمْ سَمْعي إذا خانني ... « إِنّ الثمانين وبُلّغتها »

قوله : « إن الثمانين وبلغتها » تضمين ، من قول عوف بن مُحَلِّم الشيْباني[5] ، كان بين يدي عبد الله بن طاهر[6] ، وقد أسنّ ، فكلّمه بشيء فلم يفهمه ، فقال الحاجب له لمّا خرج : إنّ الأمير كلّمك بشيء فلم تفهمه ، فرجع ووقف بين يدي عبد الله ، وأنشأ يقول :

يا ابْنَ الذي دان له المشرقانْ ... وأُلبس العدلَ به المغربانْ

إنّ الثمانين ، وبُلِّغتَها ، ... قد أحوجتْ سمعي إلى تَرْجُمانْ

---

(١) الديوان : اللوحة ١٣٤ : ماله . (٢) في الأصل والديوان : كلما .

(٣) « : « ١٣٤ : طبعه . (٤) الديوان : اللوحة ٩٧ : تناسب .

(٥) أحد العلماء الأدباء الرواة ، الفهماء الندماء ، الظرفاء الشعراء . كان صاحب أخبار ومعرفة بأيام الناس . اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته فلا يسافر إلا وهو معه ، وبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكلما استأذنه أبى عليه فلما مات طاهر ظن أنه تخلص ، فقربه ابنه عبد الله ، وأنزله منزلته من أبيه ، وأفضل عليه حتى كثر ماله ، وحسنت حاله . وتلطف بجهده أن يأذن له بالعود ، فأذن له مكرهاً ، ومدحه عوف بالأبيات المشهورة :

يا ابن الذي دان له المشرقان ... وأكثر الأمن به المغربان

وكرّ راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ، ومات في حدود العشرين ومائتين .

(فوات الوفيات « بولاق ١٢٨٣ » ج ٢ ص ١٤٨ – ١٤٩ باختصار)

(٦) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ولاءً . كان سيداً نبيلاً عالي الهمة شهما ، وكان الخليفة المأمون كثير الاعتماد عليه ، حسن الالتفات إليه ، لذاته ، ورعايةً لحق والده (طاهر بن الحسين) وما أسلفه من الطاعات في خدمته أيام الفتنة بين الأمين والمأمون . وولاّه المأمون خراسان ، فأحسن ضبطها . وقد مدحه أبو تمام بباثيته المشهورة :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

وكانت وفاة عبد الله سنة ثلاثين ومائتين ، وعاش مثل أبيه طاهر ثمانياً وأربعين سنة .

(وفيات الأعيان « الميمنية » ج ١ ص ٢٦٠ – ٢٦٢ باختصار)

وقاربتْ مني خُطىً لم تكن مقارَبات ، وثنتْ من عِنانْ

وما بقى في المُستَمتِع إلاّ لساني ، وبحسبي لِسانْ

أدعو بـه الله وأُثني به على الأمير المُصْعَبيّ الهِجانْ

وهي أكثر من هذه ، وإنما أوردتُ هذه الأبيات أختصارا .

* * *

قال السمعاني : . . .[1] أبو بكر محمد بن علي بن الحسن الكَرَجي[2] ببغداد ، وأبو بكر محمد بن عليّ بن ياسر الجيّاني[3] الحافظ بسمرقند ، أنشدنا إبراهيم بن عثمان الغزّي لنفسه بهراة :

إنّما هذه الحياةُ متاعٌ والسّفيه الغَوِيّ من يَصْطفيها

ما مضى فات والمُؤمّل صَعْب[4] ولك الساعةُ التي أنت فيها[5]

* * *

قال : وأنشدني أبو الفضل عبد الرحيم بن أبي العباس بن الأُخُوّة[6] ، أنشدنا أبو إسحاق الغزّي[7] :

---

(١) السياق يقتضي كلمة أنشدنا أو نحوها . (٢) هذه النسبة إلى الكَرَج من بلاد الجبل . ومن المشهورين بها محمد بن علي الكرجي الفقيه ، يروى عن أحمد بن أبي عمران الهروي . (الانساب ظهر الورقة ٤٧٤)

(٣) أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله بن ياسر الأنصاري الأندلسي . تفقه بدمشق على نصر الله المصيصي ، وأدب بها . قال ابن عساكر : ثم زاملني إلى بغداد ، وسمع من ابن الحصين ، وبمرو من أبي منصور الكراعي ، وبنيسابور من سهل المسجدي ، وطائفة . ثم سكن في الآخر حلب . وكان ذا معرفة جيدة بالحديث . توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة (شذرات الذهب ج ٤ ص ٢١٠) . وفي كتاب الأنساب للسمعاني (ظهر الورقة ١٤٦) : سمعت منه ولقيته أيضاً ، وكتب عني الكثير ، وسمع قبلنا ومعنا ، وكانت ولادته سنة نيف وتسعين واربعمائة بجيّان . وانظر ترجمته في طبقات السبكي (ج ٤ ص ٨٨) .

(٤) كذا . والمحفوظ الشائع : غيب .

(٥) لم أجد البيتين في الديوان . وإنما هما مما اختاره ابن الأثير (انظر حوادث سنة ٥٢٤) والبارودي في مختاراته ج ٤ ص ٩٦ .

(٦) تقدمت ترجمته في الصفحة ٧ . (٧) سيعرض العماد للقصيدة وسيذكر مطلعها ومختارات منها معاوداً ذكر البيتين . انظر ص ٦٤ .

أفدي الذي ضمّني ، والبَيْنُ يحفِزُه ... ولم يَرُعْه انحناء الظَّهر والشَّطَنُ

إذا تعانق منآد[1] ومُعتدلٌ ... كانا كلا ، ضاع فيها اللّام والألف

* * *

قال : وقرأتُ في جملة أشعاره بخطه[2] :

وقالوا بِعْ فؤادك حين تهوى ... لعلّك تشتري قلباً جليـدا[3]

إذا كان القديمُ هو المُصافي ... وخان ، فكيف آتمن الجديدا

* * *

قال : أنشدني أبو بكر محمد بن علي بن ياسر بسمرقند ، أنشدني أبو إسحق الغزّي لنفسه بهراة[4] :

وَخزُ الأَسنَّة والخُضوعُ لناقصٍ ... أمران ، في ذوق النُّهى ، مُرّان

والحَزْمُ أن تختار فيما دونه الـ ... ـمران[5] وخز[6] أسِنّة المُرّان[7]

* * *

وقال : أنشدنا أبو الفتح بن مسعود بن محمد بن أبي نصر[8] ، الخطيب ، بكُشْمَيْهَن[9] ،

---

(١) في الأصل : ميّاد . وانظر ص ٦٤ . (٢) الديوان : اللوحة ٩٦ . (٣) في الأصل : جديدا .

(٤) الديوان : اللوحة ١٦٢ . (٥) في الديوان : الأمران .

(٦) في الأصل : وجز . (٧) المران : الرماح ، أو الشجر الذي تتخذ منه .

(٨) لعلّه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة ، أبو الفتح ، المعروف بالكشميهني ، الخطيب ، شيخ الصوفية بمرو . انظر ترجمته في شذرات الذهب ج ٤ ص ١٥٠ ، وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٥ وفي طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٧٧ ، وفيهـا : ان مولده سنة احدى وستين او اثنتين وستين واربعمائة ، وأنه روى عنه أبو سعد بن السمعاني وابنه عبدالرحيم ، وان وفاته كانت في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

(٩) في الأصل : بكشمهين .

أنشدني الغزّي لنفسه في بعض الوزراء[١] :

مِنْ آلة الدستِ لم يُعْطَ الوزيرُ سِوى ... تحريكِ لحيته في حالِ إيماء

إنَّ الوزير بلا أَزْرٍ يُشَدُّ به ... مثلُ العروض[٢] لَهُ بحرٌ بلا ماء

* * *

قال : وفيما قرأت بخط ابراهيم بن عثمان الغزّي بكرمان من غرر قصائده في مُكْرَم بن العلاء الوزير بكرمان[٣] :

بالجِدّ لا بالكَدّ تنتظم المُنى ... نرجو الغِنى والفقر في طلب الغنى

كلٌّ يعوذ بربّه من فتنةٍ ... إلاّ الحريص فسؤله أن يُفْتَنا[٤]

يا قلبُ أنت مُعَذَّلٌ ومعذّبٌ ... لِمَ لا تزال[٥] أخا الجوى وأبا الضنا

أَفرِغْ عليك دِلاء صبرك وانتصر ... إنّ السلاح لِدفع ضيمٍ يُقْتَنى[٦]

صبراً ، وإن لم تستطع صبراً فذُبْ ... مَنْ فرّ مما لا يُطاق فما ونى[٧]

ليت الذي بالعشق دونك خصّني ... يا ظالمي قسم المحبّة بيننا

أنا في الهوى مثلُ الخِلالِ[٨] مُشَقَّفٌ ... ولقد أضرّتْ بي[٩] مناسبة القنا

---

(١) ورد البيتان مرتين في مصورة الديوان : مرة في اللوحة ٧٠ وقدّم لها : وقال يهجو ابن جبير ، والرواية : لم يؤت الزعيم – في وقت ايماء – يدعى الوزير ولا . . – مثل العروض ، ومرة في اللوحة ١٣١ وقدم لها : وله في الشهاب الوزير . والرواية : لم يؤت – في وقت ايماء – هو الوزير ولا . . – مثل العروض . والمهجو : زعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن محمد بن محمد بن جبير ، الوزير ابن الوزير ابن الوزير . وزر لجماعة من الخلفاء ، ومات سنة ٥٠٧ هـ (ابن الأثير) أو ٥٠٨ هـ (النجوم الزاهرة) . كان عاقلاً سديد الرأي.

(٢) في الأصل : مثل النقيب . (٣) الديوان : اللوحة ١٦٤ – ١٦٥ في أربعين بيتاً (وهي هنا في أربعة وأربعين بيتاً . .) وفي تقديمها هناك : وقال يمدح الوزير ابن سهم !

(٤) في الديوان . أن يقتنى . (٥) في الديوان . كم لا نراك . (٦) لم يرد البيت في الديوان .

(٧) الشطر الأول في الديوان : صبراً وان تستطع صبراً فانتصر . وفي الأصل : فقد وفى .

(٨) في الأصل : لين الخلال . (٩) في الديوان : ولقد أضرّ بنا .

أَلقى الهزبرَ فلا[1] أخاف نُيوبَه ... ويَروعُني نَظَرُ الغزال إذا رنا

وكذاكَ في طلب المعيشةِ شِيمَتي ... بخلاف من شاهدْت من أَهْل الدُّنا

لو نِلتُ منزلةَ السِّماكِ مشاركاً ... فيها ، لأَبدلت العزاء من الهَنا

لا تقنعَنَّ من الأمور بمَنْسِمٍ ... إنّ السَّنام بحذف آخره سَنا

النَّقْعُ شُبّه بالسماء لأن[2] علا ... والغيمُ منْ جنس الدُّخان إذا دنا

والنّخْل ما ثمراته بقريبةٍ ... ويكون أعذبَ كلّ عودٍ مُجْتَنىٰ

أعرِب جمالك بالمُجاملة التي[3] ... هي نجوةٌ[4] ودَع اللِّسان لَيلْحَنا

فاليومَ نَمتْ عن النوائب وأُنبرتْ ... هِمم الوزير تنُوبُ لي فيا عنا[5]

وقنِعتُ[6] باسم مُؤَمَّلٍ جاوَرْتُه ... أدعو لدولته مُسِرًّا مُعْلِنا

مَلِكٌ يُشير بكفّه لا سيفه[7] ... فيَرُدّ بالخمس الخميسَ الأَرْعنا

ومن العجائب أنّ صُنْبَ نواله ... مُتَحمِّلٌ ثِقل الرجاء وما انْحَنى

يَثْني خُطُوب الدهْر عن إقليمه ... قلَمٌ جرى يومَ الهبات فما[8] انْثنى

مُترَدِّدٌ يسعى لحاجة غيره ... مُتَحمِّلٌ عن قلب حامله العنا

ذو الدُّرِّ مُفْتَقِرٌ إلى سُبُحاته ... وعن الجُمان بها لحامله غنى[9]

يا مَنْ أعار السيفَ شِدّةَ بأسه ... وأطاعه الفَلَكُ المُدار وأَذْعَنا[10]

---

(١) في الديوان : ولا .

(٢) في الديوان : لمن .

(٣) في الديوان : اعرب كمالك بالمخاطرة التي .

(٤) في الأصل : نحوه .

(٥) » » : همم الملوك تنوبُني عمّ عنا .

(٦) » » : ونُعت .

(٧) » » : بكفّ لا سيفٌ بها .

(٨) في الديوان : وما .

(٩) » » : بما يحا كمه غنى .

(١٠) لم يرد البيت في الديوان .

أَنا من يفضله القبول على الورى[١] ... أَمّا إذا وَقع الصُّدود فمن أنا

ما بِعْتُ فيك الخلق حتى زُرْتُهم[٢] ... فعلمتُ أَنك فوقهم متيقنا[٣]

وَمَخافتي أَنْ لا يكون لرغبتي ... أَثَرٌ فأَبقىٰ لا هُناكَ ولا هُنا

قد أَرْجف الحُسّاد أَنّي غَلْطَةٌ ... كُتِبت فأَصْبح كَشْطُها مُتَعَيِّنا

والفضل[٤] يأْنف أَن تُصيخَ لناقصٍ ... حاشا لسمعك أَن يُشافَه بالخَنا

لا ترْمِني[٥] رميَ القُلامة وارْمِ بي ... في مطابٍ رَمْيَ الجمار إلى مِنى

إني أَعوذُ بما حَوَيْتَ من العُلىٰ ... مِنْ أَن يُخَرِّب فيَّ رأْيُك ما بنى

أَيروعني نَقَدٌ[٦] وأَنت جعلتني[٧] ... أَسداً ، وأَنْبَتَ لي رجاؤك بُرْثنا

أَغْرِسْتَ ، والغرْسُ أَنتَ غرسته ... فَعَلامَ تُعْرِض عن جَناه وما جنى

جاءت مديحتُه نِكاحاً جائزاً ... وأَتَتْ مودّتُه بلا مَهْرٍ ، زِنا[٨]

يا آل مُكْرَمٍ ، المَكارمُ[٩] لم تزلْ ... مُشتقةَ الأَسماء منكم والكُنى

نحن النّباتُ وأَنتمُ السحب[١٠] التي ... تهتزّ تحتَ قِطارها أَرضُ المُنىٰ

فصِفاتُنا في المدح لائقةٌ بكم ... وصِلاتُكم في الجود[١١] لائقةٌ بنا

لمّا صفا أَدبي تبيّن مجدُكم ... لون المُدامة في الزجاج تَبَيَّنا

---

(١) في الديوان : أنا من تفضّلت القفول على الورى . (٢) كذا في الديوان والأصل ، ولعلها رزتهم .

(٣) في الديوان : مُستيقنا . (٤) في الديوان : فالفضل .

(٥) « « : لا ترم بي . (٦) في الديوان : أتروعني . والنَّقَد : صغار الغنم ، مثّل بذلك خصومه.

(٧) « « لفظتان : تركتني ، جعلتني .

(٨) البيت الثالث من هذه القصيدة الذي لم يرد في الديوان .

(٩) في الديوان : يا آل مكرم والمكارم .

(١٠) في الديوان : الأرض . (١١) في الديوان : بالجود .

يا ابن العَلاءِ وما العلاء مُسَلَّماً لِسواكَ ، زِدْ بالشارِدات تيمُّنا
حِرْباء رتبتك الحسُودُ ، فوجهه[1] أبداً يُقابل شمسها مُتَلَوِّنا
أقسمتُ بالمتسربلين من السُّرى حُلَلَ الدُّجى فهُمُ العُراةُ مِن الونى
والباكياتِ من الفِراق بأعينٍ يُجْرين[2] منها في خُدودٍ أعْينا
وعهودِ لذاتِ الشباب ، وإنها[3] لَيرى الخليعُ قبيحَها مُسْتَحْسَنا
أيّامَ خَلْعِ عِذاره لا نعله يوطيه جانبَ مُشْتهاه الأيْمَنا[4]
انّ الوزيرَ المُكْرَمِيّ لَمَوْرِدٌ لِظِماءِ هذا الخلْق ، مطروقُ الفِنا
لا زال بالمنظوم من أوصافه دون الممالك والغنى مُتزيّنا[5]

* * *

وله في القاضي زين الإسلام أبي سعد الهَرَوي[6] [7] :

(١) في الديوان: بوجهه . (٢) في الديوان : فجّرن . (٣) في الديوان : فانها .

(٤) يستفيد البيت من الآيات الكريمة التي تتحدث عن قصة موسى : « فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى» .. (طه ١٢-١٣) . «وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا » (مريم ٥٢) . والآيات المماثلة في سورة والقصص . (٥) البيت الرابع الذي لم يرد في الديوان .

(٦) في كتب التراجم ، في حدود الخمسمائة ، اثنان بهذه التسمية : أحدهما ابو سعد بن أحمد بن أبي يوسف الهروى قاضي همذان (انظر ترجمته في طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣١) ، والثاني في الطبقات كذلك (ج ٤ ص ١٩٥) – ولعله هو المقصود – محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي القاضي أحد الفقهاء الرؤساء أرسله الخليفة ليخطب له بنت السلطان سنجر فقتلته الباطنية بهمذان ، وولي القضاء بمدن كثيرة من بلاد العجم ، وولي قضاء الشام مدة وقضاء بغداد مدة ، وشرفت له الحال وعظمت رتبته وعلا صيته . (انظر ابن الأثير ، حوادث سنة ٥٠١ ، قتل صدقة بن مزيد) وله شعر . قتل سنة تسع عشرة وخمسمائة وفي تاريخ الذهبي سنة ثماني عشرة وفي تاريخه أيضاً أنه حنفي . وقد ترجم له ابن عساكر في تاريخه . وفي نسخة تهذيب ابن عساكر لبدران (مخطوطات المكتبة العربية بدمشق): محمد بن نصر بن منصور أبو سعيد القاضي الحنفي . . ثم يترجم له فيذكر أنه كان من قرية من قرى هراة يعلم الصبيان في مبتدأ أمره إلى أن بلغ ما بلغ . وكان أديباً . وانظر النجوم الزاهرة (ج ٥ ص ١٤٩ و٢٢٨).

(٧) الديوان : اللوحة ٦٥ . وفي تقديمها : وله يهجو ابن الهروي .

تباً لإِسلامٍ غدا والأعورُ الهَرَويّ زَيْنُه
أيُزَيِّن الإِسلامَ مَنْ عَمِيَتْ بصيرَتُه وَعَيْنُه

* * *

وله من قصيدة[1] يمدح ابن مُكْرَم :

قُلوبُ الوَرٰى أشراكُهُنّ الشَمائلُ وشُهْبُ العُلٰى أفلاكُهُنّ الفَضائِلُ
إليكمْ تُضافُ المَكْرُماتُ ، ابنَ مُكْرَمٍ كأنّكُمُ الأفْلاكُ وهي المنازل

ومنها :

صَقَلْتَ العُلٰى بالمَكْرُماتِ وإنّما تَنِمّ بأسرار[2] السّيوفِ الصَّياقِلُ
سَماحُكَ والتَّقْرِيظُ[3] زَنْدٌ وقادِحٌ وعَزْمُكَ والتوفيقُ فحلٌ وشائل

ومنها :

تقدَّمْتَ فضْلاً ان تأخَّرتَ مُدّةً هَوادي الحَيا طَلٌّ وعُقْباه وابِلُ
وقد جاء وِترٌ في الصلاة مؤخَّراً به خُتِمَتْ تلك الشُفوعُ الأوائل

ومنها :

وما أنت إلاّ النَّصْلُ ، والدّهْرُ غِمْدُه وما قيمةُ الأغْمادِ لولا المَناصِلُ
ولِمْ لا تَرٰى نَبْتَ المدائح نامياً وكَفُّكَ غَيْثٌ والرِّياضُ الأفاضل

ومنها :

ويزعمني لِمْ[4] أنت في الفضل طاعنٌ وما أنت جسّاس ولا الفضْلُ وائل[5]

---

(١) الديوان : اللوحة د — ٧ في اثنين وستين بيتاً . وفي تقديمها : وقال أيضاً (يقصد أيضاً في مدحه) ويصف القلم ، وسيورد العماد بختار من هذه القصيدة بيتين آخرين . انظر ص٦٧ .

(٢) في الأصل : تتمّ بأسياف . (٣) في الديوان : والتقريض . (٤) في الأصل : كم .

(٥) إشارة إلى ما كان من قتل جساس بن مرّة كليبَ بن وائل ، وهي الحادثة التي استثارت الحروب الطويلة بين بكر وتغلب .

خُطوبُك نارٌ، والكريم وَذِيلَةٌ[1] … وتحت لهيب النّار تصفو الوذائلُ
ويا همّتي لا تُنكري شَيْب لِمّتي … فذا النّورُ بين الجهْل والحِلْم فاصل

ومنها في المديح :

هو السَّمْح إلاّ بالمعالي فإنّه … بها باخلٌ ، والسّمْحُ بالمجدِ باخلُ
إذا زُرْتَه فاستغنِ عن باب غيره … فَساقِطَةٌ بالواجباتِ النّوافِل
وَقِفْ تحت رأيٍ منه أو تحت رايةٍ … فلا[2] الحدّ مَفْلولٌ ولا الرأيُ فائل
إليه مَرَدُّ الأمر ، والأمرُ مُشْكِلٌ … وفيه مَجالُ الفِكر ، والفكر ذاهل

ومنها في صفة القلم :

له ترجُمانٌ من بني الماء نَبْتُهُ … على فَضْلِها بالقُرْب منه الأناملُ
يَزينُ ، وإن لم يشكُ شيباً ، قَذالَه … خِضابٌ بمَسْح الرأسِ في الحال[3] ناصل
وظمآنَ يَرْوَى بعد شَقِّ لسانه … ولو صحّ لم تَنْقَعْ صَداه المَناهِلُ
تَوَهَّمَ أنّ السِّفر بحرٌ فما له[4] … سوى موضعِ العُنْوان والختمِ ساحل[5]
إذا[6] سُقِيَتْ منه القراطيسُ أحدقت[7] … وأثمر عود المُبْتَغَى وهو ذابل
وألطفُ ما في صُنْعِه أنّ رَمْزَه … بمصر إلى مَنْ بالعِراقَيْن واصِلُ
وأنّ الذي يسقيه حين يَمُجُّه … لِجانٍ[8] وعافٍ منهُ حَتْفٌ ونائل

(١) الوذيلة : القطعة من الفضة مجلوّة . (٢) في الأصل : فما . (٣) في الديوان : في الخال .

(٤) السفر : الكتاب . وفي الأصل : وماله . (٥) والبيت الذي يليه :

فبادره يهوي على أُم رأسه … ولا مَوْجَ إلا المَشْق والدرّ نامل

(٦) في الديوان : ومذ . (٧) في الديوان : أورقت .

(٨) في الديوان : لجافٍ .

كذا ثمراتُ الأرضِ ، والماءُ واحد ... به اختلفتْ ألوانها والمآكل

ومنها في وصف الكتابة :

كأنّ المعاني في محاريبِ كُتْبِهِ ... قناديلُ ليلٍ والسُّطورُ سَلاسلُ

كواكبُ نَجْمٍ في أهلّةِ أحْرُفٍ ... بُدورُ المعاني بينهنّ كَوامِلِ

ومنها :

وليءادةُ التخفيف ،والوصلُ في الهوى ... لِكثرتِهِ يُقْلى الحبيبُ المُواصِلِ

وقد تكْثُر الألفاظ[1] من ذي فَهاهةٍ ... وما تحتَها إلاّ المعاني القلائل

قَنا المجدِ ما ثَقَّفْتَ بالحمد والنُّهى ... أسِنَّته ، والمَكْرُماتُ العَوامِل

ومنها :

بَقيتَ بقاءَ الدَّهْرِ يا كَهْفَ أهلِهِ ... وهـذا دُعاءٌ للبريّةِ شامل

* * *

وله من قصيدة أولها[2] :

أمامَكَ المُصْمِياتُ السُّمْرُ[3] والحَدَقُ ... فَقَيِّدِ القَلْبَ إنّ الظَّعْن مُنْطَلِقُ

ومنها :

جيرانَ سِقْطِ اللِّوى شَطَّتْ منازِلُكم ... فليس يُدْرِكُها وَخْدٌ ولا عَنَق

هلّا سألتمْ على بُعْدٍ بِذي سَقَمٍ ... أراقَ ماءَ الكرى مِنْ جفنه الأرق

ومنها في الشيب :

ما اسودّ عيشي ،وذهني والنُّهى كَمُلا ... حتى تَشَعْشَعَ هذا الأبيضُ اليَقَقُ

(١) في الديوان: الألقاب . (٢) الديوان: اللوحة ٠ ١ في ثلاثة وأربعين بيتاً . وفي تقديمها: «وقال فيه (في وزير الامير شرياريك أحد ابن كريم الدولة ابي جعفر محمد بن ابي الفرج) يمدحه ويذكر فتحه القلمة المعروفة بروس در» . كذا ولعلها دَوْسر وهي قلعة جعبر على الفرات (ابن الأثير سنة ٤٧٩ و٤٩٧ و٥٤١) . (٣) الديوان : النبل .

ومنها في المدح :

تَبْدُو مناقِبُه من حَيْثُ يستُرها والمِسكُ من حُقّة الداريّ(١) مُنْتَشَق

جُدْ عن مُباراتِه وأُخْطُب مَبَرّتَه فَعَزْمُه البحر فيه الغُنْم والغرق

تُمْسي خزائنه من جُودِ راحتِه بيداءَ ، لا ذَهَبٌ فيها ولا وَرِق

وتحسبُ الوَفْرَ غُنْماً (٢) والعُلى أُفقا إذا انجلى الغَيْم أبدى حَلْيَهُ الأُفُق

أمَا تَراني به أُستعصمتُ من زمن (٣) ثوب التَجمُّلِ في أحداثِه خَلَق (٤)

وَمِن أكابِرَ ، عَنْ تَشْييدِ مَنْقَبةٍ ألْهتهم الخيلُ والغِلمان والسَرَق (٥)

وَكُلُّهم (٦) يشتكي جوعاً ويَفْدَحُه خَرْجٌ وليس له رِفْدٌ ولا طَبَق

فلستُ (٧) واللهِ أدري بدر (٨) مكسبهم في أيّ بُرْجٍ من الإنفاق يَمَّحِق (٩)

من صاحبٍ ،ربّ دست (١٠) جدّ محتجبٍ وحاجبٍ عنده الإملاق والمَلَق (٩)

أيدي سبا ، غيرَ أنّ المنعَ يجمعهم كما تداخل في المسرودةِ الحَلَق

ومنها :

عجبت من جَهْلِهم ما وافقوك ، وإن كان التخلّقُ لا يُنْسَى به الخُلُق

وكيف (١١) قربُك لم يصْقُل خلائقهم وقد يُضيء بقُربِ الكوكبِ الغَسَق

* * *

(١) الحقة : الوعاء الصغير . الداريّ : العطار . وفي الأصل والديوان : في حقة .

(٢) في الأصل : وتحسب الغيم غما .

(٣) في الأصل : في زمن .

(٤) في الأصل : تخلق .

(٥) ج سَرَقة : الشُقّة من الحرير .

(٦) في الديوان : فكلهم .

(٧) في الديوان : ولست .

(٨) في الأصل : بدء .

(٩) بين البيتين في الديوان مخالفة في التتابع .

(١٠) في الأصل : مل صاحب آب دست .

(١١) في الديوان : فكيف .

وله من أخرى [1] :

لولا مُزاحَمةُ الصَّباحِ ، وإنْ هدَى ... كان الكرى ، يا طَيفُ ، قد أَسْدى يدا

فَرَسَيْ رِهانٍ كُنتما يَعْلُوكما ... رَهَجٌ فما واجَهْتني حتّى بَدا

والغَرْبُ مثلُ الغِمْد مُنْتَظِمُ الحُلى ... والشَّرق مثل النَّصْل مُنْتَثِر الصَدا [2]

والصُّبحُ مَلْكٌ والنّجومُ رعيّةٌ ... بَصُرت بغُرَّتِه فَخَرَّتْ سُجَّدا

متأَلِّقٌ قابلتُه فكأنّما ... قابلتُ تاجَ الحضرتين محمّدا

صدراً [3] أَراح المُعْتَفين رجاؤه ... رَوْح العُفاةِ يَزيدُ في تَعَبِ العِدا

أَغْنَتْهُ عن خِلَعِ الملوك سَجِيَّةٌ ... خَلَعَتْ عليه من الصِّفاتِ السُّؤْدُدا

ومنها :

مَنْ يكتَحِلْ بضياء وجهك لم يخفْ ... رَمَداً ، وإنْ عَدِم الجَلا [4] والإِثْمِدا

ومنها :

وافى زمانَك آخِراً ، وتقدَّمَتْ ... بِكَ هِمَّةٌ ، في كفِّها قَصَبُ المَدى

فغَدَوْتَ كالعُنوان يُكْتَب خاتماً ... وبذاكَ في حالِ القراءة يُبْتَدى

ومنها :

لا أَقتَضِيكَ بما سماحُكَ فوقه ... لأَكون كالراجي من البحر النَّدى

السَّيفُ لولا أَنْ تُجَرِّدَه يدٌ ... أَكَلَ القِرابُ بحدِّه فتجَرَّدا [5]

---

(١) الديوان : اللوحة ١٣ – ١٤ في واحد وعشرين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يهنئه بالعيد (الممدوح المتقدم) .

(٢) يأخذ الصدأ لونه من الحمرة والشقرة . (٣) في الديوان : صدرٌ .

(٤) الجلا : الإثمد ، لأنه يجلو البصر . وفي الأصل : الجلاء الإثمدا . وفي الديوان : فإن عدم .

(٥) سيتكرر اختيار البيتين . انظر ص ٧١

والبدرُ لو لم ألقه مُستَشفِعاً[1] ... مِن نوره لَلَقيتُه مُستَسْعِدا

* * *

ومن قصيدة[2] :

وما الفضلُ إلاّ مُزنةٌ أنت ماؤها ... وإن كان فيها للفصيح رعودُ

وليس يفي لحن الهزار وإن شدا[3] ... بصَرْصَرة البازي غداة يَصيدُ

وكم قائلٍ ألزمتَ نفسَك مذهباً ... يَشُقُّ ، وحَمْلُ الفادحات يؤود

إذا كنتَ صَبّاً لم تَصِفْ قمر الدُّجى ... ولم تكْتَرِثْ بالخوطِ وهو يَميد

فقلتُ له ذَرْني أُفَضِّلْ كاملاً ... إذا لمْ يكُن فوقَ الكمال مَزيد

فما للغُصونِ المُنتقياتِ أوْجُهٌ ... ولا للبُدورِ المُشْرِقات قُدود

ولا لكريمِ المُلْكِ في أهلِ عَصْره ... نَظيرٌ ولا في السُّحْب يومَ تَجود

فتىً ، حَظُّه في ناظر الملك إثْمِدٌ ... ومَسْعاه في جِيد الزّمان عُقود

* * *

وله من قصيدة في التهنئة بعيد الفطر[4] :

صَوْمٌ أغار عليه فِطْرُ ... كالنَّجمِ بزَّ سَناه فَجْرُ

بِنْ يا صيامُ فلمْ تزلْ ... فَزِعاً له الإفطار نَجْر[5]

---

(١) في الأصل : متشفعاً . (٢) الديوان : اللوحة ١٤ - ١٥ في ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها :

لنا كلّ يوم من صِلاتك عيدُ ... فكيف يبين العيدُ وهو يعود

وفي تقديمها : وقال يمدحه (الممدوح المتقدم) ويهنئه بعيد .

(٣) في الديوان : وليس يلي لحن الهزار وإن علا .

(٤) الديوان : اللوحة ١٥ - ١٦ في تسعة وثلاثين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدحه (الممدوح نفسه) ويهنئه بعيد الفطر . وقد سبق أن اختار العماد من هذه القصيدة ثلاثة أبيات . انظر ص ٣٣ - ٣٤ . (٥) أصل .

وله الشُّهورُ وإنما لكَ من جميع الحَوْلِ شهرُ
ما كنتَ أوَّلَ راحلٍ ودَّعْتَ والزَّفراتُ جَمْر

ومنها :

بدأوا[1] بأخذ قلوبنا زاداً وقالوا نحن سَفْر
ومضَوْا وما اتّباعهم إلاّ عَجَاجُ الخيلِ سِتْر
حذراً على بيضٍ وسُمْـــــرٍ[2] دونها بيضٌ وسُمْر[3]

هذا مأخوذ ، بل مسلوخ ، من قول ابن صُرَّبَعر البغداديّ[4] :

بيضٌ وسُمْرٌ في قِبابهمُ ممنوعةٌ بالبيض والسُّمْرِ

ومنها في المَخْلَص :

غُمْرٌ من انْتَجَعَ الحيا ونَدى بهاء الدين غَمْر[5]

ومنها في المدح :

صَدْرٌ يجود ، وعزمُه قلبٌ له التوفيق صَدْرُ
كتبَ الكواكبُ مدحَهُ فعلى المجرَّة منه سطر
يَلْقى المؤمِّلَ باسماً كرماً تهافت عنه كِبْر[6]

(١) في الديوان : بدروا . (٢) يريد النساء . (٣) يريد السيوف والرماح .

(٤) هو الرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب الشاعر المعروف بصرّ بعر . وانما قيل له صردر لأن أباه كان يلقب صر بعر لشحه ، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد في الشعر قيل له صردر . ولد قبل الأربعمائة ، وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة . (ابن خلكان ج١ص٣٥٩ . النجوم الزاهرة ج٥ص٩٤)

(٥) الغمر : مثلثة : الذي لم يُجرَّب . والغَمر : الكثير .

(٦) في الديوان : كرماً تساقط عنه كبر . وفي الأصل : تهافتُ .

والحبّ مَوْقوفٌ على بَشَرٍ[1] يقابل منه بِشْرُ
في خَطّه دُرَرٌ يَجُو دُ بِهِنّ مِنْ يُمْناه بَحْر
ولِكُلّ عافٍ عنـده معنًى من الإحسان بِكْر
نال العُلى كَسْباً وليـس لوارث[2] العلياء فخر
كالَّليْثِ عِلْمه السُّطى نابٌ يصولُ به وظُفْرُ
فسَمَتْ به وسَما بها فكِلاهما عِقْدٌ ونَحْر
فكأنّه والمجد حيـن تمازجا ماءٌ وخمر

ومنها في التهنئة والشكر :

فأُسعَد بعيدٍ رسْمه من جُود كفِّك مُسْتَمِرُّ
مِنْ نُور وجهك يَسْتَمِـدّ فأَنت شمسٌ وهو بدر
قد جاءَتِ الصِّلَةُ التي تفصيلها خِلَعٌ وتِبْر[3]
فجمعتُ شكري كلَّه ووَسَمْته بك وهو كُثْر
وأَخافُ أَن تُـدي يداً أُخرى وليس لديّ شُكْر
يا مَنْ لنا مِنْ فتح با ب رجائه فتحٌ ونصر[4]
نظمُ المدائح دَيْدني والجودُ مالك عنه صبر
ومتى يقوم بحقّ من سَبقَتْ أُهاه الشِّعْرَ ، شِعْر

* * *

(١) في الديوان : نشر . (٢) في الأصل : لواحد .
(٣) في الديوان : تفضيلها . وفي الأصل : وبتر .
(٤) موضع هذا البيت في الديوان بعد البيت : فكأنه والمجد .

وله من قصيدة [١] :

أين دَعواكَ والمَغاني مَغانٍ والمعاني كاللفظ حاز المعاني [٢]
ونواكَ الشَّطونُ [٣] إزماعُكَ الرحْـلةَ مِنْ غزّةٍ إلى عَسْقلان

(ومنها) [٤] :

إنما كانت الحياةُ حياةً في ليالي وصْلِ الحِسانِ ، الحسان
يا خليليّ لو ملكتُ فؤادي حازَ أن يملك الصوابُ عِناني
ظالمي من أراد إنصافَ نفسي مِنْ هَواها ، وآمري مَنْ نهاني
قد تورَّطْتُ في [٥] تعسُّفِ شَوْقي حيثُ لا يعرِفُ السُّلُوُّ مكاني

ومنها :

ربَّ ليلٍ أباحَ سفكَ دمِ الدَّنِّ بضَرْبٍ تأْثيره في المثاني
فُوِّقَتْ للسُّرورِ فيه سِهامٌ وقَعتْ في مَقاتِلِ الأَحزانِ
بين بيضٍ تجُودُ بالمُهَجِ الحُمْر ، وصُفْرٍ تجود بالأَبدان
وغزالٍ تَعَلَّمَ [٦] الناسُ من عيـنيه حِفظَ النُّصول بالأَجفان
شفَع الضعف بالسُّطى ، كالحُميَّا مَن مُجيري من القَتُول الواني
كَبِدي منه خِلْبها [٧] في مخاليـبِ عُقاب الصُّدودِ والهِجران
كُرةً صار كلُّ قلبٍ لصُدغٍ صار لمّا لواه كالصَّوْلجان

(١) الديوان : اللوحة ١٦-١٧ في خمسة وثلاثين بيتاً . وفي تقديمها : وقال فيه (الممدوح المتقدم) أيضاً يمدحه .
(٢) في الديوان : . . . والغواني غواني والمعاني واللفظ . . . (٣) البعيدة .
(٤) زيادة يقتضيها تتابع الأبيات في الديوان . (٥) في الأصل والديوان: من. وقد فضلنا رواية مختارات البارودي.
(٦) في الأصل : يُعلّم . (٧) الخِلْب : حجاب الكبد . وفي الديوان : خلتها .

وعجيبٌ من خدّه كيفَ يَبْقى ... ماؤه بين جَمْرةٍ ودُخان

دعْ حديثَ الهوى فقد وثب العَقْـ ... ـلُ على الجهلِ وِثبة السِّرحان

وسلِ الله أن يَزيدَ بهاء الـ ... ـدين عزًّا حضيضُه الفرْقَدانِ

فهو من يحسب المكارِمَ ديناً ... ويَعُدُّ المديح عَقْد ضَمان

ومنها :

كلّ يومٍ تعاقب[1] المالَ يُمنا ... ه بِسَوْطِ النّدى وليس بجانِ

لاقياً من جوارها ما يُلاقي ... طَرَفُ الرمح من جِوار السِّنان

ليس يختصّ مدحُه بلساني ... مَدْحُ شمسِ الضُّحى بكلّ لِسان

ومنها :

ما دعوناه من بني الدّهر إلاّ ... أَهَّلَ الدّهرُ نفسه للتهاني

جُمِعَ الأُسْد والكواكب والأَبْـ ... ـحر والنّاسُ منه في إنسان

واستجابت له مناقبُ شَتّى ... لم تَجُلْ في خواطر الإمكان[2]

هيبةٌ في طلاقةٍ ، واهتزازٌ ... في ثباتٍ ، وموجَزٌ في بيان

شِيَمٌ رَوّتِ[3] القواضبَ والسُّمْـ ... ـر ، ظِماءً ، في كلّ حربٍ عوان

ومنها :

يا أَبا جعفر ، أَبو الجعفر[4] البحـ ... ـرُ ، وقد صحّ ما أدّعاه الكاني

كيف يبقى[5] ما أثبتته السجايا ... ولِكفَّيْك في النّدى آيتان

(١) في الأصل : يعاقب .
(٢) في الديوان : لم تجل عن .
(٣) في الأصل : ردت .
(٤) الجعفر : النهر . وفي الديوان : ابو جعفر .
(٥) في الديوان : تبقى .

ثمرٌ لا يَقِلّ ، والعودُ ذاوٍ (١) وربيعٌ ، والشمسُ في الميزان

مالُكَ ، الدَّهْرَ ، قِسْمَةٌ بعدَ وُفّا دِلِك بين الخُوانِ والإخوان

لا كمن عزَّ خُبزُه أن ترى العيـ ـنُ مُحَيّاه في سوى رمضان

* * *

وله من قصيدة في وزيرٍ بعد سَمْل عينيه ويذكر ما جرى له في القلعة (٢) :

اللهُ جارُك والنبيُّ الهادي يا مَنْ يُوالي فيهما ويُعادي

كِلْ ما يَهولُ من الأُمورِ إلى الذي عَلِمَ السَّريرةَ فهو بالمِرْصادِ

كم سَرَّ آخرُ عارضٍ من بعد ما ساءتك منه طلائع وهوادي

في كُلِّ حُكْمٍ حِكمةٌ مدفونةٌ كشرارةٍ غطَّيْتَها برَماد

ما النّاسُ إلاّ جازِعٌ أو طامعٌ خُلِقُوا عبيدَ السيف والإرفاد

لو كان يُنْجي الاعتزالُ نجا به مما دهاه ، الحارثُ بن عَباد (٣)

---

(١) الشطر الأول في الأصل : ثمر لا يكون في الاغصان .

(٢) الديوان : اللوحة ١٧-١٩ في ستة وأربعين بيتاً . وفي تقديمها : وقال في عميدالدولة جشيار وزيرفارس يمدحه بعد سمل عينيه ، ويذكر ما جرى له في القلعة :

(٣) أبو منذر الحارث بن عبّاد بن قيس بن ثعلبة البكري : حكيم جاهلي، كان شجاعاً ، من السادات ، شاعراً انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب ، وفي أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر منها يشكر وعجل وقيس . ثم إن المهلهل قتل ولداً له اسمه بجير ، فثار الحارث ونادى بالحرب وارتجل قصيدته المشهورة التي كرر فيها قوله : « قربا مربط النعامة مني » اكثر من خمسين مرة - والنعامة فرسه - فجاءوه بها ، فجزّ ناصيتها وقطع ذنبها - وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذ سُنّة عند إرادة الأخذ بالثأر - ونُصرت به بكر على تغلب . وأسر المهلهل فجزّ ناصيته وأطلقه ، وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فيهم ، فأدخلوا رجلاً في سرب تحت الأرض ومرّ به الحارث فأنشد الرجل :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فبر القسم . واصطلحت بكر وتغلب ، وعمر الحارث طويلاً . (الأعلام)

ومنها :

تَبَّتْ يدُ الأيام انَّ صروفها ... سَقَمُ الكِرام وصِحّةُ الأَوْغادِ
لو أنصَفتْك لكنتَ أشرفَ رائحٍ ... في تاجِ مملكةٍ وأكرمَ غادِ
لكنْ خُلِقْنا في زمانٍ جاهلٍ ... بمواضع الإصلاح والإفساد

يصف عمى الممدوح :

للهِ في إبقــاءِ عِزِّك باذِخاً ... سِرٌّ حَداه من المشيئةِ حادِ
مِنْ بعدِ ما ظنَّ السوادُ من الورَى ... أنَّ العُلى في مُقلةٍ وسواد
هيهاتَ خاطرُكَ المنير تخاله[1] ... كالشَّمس أو كالكوكب الوقّاد
وعمى العُيون، إذا البصائر أبصرتْ ... كفٌّ عن النظر الطَّموحِ العادي
أصبحت كالفِردوس ليس ضياؤها ... بالنَّيِّرَيْن ولا بِقَدْحِ زِناد

ومنها يصف القلعة[2] :

كم رام حربك من[3] خميسٍ ، قَلْبُه ... كاليمِّ ، في التّمويجِ والإِزْباد
سدّ البسيطة نازلاً من قُلّة الْـ ... ـجبلِ الأَشمّ إلى قرارِ الوادي
حتّى غَدا الحِصن المُبارك خِنْصراً ... في خاتَمٍ من بُهْمَةٍ[4] وجواد
واُشتدّ غيظ بني السخائم واغتدَوْا ... زُرّاع ما طمِعوا له بحصاد[5]
قَصَموا[6] الصّوارم حين يُكْرَه لَمْسُها ... من غيظهم وتَسَعُّرِ الأكباد
فكأنّما كان الوَباءُ كمينَهُم ... بعثوه واُتّفقوا على ميعـاد

(١) في الأصل : بحاله . (٢) موضع هذه الجملة في الأصل بعد البيت التالي ، وإنما قدّمناها لتستقيم دلالتها .
(٣) في الأصل : في . (٤) البهمة : الفارس يستبهم مأتاه على الأقران .
(٥) في الأصل : زراع ماء طعموا بحصاد . (٦) في الديوان : قضموا .

ومنها :

بارزتَهُمْ بكُماة رأيٍ كَهْلُها وغُلامها من حيّ مَحْض سَداد

ومنها :

إنّ الحصون تَحَصّنَتْ برجالها هُمْ كالمناصِل وهي كالأغْماد
والفتحُ من ربّ السماءِ منالُه بالنصر لا بِتَكاثُر الأَجْناد
أَخذ[1] الفوارسَ فارسٌ، فليمتنع بأَبي الفوارس مُقْبِلُ[2] الأَولاد

ومنها :

إن[3] كان من أَهلِ الزمان، وجُلُّهُمْ للذَّمِّ، وهو يُخَصّ بالإِحماد
فمن الحدائد، وهي[4] أَصلٌ واحدٌ، سيفُ الكَمِيّ ومِبْضَع الفَصّاد
يا واحداً في أُمةٍ قد ساسها[5] أُمَمُ الأَنام تُساس بالآحاد

ومنها في الشعر والشعراء :

أَما القصيدةُ فهي عِلْقٌ بِعْتُه في يوم مَسْغَبَةٍ وسُوقِ كَساد
ما كثرةُ الشعراء إلاّ عِلّةٌ مُشتقّةٌ من قِلّة النّقادِ
كُلٌّ يُهدِّد بالقريض وسيفِه والنَّصْلُ نَصْلي والنِّجاد نِجادي
فلكُ البلاغة والفصاحة خاطري أَهدى لمجدِكَ كلّ نجمٍ هادِ

ومنها في الشعر :

إني سُئلتُ عن المكارم والعُلى[6] فأَجبتُ بالإِنشاء والإِنشاد

---

(١) في الأصل : أحد . (٢) في الديوان : معقل . (٣) في الأصل : مَنْ .
(٤) في الأصل : وهو . (٥) في الأصل : سامها . (٦) في الديوان : والندى .

نِعم الجوابُ لسائلٍ ، جوّابةٌ كالرّيح في الإغْوارِ والإنْجاد

تَصْطادُ من صاد الأسود[1] وتمسح الـــدنيا وتَنْقَع من غليل الصادي

* * *

وله من[2] قصيدة[3] في الوزير أبي المعالي ابن المطلب[4] :

تَجودُ الأُخيليّةُ بالخيـال وعِقْد الجوّ مُنْتَظِم اللآلي

فيطرقنا فريداً من فريد[5] وكم من عاطِلٍ في حُسْنِ حال[6]

إذا عِفْتَ الحليّ وخِفْتَ جَرْساً فكيف أمِنْتَ رائحة الغوالي

ألم تعلم بأنّ الريح إلبٌ على سِرّ المَلاب[7] بكلّ حال

فَمُرْهُ مهما سريتَ اللّوحَ[8] يعقِدْ بأزْرارِ الجنوب عُرى[9] الشّمال

ومنها :

عجبتُ لحبِّ أفئدةٍ مصونٍ نُبدّده[10] لِنَمْل[11] هوًى مُذال

---

(١) في الديوان : أثبت لفظتين : الأسود ، الملوك . (٢) في الأصل : في

(٣) الديوان : اللوحة ١٩ – ٢١ في سبعة وستين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح الوزير مجد الدين أبا المعالي هبة الله بن المطلب ببغداد . وسيعاود العماد الاختيار منها في الصفحة ٦٧ .

(٤) الوزير مجد الدين أبو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب ، ولي الوزارة للخليفة العباسي في المحرم من سنة ٥٠١ وعزل في رمضان ، ثم أعيد بشروط .. وعزل ثانية في رجب من سنة ٥٠٢ . ويبدو أنه عاد إلى الوزارة ففي حوادث سنة ٥٠٣ عند ابن الأثير : «وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالي بن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان» . (ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٠ – ٥٠٣)

(٥) في الديوان : فتطرقنا فرنداً من فرندٍ . والفريد : الدر المنظوم أو الجوهرة النفيسة .

(٦) الحالي والحالية : المرأة لبست الحلي . (٧) الملاب (كسحاب) : نوع من العطر .

(٨) اللوح : الهواء . (٩) في الأصل : على .

(١٠) في الأصل : نبدّ له . وفي الديوان : تبدده . (١١) كذا في الأصل والديوان : ولعلها لنيل .

ومنها وقد أبدع في هذا المعنى :

تبدّاني النوى[1] لوناً بلونٍ فيُظلِم خاطري بسَنا قَذالي
كذاك المسك أحمرَ كان قِدْماً ولكن سوّدته نوى الغزال
وما خُلِق الفَراشُ وطار إلاّ ليعلم كيف يَهْوى النارَ صالِ

ومنها :

أمِنْتُ حوادث الأيّام لمّا غسلْت يديَّ من جاهٍ ومال
مللْتُ العيش حتّى كدتُ أشكو جِنايات المَلال إلى[2] المَلال
وما أُعتاص المَرام عليّ إلاّ وجدت التَرْك يُرْخِص كلَّ غال
تَحُلّ بي النوائب ثم تمضي وما نحتت خِلالاً من خِلالي
وأحملها كَحَمْل بَنانِ كَفّي أُلوفاً في الحِساب ولا أُبالي

* * *

وله من قصيدة في مدح الوزير أحمد ابن نظام الملك[3] ويصف فتح البلاد المزيدية وقتل صدقة بن منصور[4] :

جَلا لكَ وَجْهَهُ الفتحُ المبينُ وَمَدّ بضَبْعِك السّبَبُ المتين

---

(١) في الديوان : تبدلنا الهوى . (٢) في الأصل : من .

(٣) وزر للسلطان محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي حوالي خمس سنين (٥٠٠ – ٥٠٤) ولقّب ألقاب أبيه : قوام الدين نظام الملك صدر الإسلام (ابن الأثير . حوادث سنة ٥٠٠ و ٥٠٤) . ثم عزله .

(٤) الديوان : اللوحة ٢١ – ٢٣ في واحد وستين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح الصاحب الأجل قوام الدين غياث الدولة نظام الملك صدر الاسلام أبا نصر أحمد بن قوام الدين الحسن بن علي بن اسحق ، ويصف فتح البلاد المزيدية وقتل صدقة بن منصور . (انظر ، في سبب قتله ، ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠١) .

وكان[1] الخطب في التقدير صعباً   فهانَ ، وأيّ صعبٍ لا يهون

ومنها :

إذا اُستغنيتَ عن جَدٍّ بِجِدٍّ   فكلُّ يدٍ تصول بها يَمين
صَوابُ الحال مَبْدا الأمرِ يَخْفى   ولكنْ عند مَقْطَعه يَبينُ
وقد تَدْنو المَقاصد والمَباغي   فتعتَرِض الحوادثُ والمنون
وما اللَّجِب اللُّهام[2] بذي اُمتناعٍ   غداة يقوده الضَرَعُ[3] المَهين

ومنها في الأمير صدقة[4] :

أقام بأرضِ بابلَ مُسْتَبِدًّا   يُراسِله الإمام فما يَدين
ويُوسِعُه غياث الدّين حلماً   وغيرُ مُثَقَّفٍ ما لا يلين
يَتيهُ بِثَرْوَةٍ وطنين صيتٍ   وأجنحةُ البَعُوض لها طنين
ولمّا لم تَعِظْه من اللّيالي   قرائنُ ، بعد ما خَلَتِ القُرون
سَرى ورَمى الفُراتَ وراءَ ظهرٍ   فنوناً جمة كانَ الجنون
فأَقبل وهو لأُممِ أبيه ضِدّ   وأدبر والبَوارُ له قرين

---

(١) في الأصل : فكان . (٢) الجيش العظيم . (٣) الضعيف الجبان .

(٤) سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي أمير بادية العراق وباني مدينة الحلة . ولي إمرة بني مزيد بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٩ فبنى الحلة بين الكوفة وبغداد وأسكن بها أهله وعساكره سنة ٤٩٥ ، وإنما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية . وكان شجاعاً بطلاً حازماً طامحاً إلى التغلب والسيادة موصوفاً بمكارم الأخلاق . ثارت في أيامه الفتن بين أبناء ملكشاه السلجوقي ، فاحتل صدقة الكوفة واستولى على هيت وواسط ثم البصرة ، وانتظم له ملك بادية العراق إلى أن زحف عليه السلطان محمد بن بركياروق بن ملكشاه بجيش فيه خمسون ألف مقاتل فنشبت بينهما حرب طاحنة انتهت بقتل صدقة سنة ٥٠١ . وكان عمره تسعاً وخمسين سنة ، وإمارته إحدى وعشرين سنة . (الأعلام وابن الأثير . وانظر تفاصيل المعركة في ابن الأثير « حوادث سنة ٥٠١ » ، وهي تفاصيل تلقي ضوءاً نيّراً على الأبيات) .

حمى اللّيثُ العرينَ ، وآلُ عوفٍ[١] ليوثٌ كان يَحْميها العرين

فلمّا أصحروا صاروا نِقاداً[٢] ومن شَرّ الحماسة ما يخون

في الفرار :

كأنّ الأعوجيّة[٣] يوم فرّوا مُقَيّدةُ القوائم أو صُفون

ومنها :

دُعاء الخلْق للسلطان فرضٌ لأن الشّرْع ماءٌ وهو نون[٤]

كأنّ ركابه[٥] الأفلاكُ تجري ومِنْ حركاتها حَصَل السّكون

ومنها :

خلَتْ أرض العِراق فلا هِجانٌ[٦] يَرُوق له الثّناء ولا هَجين

وَجَفّ النّاسُ حتى لو بَكَيْنا تعذّر ما تُبَلُّ به الجفون

فما يَنْدى[٧] لممدوح بَنان ولا يندى[٧] لمَهْجُوٍّ جبين

ولو أطلقْتَني لَهَربتُ مِنها أسيراً من جَوامِعه الدّيُون

ومنها :

فلا تُغْفِل ملاحظتي ، فجاهي بما أكْتَسبته آمالي رَهين

وظنّي كان ضامنَ ما أُرَجّي[٨] فإنْ أخّرْته أُخِذَ الضمين

* * *

(١) حين اشتدت المعركة وضاق الأمر بصدقة جعل ينادي : يا آل خزيمة ، يا آل ناشرة ، يا آل عوف .

(٢) النقاد : صغار الغنم . (٣) الأفراس ، منسوبةٌ إلى أعوج : فرس ليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه .

(٤) في الأصل : لأن الشرع وهو المأنون . النون : الحوت . (٥) في الأصل : ركانه .

(٦) رجل هجان : كريم حسيب . والهجان من كل شيء خياره وخالصه . (٧) في الديوان : تندى .

(٨) في الديوان : وظني ضامنٌ لي ما أُرجّي .

وله من قصيدة في الشيب في مدح القاضي ابن الخطبي[١] وأحسن في تشبيهه بالغبار :

مَسَحَتْ عارضي وما ذاكَ إلاّ أنها ظَنَّتِ القَتِيرَ[٢] غُبارا

* * *

وأنا شبهته بالغبار في موضع آخر ، وأظن أني ابتكرتُ المعنى ، وهو من قصيدة طويلة :

وما مشيب المرْءِ إلا غُبَيْرَةٌ تعلقت من ركض عُمْرٍ قد غَبَر

* * *

وذكرت المعنى في كلمةٍ أخرى طويلةٍ منها :

ليلُ الشّبابِ تَوَلّى والشّيْبُ صبحٌ تألّقْ

ما الشَّيْبُ إلاّ غُبارٌ من رَكْضِ عمري تَعَلَّقْ

ركبتُ منه تكهّبْتُ بعدَ أدهمَ أبلقَ

وضاع مفتحُ وصل الإحسان فالبابُ مُغْلَق

ولا حِزامي وثيق ولا عِنانيَ مُطْلَق

* * *

وشبهتُ الشيب بتتريب الكتاب[٣] مبتكراً المعنى[٤] في قولي من كلمة طويلة :

أصُدوداً ولم يَصِدَّ التّصابي ونِفاراً ولم يَرُعْك المشيب

وكتابُ الشّبابِ لم يَطْوِه الشيْبُ ولا مَسّ نَقْشَه التّتريبُ

* * *

(١) الديوان : اللوحة ٢٥ - ٢٧ في تسعة وخمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح قاضي القضاة شمس الدين عبد الله بن علي الخطبي قاضي أصفهان وأنشده إياها ببغداد .
وفي ابن الأثير ، في حوادث سنة ٥٠٢ هـ ، أنه عبيد الله وأنه قتل في صفر من هذه السنة ، قتلته الباطنية .

(٢) القتير : الشيب ، أو أول ما يظهر منه .

(٣) ترّب الكتاب والقرطاس : وضع عليه التراب . (٤) في الأصل : مبتكر المعنى .

رجعنا إلى الغزّيّ

ومن قصيدة الغزّيّ :

يا شُموسَ الحِجالِ كان الشّبابُ الْـ ـجَوْنُ لَيْلاً يستصحب الأَقمارا
طَلَع الفجر فاظْعَنّ علينا[1] إنّما تَطْلُع الشموس نهارا

ومنها :

وسَهَوْنا عن قَصّ أَجنحة العمـ ـرِ بما يُصْلِحُ المَعادَ فطارا

ومنها في المدح :

وَغَدا يُعتِق العبيد زماناً ثم أمسى يستعبد الأَحرارا

ومنها :

يُفْحِم النّاطقين بالحرف ، والكو كَبُ مهما تَبَلّجَ الصُّبحُ غارا
ومتى حَلّ مُشْكِلات الخفايا حلّ عن جيد فهمك الأَزرارا

ومنها في القلم[2] :

وله[3] المزبر الذي ينظِمُ الأَحْـ ـرُف زَغْفاً[4]، يثني بها الأَقدارا
قلمٌ خانته لكثرة ما يأْ سو كُلومَ الورى به مِسْبارا
لو كتبنا إليه عُونَ المعاني أَصبحت في مديحه أَبكارا

ومنها :

دُمْتَ في وجنة الرياسة توريـ ـداً وفي ناظر العُلوم احْوِرارا

(١) في الأصل : طلع الفجر منه فاطلع علينا .

(٢) البيتان متتابعان في الديوان وعلى ذلك يبدو أن حاجة لقوله : ومنها . (٣) في الديوان : فله .

(٤) درع زغيف ودروع زَغْف : واسعة محكمة حسنة السلاسل .

وإذا كان دونَك اللهُ دِرعاً جَعَلَ الأَيديَ الطِوال قِصارا

ومنها :

ليس هذا بِمِدْحَةٍ إنما نكـــتُب أمثال ذا إليه اُعتذارا

* * *

وله من قصيدة [١] في ظهير الدين ابن النقيه صاحب المخزن بعد خلاصه من حبس السلطان محمد بن ملكشاه [٢] :

كم ذا التَّجانُف، والصُّدود فِراقُ أأَمِنْت أنْ تَتَذَمَّمَ العُشّاقُ

أطاقْتَهم باليأْس من صَفَدِ المُنى يأْسُ المُقَيَّدِ بالمُنى إطْلاق

للحُسن أمواهٌ تروق بروضةٍ وعلى مواردها الدّماء تُراق

سَكْرى الفِراق وإن [٣] صَحَوا مَرضى الهوى والحبُّ ما مَريضه إفراق [٤]

نطقوا بأعينهم وأفصحُ صامتٍ دمعٌ يفضُّ ختامَه الأشواق [٥]

(١) الديوان : اللوحة ٢٧ - ٢٨ في أربعة وثلاثين بيتاً . وفي تقديمهـــا : وقال يمدح ظهير الدين الحسن بن عبد الواحد صاحب المخزن بعد خلاصه ... الخ .
ولقبه في الديوان في مطلع قصيدة أخرى : ثقة الدولة .
وفي ابن الأثير « في حوادث سنة ٥٠٢ » ان السلطان محمداً قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم وقرر عليهم مالاً يحملونه .

(٢) محمد بن ملكشاه : أحد أولاد ملكشاه السلجوقي الثلاثة : بركياروق وسنجر ومحمد . اقتسموا مملكة أبيهم وقامت بينهم خلافات واتفق سنجر ومحمد على بركياروق ودخلا بغداد وخلع عليهما الامام المستظهر بالله وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد سنة ٤٩٢ أو ٤٩٥ . ثم مات بركياروق فاستقل محمد بالملك وصفت له الدنيا حتى مات سنة ٥١١ . كان رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة . والسيرة الحسنة : والمعدلة الشاملة ، والبر للفقراء والأيتام ، والحرب للطائفة الملحدة ، والنظر في أمور الرعية .
(ابن خلكان « الميمنية » ج ٢ ص ٤٧ باختصار)

(٣) في الديوان : فإن . (٤) أفرق المريض من مرضه : برئ .

(٥) في الأصل : وأفصح صامت . . يفيض .

ومنها :

ما كان صفو العيش إلا مَنْصِباً لمُخالف الأيام فيه وفاقُ[١]

فعُزِلْتُ عنه ، وللرجال بعزلها مثلُ الغواني ، عِدّةٌ وطلاق

أنفقتُ من كيس الشباب على الهوى يبقى الغِنى ما أمكن الإنفاق

ومنها :

صبراً فإن الصبر فيه مشقةٌ فيها لمعراج المُراد بُراقُ

وإذا رنا طرْفُ النوائب[٢] فابتهج فمن الرُنُوّ تَوَلّدَ الإطراق

ولقد صَحِبت الليل يسحبُ مِسْحَه والجوّ خَضْرٌ والنّجوم نِطاق

ومنها[٣] :

بخلاص خالصة الخلافة بعدما يئست قلوبٌ أن يُحَلّ خِناق

إحماد عاقبة العناء عِنايةٌ والمجد فيه السمّ والدّرْياق

ومنها أيضاً :

ثقُلت مغارمُه[٤] فزاد نوالُه كالعود ضاعف طيبَه الإحراق

ومنها :

لا تَعْتِبنّ على الخطوب ، فربّما خَفِي الصوابُ فأخطأ الحذّاق[٥]

شُربُ الدواء المرّ يُعقِب[٦] صحةً تحلو ، وإن لم يحلُ منه مَذاق

---

(١) في الأصل : وثاق . (٢) في الديوان : النوابت . (٣) قبل هذا البيت في الديوان :

شبّهتُ إظلاماً تفرّى عن سنا حصل التبلج منه والإشراق

وتفرّى : تشقق .

(٤) في الأصل : معارفه . (٥) في الديوان : وأخطأ . (٦) في الديوان : أعقب .

ومنها :

خِلَعُ الإمام ، ولم تزل أهلاً لها ، شرفٌ يُمَدّ له عليك رِواق

وأجلّ منها ذكره لك في النوى[1] والاشتمال عليك والإشفاق

ما تنسُج الأيدي يبيد ، وإنما يبقى انا ما تنسج الأخلاق

* * *

وله من قصيدة في الأستاذ أبي اسمعيل[2] :

لا تحسبوا فَيْض عبرتي عَجَبا لو قُيِّد الدمع بعدهم وَثَبا

إنّ المُغذّين بالدُّمى تَخِذوا خوارق الحجب[3] دونها حُجُبا

ومنها :

وربّ خطبٍ حللتُ عُقدته بمنزلٍ لا تُحَلّ فيه حُبا[4]

ومَلِكٍ جُبتُ نحوه ظُلَماً[5] فزرته مُشرق المنى ، شَجِبا

جاد بما يملأ الحقائب لي وجُدتُ بالشعر يملأ الحُقُبا[6]

وكم تصيَّدتُ والصِّبا شركي سِرْبَ ظِباء لحاظُهن ظُبا

(١) في الديوان : في الورى .

(٢) الديوان : اللوحة ٢٨ – ٢٩ في ستة واربعين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح الاستاذ مؤيد الدين أبا اسمعيل الحسين بن علي بن محمد رحمه الله « يقصد الطغرائي » . انظر ص ٢٧ وما بعدها .

(٣) يعني الرماح . وبعد هذا البيت في الديوان :

مشتبكات الأسنة انتظمت درعاً متى شمّها الحسام نبا

(٤) ج حُبوة : ما يحتبى به من ثوب أو نحوه .

(٥) الليالي الثلاث الأخيرة من الشهر . أو ج:ظلمة بمعنى ذهاب النور ويقصد الشاعر الى الطرق الصعبة والمسافات المهلكة التي قطعها .

(٦) الحقائب : ج حقيبة . والحُقُب وجمعها أحقاب : لفظة يكنى بها عن الدهر الطويل .

يصف الغدير :

على غديرٍ بروْضةٍ نظمَت (١) نُوّارُها حول بدره شُهُبا

يدقّ فيه الغمامُ أسهمه فيكتسي من نصالها حَبَبا

ويَعْجُم الطلّ ما يَخُطّ على صفحته مَرُّ شَمْأَلٍ وصَبا

بُرود نقشٍ كأنما خلع الأَيْـ ـم عليهن بُرْدَهُ طربا (٢)

لو كنّ يَبْقَيْن ظنّهُن صفـ ـيُّ الدولةِ الأحرف التي كتبا (٣)

عاقلة الفضل وابن بجدته (٤) وقاب جسم الزمان ، لا وَجَبا

* * *

وله من قصيدة (٥) :

بيني وبين رضاهم مَهْمَهٌ قَذَفُ (٦) وعند بطء التلاقي يسرع التلفُ

ومنها :

أفدى الذي ضمّني والبين يَحْفِزُه ولم يَرُعْه انحناء الظهر والشَّظَفُ

إذا تعانق مُنآدٌ ومعتدلٌ كانا كلا ، ضاع فيها اللام والأَلِف (٧)

والحظّ من جوهر الأشياء سَاه ولا تسأل من الله قَدًّا زانه الهَيَفُ (٨)

فالقوس ، في قبضة الرامي ، لعزّتِها والسّهم ، من هُونه ، يُرْمى به الهدف

---

(١) في الأصل : طامت . (٢) الأيم : ذكر الأفعى . وفي الأصل : ضروب نقش .

(٣) في الأصل : الذي كتبا .

(٤) في الأصل : بجدتها . وعاقلة الرجل : قرابته من قبل الأب .

(٥) الديوان : اللوحة ٣٠-٣١ في ثمانية وثلاثين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح أمين (أمير؟) الدين أبا طالب بن معمر رضي الله عنه . (٦) قذف : بعيدة تتقاذف بمن سلكها .

(٧) سبق اختيار البيتين . انظر ص ٣٦ - ٣٧ . (٨) في الأصل : ألف .

لم يُبقِ لي زمني شيئاً أُسَرّ به | فالحمدُ للهِ لا فَوْزٌ ولا أَسَفُ
عَرّى أكابِرَه من ثوبِ محْمَدةٍ | فالقومُ في السابغاتِ الْمُبْسُ الكُشُفُ
لم يقنعوا بحجاب البخل فاحتجبوا | كما غلا بعد سوء الكيلةِ الحَشَفُ[1]
وإن جرى غالطٌ منهم[2] بمكرمةٍ | فبيضةُ العُقْرِ[3] لا يُرجى لها خَلَفُ
أَعجِبْ بهم قطّ في الآراء ما اتّفقوا | على صوابٍ ، وفي التقصيرِ ما اختلفوا

(ومنها)[4] :

حمى أبو طالب طلّابَ نائلِهِ | عن بذلةٍ ، للعلى من مثلها أَنَفُ[5]

(ومنها)[4] :

إني لأطمعُ في أني بلمحته | يوم النّدى من صروف الدهر أنتصفُ[6]

في فقر الممدوح وضيق يده عن الممنوح :

لا عيبَ فيه سوى ظلمِ الزمان له | والدهرُ معتذرٌ يوماً[7] ومُعْتَرِفُ
وإنما رام بالإنفاض[8] وقفته | عن هزّة الجود ، والأفلاكُ لا تقفُ
عُلياه تحت عَجاجِ الحالِ واضحةٌ | كطلعة البدر ما أزرى[9] بها الكَلَفُ
وربّما حال دون الجود ضيقُ يدٍ | والغيثُ أحواله في الجود تختلفُ

---

(١) إشارة إلى المثل : أحشفاً وسُوء كِيلة : والحَشَف : أردأ التمر . يضرب المثل لمن يجمع خلتين مكروهتين .
(٢) في الأصل : يوماً .
(٣) بيضة الدجاجة التي لا تبيض بعدها . ويقال كان ذلك بيضة العقر : كان مرة واحدة لا ثانية لها .
(٤) زيادة أضفناها على الأصل ، فبين البيتين أبيات تجاوزها العماد .
(٥) في الديوان : من بذله للعلى من مثلها أنف . وفي الأصل : عن مثلها .
(٦) في الأصل : يوم الندى وصروف . .
(٧) في الديوان : طوراً .
(٨) من أنفض القوم : أرملوا ، هلكت أموالهم وفني زادهم أو أفنوه .
(٩) في الأصل : لا أزرى .

ومنها :

قد فلَّ غَرْبَ القوافي جهلُ سامعها — ونالت المَهْرَ، دون الكاعب، النَّصَفُ

وضاقت الأرض بالأحرار واتصلت — نوائبُ الدهر حتى مالها[1] طرف

ومنها :

لك الفصاحة ميدانٌ[2] شأوتَ به — وكلنا بقصورٍ عنك نعترف[3]

فمهِّدِ العُذر في نظمٍ بعثتُ به — مَنْ عنده الدُّرُّ لا يُهدى له الصَّدَف

* * *

وللغزي[4] :

لا يفرحَنَّ بما أتاه[5]، مُعَجَّلا — فالكلُّ تشبيبٍ طويلٍ مَخْلَصْ

ولعلَّ دولته جَناحا نملةٍ[6] — كم عاثرٍ بذُيولِ ما يتقمَّصُ[7]

* * *

(١) في الديوان : نالها . (٢) في الأصل : ميداناً . (٣) في الديوان : معترف .

(٤) الديوان : اللوحة ٦٤ — ٦٥ في عشرة أبيات وفي تقدمتها : وقال يهجو . وكذلك اللوحة ١٢٩ في ثمانية أبيات ، وفي تقدمتها : وله في الوزير الربيب من قصيدة . ومطلعها :

سكر الربيب وقام في ندمائه — طرباً ، يصفِّق باليدين ويرقص

والمهجوّ : الوزير ربيب الدولة أبو منصور ، كان وزيراً للسلطان محمود ووزيراً للخليفة المستظهر بالله بعد وفاة وزيره أبي القاسم علي بن محمد بن جهير (انظر ابن الأثير ، حوادث سنة ٥٠٧) .

توفي ربيب الدولة في ربيع الأول من سنة ٥١٣ في همذان ووزر بعده الكمال أبو طالب السميرمي .

كان أبوه (أبو شجاع محمد بن الحسين) وزيراً للمقتدي (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٩ ، طبقات السبكي ج ٣ ص ٥٧ ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣/٨٥٣) .

وكان ابنه ، محمد أبو منصور ، وزيراً للمسترشد ، فعُزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو علي بن صدقة .

(٥) في الديوان : بما حواه . (٦) في الديوان : ولعل منصبه جناحا نملة .

(٧) بين البيتين في الديوان ، البيت :

والدهر في رفع الدنيء ، خطبه — كالريح ترفع ما علاه الأخمص

وله من كلمة سبق ذكرها [١] :

فأنت إذا نطقت أبو المعاني [٢] ... وأنت إذا كتبت أبو المعالي
صَلاة مكارم الأَخلاق فرض ... وما غيرُ الأَذان على بِلالِ
وقد جاءتك مُحكمةٌ شَرودٌ ... تَمُتُّ بنفثةِ السحرِ الحَلالِ
لو امتلأَت بها أُذنُ ابنِ حُجرٍ [٣] ... لعلّقها مع السبعِ الطِوالِ

* * *

وله [٤] :

أبو جعفرٍ في كفه ألف جعفر ... يفيض ، ويغنينا عن الوشل البَرْضِ [٥]
له الخلُق المبنيّ في الجود لم يزل [٦] ... وما دونه الرفع والنصب والخفض
يَهِشّ [٧] بمن يلقاه والدهرُ عابسٌ ... ويبسُط كفَّ الجود في موضع القبض [٨]

* * *

وله [٩] :

جبانٌ عن الإنفاق ، والمال وافرٌ ... وربّ سلاحٍ عند من لا يقاتلُ

---

(١) انظر الصفحة ٥٥ . (٢) في الأصل : المعالي ، وفي الديوان : وأنت . (٣) يقصد امرأ القيس .

(٤) الديوان اللوحة ٨٨ في واحد وخمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح بهاء الدين عميد العراق . ومطلعها :

متى شقّ جيب الجنح بالبارق الومض ... وهبّت قَبولٌ فالسلام على الغمض

(٥) البرض والوشل : بمعنى القليل . وفي الديوان : فميزنا .

(٦) في الديوان : لم يخل . (٧) في الديوان : يبش .

(٨) ليست الأبيات في الديوان بهذا التلاحق ، وانما هي هنا منتقاة .

(٩) الديوان : اللوحة ٥ – ٦ في اثنين وستين بيتاً ، ومطلعها :

قلوب الورى أشراكهن الشمائل ... وشهب العلى أفلاكهن الفضائل

وليس البيتان متتابعين . وقد سبق أن اختار العماد من هذه القصيدة طائفة من الأبيات (انظر ص ٢٤) .

وما الرزق إلاّ طائرٌ أعجب الورى ومُدّتْ له في كل فنّ حبائلُ

* * *

وله [1] :

كنتَ كالدرّة اليتيمة في العِقـــــــد وإن كان كلّه من لآلي

* * *

وله من قصيدة [2] :

قومٌ كأن ظهور الخيل تُنبتهم وما سمعتُ بإنباتٍ بلا مطر

لا يجسُر الطيفُ يسري في [3] منازلهم مهابة خَيَّمت في مَطْمَحِ الفِكر

(ومنها) [4] :

هذي الوزارة لا ما كنتُ أعهده أين اعتكار الدُّجى من بَلْجة السَّحَر

---

(١) الديوان : اللوحة ٩٧ في ثلاثين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح نجم الملوك أبا المظفّر . ومطلعها :

لو توسلتُ بالظُّبا والعوالي لـمَعى لي سَلاهب كالسعالي

(٢) الديوان : اللوحة ٩٩ — ١٠٠ في خمسين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح نصير الدين أبا القاسم محمود بن المظفر بن أبي توبة ويهنئه بالوزارة ، وأنشدها بهراة في أواخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . ومطلعها :

أطرقتِ من نخوة في ساعة النظر وأسودّ ظنك فيما أبيض من شعري

والممدوح : محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبة الوزير الكبير ، أبو القاسم ، من أهل مرو . ولد آخر يوم من جمادى الآخرة من سنة ست وستين واربعمائة ، وتفقه على أبي المظفر بن السمعاني ، ثم خرج إلى ما وراء النهر ولقى الأئمة . قال أبو سعد : وكان منـــاظراً فحلًا فقيهاً مدققاً ، نظر في علوم الأوائل ، واشتغل بتحصيلها مع كثرة الصلاة والصدقة والمواظبة على الجمعة والجماعات : وحضور مجالس الذكر . ثم ترقت حاله الى الوزارة ، وهو مع النظر في الوزارة يناظر الخصوم ويظهر كلامه عليهم . ثم عزل عن الوزارة وانزوى مدة . ثم فُوّض إليه الاستيفـــاء مدة والإشراف مدة . ثم قبض عليه بنيابور ، وحمل الى مرو ومنها الى الحبس ، وحبس في قلعة بنواحي جيحون يقال لها بانكر ، وقتل بها . قال أبو سعد : مات أو خنق في رمضان من سنة ثلاث وخمسمائة ودفن على باب قلعة بانكر .

(طبقات السبكي ج ٤ ص ٣٠٨)

(٣) في الأصل : من . (٤) زيادة يقتضيها ترتيب الأبيات في الديوان .

ولستُ أطعن في القوم الذين مَضَوْا ... ولا أُبرقع وجهَ الصدق بالطَّحَرِ [1]

أبدى لنا عصرُهم من عوده وَرَقاً ... وجاد غصن نصير الدين بالثمر

قطبَ الخلافة ، لا تعدَمْك أنجمُها ... فالشهب [2] ، لولا ثبات القطب ، لم تَدُرِ

إن كنتَ فرداً فضوء الصبح أين بدا ... فردٌ يَفيض على بادٍ ومُسْتَتِرِ

وربّ وطفاء [3] لم تُشْفَع بثانية ... تَهْمي فتُنْبِت أنواعاً من الزَّهَرِ

فاسلم [4] ودُمْ ليصير الملك ذا خطرٍ ... وقيمةٍ ، قيمةُ الأصداف بالدُّرَرِ

* * *

وله [5] :

يُشاركني في سيبه كلُّ ناطقٍ ... ألا إنما شِرْكُ المكارم توحيدُ

كأنّ محيّا الصُّبح قابلَ فضله ... ففي خدّه من خجلة النقص توريدُ

يَزيدُ سماحاً والخطوب تَمِضُّه ... كما زاد طيباً ، وهو يحترق ، العود

فَضَلْتَ الورى طرّاً وإن كنت بعضهم ... كما فضل الأيامَ في السنةِ العيدُ [6]

* * *

وله :

ولما دخلتُ الريّ قلت لرفقتي ... خذوا حِذرَكم من داغر وخؤون

فميها لصوصٌ في الدُّجى بخناجر ... وفيها لصوص في الضحى بعيون

---

(١) في الأصل : بالضجر . وفي الديوان بالصَّخَر . والطَّحَر والطَّحْر : الرقيق من السحاب .

(٢) في الديوان : والشهب . (٣) السحابة الكثيرة الماء . (٤) في الديوان : واسلم .

(٥) الديوان : اللوحة ١١١ - ١١٦ في تسعة وأربعين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح علاء الدولة البويهي . ومطلعها :

أسالِفةٌ أصْمتْ فؤادك أم جيدُ ... أم اللحظ لمّا غازلتك المها الغيدُ

(٦) ليست الأبيات في الديوان في مثل هذا التلاحق ، فبينها كثيرٌ تجاوزه المهاد .

وله (١) :

لبستُ السُّرورَ فأبليته ... وبعدَ السُّرور سَيَبْلى الحَزَنْ

وبدَّلتُ من سَبَجٍ (٢) لؤلؤاً ... فأُغبِنتُ كلَّ نفيس الثمن

سَنا الشيب رَحْضٌ يفيد البيا ... ضَ على أنه لا يُزيل الدَّرَن

* * *

وله (٣) :

إن عاق فكري عن التجويد ضيقُ يدي ... فالشَّوْكُ يُقْصِر خَطْوَ الراجل الحافي

أو قصَّرتْ خدمتي فالجودُ أفضلُه ... تجاوُزُ المرتجى عن هفوة الجافي

* * *

وله (٤) :

كن في زمانك جاهلاً لا عالماً ... إن كنتَ تطمع في حصول مقاصدٍ (٥)

فالنار أحرقت النضيج لأخذه ... منها (٦) ، وتُنْضِج كلَّ نِيٍّ بارد

ومنها :

للبُعْد يدنو ، وأقرب ما تُرى (٧) ... شمسُ الضحى من أَوجها المتباعد

---

(١) الديوان : اللوحة ٨٧ في خمسة وعشرين بيتاً . ولا يتضح مطلعها ولا من قيلت فيه . وفي مختارات البارودي أنها في مدح شرف الدين البيهقي . يريد : شرف الدين أبا الحسن علي بن الحسن البيهقي .

(٢) السبج : الخرز الأسود .

(٣) الديوان : اللوحة ١٠٤ - ١٠٥ في ثلاثة وعشرين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدحه (يقصد الوزير ابن أبي توبة) . ومطلعها : دارٌ بأكناف سُعدى رسمها عافي ... ذكرت مرتبعي فيها ومصطافي

(٤) الديوان : اللوحة ٨٩ - ٩٠ في ستة وثلاثين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدح ظهير الدين عبد العزيز الهروي ولم يصله بشيء وسأله حاجةً فقصَّر . ومطلعها :

صدتْ الخيال بغفوة المتهاجد ... ثم انتبهت فكان صيدي شاردي

(٥) في الديوان : فوائد . (٦) في الديوان : لاخذها منه . (٧) في الأصل : ما نرى .

إن عدّ من صِيْدِ الملوك فما خلا ... أسلافه من عالم أو زاهد

والعودُ يُعْرِب فرعُه عن أصله ... ويجيء من ثمراته بفوائد[١]

* * *

وله :

لا أقتضيك بما سماحُك فوقَه ... فأكون كالراجي من البحر النَّدا

السيفُ لولا أن تجرِّدَه يدٌ ... أكل[٢] القِرابَ بحدّه فتجرّدا[٣]

* * *

وله :

يا مَنْ ذنوبي عنده الفضل الذي ... لولا مَزِيتُه لكانت مَساوي

ومطلع القصيدة[٤] :

أنا ظالمي إن عِفتُ سَطْوة ظالمي ... بل لائمي إن خفتُ جَفْوَةَ لائمي

ومنها[٥] :

ومُحجّبٍ جادَ الوداع بضمّهِ ... فحلبت غُنْمي من ضروع مغارمي

---

(١) في الديوان : بشواهد . (٢) في الأصل : كل .

(٣) سبق اختيار البيتين (انظر الصفحة ٤٦) .

(٤) الديوان : اللوحة ١٢ – ١٣ في أربعين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدحه (يعني وزير الأمير شيرباريك أحمد ابن كريم الدولة أبا جعفر محمد بن أبي الفرج رحمه الله)

(٥) لاتمضي الأبيات في الديوان في هذا التلاحق ولا في هذا التتابع . فهناك أبيات تجاوزها العماد دون أن يشير إلى ذلك بلفظة (ومنها) . وهناك أبيـــات يختلف تسلسلها ولا يستقيم فهم معناها إلا اذا وضعت موضعها ، فالبيت : جذبت بضبعي ، مكانه بعد البيت : وشمائلي . . والأبيات : ما في كريم الملك – شيم – وشمائل ، قبل البيت : خفض . ولو أخذنا بترتيب هذه الأبيات وفق الديوان لكانت : أنا ظالمي – ومحجب – وظفرت – يامن ذنوبي – يُسقى – ما في كريم الملك – شيم – وشمائل – جذبت – خفض – ما الملك – قيّد – ومتى اشتملت – كلّ القنا .

وظفرتُ من تقبيله متلثّماً ... بجَنَى أقاحٍ في بُطون كمائمِ (١)

يُسْقى القضيبُ إذا ذوى ، أما إذا ... أَبْدى الثمار فكم له من راجم

خُفِض المنافس (٢) في انتصابك للنّدى ... فارفع دعائمه بأمرٍ حازم (٣)

ما في كريم المُلْك دام جمالُه ... عيبٌ سوى كرم الطِّباع الدائم

شِيَمٌ كروْضات الرُّبى أرَجاً إذا ... لَطَمَ النَّسيمُ وجوهَها بلطائم

وشمائلٌ أنطقْنني من بعد ما ... كان السكوت عليّ ضربةَ لازم

ومتى اشتملتَ على العلوم وأهلها ... أيَّدتَ خافية العُلى بقوادم

ما المُلك إلاّ صارمٌ تُحمَى به ... الدنيا ، وأنت فِرنْدُ ذاك الصارم

جذبتْ (٤) بضَبْعي بين قوم ، فخرهم ... في جرّ أذيالٍ ولَوْث عمائم

قيِّدْ عدوّكَ بين شَرْيِ مخافةٍ ... من عزمك الماضي وأَرْيِ مكارم (٥)

كلٌّ القَنا حسنٌ ولا سِيّما إذا ... حلّيتَ أطراف القنا بلَهاذم

* * *

وله (٦) :

أبو جعفر في كفّه ألفُ جعفر ... من الجود ما فيهن للعَذْل مَوْرِدُ

(١) في الديوان : فظفرت . والكمائم جمع الكمامة : وهي كالكيس يجعل على منخر الفصيل . أما وعاء الطلع فجمعه أكمام وأكمة وكمام وأكاميم .

(٢) في الديوان : المساجل . (٣) كذا في الديوان والأصل ، ولعلّها جازم .

(٤) يعود الضمير إلى الشمائل في البيت : وشمائل أنطقنني (انظر الحاشية ٥ في الصفحة السابقة) .

(٥) الشري والأري : الحنظل والعسل .

(٦) الديوان : اللوحة ٩ — ١٠ في أربعين بيتاً وهي في الممدوح السابق (راجع الحاشية ٤ في الصفحة ٧١) . ومطلعها :

نظمنا لهم درّ المعاني فبدّدوا ... ولو قلّدونا منّةً لتقلّدوا

كريمٌ كأنّ المالَ خالَفَ أمره ... فعاقبه بالبذل ، والشّهم يحقِد
حمَى عن حروف النفي غَرْبَ لسانه ... مخافة لا ، فالقول بالفعل يُنجَد (١)
وإن (٢) قالها عند الصّلاة فإنها ... لإثبات وحدانيةٍ يتشهّدُ

* * *

وله :

وارُبّما ستر الحياء فضيلةً ... في المرء فانكشفت بهمزة ثالب
كيتيمة الدُّرّ التي لم تنخرط ... في سلكها إلاّ بطعنة ثاقب

* * *

وله (٣) :

لو لم أمتْ بهواك قال العُذَّل ... ما قيمةُ السيف الذي لا يَقتُلُ

ومنها :

مُتَبَدِّلون لِوَى العقيق من الحِمَى ... إنّ التبدّل للمصون تَبَذُّل (٤)
حتّامَ أنتظر الوصال ومالَه ... سببٌ ، وهل تَلِد التي لا تحبَل
ويَزيدني ألمُ القطيعة رغبةً ... فيكم ، ويُنْقِضُ مَنكِبِيَّ وأحمال (٥)
والعاجزان الغالبان : مُعاقِبٌ ... لا ينتهي ومعاتب لا يخجل
وتغيُّرُ المعتاد يَحْسُنُ بَعْضُه ... للوَرْدِ خدٌّ بالأنوف مُقَبَّل (٦)

---

(١) في الأصل : والفعل بالقول ينجد . (٢) في الأصل : فإن .
(٣) الديوان : اللوحة ١١-١٢ في ثلاثة وعشرين بيتاً . وفي تقديمها : وقال يمدحه . (يقصد الممدوح المتقدم . انظر الحاشية ٤ ص ٧١) . (٤) في لأصل : متبدلين . وفي الديوان : إن التبدل بالحبيب تبدل .
(٥) في الأصل : وينقص مساي وأحمال . (٦) في الديوان : تُقَبَّل .

ومنها في المدح :

صَدْرٌ يُعير الشمسَ ضوءَ جبينه ودُوَيْنَ أَخْمَصِه السِّماكُ الأعزلُ[(١)]

يبغي ببذل المال إحرازَ العُلى والعَرْفُ يبقى يوم يَفْنى المَنْدَلُ[(٢)]

إن[(٣)] كان يستر بالتواضع مجده فالقلب تحت شَغافه لا يُجْهلُ

والنَّصر ليس يَبِينُ حقَّ بيانه إلاّ إذا ستر الخميسَ القَسْطَلُ[(٤)]

يا واحداً هو في المكارم أُمَّةٌ وبجوده حسد[(٥)] الأخيرَ الأوَّلُ

لمُساجليك من المعالي لفظها ولك المعاني ، والمعاني أفضَلُ

فاُسلمْ لهذا المُلك فهو مفازةٌ جَدْواك للصادين فيها مَنْهَلُ

* * *

وأنشدني بأصفهان الشاب أبو المحاسن بن فضلويه ، وكان الغزي في داره عند كونه بها ، قال أنشدني لنفسه في الكوفي الذي كان يحبه[(٦)] :

ولما رأيتُ الحُسْنَ عزّ مَرامُه عليّ وكان[(٧)] الاشتراك شنيعا

عشقتُ قبيحاً كي أفوزَ بوحدةٍ فشاركني فيه الأنامُ جميعا

* * *

(١) في الديوان : شمس يعير . . وموضعه بعد البيت : ياواحداً هو . . وبعده :

فتلافت الماضي من الدنيا إلى أيامه وتسابق المستقبل

ثم البيت : لمساجيلك ...

(٢) في الأصل : والعرف يبقى حين يفنى المندل . وفي هامش الديوان التعليقة التالية : المندل اسم للعود . يريد أنه لما (كذا) تفنيه النار يبقى عرفه وهو رائحته الذكية . (٣) في الأصل : لو .

(٤) في هامش الديوان : الخميس من أسماء الجيش . والقسطل : الغبا(ر) المثار .

(٥) في الأصل : حدّ . (٦) الديوان : اللوحة ٦٥ .

(٧) في الأصل : وآلان .

وأنشدني أيضاً فيه [١] :

يقولون ماء الحسن تحت عِذاره على الحالة الاولى، فقلتُ غرور [٢]
أَلسنا نعاف الماء [٣] من أجل شَعْرةٍ تُخالط عَذْب الماء وهو نمير [٤]

* * *

وأنشدني له فيه وكان فقيهاً [٥] :

سألتُ الكوفي في قُبلةٍ فنام على وجهه وانبطح
وقال فهمتُ دليل الخطاب ومن عَشِق الدَّنَّ باس القدح
وفائدة الفقه أن تهتدي إلى صورة الغَرَض المقترح

(١) الديوان : اللوحة ٦٥ . واللوحة ١٣٦ . (٢) في الديوان : في المرتين : وذاك غرور .
(٣) في الديوان : في اللوحة ١٣٦ : الشرب .
(٤) رواية الديوان في المرتين : اذا وقعت في الماء وهو نمير .
(٥) الديوان : اللوحة ٦٦ .

المهذب أبو الحسين أحمد بن مُنير[1] الطرابُلسى[2]

كان شاعراً مُجيداً مُكثراً هجّاءً معارضاً للقيسراني[3] في زمانه ، وهما كفرسَيْ رِهان ، وجَوادَيْ مَيْدان . وكان القيسراني سُنيّاً مُتورّعاً ، وابن منير مغالياً متشيّعاً ، وتوفي بعد سنة خمسين[4] .

سمعت الأمير مؤيد الدين أسامة بن منقذ[5] في دمشق سنة إحدى وسبعين ، وهو يذكره ، وجرى حديث شعر ابن مكنسة المصري[6] وقوله :

لا تخدعنَّك[7] وَجْنَةٌ مُحمرّة رقّتْ ، ففي الياقوت طَبْعُ الجَلْمَدِ

فقال من هذا أخذ ابن منير[8] ، حيث يقول من قصيدة له :

---

(١) بهذه الترجمة ، ترجمة ابن منير ، يبدأ قسم شعراء الشام من النسخة (ب) . وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

(٢) ولد في طرابلس سنة ٤٧٣ وتوفي في حلب سنة ٥٤٨ . وانظر ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٤٩ « الميمنية » وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٩ وابن القلانسي ٣٢٢ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن نصر . ولد في عكا سنة ٤٧٨ وتوفي بدمشق سنة ٥٤٨ . وهو أحد شعراء الخريدة ، وسيترجم له العماد بعد ابن منير هذا (انظر الصفحة ٩٦) .

(٤) لم أجد في كتب التراجم ما يساعد على هذا التحديد . إلا أن يكون وهم : أراد قبل ، فكتب بعد .

(٥) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ... الكناني الكلبي الشيزري ، الأمير ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر بقرب حماة ، ومن العلماء الشجعان ، له من الكتب المطبوعة « لباب الآداب » وغيره . ولد في شيزر سنة ٤٨٨ وسكن دمشق ، وانتقل إلى مصر سنة ٥٤٠ ، وعاد إلى دمشق ، ثم برحها إلى حصن كيفا ، فاقام فيه إلى أن ملك السلطان صلاح الدين دمشق ، فدعاه السلطان إليه فأجابه ، وقد تجاوز الثمانين ، ومات في دمشق سنة ٥٨٤ . وكان مقرباً من الملوك والسلاطين ، وله ديوان شعر في جزئين . كتب ابن منقذ سيرته في جزء سماه « الاعتبار » . (ابن خلكان ج ١ ص ٦٣ . الأعلام)

(٦) ابن مكنسة الاسكندراني ، القائد أبو طاهر اسماعيل بن محمد ، توفي في حدود الخمسمائة (فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦) . وانظر ترجمته ومختارات له في الخريدة قسم شعراء مصر ج ٢ ص٢٠٣ - ٢١٥ .

(٧) في « ب » : لايخدعنك . (٨) في « ج » : بزيادة الطرابلسي .

خِدْعُ الخدود يلوح تحت صفائها فحَذارِها إن موّهت بحيائها
تلك الحبائلُ للنفوس ، وإنما قطع الصّوارم تحت رَوْنق مائها

فقلت له : هذا شعر جيد ، وأنت لأهل الفضل سيّد . فاُحكم لنا كيف كان في الشعر[١] ، وهل كان قادراً على المعنى البكر . فقال : كان مِغواراً على القصائد يأخذها ، ويعوّل[٢] في الذبّ عنها على ذمّه للناقد[٣] أو للجاحد[٤] .

وسمعت زين الدين الواعظ ابن نجا الدمشقي[٥] يذكره ويفضّله ، ويقرّظه ويبجّله[٦] ، ويقول : ماكان أسمح بديهته ، وأوضح طريقته ، وأبدع بلاغته ، وأبلغ براعته . ورأيته يستجيد[٧] نثره ، ويستطيب ذكره ، ويحفظ منه رسائل مطبوعة ، ويتبع له في الإحسان طرائق متبوعة ، ويقول : كانت الجمهرة على حفظه ، وجَمّة المعاني تتوارد من لفظه . ويصف ترفعه على ابن القَيْسَراني واستنكافه من الوقوع في معارضته ، والرتوع في مرعى مناقضته .

ولقد كان مقيماً بدمشق ، إلى أن أحفظ أكابرها ، وكدّر بهجوه مواردها ومصادرها ، فـآوى إلى شَيْزر وأقام بهـا[٨] ، ورُوسل مراراً بالعود[٩] إلى دمشق فضرب بالرد وجه[١٠]

---

(١) سقطت الجملة : (فاحكم لنا ... في الشعر) من « ح » . (٢) في « ب » : ويقول .

(٣) في « ح » : التناقد . (٤) في « ب » : على ذمه الناقد أو الجاحد .

(٥) الإمام زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنـائم الأنصاري ، الدمشقي ، الفقيه ، الحنبلي ، الواعظ ، المفسر ، المعروف بابن نُجَيّة ، نزيل مصر . ولد بدمشق سنة ٥٠٨ هـ (أو ٥١٠) وسمع درس خاله شرف الإسلام عبد الوهاب ، وتفقه وسمع التفسير ، وأحب الوعظ ، وغلب عليه ، واشتغل به ، وكان يعظ بالعربية وغيرهـا . بعثه نور الدين الشهيد رسولاً إلى بغداد سنة أربع وستين ، وخلع عليه . وسمع هناك من أكابر علمائها . تنعم في حياته ، واقتنى الأموال والجواري والدور ، ومات فقيراً فكفنه بعض أصحابه . توفي في رمضان من سنة ٥٩٩ هـ .

(شذرات الذهب ، باختصار ، ج ٤ ص ٣٤٠ — ٣٤١ . وانظر السادس من النجوم الزاهرة)

(٦) في « ح » : ويقرظه ويشنفه ويبجله . (٧) في « ح » : وأبرع بلاغته وبراعته ، يستجيد ...

(٨) تكررت جملة (وأقامها) مرتين في « ح » . (٩) لم ترد اللفظة في « ب » .

(١٠) في « ب » : بياض بين لفظتي بالرد و وجه .

طلبها ، وكتب رسائل في ذمّ أهلها ، وبيّن عذره في تنكُّب[1] سُبُلها .

واتصل في آخر عمره بخدمة نور الدين محمود بن زنكي[2] رحمه الله ، ووافى إلى جلّق رسولاً من جانبه قبل استيلائه عليها وتملّكه لها ، وارتدى عنده من الوجاهة والكرامة حللها .

ومحاسن أبي الحسين بن مُنير مُنيرة ، وفضائله كثيرة ، وقد أوردت منها ما قُلِبَ في قالَب الظرف وظرفه[3] ، وانصرف قلب الارتياح إلى مزج صِرفه ، ولم ينحرف مزاج الاعتدال باعتلال حرفه . ولم يتفق لي ديوانه لأختار مُختاره ، وأمتار مُشتاره ، وأجني من روض حسنه وردَه وبهاره ، ورَنْده[4] وعَراره ، وإنما التقطت أعلاقه[5] من أفواه المُنشدين ، واستفتحت أغلاقه من أيدي المُوردين . وسأثبت إن ظفرت بديوان[4] شعره ، كلّ ما يصدع به فجر فخره[6] ، ويطلع منه بدرُ قدره ، ويدلّ على سموّ مَناره[7] ، ونموّ أنواره ، وعُلوّ ناره ، ورقّة نسيم أسحاره[8] ، ودقة سرّ سحره في معاني أشعاره ، وأخفُّ الخريدة من سخيفها ، وأوفّر لها الحظ من وافر[9] رائقها ولطيفها ، وأجلو لناظرها طرف طريفها[10] ، وأغني[11] عن ثقيلها بذكر خفيفها .

---

(١) في « ح » : تنكيب .

(٢) هو محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر . أبو القاسم نور الدين ، الملقب بالملك العادل لأنه كان أعدل ملوك زمانه ، وأجلّهم وأفضلهم . ولد في حلب سنة ٥١١ هـ وانتقلت إليه أمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١ ، وكان ملحقاً بالسلاجقة ، فاستقل ، وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة ، واتسعت سلطته حتى شملت بعض بلاد المغرب واليمن . كان حسن الأخلاق ، كامل العقل والرأي ، سليماً من التكبر ، كثير المطالعة . بنى المدارس ، وأسقط المكوس ، وأقطع عرب البادية . من آثاره في دمشق ، المدرسة العادلية (بعض دار المجمع العلمي العربي اليوم) ، ودار الحديث ، وتوفي في دمشق سنة ٥٦٩ هـ . ودفن في قلعتها ، ثم نقل إلى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين « النورية » . وكان شجاعاً كثير الفتوحات ، موفقاً في حروبه ضد الصليبيين أيام زحفهم على بلاد الشام . (الأعلام . وانظر ابن خلكان ج ٢ ص ٨٧ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٢٨)

(٣) في « ب » : وطرفه .

(٤) موضع اللفظة ، بياض في « ب » .

(٥) في « ب » : وإنما التقطت ما ذكرته من ...

(٦) في « ب » : فجـ ـره . وفي « ح » فجر فجره .

(٧) في « ح » : سمو سناه .

(٨) موضع اللفظتين (نسيم أسحاره) بياض في « ب » .

(٩) سقطت في « ب » .

(١٠) موضع هذه الألفاظ التي تلي الفعل (وأجلو) بياض في « ب » .

(١١) في « ب » : وأ

وذكره مجد العرب العامري[١] بأصفهان ، لما سألته عن شعراء الشام ، فقال : ابن منير[٢] ، ذو خاطر منير ، وله شعر جيد لطيف ، لولا أنه يمزجه بالهجو السخيف . قال : وأنشدني يوماً قصيدة له فما عقدتُ خِنْصَري منها[٣] إلا على هذا البيت[٤] :

أنا حزبٌ[٥] ، والدهرُ والناسُ حزبٌ ... فمتى أغلِبُ الفريقَيْنِ وحدي

شعره كَكُنيته حسن ، ونظمه[٦] كلقبه مهذّب ، أرقُّ من الماء الزلال ، وأدقُّ من السحر الحلال ، وأطيب من نيل الأُمنيّة ، وأعذب من الأمان من[٧] المنية . وقع القيسَرانيّ في مباراته ومعارضته ، ومجاراته في مِضمار القريض ومناقضته ، فكأنهما جرير العصر وفرزدقه ، وهما مَطالِع النظم ومَشرِقه ، وشى بالشام عَرفُهما ، ونشا عِرقُهما[٨] ، وكثُر رياشهما ، وتوفّر معاشهما ، وعاشا في غبطة ، ورفعة وبسطة . وكنت أنا بالعراق أسمع أخبارهما ، ثم اتّفق انحداري إلى واسط سنة اثنتين[٩] وخمسين وخمسمائة ، فانحدر بعض الوعاظ الشاميّين إليها ، منتجعاً جدوى أعيانها ، راغباً في إحسانها ، فسألته عنهما فأخبر بغروب النجمين ، وأُفول الفرقدين ، في أقرب مُدةٍ من سنتين . وكانت وفاة القيسَراني قبله سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[١٠] .

أنشدني الفقيه عبدالوهّاب الدمشقي الحنفيّ[١١] ببغداد في جمادى الأولى[١٢] سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، قال : أنشدني الشيخ المهذب أبو الحسين بن منير لنفسه من قصيدة :

---

(١) أبو فراس علي بن غالب العامري : شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر وتوفي بالموصل سنة ٥٥٣ . (انظر ترجمته ومختارات من شعره في فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠١)

(٢) في « ب » : بياض بين عن ... منير . (٣) لم ترد اللفظة في « ب » . (٤) في « ح » : إلاّ على بيت .

(٥) في « ب » : حرب . (٦) سقطت الكلمة في « ح » . (٧) في « ح » : بعد .

(٨) في « ب » عُرفها . ولعلّ الجملة : وفشا عُرفها . (٩) في « ب » و «ح» : اثنين .

(١٠) في ابن خلكان في ترجمة القيسراني (ج٢ ص١٧) أنه توفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وفيه ، في ترجمة ابن منير الطرابلسي (ج١ ص٥٠) ، أن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . ومثل ذلك عند ابن القلانسي . وهذا لا يستبين قول العماد إن وفاة القيسراني كانت قبل وفاة ابن منير .

(١١) انظر ترجمته في الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية (ج١ ص٣٣٥) . (١٢) في «ب» و «ح» : الأول .

لا وحُبّيكَ لا عبدتُك سِرًّا ليلُ صُدغَيْك صيّر ٱللّيل ظُهرا

وَضَح الأمر وٱستوى الناس فيه وٱفتضحنا فالحمد[١] لله شكرا

أيّها الصاحبان من كأس عَيْنٍ غازلتني[٢] حتى تطفّحتُ سُكرا

أعذرا إن أردتما أو فلُوما في بديع ، حسبي عِذاراه عُذْرا

وٱطلبا المجحود غيري فإني لست ممن يحبّ في الحبّ سَتْرا

أنا مِنْ أجل خدّه دِنتُ للنا ر ، وفي خاله عبدت الشِّعْرى

فَضَلالي بَعْدَ الهدى[٣] في هواه هو عندي خيرٌ وأعظم أجرا

* * *

وحكى الفقيه عبد الوهاب ، أنه كان مولعاً بغُلام يُعرف بٱبن العفريت وفي خدّه خال ، وأكثرُ أشعاره في الخال ، وقد ردّد المعنى فيها[٤] ، فأحسن ما أنشدني له في هذا المعنى[٥] :

أنكرت مقلتُه سَفْكَ دمي وعلا وَجْنَتَه فٱعترفتْ

لا تخالوا خالَه في خدّهِ نقطةً[٦] من صبغ جفن نطفتْ[٧]

تلك من نار فؤادي جذوةٌ فيه ساختْ وٱنطفتْ ثم طفتْ[٨]

* * *

وأبدع المعنى في هذه الأبيات وأغرب :

عَطفوه فتمادى ولَها عَنْ حشاً أسْعر فيها الوَلَها

---

(١) في « ح » : والحمد . (٢) في « ح » : عاقرتني .

(٣) في « ح » : بعد الهوى . (٤) مابين العاطفتين ، ساقط في « ح » .

(٥) في « ح » : في المعنى . (٦) في « ح » : قطرة . (٧) قطرت .

(٨) في هامش « ب » التعليقة التالية : مأخوذ من قول الأول :

اشعلت قلبي ما رمى بشرارة علقت بخدك فارتوت من مائه

رَقَدَتْ مُقلتُه عن مقلةٍ	أَمَر الدمعُ عليها ونهى [1]
قمرٌ ما طلعت طلعتُه	قطُّ إلاّ سجد البدرُ لها [1]
لهيَ السُّخْط، مأبيّ الرّضى	فهو المعشوق كيف اتّجها
نقش الحُسْن على وجنته	شامةً، أشمتَ حُسّادي بها [2]
كان قد أعوزها بستانه	ثم لما أشرقت فيه انتهى

* * *

وأنشدني له من مقطوع مطبوع، بارقة مشفوع، أطيبَ نظمٍ في عصرنا مسموع، وأثبتَ شعرٍ أثبتَ [3] في مجموع، وهو [4]:

يا بأبي من وَصَلا	ومالَ ممّا مَطَلا
زار وقد خاط الدّجى	على خُلاه خُلَلا
فكدتُ، إجلالاً له	أُدمي يديْه قُبَلا
فقلتُ: مولايَ ألاَ	غير اليدين؟ قال: لا
ودار ماءُ الحسن فوْ	قَ وَجْنَتَيْه خَجَلا
حتى إذا سرّى [5] سرى	وحين أحيا قتلا
كما حلا طيف الخيا	ل نفساً ثم انجلا [6]

(١) يتخالف البيتان موضعاً في النسخة « ح ».

(٢) في هامش « ب » التعليقة التالية: هذا مثل (قول) القاضي الحصكفي:

وعلى الوجنة منه خالة عرضتني لعيون الشامتين

قلت: أبو يزيد الخطيب الحصكفي أحد شعراء الخريدة وسيطول المهاد ترجمته. (انظر ابن خلكان ج٢ ص٢٣٧)

(٣) في « ب »: أثبته.

(٤) لم ترد اللفظة في « ح ».

(٥) في « ب »: سرّ.

(٦) في « ح »: كما خلا الطيف.. وفي « ب »: كما جلا.

يا حبّذا ذاكَ الغزا لُ لو شفاني غزَلا

فديتُ من أبيتُ منـــــه وعليه وَجِــلا

بدرٌ إذا البدر سرى فيه المحــاق كمُلا

شمسٌ إذا الشمس خبت تحت الكسوف اشتعلا

اذا تلطفتُ قسا وإن سألتُ بخِلا

ليت اعتدال قدّه عَطفَـــهُ فعــدَلا

بل ليت صَحْن خدّه من ذلك الخال خلا

فهو الذي قلّب قلـــــبي في قَواليب البلا[1]

يا سائلي عن الهوى وطعمِه سَلْ من سلا

أسكرني الحب فما أدري أمرٌّ أم حلا

* * *

ومن قطعة رقيقة[2] ، غريبة المعنى[3] دقيقة ، بالثناء عليها حقيقة ، لا مجازاً بل عن حقيقة ، وهي :

أترى يَثْنيه عن قسوته خدُّه الذائب من رقّتِهِ

أفأستنجده وهو الذي لوّن الدّمعَ على صبغتِهِ

أوَ ما[4] حاجبُهُ حاجبَهُ إن تجافى عن مدى جفوتِهِ

---

(١) في هامش « ب » : يصحّ الوزن بقوالب ، ولا حاجة إلى تكلف الياء الزائدة وتكلف ... (ثم لاتتضح الكلمات الثلاث بعدذلك) . قلت : وفي الحديث كان نساء بني اسرائيل يلبسن القوالب . (انظر النهاية لابن الأثير)

(٢) سقطت اللفظة في « ب » . (٣) في « ح » : في معناها .

(٤) في « ب » : اوحا .

فلهذا قَوْسُه موتَرةٌ ... تستمدّ[1] النّبلَ من مقلته

قمرٌ، لا فخر[2] للبدر سوى ... أنّه صيغ على صورتِهِ

صُدْغه كرْمةُ خمرٍ قسّمت ... بين خدّيه إلى نكهتِهِ

فترتْ جفنيْه منها نشوةٌ ... تُوقِظ العاذِل من سَكرتِهِ

أتخال الخال يعلو خدّه ... نقطَ مِسكٍ ذاب من طُرّتهِ

ذاك قلبي سُلبتْ حبّته ... واُستوتْ خالاً على وجنتهِ

* * *

ومن أُخرى في هذا المعنى ، أَرقّ من الشكوى ، وآنق من زخارف الدنيا ، وأحسن من الحسنى :

عاتبته فاُستطالا ... وصدّ عنّي دَلالا

وهكذا مَنْ تعالى ... في حسنه يتغالى

مولايَ قد ذُبتُ صبراً ... وكم تذيب مِطالا

ما كان عهدك إلاّ[3] ... مثل السلوّ محالا

بل كان زُور خضابٍ ... نما ، وفي الخال حالا

سلبتَ[4] حبة قلبي ... وصُغتها لك خالا

فقد كستني نُحولاً ... كما كستكَ جمالا

يا كاملاً وجهه علّـ ... ـم البدور الكمالا

يا أحسَن الناسِ وَجهاً ... صِلْ أسوَأَ الناسِ حالا

---

(١) في « ب » : تستمدّ . (٢) في « ح » : لا فجر .

(٣) في « ح » : ما كان عندك عهد . (٤) في « ب » : سبكت . وفي « ح » : سكبت .

حاشا جمالك من أنْ يستقبح الإِجْمالا
لم أحظ منك بسُؤلٍ وقد فنيت سُؤالا
أما تعلّمتَ شيئاً من الكلام سوى لا

* * *

ومن أبيات في وصف العِذار ، أخلع[1] من خلع العذار ، وأزهر من الأزهـار ، وأنور من النُوّار ، وأعقر للألباب من العُقار ، وأنضر في النواظر من النُّضار ، بيتان وهما :

سقاني العَسْجَدِيَّةَ ذو عِذارٍ يُنمنمُ عَنبراً في صَحْنِ عَسجَدْ
وحيّا باللآلئ في صِدافٍ من الياقوت طُرِّز بالزَّبَرْجَدْ

قد[2] وصف الشارب والثغة والمَبْسِم في هذا البيت المفرد ، وأحسن نظمه والجمع بين اللؤلؤ والياقوت والزَّبرجَد .

* * *

وقد ألمَّ بوصف الخط ، في أبيات كاللآلئ في السمط ، يصف فيها الخط[3] والخدّ والوجنة ، والصُّدْغ والمقبَّل والنَّكهة ، سماعها يذكّر إليك الجنة ، ويحدث لك إلى[4] حُورهـا الصَّبْوَة ، ويحلّ لديك من هواك السلوة ، وهي :

روحي الفِداء لمَن إذا آلمتَهُ عتْباً تفضّض خدُّه وتذهّبا
وتوقّدَتْ في الروض من وَجَناته نارُ الحياء يَشُبُّها ماء الصِّبا
خطّت سَوالِفُه عليها[5] رُقْيَةً ممّا تَتْقين صُدغه وتعقربا

---

(١) في « ح » : ألذ .
(٢) في « ح » : وقد .
(٣) سقط ما بين لفظي الخط من « ح » .
(٤) سقطت في « ح » .
(٥) في « ب » : عليه .

عَذْبُ المُقَبَّلِ ، إن تحدث أسكرتْ　　أَلفاظُه وإذا تنفّس أطربا
متغضّبٌ دَلاًّ ، فاستُ بمدركٍ　　منه الرّضا إلاّ بأَن أتغضّبا

* * *

ومن أبيات خفيفة ، على القلب لطيفة ، طريفة في المعنى ظريفة :

أَين مني الصبر عن[1] وجهك أَيْنْ　　بين قلبي وسلوّي عنك بَيْنْ
واهن العزم إذا استنجدته　　فتَّرته فترات المقلتَيْن
صار من أعوان عينيك . كذا　　كلُّ قلب في الهوى عوناً[2] لِعَيْن
أيُّها الراقد عندي سحراً　　يُكمِد الواشي ويُبكي العاذلَيْن
متُّ سُكراً ، أفمن كأسِ طِلا　　راق لي ريقك أم من شفتين
أنا لا أصبر عمّن وجهه　　فاق مُبتسمٌ في غسقَيْن
تطلعُ الشمس لنا من شفقٍ　　وهو يبدو طالعاً من شفقَيْن
قلت للكاهن حين اختلست　　عينه عيني فجرَ الحين حَيْن
قمرَ العقرب خوّفتَ ، فمن　　منقذي من قمر في عقربَيْن

* * *

وأنشدني الفقيه[3] له ، وجماعة من الشّاميين أيضاً ، ثلاثة أبيات كمُشَنَّنَة النَّدّ في الطيب ، في إعراض الحبيب :

ويلي من المُعرِض الغضبان إذ نقل الـ　　ـواشي إليه حديثاً كلُّه زورْ
مقصّر الصُّدغِ ، مسبول ذؤابته　　لي منه وَجدان : ممدود ومقصورْ

(١) في « ب » : من . (٢) كذا في « ب » و « ح » . ولعله على تقدير : صار .
(٣) يقصد الفقيه عبد الوهاب الدمشقي (انظر ص ٧٩) .

سلّمتُ فازورّ يزْوي قوسَ حاجبه ... كأنني كأسُ خمرٍ وهو مخمورُ

* * *

وله فيمن مالَ المِطال في وعوده ، وعَطَف إلى الوصال بعد صدوده :

بأبي مَنْ صدّ عنّي وصدَفْ ... ثمّ لمّا مالَ من هجري عطَفْ (١)

قلت : مولايَ أحقٌّ ما أرى ... بعد ما حكّمت في (٢) روحي التلَفْ

قال : مِنْ أحمَدِ شيءٍ في الهوى ... عُقَبُ الصبر وتأميلُ الخلَفْ

نحن نُحيي مَنْ أمتْنا ، كرماً ... وعفا الله لنا عمّا سلَفْ

* * *

وله في المعنى من أول قصيدة مهذّبة ، أبياتٌ منتخبة ، غزلة طيّبة ، وهي :

أَلِفَ الصدودَ وحين أسرفَ أسعفا ... فازْورَّ عَتْباً ثم زارَ تعطّفا

لبسَ الدُّجى في ليلةٍ هو بدرها ... والبدرُ أشهرُ ما يكون إذا اختفى

طلَعَ الهلالُ وقد بدا مُتَلثّماً ... حتى إذا حسرَ اللثامَ تنصّفا

يا طرفه ، مالي أراك خالقتَ لي ... داءً فهلّا كنتَ لي منه شفا

واهي مَناطِ الخصرِ ، سُنّةُ عينِه ... تقْتصُّ في قتلِ النفوسِ وتقْتفي

يبدو فتقرأُ في (٣) صحيفة خدّهِ ... من مشقِ أقلامِ الملاحة أحرفا

ذو وَجْنةٍ نُقشت بنقطةِ خالهِ ... ونباتُ عارضه فخِيلَتْ مُصْحفا

* * *

(١) في « ح » : انعطف . (٢) في « ح » : من روحي .

(٣) في « ح » : فتُقرأُ من . وهو ضبط لا يلتئم مع حركة الروي .

وله ، أنشدنيها زين الدين الواعظ[١] :

قِفْ قليلاً لأسألَكْ مَنْ مِنَ الأُفْقِ أنزلَكْ
صِرتَ في الأَرض ماشياً بعد ما كنت في الفلَكْ
أيُّها البدر ، بالذي لمُحاقي قد أكمَلَكْ[٢]
أيُّ شرع أباح طر فك إتلاف ما ملَكْ

* * *

وله :

فَنائي فيك أعذبُ من بقائي ودائي منك أنفعُ من دوائي
وذُلّي في هوان هواكَ عِزٌّ وإنْ طاحت عهودُكَ في الهواءِ
بنفسي من يحلّل عَقْدَ صبري إذا ما ماس في عُقَد القَباءِ
ومَن يوهي قُوايَ بعطف صُدغ كما انعطف الظلامُ على الضياءِ
أقول وقد بدا ينهالُ ليناً كما ارتجّ اللِّوى تحت اللواءِ[٣]
أتمثالٌ من الكافور طابت مَراشِفُ فيه ، أم تمثال ماءِ
فقال بل الهلال ، فقلت حقّاً ولكن لِمْ نَزَلْتَ من السَّماءِ

* * *

وأنشدني له في اسمٍ معمًّى وهو سرخاب :

لي سيّدٌ ، بعض اسمه جَنّةٌ وبعضه نارُ محبّيهِ
مَنْ زاره كان كنصف اسمهِ أو صدَّه كان كباقيهِ

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة ٧٧ . (٢) في « ب » : قد أحرقك .
(٣) سيتكرر اختيار البيت في الصفحة التالية .

تقاصَر العقرب من صُدغه عن خدّه خوفَ تلظّيه
وكم له في كبدي لسعةٌ بَرودها الدرياق من فيه

* * *

وأنشدني مجد العرب العامري بأصفهان في سَلْخ شعبان[1] سنة ست وأربعين، قال أنشدني ابن منير لنفسه من قصيدة[2] :

سَعَوْا بنا، لا سعت بهم قدمٌ فلا لنا أصلحوا ولا لَهُمُ

ومنها :

وقال للماء قِفْ بوَجنته فمازج النار وهي تضطرمُ

* * *

ولمحت في كتاب لُمَح المُلَح لأبي المعالي الكتبي[3] في التجنيس، هذا البيت النادر النفيس :

أقول وقد بدا ينهال لينا كما ارتجّ اللّوى تحت اللواء[4]

* * *

وأنشدت له :

لامَ عِذارٍ بدا عرَّضَ بي للرَّدى
أسودُ كالكفر في أبيضَ مثل الهدى
يا فرقد الليل لِمْ أرعيتني الفرقدا

---

(١) في «ح» : في شعبان (انظر في ترجمته ص ٧٩). (٢) سيعاود العماد اختيار أبيات أخرى منها (انظر ص ٩٠).
(٣) هو أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري (نسبة إلى الحظيرة : موضع في بغداد ينسب إليه كثير من العلماء وتنسب إليه الثياب الحظيرية) المعروف بدلال الكتب. كانت لديه معرفة وله نظم جيد. ألف مجاميع ما قصر فيها منها زينة الدهر وهو ذيل على دمية القصر للباخرزي، والإعجاز في الأحاجي والألغاز، ولمح الملح جمع فيه من النظم والنثر ما يدل على كثرة اطلاعه ورتبه على الحروف. توفي سنة ٥٦٨ (ابن خلكان ج١ ص ٢٠٤، وكشف الظنون). (٤) سبق اختيار البيت في الصفحة السابقة.

اليومَ تجفو فهل	تجفو التّجافي غدا
حميلةُ سيفها قد	سُـقِيَ المُرْقِدا (١)
فالحَيْفُ والحَتْف إن	أُغمد أَو جُرّدا

* * *

وأنشدني المهذّبُ عليُّ بن هدّاب العَاثيّ ببغداد ، قال : أنشدني أبو الحسين أحمد(٢) بن منير الطرابلسي :

أخلى فصدّ عن الحميم وما اختلى	ورَأى الحِمام يغصّه فتوسّلا(٣)
ما كان واديه بأوّل مرتع	ذعَرَتْ طُلاوتَه طَلاهُ فأَجفَلا
وإذا الكريم رأى الخمول نزيله	في بلدة ، فالحزم أن يترحّلا
ساهمتَ عيسَك مرّ عيشك قاعداً	أفلا فلَيْتَ بهنّ ناصية الفَلا
لا ترض من دنياك ما أدناكَ من	طمع وكن طيفاً حلا(٤) ثم انجلا
فارِق ترَقّ ، كالسّيف سُلّ فبان في	مَتنيْهِ ما أخفى القِراب وأَخملا
وَصِلِ الهجير بهجر قوم كلّما	أمطرتهم عسلاً جَنَوْا لك حنظلا

* * *

وأنشدني بمصر الشيخ الإمام زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الدمشقي(٥) سنة اثنتين(٦) وسبعين ، قال : أنشدني أبو الحسن بن منير لنفسه :

عذّبوني بهجركم عذّبوني	واطردوا طارق الكرى عن جفوني
أو هَبوني دمعاً لعلّ مَعين الـ	ـدّمع يوماً على هواكم مُعيني

---

(١) المرقد: دواء يُرقد شاربه كالأفيون . (٢) سقطت اللفظة في « ب » . (٣) في « ح » : فتوسلا .
(٤) في « ب » : جلا . (٥) انظر ترجمته في الصفحة ٧٧ . (٦) في « ب » : اثنين .

لم يَدَعْ منّيَ الضّنا غير شيء ستر الشكُّ فيه وجهَ اليقين
كان وجدي بكم قضاءً قديماً أفأمحو ما خُطَّ فوق جبيني

* * *

وأنشدني له أيضاً في[1] هجو بخيل :

رغيفه من ذَرّة يصنعه أو أصغرا
مبيّتاً ملفّفاً[2] مُبَرْيَقاً مُبَيْكَرا
لو جاز في عين الذي يأكله لما درى
أو[3] بلع الصائم ألـ ـفاً مثله ما أفطرا
كأنما خبّازه به تحدّى البشرا
فهاتِ قلْ : أعرضاً تجده[4] أم جوهرا

* * *

وله من قصيدة كتبتُ أولاً منها بيتين[5] وهي[6] :

أحلى الهوى ما تحلّه التهمُ باح به العاشقون أو كتموا
أغرى المحبين بالمحبة فالُعذ ل[7] كِلام أسماؤها كَلِمُ
سَعَوْا بنا ، لا سعت بهم قدمُ فلا لنا أصلحوا ولا لهمُ
ضرّوا[8] بهجراننا وما انتفعوا وصدّعوا شملنا وما التأموا

(١) في « ح » : وأنشدني أيضاً من قصيدة في ...
(٢) في « ح » : منفّقاً ملفّقاً .
(٣) في « ب » : لو .
(٤) في « ح » : تحدّه .
(٥) إشارة إلى البيتين الثالث والسابع من هذه القصيدة (وقد أوردهما في الصفحة ٨٨ مما أنشده إياه مجد العرب العامري بأصفهان) .
(٦) لم ترد اللفظة (وهي) في « ب » .
(٧) في « ح » : في العذل .
(٨) في « ب » : مرّوا .

بالله يا هاجري بلا سببٍ | إلاّ لقال[1] الوشاةُ أو زعموا

بحقِّ مَنْ زان بالدّجى فلق الصّبـ ـح على الرمح إنه قسمُ

وقال للماء قِفْ بوجنته | فمازَج النار وهي تضطرمُ

هل قلتَ للطيف لا يعاودني | بعدك ، أم قد وفى لك الحلمُ ؟

فيك معانٍ لو أنها جُمعت | في الشمس لم يغش نورَها الظُّلَمُ

تمشي فتُردي[2] القضيب من أسفٍ | وتكسِف البدر حين تبتسمُ

وتُخجِل الراحَ منك أربعةٌ | خدٌّ وثغرٌ ومُقلةٌ وفمُ

يا ربِّ خُذْ لي من الوشاة إذا | قاموا وقمنا لديك نحتكمُ

* * *

واتفق أنتزاح أبنِ مُنير من دمشق بسبب خوفه من رئيسها أبن الصوفي[3] ، ومقامه بشيزر عند بني منقذ . ووصل زين الدين ابن حليم[4] الى شيزر ، فلقيه بها ورغّبه في العود وخدمة مُعين الدين آنِز[5] الذي كان في الجود والحلم هامي الجَوْد ، سامي الطَّوْد[6] . فلمّا فارقه كتب[7] إلى ابن منير كتاباً يستنهضه إلى الرجوع ويستدعيه ، ويذكر له مصلحته فيه ، ويقول له تعالَ أكون في إحضارك كآصَفَ في إحضار عرش بلقيس ، ويعدّد له في الأَوْبة أسباب التأنيس ،

---

(١) في « ح » : لقول الوشاة إذ . (٢) في « ح » : فتودي .

(٣) مؤيد الدولة ابن الصوفي الدمشقي ، وزير صاحب دمشق آبق . كان ظلوماً غشوماً . مات سنة تسع واربعين وخمسمائة ، وسرّ الناس بموته . دفن بداره بدمشق . (شذرات الذهب ج ٤ ص ١٥٤)

(٤) في « ح » : ابن حكيم .

(٥) الأمير معين الدين آنز الطغتكيني ، مقدم جيش دمشق ، ومدبّر الدولة ؛ وكان عاقلاً سائساً حسن الديانة ، ظاهر الشجاعة ، كثير الصدقات . توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ودفن بقبته التي بين دار البطيخ والشامية . (شذرات الذهب ج ٤ ص ١٣٨)

(٦) سقطت (سامي الطود) في « ب » . (٧) في « ب » : فكتب .

فكتب إليه ابن منير في جوابه[١] كتاباً أملاه عليّ زين الدين ابن نجا الواعظ الدمشقيّ بمصر من حفظه وهو :

وَرَدَ الكتاب ، فداه أسود ناظرٍ   عكفت[٢] ذخائره عليه تبدّدُ
ليل من الألفاظ يشرق تحته   فلق المعاني ، فهو أبيض أسودُ
يفترّ عن دُرَرٍ تكاد[٣] عقودها   من لين أعطاف تحلّ وتعقدُ

سلام عُرقوبٍ عليك يا أشعب ، وأن أعيا جوابك وأتعب ، وحيّاك الله أيّها المعصب ، أنضيتنا جداً[٤] وأنت إلى السبق[٥] ناعب ، أقسم بمفاتح الغيب ، إنك مكبّر شعيب ، بلا ريب ، أينْ يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول[٦] ، غالت دون ما تدعونا[٧] إليه غول ، أنا والله أيها الصّدر إلى ما تدعوني إليه من خدمة هذا المولى أحرص ، وإلى اقتناء تلك اليتيمة أميل وعليها أغوص ، وإن عزّ لقاؤها وأعوص[٨] ، وما بَعُدَ العهد بعدُ[٩] مذ كنت ألقيتُ إليك من أطراف الأعذار للتقاعس عن خدمته ، والتقمّص للعزلة عن ناحيته ، وإنّ جراحي إلى الآن لم تذق حلاوةَ الأندمال ، وقروحها تزداد قَرْحاً مع الحلّ والترحال ، وبين الجوانح من الأينْ[١٠] ، لما[١١] لقيت بدمشق من العين[١٢] ، ما[١٣] لا يحلّه إلا عَقْدُ الكفن ، ولا يرفع حَدَثه إلا التيمّم بصعيد المدفن . وسوى ذلك تصعد بسعادتك وتعاين ، ما كان من أمرٍ وما هو كائن ، ويلقاك فلان وفقيهه ، ومهنان ونبيهه ، وزيزان[١٤] ونبيهه ، من كل ذي خُلُقٍ ذميم ، وخَلْق دميم[١٥] ، وأصل لئيم ،

---

(١) سقطت (في جوابه) في « ب » .
(٢) في « ح » : عاقت .
(٣) في « ب » : كأن .
(٤) سقطت اللفظة في « ح » .
(٥) في « ب » : في النشق .
(٦) في « ح » : نقول .
(٧) في « ح » : تدعوننا .
(٨) سقط ما بين العاطفتين من « ح » .
(٩) سقطت اللفظة في « ب » .
(١٠) في « ح » : من الأبن .
(١١) في « ح » : ما .
(١٢) في « ح » : الغبن . وفي « ب » : من العين ما .
(١٣) في « ب » : مما .
(١٤) في « ح » : زيزان .
(١٥) في ب : خالق ذميم ، وخالق دميم .

وفرع زَنيم ، ووجهٍ لطيم ، وقفا كليم ، وهلم جرّا من عذاب أليم ، وصراط في الود[١] غير مستقيم ، ومكاشر مُجَرْمِز[٢] للوثبة ، ومعاشر متوقع للنكبة ، ومضافر[٣] لكن للدهر عليك ، ومدانٍ لكن للشرّ إليك ، وَهَا وَهَا والخطب أفدح ، والسَّهْب[٤] افسح :

قُلتُ لقوم كووا بنارهمُ ... مثلي وصاروا طرائقاً قِددا

طيروا معي تسْعَدوا ولا تقعوا ... قوموا فإنّ الشقيّ من قَعَدا

قالوا عَجِزنا عن أن نفارقهم ... قلتُ فلن تفلحوا إذاً أبدا

فحياتي يا حياتي إذا عاينت فخبرت[٥] ، وباطَنْت فسَبَرْت ، وعرفت تأويل هـذه الرؤيا ، وجنْيت زهرة هذه الرَّيّا ، تُصلّي على الواصف الذي اقتصر ولم يَجْنَف ، وتترحم[٦] على من حرمه أولئك الاوغاد[٧] ، ورود ذلك المَراد ، الذي هو أقصى المراد ، وغاية المرتاد :

فإنّ عظيمات الأمور منوطةٌ ... بمُسْتودَعات في بُطون الأساودِ

ومن جملة ماأحكيه ، لتحفظه عني وترويه ، أن عطا عَطَّ اللهُ فاه ، كما عَطَّ بالدِّرَّةِ قفاه ، وعن قليل يعيش فتراه[٨] ، أفرط في ذمّي ، بعد أن وَلَغَ أمس في دمي ، وأخذ يفاضل بيني وبين كلب لو عقرني لأنفت أن أزجُرَه ، ولو عبدني لتعاليت أن[٩] اذكره ، ولم يرض المأبون أن نتساوى عنده في المنزلة ، حتى عليَّ فضّله ، ولاشك أنه كشف عن شاقوله فشاقله ، ونسنه بعد ذلك وكربله ، ثم إذا شاء أدخله ، وبلغني فمل هذا المولى ، وقطعهُ لسانَ مَنْ هو بما قال فيَّ أولى ، وكنتُ على نيّةِ قصده إمّا للزيارة والإلمام ، وإمّا للاتيان والمقام ، فذكرني أشياء كنتُ

---

(١) في « ب » : الورد . (٢) من جرمز : انقبض واجتمع بعضه إلى بعض . وفي « ب » : مزمجر .
(٣) في « ب » : ومظافر . وظافره على الأمر : عاونه . (٤) في « ح » : والشب . والسهب : الفلاة .
(٥) في « ح » : وخبرت . (٦) في « ح » : وتحرم . (٧) في « ح » : الأولاد
(٨) في « ح » : تعيش وتراه . (٩) في « ح » : عن أن .

نسيتُها ، من هذا الفن بل تناسيْتُها ، ورأيت مقامي حيثُ[١] رأيتُ أني خالي البال ، من مَلامة هؤلاء الأنذال ، محروس الجانب ، من كلّ عاتٍ عاتب ، ومَعيب عائب ، مقيماً بين أشكال .

لا أزيدك شيئاً عمّا وقع عليه العَيان ، فأنت تدعوني إلى شوك ، وأنا اليوم[٢] في سَمَكٍ بلا شوك ، كلاّ وحاشا لا ألبَس هذا الحوك ، إلاّ أن[٣] أكون ذلك الجاهل المائق ، المسنح للمثل السابق ، الفائز بالمعنتيْن ، الملسوع من جُحْرٍ مرّتيْن ، فلعن الله أبا الحسين ، إن عاد إلى لُبْس خُفَّيْ حُنَيْن ، بَيْدَ أن يجري القدَر بإذهاب الجفا[٤] ، وتقذيذ ما في العين من قَذا ، فهنالك[٥] ترى الثقيل من الرجال خفيفاً ، والكثير من العوائق طفيفاً ، وتغصّ دار الهجرة بما تقدم وتلا ، ويغسل ما مَرّ من العيش بما طاب وحلا ، وأمّا على هذه الحال فلا .

وبعد هذا ، أُسْتَدْعَى لماذا ، أنا في الشعر أساح ، والمكتابة لا أصلح ، وبالدعابة لا أعذُب ولا أملُح . وهبني كنت في زمن الشبيبة ، لا أُحْرَم أجْرَ الغيبة ، وأنفق على الحبيب والحبيبة ، وأقنع بالطيبة ، أنا اليوم شيخ خَرِف ، وعُود قرِف ، وعَوْد أنِف ، وعَبْدٌ كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه[٦] لا يأت بخير ، ليس إلاّ الالتحاف بالجدار ، والرضا بالإقتار ، والتشبّه بالأخيار ، والوطء لأقدام الأبرار . أليس الزرع قد ناهز الستّين ، وحسبك به قاطعاً للوتين ؟ .

إلامَ أَلْعَبُ والشيب يَجِدُّ ، وعلامَ أَخْلُق والدهر يُجِدّ ، أمَا[٧] أنظر المَصارع في سواي ، والمقصود به شَواي[٨] .

وأعجبُ من هذه المواعظ ، مخرقتي بها على واعظ . إنما أَوْجَبَ هـذه الفنون[٩] ، وفَتَحَ

---

(١) في « ح » : حتى .
(٢) في « ح » : وأنا الآن .
(٣) سقطت في « ب » .
(٤) في « ب » : الخفا .
(٥) في « ح » : فهناك .
(٦) في « ح » : توجه .
(٧) في « ب » : ما .
(٨) ح شواة : جلدة الرأس .
(٩) في « ب » : العيون .

عيونَ هذه الألفاظ العُون ، ما جرى من ذكر أشعب في كتابه الكريم ، والسجدة بعد[1] لربّك العظيم .

وبعدُ فأنا يقطينة[2] ، إن قلت إنك شيرازيّ الطينة ، أو بغداديّ المدينة ، بل عفريت سليمان ، القادر على إحضار الإيوان ، وعبدك غرس إبليس ، لا عرش بلقيس ، ودق شبرا تِنّيس ، لا دقّ تِنّيس . فإن ضمِنتَ لي السلامة من[3] اغتيال عدوّ دون خدمة المولى ، شمّرت إلى خدمته وذيّلت[4] ، وحططت رحالي بفِنائه وقيّلت[5] . فما غيري بِلُبْس قميص الدّعة مني أحرى . والسلام .

(١) في « ح » : بعده .
(٢) في « ح » : فأيقظته .
(٣) في « ب » : دون .
(٤) سقطت في « ب » .
(٥) في « ب » وقلت .

الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القَيْسَراني العَكاوي[1]

وُلد بعَكَّا ، بلدةٍ على ساحل بحر الرّوم ، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ونشأ بقَيْسارية فنُسِب إليها ، ثم انتقل عنها بعد استيلاء الأفرنج على بلاد الساحل .

صاحب التطبيق والتجنيس ، وناظم الدرّ النفيس ، مَلَكَ القَبول من القلوب والرّغبة من النفوس . وأحب اللّحاق بابن حيّوس[2] . سار شعره ، وسافر[3] إلينا ذكره ، وغلا في سوق الأدب دُرُّهُ ، ونَفِقت في مَتْجر الرغائب غرائبه ، واتّسعت في مِضمار القريض مَذاهبه ، وجادت بالبلاغة السّحبانية سحائبه .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي ، الملقب شرف الدين ، المعروف بابن القيسراني . كان من الشعراء المجيدين ، والأدباء المتفننين ، قرأ الأدب على توفيق بن محمد ، وأبي عبد الله ابن الخياط . كان هو وابن منير شاعري الشام في ذلك العصر ، وجرت بينهما وقائع وماجريات وملح ونوادر . تنقل بين عكا ، وقيسارية ، وحلب ، ودمشق ، وتولى إدارة الساعات التي بها ، وبلغ تاج الملوك بوري بن طُغْتكين ، أنه هجاه . فتنكر له ، فهرب إلى حلب ، ومدح نور الدين محمود بن زنكي صاحبها . وكان عارفاً بالهيئة والنجوم والهندسة والحساب . وعاش سبعين سنة : ولد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعكا وتوفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، بمدينة دمشق ، ودفن بمقبرة باب الفراديس . والخالدي : نسبة إلى خالد بن الوليد المخزومي ، هكذا يزعم أهل بيته ، وأكثر المؤرخين وعلماء الأنساب يقولون إن خالداً رضي الله عنه لم يتصل نسبه ، بل انقطع منذ زمان . والقَيْسَراني نسبة إلى قيسارية بليدة على ساحل الشام . (ابن خلكان ج ٢ ص ١٦ و ١٧ . شذرات الذهب ج ٤ ص ١٥٠ . النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ « يجعل وفاته ٥٤٧ » . ابن القلانسي ٣٢٢) .

(٢) محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن الغنوي ، أبو الفتيان ، أحد شعراء الشام المجيدين . كان منقطعاً الى بني مرداس أصحاب حلب ، ولد في دمشق سنة ٣٩٤ ، وتوفي سنه ٤٧٣ .

انظر ترجمة مفصلة له في مقدمة ديوانه وهو الديوان الذي عني بتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك ، رئيس المجمع العربي ، ونشره المجمع في جزأين (دمشق ١٣٧١ — ١٩٥١) .

(٣) في « ب » وساد .

ذكره مجد العرب العامري[١] وأثنى عليه وعلى ابن منير[٢] ، وقال إنه أخذ من كلّ علم طَرفا ، فنظم من الأبيات الأفراد طُرفا . فمن ذلك بيتٌ أنشدنيه ، أَلمّ ببيت المعري فيه ، الذي شبّه[٣] كَلَفَ البدر بأثر اللّطم وهو :

أَلست ترى في وجهه أثر اللّطم[٤]

فأَخذه القيسَراني وشبّهه بأثر التُّرْب ، في قوله وقد أحسن في الصنعة والمعنى ، وهو :

وأهوى الذي يَهوِي له البدرُ ساجداً ألست[٥] ترى في وجهه أثر التُّرْبِ[٦]

* * *

وأنشدني[٧] الفقيه عليّ الخيمي الواسطي بها ، سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، قال : أنشدني القيسَراني لنفسه بحلب بيتاً من قصيدةٍ استدلّ به على معرفته بالمنطق وكلام الأوائل ، وقد أعجز وأعجب[٨] ، وأبدع وأغرب ، وهو :

إذا كانت الأحداق ضَرْباً[٩] من الظُّبى فلا شكّ أنّ اللحظ ضربٌ من الضَّرْبِ[٦]

قوله : ضَربٌ من الضَّرْبِ ، ضَربٌ من الضَّرَب[١٠] ، بل أحلى منه عند أهل الأدب ، ونوعٌ من محدِثات الطرَب ، والقاضيات بالعَجَب ، وما أحسن وُقوع هذا التجنيس

---

(١) انظر ترجمته في ص ٧٩ الهامش ١ . (٢) هو ابن منير الطرابلسي ، الشاعر المتقدم (انظر ص ٧٦ – ٩٥ من هذا الجزء) . (٣) في « ح » : المعري الذي فيه الذي شبه .

(٤) والبيت : وما كُلفة البدر المنير قديمةً ولكنها في وجهه أثر اللطم

أو اللدم . وهو من قصيدته في رثاء أبي ابراهيم العلوي ، يخاطب أولاده ، ومطلعها :

بني الحسب الوضّاح والشرف الجمّ لسانيَ إن لم أرث والدكم خصمي

(٥) في « ب » : ألستُ . (٦) سيعود العماد إلى ذكر القصيدة (انظر ص ١٢٢) .

(٧) في « ح » : فأنشدني . (٨) لم ترد في « ح » .

(٩) في « ب » : نوعاً . وكذلك في « ب » و « ح » في الصفحة ١٢٣ .

(١٠) في هامش « ح » : بخط مغاير ، الضرب : العسل .

مَوْقعه ، ووَضع المعنى فيه مَوْضعه (١) ، حتى قلتُ في هذا البيت ما أصنعه .

* * *

وأنشدني له الفقيه ابن الخيمي (٢) قطعة مُجَنَّسةً (٣) في لطافة الهواء ، مالكةً رِقّ الأهواء ، خَلَصت من كُلْفة التّكلُّف ، وصفا مَشْربها (٤) عن قذى التعسُّف . فالأشعار المُتكلَّفة المصنوعة ، قلّما يتفق فيها الأبيات المطبوعة ، إلاّ أن يَخُصَّ اللهُ مَنْ يشاء بالخاطر العاطر ، والفِكر الحاضر ، والقريحة الصافية ، والآداب الوافرة (٥) الوافية ، وربّما يَندُرُ (٦) للناظم مُقَطّعاتٌ يُرزَق فيها القَبُول ، كهذه القطعة للقيسَراني التي تسْلُب العقول ، وهي :

لا يَغُرَّنَّكَ بالسّيف المَضاء ... فالظُّبا ما نظرت منه الظِّباء

حَدَقٌ صِحّتها عِلّتها ... ربّما كان من الدّاء الدّواء (٧)

مُرْهَفاتُ الحدّ أمهاها (٨) المها ... وقضاها للمحبّين القضاء (٧)

خَالَ ما بينَ دُماها ودَمي ... فعلى تلك الدُّمى تجري الدِّماء

بَزَّني مَن في يدي ما في يَدي ... يا لَقَوْمي أسرتني الأُسَراء

في لِقاء البيض والسُّمْر مُنىً ... دُونها للبيض والسُّمْر لِقاء

داوِ أنفاسي بأنفاسِ الصَّبا ... فلتمايل الهوى اعتاقَ الهواء

كيف تُشْفَى كبدٌ ما برِحَتْ ... أبداً تأوي إليها البُرَحاء

يا نديمَيَّ وكأسي وَجْنَةٌ ... ضرّجتها باللّحاظ الرُّقباء

(١) في « ح » : ووضع هذا المعنى موضعه .

(٢) في « ح » : الفقيه الخيمي .

(٣) لم ترد اللفظة في « ح » .

(٤) في « ب » : مزنها .

(٥) سقطت في « ح » .

(٦) في « ح » : تندر .

(٧) بين البيتين في « ح » تخالف في التعاقب .

(٨) أحدّها .

لا تَظُنَّ[1] الوردَ ما يَسْقي الحيا إنما الوَردُ الذي يسقي الحياء

* * *

وأنشدني له أُخرى[2] مطبوعة مصنوعة :

أَترى فوّق سهماً من حُسام يا لَهُ مِنْ ضاربٍ باللحظ رام

لحظات بِتُّ منها طافحاً أيُّ سُكرٍ دام من أيِّ مُدام

وبأكناف المُصَلّى جِيرَةٌ لا يُجيرون مُحِبّاً من غَرام

شَغَلوا كلَّ فُؤادٍ[3] بهوى وأمالوا كلَّ سَمْعٍ عن مَلام

وأباتوا كلَّ قَلْبٍ شاردٍ[4] مِنْ هَواهم في عِقال وزِمام

ما عليهم لو أباحوا في الهوى ما عليهم من صِفات المُستَهام

مِنْ خصورٍ وَشّحوها بالضَّنا وعُيونٍ كحلوها بالسَّقام

* * *

وحكى[5] الفقيه عبدالوهاب الدمشقي[6] ببغداد سنة خمسين وخمسمائة قال : دخل القيسراني سنة أربعين وخمسمائة بلد أنطاكِيَة لحاجةٍ[7] عرضت له فنظم مُقَطّعات ، يُشبّب فيها بأفرنجيات . فمنها قولُه في أفرنجية يصفُها بزُرقة العين :

لقد فَتَنَتْني فرنجيّة نسيمُ العبير بها يَعْبَقُ[8]

ففي ثوبها غُصُن ناعمٌ وفي تاجها قمرٌ مُشرِقُ

وإن تك في عينها زُرْقة فإنّ سِنان القنا أَزرق

* * *

(١) كذا في الأصلين . ولعلّه : لا تظنّنّ . (٢) في « ح » : وله من أخرى …
(٣) في « ب » : فؤادي . (٤) في « ح » : شارداً . (٥) في « ح » : حكى .
(٦) انظر هامش ١ ص ٧٩ . (٧) في « ح » : لحاجته . (٨) في « ح » : يعبق .

ومنها يصف أنطاكية :

واحَرَبا في الثُّغور من بلدٍ	يضحك[١] حُسْناً كأنه ثَغَرُ
ترى قصوراً كأنها بِيَعٌ	ناطقة في خِلالها الصُّوَرُ
هالات طاقاتهن آهلةٌ	يَبْسِم في كلّ هالةٍ قمرُ
سَوافرٌ[٢] كلّما شَعَرْنَ بنا	بَرْقَعهنّ الحياء والخفَرُ
مِن كلّ وجهٍ كأنّ صورتَه	بدرٌ ، ولكنّ ليلَه شَعَرُ
فهو إذا ما السُّلُوّ حاربَهُ	كان لتلك الضفائرِ[٣] الظَفَرُ
فيا عَذولي فيهن ، دعْ كَلَفي	وأنظر إلى الشمس هل لها طُرُرُ
وكُنْ مُعيني على ذوي خُدَعٍ	إن سالم القلبُ حارب النظرُ
سِرْتُ وخلّفْتُ في ديارهمُ	قلباً تمنّيت أنّهُ بصرُ
ولم أزل أَغْبِطُ المُقيمَ بها	للقرب ، حتى غَبَطت مَن أُسِرُوا

* * *

ومن ذلك في[٤] كنيسة السّيدة ، وهي قُبّة شاهقة للنصارى بأنطاكية :

متى عُجتَ يا صاح بالسَّيِّدَهْ	فَسَلْ عن فؤاديَ في الأَفئِدَهْ
وقلبك حذّره عن أن يصاد	فإنّ بها للهوى مَصْيدَهْ
وجوهٌ تُباهي قناديلَها	ببهجةِ نيرانها الموقدَهْ
ترى كلَّ مُستضعَفٍ خصرُه	إذا ما دعا طرفَه أنجدَهْ

(١) في « ح » : تضحك . (٢) في « ح » : سوافراً .
(٣) في « ب » : الظفائر . (٤) في « ب » : ومن ذلك كنيسة ...

وذات روادِف عند القيا ... م تحسَبها أنها مُقْعَدَه

وبدر ، من الشَّعْر في غاسق ... يضاحك أبيضُه أسودَهْ

فيالَيَ من ذلك الزِّبْرِقا ... ن إذا زَرْفَنَ الليلَ أو جعَّدَهْ[1]

محلّ خَيالٍ[2] إذا ما رأيـ ... ـت أمردَه ، قلت : ما أمردَهْ

به كل نَشوانةٍ لحظُها ... يطرق بين يَديْ عربَدَهْ

صوارمُ قاطعةٌ في الجفو ... ن فهي مُجرّدةٌ مُغمدَهْ

فيها أنا[3] مَن في سبيل الغرا ... م أورده الحبُّ ما أوردَهْ

فهل لِدَمٍ فات من طالبٍ ... وهيهات أعجز يومٌ غَدَهْ

وكيف يُجازَى بقتل النفو ... س من لم يمدّ إليها يَدَهْ

* * *

ومن ذلك في جارية حسناء اسمها ماريّا[4] تغنّي بالدُّف ، خفيفة الروح في نهاية اللطف ، ومن أصواتها التي تغايظ بها النصارى وتستميل[5] بها قلوب المسلمين :

عِلقتُ بحبلٍ من حبال مُحمَّدٍ ... أمِنتُ به من طارق الحِدْثانِ

فقال[6] فيها بعد البُعد عنها :

ألا يا غزال الثَّغرِ هل أنت منشدي ... علقتُ بحبلٍ من حِبال مُحمّدِ

ويا هَلْ لِذاك اليوم في الدّهر ليلةٌ ... تعودُ ولو عادت عقيماً بلا غدِ

فألقاك[7] فيها هادي الكأس حادياً ... وحسبك من ساعٍ بها ومُغَرِّدِ

---

(١) الزبرقان : القمر ليلة تمامه . زرفن شعره : جعله كالزرافين ، وهي الحلَق الصغيرة . وفي « ح » : ردفن .

(٢) في « ب » : حيال . (٣) في « ب » : فهل أنا . (٤) في النسختين : باريّا .

(٥) في « ح » : وتستميل قلوب .. (٦) في « ح » : قال . (٧) في « ح » : فألقاك .

أَلا حَبّذا عاري المحاسن عاطلٌ ... مُحَلّى بأثواب[1] المـلاحة مرتدِ

إذا ما الأَماني ما طلتني بوَعْدها ... ذكرتُ له وصلاً على غير موعدِ

وعهدي بماريّا سقى الله عهدها ... بما عندها من حاجة الهائم الصَّدي

وفي ذلك الزُّنّار تمثالُ فضّةٍ ... تُنَقِّطُ خدَّيْه العيونُ بعَسْجَدِ

وقد غلب المصباحُ فيه على الدُّجى ... سنا قمرٍ في جُنح ليلٍ مجعّدِ

وكنت إذا عِفْتُ الزجاجةَ مَوْرداً ... سقَتْني رُضاباً في إناءٍ مورَّدِ

فيالِيَ من وجهٍ كقنديل هيكلٍ ... عليه من الصُّدغين مِحْرابُ مَسجدِ

لقد أَسرتني حيث لا أَبتغي الفدا ... فقالْ في أَسيرٍ لا يُسَرّ بمفتدي

* * *

وقد قصد بقصائده، ووفد بفوائده، واُسترفد بفرائده، ووصل إلى المَوْصِل، لاُجتداء الجوادِ المُفْضِل، مَنْبَع الجود، ومَقْصِد الوُفود، والبحر المورود، ومَعْدِن الإفضال، وقِبلة الإقبال، وكعبة الآمال، وكهف الملهوفين، وموئل المعتفين، وثِمال[2] المُستضعَفين، الذي لم يُسمع له بقِرْن في القرون الماضية، ولم يَسمح الزمان له بمِثْل في العصور[3] الخالية، ذي[4] الآلاء المتلألئة المتوالية، مُسْتَعْبِد الأحرار بإحسانه الغَمر، ومُطَوِّق الأعناق أطواق البِرّ، الجامع بين كسب الحمد والأجر، الصّدر الكبير، الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور[5]، فنظم قصائد راغماً في جميل الجمال، وأمّ بها فِناءَهُ في جملة بنى الآمال، ولم يزل

---

(١) في «ح»: بأنوار. (٢) ثِمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم.

(٣) في «ح»: العُصُر. (٤) في «ب»: ذا.

(٥) الجواد جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي الأصبهاني وزير صاحب الموصل أتابك زنكي، كان رئيساً نبيلاً، مفخماً، دمث الأخلاق، سمحاً كريماً مفضالاً، متنوعاً في أفعال البر والقرب، مبالغاً في ذلك حتى عرف بالجواد، وصار ذلك كالعلم عليه، لايقال له إلا جمال الدين الجواد. وقد وزر أيضاً لولد زنكي —

يَمِد إليه ببضائعه ، ويستفيد من صنائعه ، ويستكثر من مدحه ، ويستمطر مزن منحه[١] ، فتنجح مقاصدُهُ عنده بقصائدِه فيه . وقد أثبتُّ منها ما عقدت عليه خِنْصَر الاختيار ، وثنيتُ إليه عِنان الانتقاد ، فذاك[٢] أجود ما سمعت من منظومه[٣] في الأفاضل ، وأذعت من مكتومه في الفضائل . فمن جملته[٤] ما أنشدنيه الواعظ الرحبي في مِدحته له[٥] ، وذكر أنه أنشده بالموصل :

ليت القلوب على نظام واحدٍ	ليذوقَ حَرَّ[٦] الوجد غيرُ الواجدِ
فإلامَ يَهْوى القلبُ غيرَ مُساعِفٍ	بِهَوًى ، ويَلْقى الصبُّ غيرَ مساعِدِ
نمَّتْ عن الشكوى وأرَّقني الجوى	يا بُعْدَ غايةِ ساهرٍ من هاجدِ
أضللتُ قلباً ظلّ[٧] يَنْشُد لُبَّهُ	مَنْ لي بوجدان الفقيد الفاقدِ
ونهت مدامعيَ الوشاةُ فرابَهُم	شاكٍ صبابَتَه بطرفٍ جامدِ
ولو انهم سمعوا أليَّةَ عبرتي	في الحبّ لأتَّهَموا يمين الشاهدِ
أشكو إليك فهل عليك غضاضة	يا مُمْرِضي صَدًّا[٨] لو أنك عائدي
يا مَنْ إذا ما نمتُ أوقع بي الكرى	غَضَباً لِطَيْفٍ خياله المتعاهِدِ
أمّا الرُّقاد فلو يكون بصحة	ما كان ناظرك السقيم براقدِ

ـ سيف الدين غازي ثم لأخيه قطب الدين مودود مدة ثم قبض عليه سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وحبسه في قلعة الموصل . ولم يزل مسجوناً بها إلى أن توفي في العام التالي . وكان يومُ وفاته مشهوداً من ضجيج الضعفاء والأرامل والأيتام حول جنازته ، ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ، ثم نقل إلى مكة فالمدينة ودفن فيها بالبقيع . (ابن خلكان « الميمنية » ج ٢ ص ٧٢ – ٧٤ . شذرات الذهب ج ٤ ص ١٨٥)

(١) في « ح » : من منحه .
(٢) في « ح » : فذلك .
(٣) في « ح » : من منثوره .
(٤) في « ب » : فمن جملة .
(٥) في « ح » : له في مدحته .
(٦) في « ح » : خير .
(٧) في « ح » : كان .
(٨) في « عود الشباب » : صافاً .

أهوى الغصون وإنما أَضنى الصَّبا[١] شوقُ النسيم إلى القضيب المائدِ
ويَهيجني برق الثغور وإن سما في ناظريّ خلال غيث ساهدِ
بَكَرتْ على بالي الشّباب تلومُهُ عَدّي الملامةَ عن حَنين الفاقدِ
ما زال صَرْفُ الدَّهْرِ يَقْصِر[٢] هِمّتي حتّى صرفتُ إلى الكرام مَقاصدي
وإذا الوفود إلى الملوك تبادرتْ فعلى جمال الدين وفدُ محامدي
فَلْتَعْلَمَنْ[٣] ظُلَمُ الحوادث أَنني يمّمتُ أَزهرَ كالشّهاب الواقدِ
يُمْضي العزائمَ وهي غيرُ قواطعٍ ما السّيف إلاّ قوةٌ في الساعدِ
باقٍ على حكّ الزّمان ونقدهِ ومن الصحيح على امتحان الناقدِ
يلقاكَ في شرف العُلى متواضعاً حتى تَرى[٤] المقصودَ مثلَ القاصدِ
وإذا دنت يمناه من مُسْتَرفِدٍ لم تَدْرِ[٥] أيُّهما يمينُ الرّافدِ
أُمْنِيَّةٌ للمُعتَفي ، وَمَنِيَّةٌ للمعتَدي ، وشريعةٌ للواردِ
وَلِعٌ بأَسهُمِ فكرِه ، فإذا رمى أَصْمى بها غرض[٦] المدى المتباعدِ
يتصرف[٧] المتصرّفون بأمرِهِ عن حُكْمِ أمرٍ نافذٍ لا نافدِ[٨]
لا تحسَبوا أَني انفردتُ بحَمْدِه هيهاتَ ، كم مُحمَّدٍ مِنْ حامدِ
يا مُستَرِقَّ الماجدين بفضلِه والفخرُ كلُّ الفخر رِقّ الماجدِ
أقلامُكَ القدرُ المُتاحُ فما جرى إلاّ جرت بفواقرٍ وفوائدِ

(١) في « ح » : الضنا . (٢) في « ح » : يقصد .
(٣) في « ب » : فليعلمن . (٤) في « ب » : حتى يُرى المقصود .
(٥) في « ب » : لم يدْر . (٦) في « ح » : عرض .
(٧) في « ب » : تتصرف . (٨) في « ح » : نافذ لا نافد .

مِنْ كلِّ أرقشَ مستهلٍّ ، ريقُه[1] أفواه بيضٍ أو ثغور أساودِ

تُزجي[2] كتائبَه الكتائبَ تلتظي لَهباً أمام مُسالمٍ لمعانِدِ

كم مِنْ وَلِيٍّ قلّدَتْهُ ولايةً عقد اللِّواء لها ثناء العاقدِ

حتّى إذا سَلَكَ العَدُوُّ سبيلَها فعلى طريق مَكامنٍ ومكائدِ

تستام أمثالَ الكلامِ شوارداً فتبيتُ عندكَ في حِبالة صائدِ

تلك البلاغة ما تُمَلِّك عفوُها بيديك إلاّ بَذّ[3] جهدَ الجاهدِ

ولقد لَحَظْتَ المُلكَ منهوبَ الحمى مِنْ جانبَيْه فكنتَ أوّلَ ذائدِ

ربّيتَ بَيْتَ المالِ تربيةَ امرئٍ يحنو عليه بها حُنُوَّ الوالدِ

أشعرتَ نفسَك مِنْه يأسَ نَزاهةٍ ومنحتَ همّك منه بأسَ مُجاهدِ

فَممالكُ السُّلْطان ساكنةُ الحشا مِنْ بعدِ ما كانتْ فريسةَ طاردِ

عطفتْ على يدكَ المساعي رَغْبةً نظرت إلى الدّنيا بعين الزاهدِ

وثنتْ أعِنَّتَها إليك مناقِبٌ يا طالما كانت نشيدةَ ناشدِ

مَجْدٌ على عرشِ السِّماكِ وهِمّةٌ ترقى السُّها بجَناحِ جَدٍّ صاعدِ

وعُلًى يجوز[4] بها المدى حَسَدُ العِدى[5] إنّ العُلى مَنصورةٌ بالحاسدِ

يا حبّذا همٌّ إليك أصارني وعزيمة تقفو رياضةَ قائدِ

أنا روضة تُزْهى بكلّ غريبةٍ أَ فرائدي من لم يفز بفرائدي ؟

إن ساقني[6] طاب الغنى ، أو شاقني حُبّ العُلى ، فلقد وردْتُ مواردي

---

(١) في « ح » : يستهلّ بريقه .
(٢) في « ب » : ترجى . (٣) في « ب » : بذّ .
(٤) في « ب » : يحوز ، وفي « ح » : يجور . (٥) في « ح » : حدّ العلى . (٦) في « ح » : شاقني .

ومتى عَددتُ إلى نَداك وسائلي … أعْدَدْتُ قصدي من أجلّ مقاصدي[١]

حتى أعودَ من أُمتداحك حالياً … وكأنني قُلِّدتُ بعض قلائدي

ما كانت الآمال تكذِبُ موعدي … أبداً ، وحُسْنُ الظنّ عندك رائدي

* * *

ومن جماليّاته[٢] الفائقة ، الرائعة الرائقة :

لِمَنِ القَوام السَّمْهَرِيُّ ، سِنانهُ … ما أرهفتْ من لحظِها أجفانهُ

إن كان نازَعَك الهوى إنكارُهُ … فَمَنَ الذي بعث الهوى عِرفانهُ

ظَبْيٌ ، صوارمُ مُقلتيه أسِنَّةٌ … فبناظريْه ضِرابُه وطِعـانهُ

لَهِجٌ بكأس جُفونه ، وقَوامُهُ … أبداً نزيفُ رحيقها سكْرانهْ

كَفلَتْ سُلافةُ خدّه من صُدغهِ … أنْ لا يُفارق وَرْدَها ريْحانهُ

وبنفسيَ الرَّشأُ المُتَرْجِمُ طَرْفُهُ[٣] … عن بابل هاروتُها إنسانهُ

لا وَصْلَ إلاّ ما تجود[٤] به النوى … من طيفِه ، فوِصاله هِجْرانهُ

حكّمْتُه فقضى[٥] عليّ قضاؤه … وهَوى الأَحبّةِ جائرٌ سُلطانهُ

أدمى جفونَ الصّبِّ صَبُّ دموعه … نعمةً ، وضاق بسرِّه كتمانهُ

ضِمن الفريق فراق أغصان اللّوى … أفبينَهُ ضمن الجوى أمْ بانَهْ

يا فضلُ ، ما للفضل هيض جناحُه … فَبَدَتْ زمانته[٦] وضاع زمانهْ

---

(١) في « ب » : قصائدي . (٢) يريد قصائده في الممدوح السابق الوزير جمال الدين (انظر ص١٠٢) .

(٣) في « ح » : لفظه . (٤) في « ب » : ما يجود .

(٥) في « ح » : فضى . (٦) في « ح » : زمانته .

قَعَدَ السَّماحُ به، وكم من ناهضٍ ضاقت لُبانتُه فضاق لَبانُهُ (١)

ومخلَّفٍ، ما كان يبلغُ شأوَهُ لو لم يكن بيدِ القضاءِ عِنانُهُ

ومروَّعٍ سكنتْ خوافقُ أمنهِ لولا جمالُ الدين عزَّ أمانُهُ

مَنْ نال قاصيةَ المطالب جودُهُ والغيثُ ماملأَ الرُّبى (٢) هَطَلانُهُ

واستوعبت غُرَرَ الكلام فنونُه واستوسقت (٣) ثمرَ العلى أفنانُهُ

أذكى الأنامِ إشارةً وعبارةً ما المرءُ إلاّ قلبُهُ ولسانُهُ

ففروعُه تُنْبيك عن أعراقه وكفاك مِنْ خَبَرِ النسيبِ عِيانُه

وإذا أردتَ محلَّه من مجده فترقَّ حيث سماؤه (٤) إيوانُه

شرفٌ، تفيَّأتِ الملوكُ ظلالَه وعُلىً على هِمَّاته بنيانُه

ما أغمدوا سيفَ ابن ذي يزنٍ به إلاّ تقاصر عندها غُمْدانُه

جدٌّ تمكَّنَ من ذُؤابة منصبٍ لو نالها العَيُّوق جُنَّ جَنانُه

فَلِبَيْتِ مال المُلك مِنْ عزماته طمّاحُ طَرْفِ كفايةٍ، يقظانُهُ

يغدو (٥) عليه ثقيلةً أكمامُه ويروح عنه (٦) خفيفةً أردانُه

لا تجزَع الأهواءُ ثاقبَ رأيه والرأيُ مملوكٌ عليه مكانُه

مُسْتَظْهِرٌ بولاته: فكفاتُهم نوّابُه، وثقاتُهم أعوانُه

يغدوهُمُ تأنيبُهُ، ويخصُّهم تهذيبُه، ويعمُّهم إحسانُه

---

(١) اللبانة: الحاجة. اللبان: الصدر.

(٢) في هامش «ب»: ما غمر، وفي «ح»: ما غمر الندى.

(٣) في «ب»: واستوثقت. (٤) في «ح»: سما به.

(٥) في «ح»: يعدوا. (٦) في «ب»: غير.

وإذا أنتضوْا أقلامهم لِمُلِمَّةٍ … أبصرتَ مَنْ كُتّابِه فرسانَهُ

ميثاقُه حَرَمٌ لخائف بأسِهِ … يُغنيك عن أيْمانِهِ إيمانُهُ

وَقفَ الحِسابُ عليهِ رَكْضَ إصابةٍ … لا البرقُ يدركها ولا سَرْعانُهُ[1]

وثنى الخطابَ إليهِ فضلُ فصاحةٍ … لا قُسُّهـا منهُ ولا سَحْبانُهُ

هذا وإن تكن أتّصالات العُلى … تقضي بسعدٍ فالقِران قِرانُهُ

أمحمدُ بنَ عليّ أعتنقَ الأسى … فكري فضاق بفارسٍ مَيْدانُهُ

ما بالُ حادي المجد مغبرّ المدى[2] … وأخو الهُوَيْنا روضةٌ أعطانُهُ

هَبْني جنيْتُ على نَداكَ جِنايةً … تُقضى ، فأين جنونهُ وجَنانُهُ

وأنا الذي لا عَيْبَ فيه لقائلٍ … ما لم يَقُلْ هذا الزمان زمانُهُ

فهلِ المحامِدُ ضامِناتٌ عنك لي … مَغْنىً ، على هذا البيانِ بيانُهُ

وهي القوافي ما تناظَر بالنَّدى … إلاّ وقام بفضلِها برهانُهُ

ما كان بيتُ فضيلةٍ في[3] فارسٍ … إلاّ ومِنْ عربيّتي سَلْمانُهُ

* * *

ومما أنشده بالرّقة ، قصيدة مزجت الجزالة بالرّقة ، يهنّيه[4] فيها بفتوح مدينة الرُّها ، وذلك سنة[5] وخمسمائة[6] . وهي :

أَما آن أن يزهَق الباطِلُ … وأنْ يُنْجِز العِدَةَ الماطِلُ

(١) سَرَعان وسَرْعان الخيل : اوائلها السابقون . والسَرْعان : السريع . (٢) في « ح » : الندى .

(٣) في « ح » : من . (٤) يقصد الممدوح السابق وزير العماد زنكي (انظر ص١٠٢) .

(٥) فراغ في « ب » . وكان فتح الرها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة : فتحها عماد الدين زنكي .

(٦) سقط ما بين الفاصلتين من تحديد التاريخ في « ح » .

إلى كم يُغِبُّ ملوكَ الضلا … لِ سيفٌ بأعناقها كافِلُ

فلا تَحْفَلَنَّ بصَوْلِ الذّئاب[1] … وقد زأر الأَسدُ الباسِلُ

كذا ما اُنثنتْ قطّ صُمُ[2] الرّما … ح أو يَتَثَنَّى القنا الذابل

هو السيف إلاّ تكنْ حاملاً … لِبزّتِـهِ بَزَّك الحـامل

وهلْ يمنعُ الدينَ إلاّ فتىً … يصولُ اُنتقاماً فيستاصل

أَبا جعفرٍ ، أشرقتْ دولةٌ … أَضاء لهـا بدرُك الكامِل

فإما نُصِبتَ لرفعِ اُسمِهـا … فإنكما الفعلُ والفـاعل

بكَ اُنقادَ جامِحُهـا المُصْعَبيُّ … وأخصب جانبُها الماحِلُ

لِيَهْنِك ما أَفرج النصر[3] عنه … وما ناله الملكُ العـادل

فُتوح الفتوحاتِ ، نظم[4] القنا … ة أَعلى أَنابيبها العامِلُ

فقلْ للحِقاق الطريقَ الطريقَ … فقد دَلَفَ المُقْرَم البازِل[5]

وجاهد في الله حقَّ الجِهـا … د مُحْتَسِبٌ بالعُـلىٰ قافِل

بجيشٍ إذا أَمَّ وِرْدَ الثّغور … يروّى به الأَسَلُ النّاهِلُ

إذا شمَّرَ البأس[6] عن ساقه … مضى وهو في نَقْعه رافِل

فيا نعمةً شمَلَ الشـاكريـ … ـنَ فضلَكَ إفْضـالُها الشـامِلُ

تَمَخّضَ عزمٌ لهـا مُنجِبٌ … فياسَعْدَ ما وَضَعَتْ حامِلُ

---

(١) في «ح» : بصوت الذباب . (٢) في «ح» : تمر . (٣) في «ح» : الصرّ . (٤) في «ح» : تظم .

(٥) الحقاق : ج مفرده حِق وهي من الإبل الطاعن في الرابعة ، للذكر والأنثى ، سمّي بذلك لاستحقاقه أن يُحمل عليه ويُنتفع به . المقرم : البعير المكرم لا يحمل عليه . البازل : البعير في التاسعة . (٦) في «ح» : اليأس .

غداةَ ولا رُمْحَ دونَ الطِّعا ... ن إلاّ وعَقْرَبُه شائلُ
ولا نَصْلَ إلاّ له بارِقٌ ... دِماء الطُّلى تحتـه وابل[١]
وقد قلّدوا السَّيفَ تحصينَهم ... ولكنّه الناصِر الخاذِلُ
وهل يُمْنَعُ السُّورُ مِنَ طالعٍ ... يشـايعُهُ القـدرُ النّازِل
شققتم إليهـا بحارَ الحديـــــد مُلتَطِماً موْجُهُ الهـاطِلُ
وخُضتُمْ غِمارَ الرَّدَى بالرَّدَى ... وعن نَفْسِهِ يدفَعُ القاتل
فإنْ يكُ فتحُ الرُّها لُجَّةً ... فساحلُها القُدْسُ والساحل
فهل عَلِمَتْ عِلْمَ تلك الديا ... ر أنّ المُقيمَ بها راحل
أرى القُسَّ يأمُلُ فَوْتَ الرِّماح ... ولا بدَّ أنْ يُضْرَبَ السابل[٢]
يُقوّي معاقِلَه جاهِداً ... وهل عاقِلٌ بَعْدَها عاقِل
وكيف بِضبطِ بواقي الجِها ... ت مَنْ فات حِسْبَتَه الحاصل
بِرأيك في الحرب أمْ لفظك اسـ ... ـتفادَ إصابتَهُ النابل[٣]
وعن حَدِّ عزمِك في المُشكِلاتِ ... قضى فَمَضَى الصّارِمِ القاصِل
نشرتَ الفضائل بعدَ الخُمولِ ... ألاَ رُبَّما نَبُه الخاملُ
وحُطْتَ البلاد على نأيِها ... كأنّك في كُلِّها نازِل
أتَعْـفو المَمالكُ مِنْ حافظٍ ... وصدرُك من حِفْظِها آهل
ولِمْ لا تُحيطُ بآفاقِهـا ... وفي يَدِكَ الصّامِتُ القائل[٤]

(١) في « ح » : دابل . والطُّلى ج الطُّلية والطُّلاة : العنق .   (٢) في « ب » : السابل .
(٣) في « ب » : النابل .   (٤) في « ح » : القاتل . والصامت القائل هنا كناية عن القلم .

إذا ما عَلا الخَمْسَ في حَوْمَةٍ فـارسُ بُهْمَتِهـا[1] راجِلُ

يُفيضُ على الطِّرس سحرَ البيان كـأنَّ بَنانَتَـهُ بابِـل

متى تُرِكَ الحدُّ والمرْهَفاتِ فأَحْمَدُها القاطِـع الواصل

بسابقةِ العِلْمِ فُتَّ الأَنامَ وهل يُدرِكُ العالمَ الجاهلُ

إذا خطب الأكرمون الثّناء فأكرمُ[2] أصهارِك الفاضِلُ

أَعِزَّ الكُفاةِ وتاجَ العِراق ومَنْ كَفُّهُ بالنَّدى حافِلُ

تَأَمَّلْ مطالِـعَ هذا الكلامِ وإلاّ فكوْكبُهُ آفِلُ

أرى القومَ تَلْقَحُ آمالُهم وحاليَ مِنْ دُونه حائل

فهل لي على البُعْد من قُرْبَةٍ يُديل بها فَضْلُك الدائل

فإنّ الغَمام بعيدُ المَنالِ وفي كلّ فَجٍّ له نائلُ

وأنتَ الزّمانُ وأنتَ الأما نُ مِنْ كلّ ما يَفْرَقُ الذّاهِل

وأنتَ الحليُّ على المَكْرُمات فلا وُصِفَتْ أنها عاطل

* * *

وله في مدح الملك الغازي نورالدين محمود بن زنكي[3]، صاحبِ الشّام سنةَ أربع وأربعين وخمسمائة ، قصيدةٌ اُسْتَحْسَنْتُ[4] في فنّها ، لسلاستها في نظمها ورويّها ووزنها ، فكأنها عَروسٌ أبرزت من كِنّها ، أو دِيمَةٌ وَطِفَتْ من مُزْنها ، أو رَوْضَةٌ أُنُفٌ في حسنها ، وهي :

---

(١) في « ح » : ففارسها بهمة . والبهمة : الخطة الشديدة . والجيش . والخمس : يريد الأصابع الخمس .

(٢) في « ب » : فأفضل . (٣) انظر في التعريف به هامش ٢ ص ٧٨ . (٤) في « ب » : استحسنها .

أَبْدَى السُلُوَّ خديعةً للّائمِ وَحَنا الضّلوعَ على فؤادٍ هائمِ
ورأى الرّقيبَ يحُلُّ ترجمةَ الهوى فاُستقبلَ الواشي بثغرٍ باسم
ومضى يُناضِل دونَه كتمانه ما الحبّ إلاّ للمحب الكاتم
من فَضَّ خَتْمَ لسانِه عن سِرِّه ختمت أناملَه ثنيّةُ نادِم
ومُهَفْهَفٍ لعِبَ الصِّبا بقوامِه لَعِبَ النُّعامى[1] بالقضيب الناعم
حَرَمَ الوِصالَ وأَرْهِفتْ أجفانُهُ فأتاكَ ينظر صارماً مِنْ صارم
وَلَكَمْ جرى طرْفي يعاتِبُ طَرْفَه لو يسمعُ السّاجي حديثَ السّاجِم
إني لأَرْحَمُ ناظريْه من الضّنا لو أَنّ مرحوماً يَرِقُّ لِراحم
للهِ موقفُنا وقد ضرَب الدُّجى سِتْراً علينا من جُفون النائم
وفمي يُقبِّلُ خاتَماً في كفه قُبلاً تغالط[2] عن فمٍ كالخاتم
كيف السّبيلُ إلى مَراشِفِ ثَغْره عينُ الرّقيب قذاةُ عيْن الحائم
نَلْحَى[3] الوُشاةَ وإنّ بين جفوننا لَمدامعاً تَسْعَى لها بنائم[4] [5]
يا أيُّها المُغْرى بأخبار الهوى لا تُخْدَعَنّ عن الخبير العالم
إسْأَل ، فَدَيْتُك ، بالصبابة لِمَتّي واسأَلْ بنُورِ الدين صَدْرَ الصارِم
ومُعَطّفــاتٍ[6] ترتمي بأَجنّةٍ ومُثَقّفــاتٍ تهتدي بلَهاذِمِ

---

(١) النُّعامى : ريح الجنوب . (٢) في « ب » : يغالط .

(٣) في « ب » : يلحى . (٤) في « ح » : بتمائم .

(٥) في هامش « ب » : أخذه من قول أبي الطيب : ونتهم الواشين . قلت : يشير إلى قصيدته :

نرى عِظماً بالبين والصدُّ أعظمُ ونتهم الواشين ، والدمعُ منهمُ

وهي القصيدة التي قالها في مدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم . (٦) صفة للقسي .

ومُسَوَّمات[١] لستَ تدري في الوغى … بقوائمٍ يُدْرِكْن أم بقوادمِ

كلُّ ابنِ سابقةٍ إذا ابتدر المدى … فلغير غُرّتِه يمينُ اللاطمِ

يرمي بفارسه أمامَ طريده … حتى يُرى[٢] المهزومُ خَلْفَ الهازمِ

يُنْمى إلى مَلِكٍ إذا قُسِم النّدى … والبأسُ كان المُكتفي بالقاسمِ

مُتَسَرْبِلٌ بالحزمِ ساعةَ تَلْتقي[٣] … حَلَقُ البِطانِ على جوادِ الحازمِ

ما بَيْنَ مُنْقَطَعِ الرِّقاب وسيفِه … إلاّ اتّصالُ يمينه بالقائمِ[٤]

سامَ الشآمَ ويالَها من صفقةٍ … لولاه ما أعْيَتْ[٥] على يدِ سائمِ

ولَشَمَّرَتْ عنها الثّغور وأصبحت … فيها العواصمُ وهي غيرُ عواصمِ[٦]

تلك التي جَمَحَتْ على مَنْ راضها … ودعوتَ فانقادتْ بغير شكائمِ

وإذا سعادتُك اجتبَتْ[٧] في دولةٍ … قام الزّمانُ بها مَقامَ الخادمِ

يا ابنَ الملوكِ، وحسبُ أنصار الهدى … ما عندَ رأيك من ظُبىً وعزائمِ

قومٌ إذا انتضت السيوفَ أكفُّهم … قدتَ الصواعقَ في متونِ غمائمِ

من كلِّ مقصور البيان[٨] بعُجمةٍ … وهل الأسودُ الغُلْبُ غيرُ أعاجمِ

أو مُفْصِحٍ يَقْري الصّوارم في الوغى … أسخى هناك بنفسه من حاتمِ

حصِّنْ بلادك هيبةً لا رهبةً … فالدّرعُ من عُدَدِ الشجاعِ الحازمِ

وارْمِ الأعادي بالعوادي إنّها … كفلتْ بنيلِ قديمهم والقادمِ

---

(١) في «ب»: ومسبّهات. والمسوّمات: الخيل الموسومة.

(٢) في «ح»: يُرى.

(٣) في «ب»: ملتقي؛ وفي «ح»: يلتقي.

(٤) في «ح»: والقائم.

(٥) في «ح»: أعنت.

(٦) في «ح»: صوارم.

(٧) في «ب»: اجتبت.

(٨) في «ب»: اللسان.

أهلاً بما حملتْ إليك جيادُهم ما في ظهور الخيلِ غيرُ غنائم

وأُسائل[١] فوارسَ حاكموك[٢] إلى القنا في الحرب، كيف رأوْا لسان الحاكم

تلك العواملُ أيّ أفعال العدى ما سكّنتْ حركاتِها بجوازم

هيهاتَ يَطْمَع في محلّك طامعٌ طال البناءُ على يمين الهادم

كلّفتَ همتك العُلوَّ[٣] فحلَّقتْ فكأنّما هي دعوةٌ في ظالم

قَطَنَتْ بأوطان النجوم فكمْ لها من ماردٍ قَذَفَتْ إليه براجم

أنشأتَ في حاب غَمامةِ رأفةٍ أمددتَ دِيمتَها بنَوْءٍ دائم

ألحقتَ أهل الفقر فيها بالغِنى أمْنُ المؤمِّلِ[٤] ثروةُ العادِم

وأظنّ أن الناس لمّا لم يروْا عدلاً كعدلك أرجفوا بالقائم[٥]

فتهنَّ أوصاف العُلى منظومةً فالدُرُّ أنفَسُه بكفّ الناظم

جاءتك في حُلَلِ النّباهة حاسراً تختالُ بين فضائل ومكارم

عربيةً أنسابُها لو أنها لحقتْ أميّةَ لانْتَمَتْ في دارم

وتملَّ غُرّةَ كلّ فِطْرٍ بعدهُ متسَرْبِلاً أسنى ثواب[٦] الصائم

لا زال وجهك في عقود سُعوده بدرَ التّمام مُقلَّداً بتمائم

* * *

(١) في « ح » : وأسل .

(٢) في « ح » : حاكمون .

(٣) في « ح » : السموّ .

(٤) في « ب » : المموّل .

(٥) هو المهدي المنتظر الإمام أبو القاسم ، ولد سنة ٢٥٦ وتغيب سنة ٢٦٥ . ويعبرون عنه بصاحب العصر وقائم الزمان .

(٦) في « ح » : ثياب .

وله قصائدُ في مدح آبق[1] ملك دمشق وجدّه[2] ممدوح ابن الخياط[3]. ورأيته ببغداد بعد استيلاء نور الدين[4] محمود بن زنكي على ولايته في الأيام الإمامية المقتفوية[5] سقاها الله[6] صَوْب الغفران، وحيّاها بحيا الرضوان. وذكر أنه أنشدها في سنة سبعٍ وأربعين وخمسمائة[7]، أثبتُّ منها هذه القصيدة لاقتصادها في الصنعة والنظم، واعتلاقها لسلاستها بالفهم، وهي:

أقدُّك الغصنُ أم الذابلُ ومُقلتاك الهندُ أم[8] بابلُ

---

(١) الأمير، الملك المظفر مجير الدين (وفي شذرات الذهب محيي الدين) آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين، أبو سعيد التركي، صاحب دمشق قبل نور الدين، أخذها منه نور الدين سنة ٥٤٩ ه، وابن صاحبها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري التركي ثم الدمشقي. ولد ببعلبك في إمرة أبيه عليها، وولي دمشق بعد أبيه خمس عشرة سنة، وملّكوه وهو دون البلوغ، وكان المدبّر لدولته أُنُر (انظر ص ٩١ هامش ٥)، فلما مات أنر انبسطت يد آبق ودبّر الأمور الوزير الرئيس أبو الفوارس المسيب بن علي بن الصوفي (انظر ص ٩١ هامش ٣) ثم غضب عليه واستوزر أخاه ثم استوزر عطاء بن حفاظ. ولما انفصل عن دمشق توجه إلى بالس ثم إلى بغداد فأقطعه المقتفي وأكرمه. توفي سنة ٥٦٤ ه كما في الشذرات وسنة ٥٦٥ كما في النجوم. (شذرات الذهب ج ٤ ص ٢١١ – ٢١٢. تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٣٧١. ابن القلانسي. النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٨١).

(٢) هو تاج الملوك بوري بن طغتكين، صاحب دمشق. توفي سنة ٥٢٦ ه (شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٨)

(٣) أبو عبد الله أحمد بن محمد. الشاعر الدمشقي الكاتب. كان من المجيدين، طاف وامتدح ولقي ابن حيّوس في حلب فقال عنه: نعاني هذا الشاب إلى نفسي. أخذ عنه ابن القيسراني. ولد بدمشق سنة ٤٥٠ وخصّ ببعض مدائحه صاحبها تاج الملوك بوري، وتوفي بها سنة ٥١٧ ه. (تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٦٧، شذرات الذهب ج ٤ ص ٥٤ – ٥٥. ابن خلكان ج ١ ص ٥٤. ابن كثير ج ١٢ ص ١٩٣)

(٤) لم ترد (نور الدين) في «ب». (وانظر ترجمته في ص ٧٨ هامش ١).

(٥) يريد أيام الخليفة العباسي أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله ابن المستظهر. ولي بين سنة ٥٣٠ ه – ٥٥٥.

(٦) سها ناسخ «ب» عن ذكر لفظ الجلالة.

(٧) سقطت الجملة: وذكر ... وخمسمائة، في «ب».

(٨) في «ح»: أو.

سِحْران : هذا طاعنٌ ضاربٌ — وتلك فيها[١] خَبَلٌ خابل[٢]

واكبدي مِنْ فارغٍ لم يزل — لي من هَواه شُغُلٌ شاغل

ظَبْيٌ متى خاتلته قانصاً — رجعت والمُقْتَنَص الخاتل[٣]

لِمَتُه أم أرقمٌ هـائجٌ — وصُدغه أم عقربٌ شـائل

وطرفُه الفاتك أم لحظه — ذا سائف طوراً وذا نابل

يشربُ كأساً طلعتْ في يدٍ — كوكبُها في قمرٍ آفل

كأنه ، والجـــامُ في كفه — بدر الدُّجى في شَفَقٍ ناهلُ[٤]

غصنُ النَّقا يحمل شمسَ الضحى — يا حبّذا المحمول والحاملُ[٥]

أسمرُ كالأسمر من لحظه — له سِنانٌ جيدُه العامِلُ

مَلاحةٌ بالبخل مقرونةٌ — كلُّ مَليحٍ أبداً باخلُ

---

(١) في « ب » : فيه . ولعلّه : وذاك فيه .

(٢) في « ح » : حابل . (٣) في « ح » : والمنتقص الحابل .

(٤) في هامش « ب » التعليقة التالية : أول هذا الحسين بن الضحاك :

كأنما نُصب كأسه قمر — يكرّع في بعض أنجم الفلك

وتبعه النـــاس وهو كثير .

قلت : وانظر في الأغاني روايات أخرى للبيت . والحسين بن الضحاك ، ويلقب بالخليع والأشقر ، من شعراء العباسية وعمر قريباً من المائة (١٦٢ — ٢٥٠) . أصله من خراسان ، ولد ونشأ بالبصرة وتوفي ببغداد . نادم الخلفاء ومدحهم ، وكان الأمين أول من جالسه من الخلفاء . ولما ظفر المأمون خافه الخليع فانصرف إلى البصرة حتى صارت الخلافة للمعتصم فعاد ومدحه ثم مدح الواثق بعده .

أخذ أبو نواس معناه هذا فقال :

إذا عبّ فيها شاربُ القوم خِلته — يقبّل في داجٍ من الليل كوكبا

(انظر السابع من الأغاني « دار الكتب » والأعلام)

(٥) في هامش « ب » : مثله :

قمر يحمل شمساً — مرحباً بالزائرين

إذا نأى مثلُه في الكرى ... هواه[1] فهو القاطع الواصلُ

أشكو ضنا جسمي إلى خصره ... وكيف يشفي الناحلَ الناحلُ

يُنكِرُ ما ألقاه من صَدِّهِ ... وأيُّ فعلٍ ما له فاعلُ

مَنْ لي على البُعد بميعادِهِ ... وإنْ لواني دَينيَ الماطِلُ

وكيف[2] لي بالوَصْل منْ طيفه ... وذو الهوى يُقْنِعه الباطل

أرى دِماءَ الأُسْد عند الدُّمى ... أُنْظُرْ مَنِ المقتولُ والقاتل

مِنْ كلِّ لاهي القلب من[3] ذاهلٍ ... به فسلْ أيُّهما الذاهلُ

يا صاحِ ما أحلى مَذاقَ الهوى ... لو كان فيه عاذِلٌ عادِلُ[4]

ما لِيَ لا أحفظ عينَ المها ... إلاّ دهاني سِرْبها الخاذل

وما لَه ينفِر من إمّتي ... كأنه من أَسدٍ جافلُ

ما زال يُنْسي نأيُه هَجْرَهُ ... حتّى لأنسى عامَه القابل

قضيّــةٌ جائرة ما لهـــا ... غيرُ مُجير الدين مستأصِل

وكيف أخشى من لطيف الحشا ... ظلمــاً وتاج الدولة العادل

كثّر حسّادي حتى اتّقد ... نابه المجد والعـــاقل

وكاد يُعطي في نَداه الصبا ... لو أنّ شيئاً بالندى ناحل

القائدُ الخيل ، مغافيرها ... يزأر فيهـا الأَسد الباسل

(١) في « ح » : في الهوى كراه .
(٢) في « ح » : فكيف . (٣) [illegible]
(٤) في « ح » : عاذل عاذل .

مُشَمِّرٌ البأس عن ساقه … والجيذر في عِثْيَره رافلٌ[1]
ماضٍ فما أورد صادي القنا … إلاّ تروّى الأسَلُ النّاهل
ينهز[2] الأعداء مَنْ عُرْفُهُ … غازٍ[3] بأنفال العُلى قافِل
لم ينجُ مِنْ سطوته عائذٌ … ولم يَخِبْ في ظِلّه آمل
يُزْجي الندى حتّى إذا ما اعتدى[4] … فالدَّمُ من سطوته[5] هاطِلُ
ما ساجَلَتْهُ المُزْن إلاّ انثنى … مُسْتَحْيِياً مِنْ طَلِّه ، الوابِلُ
لا يتناهى فَيْضُ معروفِهِ … وأيُّ بحرٍ ما لَهُ ساحِلُ
سَمَــا به نائِلُ آبائِهِ … حينَ أسَفَّ النسب الخامل
وامتاز بالعلم على أهله[6] … وهل يساوي العالِمَ الجاهل
يا مُحْيِيَ العدل ويا مُسْرِف الـ … ــبذل فأنت الجائر العادل
يا أنصتَ[7] الناسِ إلى حكمةٍ … يقبلوا مَنْ سَمْعُه قابِل
عَلا بك الفضلُ ذرى[8] هِمَّةٍ … عن غُرَّة الشِّعْرى لها كاهل[9]
لولا سنا فضلك يجلو الدُّجى … ما عُرِف المفضولُ والفاضل[9]
ولم يغامر جودَكَ المقتفي[10] … ولم يجانب مجدَكَ العادل

(١) في « ب » : زافل . (٢) في « ح » : يناهز .
(٣) في « ب » : عار . (٤) في « ح » : ما اغتدى .
(٥) في « ح » : من بارقه . (٦) في « ح » : على دهره .
(٧) في « ب » : ما انصت . (٨) في « ح » : درى .
(٩) مزجت النسخة « ح » بين الشطرين الأول والأخير من هذين البيتين وأهملت الشطرين الآخَرَيْن .
(١٠) كذا في الأصلين . ولعلّ الشطر : ولم يغاير جودك المقتفي . ويكون البيت تمجيداً للوزير يسمو به على الخليفة المقتفي وعلى العادل نور الدين .

فمن يكن خَصَّ بمعروفه[١] | فأنت مَنْ إحسانُه شاملُ
بوركتَ من غيثٍ إذا ما همى | روّض منه الأَمَلُ الماحِل
إنْ هزّك العزمُ فيا طالما | أرهِف منك الصارمُ القاصِل
سيفٌ متى أمّ نفوسَ العِدى | صمّم ، والنّصر بها كافل
فكنتَ كالشّمس سمَتْ إذ سمتْ | ونورُها في أفقها ماثل
وأَيْنَ يَنْأَى من قلوب الورى | مَن حُبّه[٢] في كلّها نازل
فأبْقَ حيًا يُنْبِت رَوْضَ المنى[٣] | وأيْن مِنْ أفعالك القائل
ودُمْ فما دُمْتَ منارَ الهُدى | فللمعالي سَنَنٌ سابل[٤]

* * *

وأنشدني له[٥] بعض أصدقائي من فقهاء[٦] الشام ، بيْتين ألطف من نسيم الصَّبا ، وأطرف من نعيم الصِّبا ، في وصف مغنّ ، وشادن[٧] شادٍ أغنّ[٨] ، وهما :

والله لو أنصف الفتيان أنفسَهم | أعطَوْك ما ادّخروا منها وما صانوا
ما أنت حين تُغنّي في مجالسهم | إلاّ نسيمُ الصَّبا والقومُ أغصانُ

ما أحسن تشبيهه[٩] الشادي بالنسيم للطافته ، ورقة أنفاسه ، وتفتير[١٠] ألحاظه ، وتكسير

(١) في « ح » : لمعروفه .
(٢) في « ح » : حبها .
(٣) في « ح » : النهى .
(٤) في « ب » : سايل .
(٥) سقطت له في « ب » .
(٦) في « ح » : بعض فقهاء .
(٧) في « ح » : شاذن .
(٨) في « ب » : في وصف أغن مغن وشادن شادٍ اغن وهما .
(٨) في « ح » : تشبيه .
(١٠) في « ب » : وتفتير وفي « ح » : وفتور .

ألفاظه ، وسلاسة خُلُقه ، ورشاقة خَلْقه ، والسامعين (١) بالأغصان التي يرنحها النسيم لتمايلهم وتساكرهم ، واهتزازهم لشدوه ، وتطرّبهم لغنائه .

* * *

وله في غانية روميّة نصرانيّة :

كم بالكنائس مِنْ مُبتَّلةٍ (٢) ... مثل المهاةِ يزينها الخَفَرُ

مِنْ كلّ ساجدةٍ لصورتها ... لو أنصفت سجدتْ لها الصُّوَر

قُدّيسةٌ في حبل عاتقها ... طولٌ ، وفي زُنّارها قِصَر

غَرَسَ الحياء بصحن وَجْنتها ... وَرْداً سقى (٣) أغصانه النَّظَرُ

وتكلّمتْ عنها الجفون فلو ... حاورتَها (٤) لأجابك الحَوَر

وحَكَتْ مدارعُها غدائرها ... فأراك ضعفيْ ليلةٍ قمرُ

* * *

وأنشدني له الواعظ الرّحبي من قصيدة :

في طاعة الحب ما أنفقتُ من عُمري ... وفي سبيل الهوى ما شابَ من شَعَري

طال الوقوف على تحضاح نائلكم (٥) ... وغلّة الصدر بين الورد والصَّدَرِ

كم قد أمات الهوى شوقي وأنشره ... عن يأس منتظرٍ أو وعد منتظَرِ (٦)

بمُهجتي وبصَحْبي كلُّ آنسة ... تبيت نافرةً منّي ومِنْ نَفَري

أما ترى سُنّتَه (٧) الأقمار مُشرِقَةً ... في لِمّتي ، فبياض الليل للقمر

---

(١) في « ح » : والسامعون . (٢) في « ح » : كم بالكنائس صورة برزت .

(٣) في « ح » : سقت . (٤) في « ب » : جاورتها . (٥) في « ح » : بابكم .

(٦) في « ح » : منتظِر . (٧) السُّنّة : الوجه ، أو حُرّه ، أو دائرته .

هَبْني أُخلِّصُ جسمي من مُعذِّبه ... فمن يخلِّص قلبي من يَدَيْ نظري

فيا نسيمَ الخزامى هُبَّ لي سَحَراً ... لعلَّ نَشْرك مَطْوِيٌّ على خَبَرِ

واحذَرْ لسانَ دُموعي أنْ تَنِمَّ به ... فإنَّ سرّيَ من دمعي على خَطَرِ

* * *

وأنشدني له من أخرى[1] :

لله نِسبةُ أنفاسي إلى حُرَقي ... إذا النسيم إلى ريّا الحِمى انتسبا

أهكذا لم يكن في الناس ذُو شجَنٍ ... إلاّ صَبا كلّما هبّت عليه صَبا

أحبابنا عاد عيدُ الهمّ بعدَكُمُ ... تباعدتْ دارُكم في الحبّ واقتربا

ما بالُ سَلْوةِ بالي لا تَسُرُّكُمُ ... حتى كأنّ لكم في راحتي تعبا[2]

ما خانكم جَلَدي إلاّ وَفى لكُمُ ... قلبٌ متى سُمْتَه تركَ الغرام أبى

* * *

ومن أخرى مُجَنَّسة سَلِسَة . للقلوب مُختلِسة . وللعقول مُفترِسة :

أما وكأسٍ تَشِفُّ عن ثَغَرٍ ... يَبْسِمُ عُجْباً بوَرْدَتَيْ خَفَرِ[3]

يحميهما[4] صارِمٌ مضاربُهُ ... مِنْ كَحَلٍ والفِرِنْدُ مِنْ حَوَرِ[5]

لقد عصيتُ المَلامَ في رشأٍ ... مَلَّكه القلبَ طاعةُ البصرِ

تُنافِسُ الخيزُرانَ قامتُهُ ... لِيناً ولوناً في اللمس والنظر[6]

---

(١) سيعاود العماد ذكر هذه الأبيات مع بعض الزيادات (انظر ص) . (٢) لم يرد البيت في « ح » .

(٣) في « ح » : يبسمن عجباً بورد ذي خفر . (٤) في « ب » : يحما .

(٥) تضطرب النسخة « ح » بعد هذا البيت ، إذ تنقطع في يمين اللوحة ٥٢ ، لتتصل بعد في يسار اللوحة ٥٩ . أما ما بين هاتين الصفحتين من مختارات فمكانه يمين اللوحة ٦٣ . ولعلّ مرد ذلك اضطراب التصوير أو اضطراب النسخة الأصلية .

(٦) لم يرد البيت في « ح » .

دِقَّةُ كَشْحٍ ، وبَرْدُ مُرْتَشَفٍ ... فوا غرامي بالخَصْر والخَصَرِ [1]
وذي سهام تُصْمي بغير [2] يدٍ ... على قِسِيٍّ ترمي بلا وَتَرِ
وكيف تَخْطى القلوبَ مرهفةٌ ... تُراش بين القضاء والقَدَرِ
نوافذٌ تُنْهِر [3] الفتوقَ دماً ... ولا تَرى للجراح مِن أثرِ
يا مُسْهِري واصِلاً ومُجْتَنِباً ... والصبُّ ما بين لياليَّ سَهَر
إذْ لا ترى العين فرقَ بينهما ... إلاّ بطُول السُّهادِ والقِصَر
لا عَذَلٌ [4] فيك بات لي سَمَراً [5] ... يا حبَّذا العذْلُ فيك من سَمَر

* * *

ومن أُخرى :

أما لو كان لحظُك نصلَ غِمْدي ... لَبِتُّ وثأْرُ صَرْفِ الدهر عندي
ولو كان ابتسامُك حدَّ عزمي ... فللتُ نوائبَ الأيّام وحدي
إذاً لَلَقيتُ عادِيَةَ الليالي ... على ثقةٍ وجُنْدُ هواكِ جُنْدي
ولكن أنت والأيّامُ جَيْشٌ ... على مُتخاذِل الأنصار فَرْد
عَذيري مِنْ هوى ونوى رمى بي ... عِنادُهما على وَجْدٍ ووَخْدِ [6]
وأَغْيَدَ بات مُتَّشِحاً بثغرٍ ... على نَحْرٍ ومُبْتَسِماً بعِقْد
أَصُدُّ عَذولَه ويصُدُّ عني ... فما أنفكُّ من غَمَراتِ صَدّ
وأشكو ما لقيتُ إلى سَقامٍ ... بعَيْنَيْه فلا يُعدي ويُعدي

---

(١) في « ح » : الخَصِير . (٢) في « ح » : لغير . (٣) في « ب » : شهر . وأنهره : أساله .
(٤) في « ح » : كم عذل . (٥) السمر : المسامر . أو حديث الليل . (٦) في « ح » : ووجد .

متى أَرجو مُسالَمَةَ اللّيـــالي ... وهذا مَوْقِفي من أهل ودّي
ولو أني أُلاقي ما أُلاقي ... بمَجْد الدين صُلْتُ بأَيِّ مَجْدِ

* * *

ووجدت في كتاب لُمَح المُلَح لأَبي المعالي الكُتُبي[1] هذه الأَبيات منسوبةً إلى القيسراني منْ قصيدةٍ في التجنيس :

نافَرَتْه البيْضاء في البيضاء ... وانفصال الشباب فَصْل القضاء
حاكمَتْه إلى مُعاتبةِ الشَّيْــــــب لِتَستمطرَ الحيا بالحَياء
فاستهلّتْ لِبَيْنِها سحبُ عينيْـــــهِ ، ويومُ النَّوى من الأَنواء
يا شبــابًا لَبِسْته ضافيَ الظـــــلِّ ، وتبلى مَلابس الأَفيــاء
كان بَرْدُ الدُّجى نسيماً وتهويـــــماً فأذكته نفْحَةٌ من ذُكاء

ومنها في المدح :

مَنْ لهُ طاعةُ الصّوارِمِ في الحر ... ب وَلِيُّ الأَعناقِ تحت اللّواء
مِنْ مَساعٍ إذا عقَدْتَ على الشُّهْــــب رِهاناً جازَتْ مَدى الجوْزاء
وسَماحٍ إذا استغاث به الآ ... مِلُ لَبّى نَداه قبل النِّداء
وكأنَّ القَباء منكَ لما ضَــــــمَّ مِنَ الطُّهْر مَسْجدٌ بقُباء

* * *

وكنتُ أُحِبّ أن تحصُل لي قصيدته البـائية التي أُوردت بيتيها[2] في صدر ذكره[3]

---

(١) سبق التعريف بالكتاب والكاتب (انظر ص ٨٨ هامش٣) . (٢) في « ب » : بيتيها .
(٣) يشير إلى البيتين السابع والحادي عشر التاليين . إذا كان الأحداق . . و : وأهوى الذي يهوى . .
(انظر ص ٩٧) .

إلى أن طالعت المذيّل للسمعاني ، عند ذكره للقيسراني ، وفيه : أنشدني محمد بن نصر العَكّاوي بنواحي حَلَب لنفسه :

سقى اللهُ بالزَّوْراء من جانب الغَرْب ... مَهاً وَرَدَتْ عين الحياةِ من القلب

عفائفُ إلاّ عن مُعاقَرةِ الهوى ... ضعائفُ إلاّ في مُغالبة الصَّبّ

عقائلُ تخشاها عُقيلُ بنُ عامرٍ ... كواعبُ لا تُعْطي الذِّمام على كَعْب

إذا جاذَبَتْهنَّ البوادي مَزِيّةً ... من الحسن شَبَّهْن البراقع بالنُّقْب

تظلَّمْتُ من أجفانهن إلى النَّوى ... سفاها[1] وهل يُعدي البعادُ على القُرب

ولمّا دنا التوديعُ قلتُ لصاحبي ... حنانَيْكَ سِرْ بي عن مُلاحظة السِّرب

إذا كانت الأحداقُ نوعاً[2] من الظُّبى ... فلا شكَّ أنّ اللحظ ضَرْبٌ من الضَّرْب

هَبُوني تعشَّقْتُ الفِراق ضَلالةً ... فأصبحت في شِعبٍ وقلبيَ في شِعب

فما لي إذا ناديتُ يا صبرُ مُنْجداً ... خذلتَ ، وَلَبّى إن دعا حُرقةً لُبّي

تقضّى زماني بَيْنَ بَيْنٍ وهِجْرَةٍ ... فحتّامَ لا يصحو فؤاديَ مِنْ حُبّ

وأهوى الذي يهوي له البدرُ ساجداً ... أَلستَ ترى في وجهه أثرَ التُّرب

وأعجبُ ما في خَمْرِ عينيه أنها ... تُضاعف سُكْري كلما قلّتْ شُرْبي

إذا لم يكن في الحبّ عندي زيادةٌ ... تُرجّى فما فضل الزيارة عن غِبّ

وما زال عُوّادي يقولون من بهِ ... وأكتمهم ، حتى سألتهم من بي

فصرتُ إذا ما هزّني[3] الشوق نحوهم ... أحلتُ عَذولي في الغرام على صَحْبي

* * *

(١) في « ح » : شفاها . (٢) في « ب » في الرواية السابقة : ضرباً . (٣) في « ب » : هزّ لي .

وقرأت في تاريخ السّمعاني : أنشدنا أبو عبد الله القيسَراني لنفسه بدير الحافر[1]، منزل بين حلب وبالس :

رنا وكأنّ البابليّ المصفّقا ترقرق في جفنيْه صِرْفاً مُعتّقا
وردّ يداً عن ذي حَباب مُرَنّق وحيّا به مِنْ وَجنتَيْه مُرَوّقا
وبات ، وشمسُ الكأس في غسق الدجى تقابل منه البدرَ في بانة النّقا[2]
ولي عبرات تستهلّ صَبابةً عليه إذا برق الغمام تألّقا
ألفت الهوى حتى حلت لي صروفهُ وربّ نعيم كان جانبَه شقا[3]
ألذّ بما أشكوه من ألم الجوى وأفْرَق إنْ قلبي من الوجد أفرقا
وأذهل حتى أحسب الصّدّ والنوى بمُعْترك الذكرى وِصالاً ومُلتقى
فيا أنا ذو حالين : أمّا تلدّدي فحيّ ، وأمّا سَلوتي فلك البقا

* * *

ولمّا وصلتُ إلى الشّام والتبستُ بالخدمة النّورية ، وجدتُ موفق الدين خالداً ولد القيْسَراني صدرَ مناصبها ، وبدر مراتبها ، ونجم كواكبها ، بل شمس مواكبها . وجمعت[4] بيني وبينه الصُّحبة ، وضمّتني اليه الرُّتبة ، وتمهّدت المحبة ، وكان مستوفي المملكة وأنا مُنشيها تارة ثمّ مشرفها . ثمّ لما سيّره نور الدين إلى مصر ، قمتُ بعده بجميع الأمر ، وكان نور الدين رفعه واصطنعه ، وبلغ منه مبلغاً من الأمر كأنّه اشركه في الملك معه ، ولقد كان لبيقاً بذلك ، حقيقاً

(١) في معجم البلدان : دير حافر : قرية بين حلب وبالس .. ذكرها أبو عبدالله محمد بن نصر بن صغير القيسراني في قوله يمدح عليّ بن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة جعبر :

ألا كم ترامت بالس بجسور وكم حاذر أودية بادي حافر ...

(٢) في الأصلين : يقابل . . في بانه . . (٣) في « ح » : الشقا . (٤) في « ب » : وجمعتني .

به ، وما زلنا سَمَراً وحَضَراً نتناشد ونتذاكر ، ونتجاذبُ اطراف[1] الحديث ونتحاور ، ولعله قد أتى في الإنشاد على مُعظم شعر والده مُذاكرة ، وكنت أشاطره زماني في التصافي مشاطرة ، وإنه قد بلغ إلى حدٍّ خدمه ممدوحو[2] والده وقصدوه ، ورجَوْه واجتدوه ، وكأنه أنِف من مدح والده لهم ، وكره لنفسه كيف قصدهم وأمّلهم .

ثم نظرت في ديوان القيْسَراني فألحقت بما سبق ، ما وصل إليّ من هذا النسق[3] ، وجلوْت بزُهْرِ سوائره الأفق ، وحلّيتُ بما راق ورقّ الورق . فمن ذلك قوله :

عن خاطري نبأ الخيالِ الخاطرِ ... فَعُجِب لزورةِ واصلٍ من هاجرِ

لم يعْدُ أنْ جعل الرُّقاد وسيلةً ... فأتى الجوانحَ من سَواد النّاظرِ

ومنها :

ولقد علمتُ على تباريح الجوى ... أنّ التّأوّهَ خرابُ قلبٍ عامر

وإذا استقلّ عن الفؤاد قطينهُ ... لم يبق منه سوى محلٍّ داثر

* * *

وله من قصيدة :

دعوا المُحَيّا ما استباحتهْ من عَقْلي ... فإني رأيت الحظّ في حيّز الجهل

ومنها :

وما زالت الأيام يجري نظامُها ... على العكس حتى أُدْرِكَ الجدُّ بالهزل

وهل في فؤادي فَضْلةٌ تَسَعُ الهوى ... وما العِشق إلاّ شُغْلُ قلبٍ بلا شغل

---

(١) في « ح » : نتناشد الأشعار ونتجاذب أطراف . .

(٢) في « ح » : وانه بلغ إلى حدّ ممدوحوا .. وفي « ب » : وانه قد بلغ إلى خدمه ممدوحوا ... وفي عود الشباب « مختصر الخريدة » وانه بلغت به المراتب إلى حدّ خدمه ...

(٣) في « ب » : ما وصل النسق .

إذا أَنت لم يصحبك إلاّ مُهذَّبٌ فخِلُّكَ[1] من أمسى وحيداً بلا خِلِّ
فَدَعْ لذوي الأموال ما اُغتبطوا[2] به وَصُنْ ثمراتِ الفضل بُخْلاً على الفضل[3]
فإنّ الفتى من غادرته خلالُه فريداً وإنْ أضحى من الناس في حَفْلِ[4]

* * *

وله من قصيدة :

أَرضى اليسيرَ ، وما رِضاكَ يَسيرُ أَنا في الهوى غِرٌّ ، وأَنت غريرُ
ولو اُقتصرت على حُشاشة مُغْرمٍ وافاكَ من مأسورِكَ[5] الميسور
ما أَذعنتْ لك في فؤادي طاعةٌ إلاّ وأَنتَ على القلوب أَمير
ضمنتْ ثناياكَ العذابُ مخافتي فهل الثّغور الضاحكات ثُغور

* * *

وله من أخرى :

خذوا حديث غرامي عن ضَنا بدني أغنى لسانُ[6] الهوى عن دمعيَ اللَّسِنِ
وخبّروني عن قلبي ومالكِه فربّما أَشكل المعنى[7] على الفَطِنِ

ومنها :

هذا الذي ساب العشّاقَ نومَهم أما ترى عينَه ملأى من الوَسَنِ
أَمسى غرامي بذاك القدّ يوهمني أنّ اُعتلال الصَّبا شوقٌ إلى الغُصُن

---

(١) في « ح » : فحلك . (٢) في « ح » : ما اعتبطوا . (٣) في « ب » : على البخل .
(٤) في هامش هذه الأبيات في « ب » كلام لا يتبين منه إلا قوله : ينظر إلى قول .
(٥) في « ح » : من ميسورك . (٦) في « ح » : لساني . (٧) في « ح » : اشتكل الفحوى .

ومنها في المدح :

أَرى الوفودَ رباعَ الجودِ[1] عامرةً   من بعد ما وقفوا منها على دِمَنِ

ومنها :

قومٌ إِذا ناظروا عن سَرْحِ جارهِمُ   تكلّمتْ أَلسنُ الخطّيّة اللُّدُنِ

* * *

وله من قصيدة في مدح وزيرٍ أولها :

لو كان سِرُّكَ للوُشاة مُعرَّضا   لم أُغْضِ من[2] دمعي على جمر الغَضا

ومنها[3] :

وإذا سقى فَمُه الرحيقَ مُقَبَّلا   حيّا بتُفّاح الخدود مُعَضَّضا

ما أسودّ في يوم الصُّدود فإِنّهُ   ياتَماكَ في ليل التواصل أَبيضا

هذا وكم جاريتُ[4] في طَلَقِ الصِّبا   سَلِسَ القِياد وكان صعباً ريِّضا

عاقرتُ مُبْهَمَ عَتْبه حتى بدت[5]   غُرَرُ الرضاء على خلال أَبي الرضا

هو جلال الدين أبو الرضا بن صدقة وزير المسترشد[6] :

لو لم يكن لِبَنانه شِيَمُ الحيا   ما أزهر القرطاس منه وروّضا

---

(١) في « ح » : الجوّ .   (٢) في « ب » : عن .

(٣) لا تبدو اللفظة في « ب » .   (٤) في « ح » : حاربت .   (٥) في « ح » : غدت .

(٦) لم يرد هذا السطر في « ح » . وقد وهم الكاتب : فالممدوح جلال الدين أبو الرضا محمد بن احمد بن صدقة الوزير إنما وزر للامام الراشد بالله (٥٢٩ هـ – ٥٣٠ هـ) ثم وزر للأمير عماد الدين أتابك سنة ٥٣٧ هـ . كان فيه خير ودين . توفي في شعبان سنة ٥٥٦ هـ عن ثمان وخمسين سنة (انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ١٧٧ ، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي) . أما الذي وزر للمسترشد فهو أبو علي الحسن بن علي بن صدقة جلال الدين عميد الدولة سنة ٥١٢ هـ (انظر معجم الانساب والأسرات الحاكمة لزامباور) .

ما جاش في صدر المعاطف صدره ... إلا ظننت الجيش قد ملأ الفضا

* * *

وله من قصيدة :

ما هذه الحدق الفواتن ... إلا سهام في كنائن

ومنها [١] :

وأغنّ غنّى محسناً ... فعجبت من شادٍ وشادن
ما غرّدت حركاته ... إلا تراقصت السواكن [٢]
يا مودعاً قلبي هوا ... ه توقّ دمعي فهو خائن [٣]

ومنها [٤] :

وحللت قلباً خافقاً [٥] ... يا ساكناً في غير ساكن
أترى لمن أوليته ... حرب العواذل أن يهادن
إن خاف قلبي في هوا ... ك فأمرُ جاه الحبّ واهن
وإن استجار فإنّ جا ... رك ياضياء الدين آمن

* * *

وله من قصيدة في سديد الدولة ابن الأنباري [٦] :

مع الركب أنباء [٧] الحمى لو يعيدها ... لهيّج مفتوناً بها يستعيدها

---

(١) لم ترد اللفظة في « ب » هنا ، وإنما جاءت في آخر البيت : ما غردت .
(٢) في « ب » : يتقدم هذا البيت على البيت : وأغنّ .
(٣) سقط البيت في « ح » . (٤) لم ترد اللفظة في « ب » . (٥) في « ح » : ظاعناً .
(٦) انظر ترجمته في الصفحة ٢٣ الهامش ٧ . (٧) في « ب » : ابناء .

خليليّ ، هل لي في الرفاق رسالة[1] ... يذكّرني العهدَ القديم جديدُها

ومنها :

تَهُبّ صَباكم ليس بين هُبوبها ... وبين رُكودِ النفس إلاّ رُكودُها

ومنها في المدح :

ويسري هواكم في البُروق ، وإنما ... وَقود الحشا إمّا أُستطار وقودها[2]

ليَهْنِكَ مأثور[3] الوغى عن خلافةٍ ... بك اُخضرّ واديها وأَوْرقَ عودُها

وأنّى تَخافُ الضيم دولةُ هاشمٍ ... وآراؤك الأَنجاد فيها جنودها

وكيف يغيب النصر[4] عنكم بوقعةٍ ... ملائكةُ الله الكرامُ شُهودها

إذا فتنةٌ للحرب أُسعِر نارها ... فإنّ ضِرام المرْهَفات خمودُها

ومنها[5] :

بدأتَ بإحسانٍ فَجُدْ بتمامه ... فمثلك مُبدي مِنّةٍ ومُعيدها

* * *

وله من أُخرى مطلعها[6] :

يَشيمُ هواكم مُقلتي فتَصُوب ... ويرمي نَواكم مُهجتي فتُصيبُ[7]

ومنها[5] :

تلقَّوْا تحيّاتي إليكم عن الصّبا ... إذا حان من ذاك النسيم هبوب

---

(١) في « ح » : وسيلة .

(٢) سقطت الواو من اللفظة في « ح » .

(٣) في « ب » : يانور .

(٤) في « ب » : الصبر .

(٥) لا تبدو اللفظة في « ب » .

(٦) القصيدة في مدح سديد الدولة ابن الأنباري .

(٧) في « ح » : . . هواكم . . فيصيب .

ومنها[١] :

وليلةٍ بِتْنا والمهاري حوامِلٌ　　يُزَرُّ علينا للظلام جُيوبُ

فبِتْنَ يُبارينَ الكواكبَ في الدُّجى　　لهنّ طُلوعٌ بالفلا وغروبُ

نَواصِلُ من صِبْغِ الظلام كما بدا　　لِعينيكَ من تحت الخضاب مَشيبُ

خوافِقُ في صدر الفضاء كأنها　　وقد وَجَبَتْ منها القلوبُ ، قلوبُ

سوانحُ في بحريْ سَرابٍ[٢] وسُدْفةٍ　　لهنّ اعتلاءٌ بالضحى ورسوبُ

فليت ابنَ أُمّي ، والكواكبُ جُنَّحٌ　　يرى أنني فوق النجيب نجيبُ

وأني صرفتُ الهمّ عني بهمّةٍ[٣]　　تفرّى دُجىً عن صُبحها وكروبُ

وأنّ سديدَ الدولة ابنَ سديدِها　　جلا ناظري منه أغرُّ مَهيبُ

نسيبُ المعالي ، يطربُ القومَ مدحُه　　كأنّ الثناءَ المَحْضَ فيه نسيبُ

له خُلُقٌ تُبدي[٤] الصَّبا منه غيرةً　　يكاد إذا هبت عليه يذوبُ[٥]

وثغرٌ إلى جَهْمِ الخطوب ضاحكٌ　　وصدرٌ على ضيق الزمان رحيبُ

* * *

وله من قصيدة[٦] في تهنئة عزّ الدولة ابن منقذ[٧] بالسلامة من جرح ناله :

---

(١) لا تبدو اللفظة في « ب » .

(٢) في « ح » : في بحري سحاب وسدفة . والسدفة من الأضداد ، تعني الظلمة والنور .

(٣) في « ح » : بهمه .

(٤) في « ح » : تندى .

(٥) في « ح » : تكاد . . تذوب .

(٦) في « ح » : وله قصيدة في ...

(٧) هو أبو المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب عز الدولة . ملك شيزر بعد وفاة أبيه أبي الحسن علي سنة ٤٧٥ في رواية ابن خلكان أو [illegible] في رواية ابن تغري بردي ، وكان أبوه =

كانَ دعوىٰ شجاعةٍ لم تؤيَّدْ[١] بكلامِ الكلامِ دعوى مُحالِ[٢]

لا يَرُعْكَ الصِّقالُ في السيفِ حتى ينطِقَ الفَلُّ شاهداً[٣] للصِّقالِ

لو تكونُ السهامُ تُحسِنُ قصداً عرّجتْ عن مقاصدِ الآمالِ

غادرَ البأسُ في جبينِكَ منه أثراً[٤] لاحَ في جبينِ الهلالِ

لا يُجلّي دُجى الحوادثِ إلّا غُرَرُ الحربِ في وجوهِ الرِّجالِ

في مقاديمها تُصابُ المقاديـ ـمُ وتُرمى الأكفالُ في الأكفالِ[٥]

* * *

وله من أخرى :

لها من الرَّشإِ الوَسْنانِ عَيْناهُ وبي من الوَجْدِ أقصاهُ وأدناهُ

ومنها :

بِنفسيَ القمرُ المحجوبُ طلعتُهُ عنّي وإن كان يهواني وأهواهُ

= أخذها من الافرنج سنة ٤٧٠) وقام بتربية إخوته أحسن قيام . توفي سنة ٤٩٢ . ومن شعره :

كنت أستعمل البياض من الأمـ ـشاط عُجباً بلمّتي وشبابي

فتخذت السواد في حالة الشيـ ـب سُلُوّاً عن الصِّبا بالتصابي

كان برّاً بوالده . ولوالده فيه شعر منه :

جزى الله نصراً خير ما جزيت به رجال قضوا فرض العلا وتنفّلوا

وسيترجم العماد لأبي المرهف هذا حين يتحدث عن أمراء بني منقذ .

(النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٣ . الخريدة فيما نستقبل من شعراء)

(١) في « ب » : لم يؤيد . (٢) في « ح » روايتان : في محل ، دعوى محال .

(٣) في « ح » : شاهد . (٤) في « ح » : أثر .

(٥) المقاديم ، الأولى ، ج مُقْدِم ومُقدَّم وهو ما تستقبله من الوجه .

المقاديم ، الثانية ، ج مِقدام ومقدامة وهو الكثير الإقدام .

الأكفال ، الأولى ، ج كِفْل وهو من لا يثبت على الخيل .

الأكفال ، الثانية ، ج كَفَل وهو العَجُز .

إذا عزمتُ على السُّلوان خادعني ... بثغره فثنتْ عنّي ثناياه

وَليْ هواه على قلبي فَعذّبه[1] ... وحكّم الحبَّ في جسمي فأضناه

* * *

وله من أخرى في الأمير[2] أبي سلامة مرشد بن منقذ[3] :

إذا ما تأمّلت القَوام المُهَفْهَفا ... تأمّلت سيْفاً بين جَفنيه مُرْهَفا

بليتُ بقاسي القلب، لا عَطْفَ عنده ... أما شيمةُ الغصن أن يتعطّفا

وذي صلفٍ يُغريه بالتيه صَمْتُه ... إذا سُمته ردَّ السلامِ تَكلّفا

وَطَرْفٍ تخلّى[4] عن سَقامي سَقامُه ... فهلّا شفَا مَنْ بات منه على شَفا

أحبُّ اقتضاءَ الوَصْلِ من كلِّ هاجرٍ ... وإنْ مَطَلَ الدينَ الغريمُ وسَوّفا

وأقْنعُ من وعد الحبيب بخُلْفهِ ... ومِنْ كَلَفي أن أسألَ الوعد مُخلِفا

وما زلتُ موقوفَ الغرامِ على هوًى ... يُجدّد لي من عهد ظَمْياء ما عَفا

أخا كَلَفٍ لا يرهَب الليل زائراً ... إذا ضلّ نهجَ الحيِّ عنه تعسَّفا

---

(١) في « ح » : يعذبه . (٢) في « ح » : وله في الأمير . . . . منقذ من أخرى .

(٣) هو الأمير مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ .

أبوه أبو الحسن علي ، الذي ملك حصن شيزر من الافرنج في رجب من سنة ٤٧٤ .

وابنه أسامة من أكابر بني منقذ وعلمائهم وشجعانهم ، وقد تقدمت ترجمته (انظر ص ٧٦)

كان الأمير أبو سلامة عارفاً بفنون العلوم والآداب ، صالحاً ، كثير العبادة والتلاوة . وكان أخوه نصر (انظر ص ١٣١) ولاه شيزر فتركها وقال : لا أدخل في الدنيا . وولاها أخاه سلطان ابن علي . وسافر في البلاد . وكان له يد طولى في العربية والمكاتبة والشعر . كان كثير الصوم ، شديد البأس والنجدة في الحرب ، حسن الخط . كتب بخطه سبعين ختمة . وكان له شعر . توفي سنة ٥٣١ .

(النجوم الزاهرة ، وانظر ابن خلكان في ختام ترجمته لأسامة)

(٤) في « ح » : تخلّى .

ومنها (١) :

أُودِّعُ أَنِّي ذاهلَ القلبِ (٢) مُغْرَماً وأُودِعُ قلبي فاتر الطَّرْف أَهْيَفا

تَقَضَّى الصِّبا (٣) إلاّ تذكُّرَ ما مضى وإلاّ سؤالاً عن زمانٍ تَسَلَّفا

وإلاّ شباباً فَلَّ الشيبُ حَدَّهُ إذا ما هفا نحو التَّصابي تأَنَّفا

وعاد عليَّ الدهرُ فيما سخا به فنغَّص ما أعطى وكدَّر ما صَفا

ومنها في المخلص :

على أنني خالفتُ خَلْفي نوائباً كفانيَ مجدُ الدين منهنّ ما كفى

* * *

وله من قصيدة :

يا أهل بابل أنتمْ أصلُ بلبالي رُدّوا فؤادي على جثمانيَ البالي

لا ، واعتناقِ هواكم بعد فرقتكم ما كان صَرْفُ النَّوى منكم على بالي (٤)

وإنّما اعترضتْ بيني وبينكم نوائبُ أرخصتْ من دمعيَ الغالي

لولا مكانُ هواكم من محافظتي لما صرفتُ إليكم وجه آمالي

سَلوْتُ عن غيركم لمّا عَلِقْتُ بكم وَجْداً ، ألا فاعجبوا للعاشق السالي

يا صاحِ إنّ دموعي حرب زاجرها (٥) فامنح هوامنها (٦) تركي وإهمالي

وانظر إلى عبراتي بعدَ بُعْدِهمُ إن أنت لم ترَ حالي عند ترْحالي

---

(١) لم ترد اللفظة في « ب » .

(٢) في « ح » : العقل .

(٣) في « ح » : الصبي .

(٤) في « ح » : على بال .

(٥) في « ح » : حزب وفي « ب » : راجرها .

(٦) في « ح » : هوى املي .

لو كنتَ شاهدَنا والبينُ يجمعُنا على وداعٍ بنيران الهوى[1] صالِ
رأيتَ حبّةَ قلبي كيف يسلُبها خدٌّ لها ، ليس بالخالي من الخالِ[2]
وقد علاني فُتورٌ عند رؤيتها مُقَسَّمٌ بين عَيْنَيْها وأوصالي
أقول للصاحب الهادي ملامتَه ضلالةُ القلبِ في أكناف ذي ضالِ
دعْني أفضْ شؤوني في معالمها فالدّمعُ دمعيَ والأطلال أطلالي

* * *

وله من أُخرى :

أما عند هذا القَوام الرُّدَيْني سجيّةُ عَطْفٍ تقاضاه دَيْني
وأحسبُ ما طال هذا المِطـ ـلُ إلاّ ليلحق حَيْناً بحَيْنِ[3]
ومن عَجَبٍ أنني أشتكي قساوةَ غُصنٍ من البان لَيْنِ
رماني بسهمَيْن من[4] ناظرَيـ ـن عن مَتْنِ قوسَيْن من حاجبَيْنِ
وإنْ أنكرت مقلتاه دمي فسائلْ به حُمرةَ الوَجْنتَيْنِ
ولِمْ لا[5] تُناكرُني عينُه وقد علمت كيف إقرار عيْني
ومالِيَ خصمٌ سوى ناظري فهل حاكمٌ بين عَيْني وبيْني

ومنها في المدح :

أصَبْتَ عِدًى فملأتَ القلوب وصُبْتَ يداً فملأت اليديْن

(١) في « ب » : النوى .
(٢) في « ح » : من الخالي .
(٣) في « ح » : بحيني .
(٤) في « ب » : بقوسين وفي « ح » : عن .
(٥) في « ح » : ولو لم .

كأنّكَ لستَ ترى راحةً سوى حَشْوِ مالِكَ بالرّاحتَيْن
فداؤكَ باكٍ على ماله بكاءَ اليتيم على الوالدَيْن

* * *

وله :

خفّضي الصوتَ يا حَمامةَ مقْرى[1] هاجَ شوقي دعاؤكِ المرفوعُ
إنّما تستثيرُ رِقّةُ شكوا كِ دموعي والوجدُ حيثُ الدموعُ[2]
طَرِبتْ[3] عند إلفِها ، وشَجاني فَقْدُ إلْفي فأيّنا المفجوعُ

* * *

وله :

لا تناظرْ جاهلاً أسـ ـعدكَ الدهرُ إليه
إنما تُهْدي له علـ ـماً يُعادِيكَ عليه

* * *

وله من قصيدة يصف إبريق المُدام :

ترى الإبريقَ يحملُه أخوه كِلا الظّبْيَيْنِ يَلْثِمهُ ارتِشافا
يَظَلُّ كمُطرِقٍ في القوم يبكي دماً أو ناكسٍ يشكو الرُّعافا

ومنها[4] :

بكفِّ مُهَفْهَفِ الكَشْحَيْنِ يُنْمَى إلى الغُصْنِ اعتدالاً وانعطافا

---

(١) مقرى : بالفتح ثم السكون ؛ قرية من نواحي دمشق . وأهل دمشق على ضمّ الميم (معجم البلدان) .
(٢) في هامش «ب» : حول هذا البيت تعليقة يظهر منها : من قول المتنبي .. ثم لا يتضح القول الذي يشير إليه .
(٣) في «ج» : طَرِبت . (٤) لم ترد في «ب» .

يُدير الكأس من يده دِهاقاً   ويَسْقي الرَّاحَ من فمه سُلافا
ويُهدي الوردَ لا مِنْ وَجنتَيه   فيأبى أَخذَه إلاّ قِطافا

ومنها في وصف المغنّي :

ومُسْتَمِعُنا الأغنُّ إذا تغنّى   خامت على مَحبَّته[1] العَفافا
يُضاعِف من سرور القلب حتى   يكاد يشُقّ الطرب الشَّغافا

* * *

وله يصف الغدير وقد تدرّج ماؤه بالنسيم :

أوَ ما ترى طرب الغدير   إلى النسيم إذا تحرَّكْ
بل لو رأيت الماء يلـ   ـعب في جوانبه لَسَرَّكْ
وإذا الصَّبا هبّتْ عليـ   ـه أتاكَ في ثوبٍ مُفرَّكْ

* * *

وله من قصيدة :

بِما بعطفيك[2] من تيه ومن صَلَفِ   مَنْ دَلّ ذلك يا هذا على تَلَفي
ناشدْتُكَ اللهَ في نفسٍ غدَتْ فِرَقاً   بين الجوى والأسى والبثّ والأسفِ
ومهجةٍ رفع التكليفَ خاتمُها   عنها لشدّة ما تلقى من الكلَفِ
أَستشعرُ اليأس في لا ، ثمّ يُطمِعُني   إشارةٌ في اعتناق اللامِ والألِفِ
إنْ أنت روّيتَ من[3] ألفاظه أذُناً   علمتَ كيفَ مقرُّ الدُّرّ في الصَّدَفِ

---

(١) في « ح » : على محبيه . (٢) في « ح » : بعطفك . (٣) في « ح » : في .

وإن نظرتَ إلى القِرطاس في يده رأيتَ كيف نباتُ الرَّوْضِ في الصُّحُف

* * *

وله من قصيدة:

أَوْطَنَ القلبَ من هواكم فريقُ ما لِصَرْفِ النَّوى عليه[1] طريقُ
كلّما امتدّ بيننا أَمَدُ البَيْـ ـنِ تَدانى هواكُمُ المَوْموقُ
طولُ عهدي بكم يضاعِفُ وَجْدي وكذا يفعلُ الشّرابُ العتيق
حَجَبَ الدّمعُ مقلتي، فعداها أن ترى ما يروقُها ما تُريقُ
وأرى البُعْدَ في الصَّبابة كالقُرْ بِ فقلبي على الزّمان مَشُوقُ
ولآلي دُموعِ عيني طوافٍ فلماذا غَوّاصُهُنّ غريق
لا يُرَعْ في يد الفِراق زَمانٌ مرَّ لي مِنْ وِصالِكم مَسْروق
حيثُ غُصنُ الشبابِ غضٌّ[2] وَرِيقٌ وتَحايا المُدام غَضٌّ وَرِيقُ
وغَرامي لا يَستدِلُّ به الطَّيْـ ـفُ ولا تهتدي إليه البُروق
والليالي مثلُ الغواني إذا أَسْـ ـفرن لم تدر[3] أَيُّها المعشوق
في زمانٍ تضاعَفَتْ لعميدِ الـ ـمُلك في ظلّه عليَّ الحقوق

ومنها:

لو شهِدْتُم صَبابتي لعلمتُمْ أنّ قلبي بحبّكم مَمْذوقُ
أَو[4] وقفتم على غُلُوّيَ فيكم قام لي عندكم بذلك سوق

---

(١) في «ح»: عليّ. (٢) في «ح»: غضّ.
(٣) في «ح»: لم يدر. (٤) في «ب»: لو.

رابني بَعْدَكم زماني فلا الأيـــامُ بيضٌ ولا الربيعُ أنيقُ
ورأيتُ الرَّحيقَ يجلبُ همّي أفحالَت عن السُّرور الرحيق
أسلمتني إلى الأسى ، فهي في الكأ سِ رَحيقٌ ، وفي فؤادي حريق
وبَلَوْتُ الورى قياساً إليكم فاستمرت على قياسي فُروق
وتصفّحتُ بَعْدَكم شِيَمَ النا س وفيها الصَّريحُ والمَمْذوق

ومنها[١] :

يَعِدُ الدّهر باللّقاء فيُنسيــني ويَرْوي أخبارَكم فَيَشُوق[٢]
سانحاتٍ يكاد يتّهم السمــعَ عليها قلبٌ عليكم شَفيقُ
ويُعاطيني الغرام أفاويـــق هواكم فما أكاد أُفيق
غير أني أهيم شوقاً إذا هَـــبَّ نسيمٌ بنَشْركم مَفْتوق
قد ملكتُمْ قلبي وسرَّحتُمُ جسـمي فواهاً أنا الأسيرُ الطليق

* * *

وله من قصيدة :

مَنْ مُنْصفي من حُبِّ ظالمْ والحبُّ فيه الخصمُ حاكمْ[٣]
ما كنتُ أدري ما الهوى حتى بُليتُ بغير راحم
قاسي الفؤادِ يبيتُ في رَغَدِ الكَرى وأبيتُ هائم[٤]
ومن العجائب أن يرى[٥] مُتَيَقِّظاً في إثر نائم[٤]

(١) لا تبدو اللفظة في « ب » . (٢) في « ح » : وتـروى أخباركم فتشوق .
(٣) في « ح » : والحبّ فيه أيّ حاكم . (٤) سقط البيتان في « ب » . ويبدو انهما استدركا على الهامش غير انهما لا يظهران إذ يطمسها حاجز ما بين الصفحتين في التصوير . (٥) في الأصل : يرى .

يا صارمي أوَ ما كفى ما في جفونك من صوارم
لاموا عليك وليس لي سمعٌ يعنّ(١) على اللوائم
لومَ الحسود على محبّـ ـبة العميد أبي الغنائم

* * *

وله :

يا معشرَ الفتيان ما عندكمْ في حالمٍ ذيدَ عن الوِرْدِ
آلى على الخمرة لا ذاقها ما عاش إلاّ زمن الوَرْدِ
وقد مضى الوَرْدُ فهل رخصةٌ في أن يكون الوَرْدُ من خدّ

* * *

وله :

مَنْ رآني قبّلْتُ عينَ رسولي ظنّ أنّ الرسولَ جاء بسُولي
إنّ عَيْناً تأمّلَتْ ذاك الوجْـ ـه أحقّ العُيونِ بالتّقبيل

* * *

وله في غلام يهوديّ صيرفيّ :

في بني الأسباط ظبيٌ مالكٌ رِقّ الأسودِ
يأسِرُ النـاس بقدٍّ ونحورٍ وجيـ ـدِ
تُنْبِتُ(٢) الأبصار في وجـ ـنته وَرْدَ الخدودِ
مَلِق الوعد متى طا لبه اللّحظ بجودِ
كلّمتْ زهرةُ عينيـ ـه بإثمـار الوعود

---

(١) في « ح » : يعزّ . (٢) في « ح » : تنبت .

صيرفيٌّ في غرامي في صُروف ونقود
أنا في الدين حنيفـ ـيٌّ وفي الحبّ يهودي

* * *

وله من قصيدة في مجير الدين آبق وكان صاحب دمشق[1] :

كلما غضّ[2] هواكم من جفوني سكَنَ اللّوْمُ اعتراراً اسكوني
ووراء الصّدر مني لَوْعةٌ شامَها رَكْضُ دموعي في شؤوني
يا لَدمْع حارٍ[3] في أجفانه أنْ يسمّى بوفيٍّ أو خؤون
فلئن دلّ على وَجْدي بكم فلقد حامى عن السرّ المصون
فتأمّلْ عَجَباً من ماطرٍ خائنٍ يُخبر عن قلبٍ أمين
في سبيل الحبّ مني مُهجةٌ قُتِلَتْ بين خدود وعيون
يَئِستْ أنْ تفتدى أفئدةٌ أُسِرَت بين فتور وفتون
وقلوبٌ مَلَكَتْهنّ[4] المها فاتكاتٍ بالنُّهى[5]. مُلْكَ اليمين
جيرةٌ ما زال قتلي دينَها واعتصامي بمجير الدين ديني

* * *

وله من قصيدة في الشيْب :

ياهندُ مَنْ لأخي غرامٍ ، ماجرى بَرْقُ الثّغور لطرفه إلاّ جرى
أبكتْه شَيْبَتُه وهل من عارضٍ شِمْتَ البوارقَ فيه إلاّ أمطرا
لا تنكري وَضَحاً لَبِسْتُ قتيرَه رَكْضُ الزمان أثار هذا العِثْيَرا

(١) انظر ترجمته في الصفحة ١١٥ (٢) في « ح » : عضّ . (٣) في « ح » : جار .
(٤) في « ح » : ملكهن . (٥) في « ح » بالنا .

وله من قصيدة في مجير الدين أيضاً :

أتراكَ عن وَتْرٍ وعن وَتَرِ ... ترمي القلوبَ بأَسهم النظرِ
كيف السبيلُ إلى طِلاب دمي ... والثأْر عند معاقل[1] الحَوَر
هي وَقعة الحَدَق المِراض فمن ... جُرحٍ جبارٍ أَو دمٍ هَدِر
تمضي العزائم حيث لا وَزَر ... وتَفَلُّ دون معاقِد الأُزُر
يا صاحِ راجعْ نظرةً أَمماً ... فقدِ اتُّهمت على المها بصري
بَكَرتْ تطاعننا لواحظُها ... فتنوب أَعيننا عن الثُّغَرِ
وتُري مباسمها معاصمها[2] ... مجلوَّةً في لؤلؤ الثغَرِ
يا لائم العشّاق إنّهمُ ... لَيرون ذنبك غيرَ مُغتفَر
أَوما علمتَ بأَنها صور ... جادتْ بأَنفسها على الصُّور
ومُدامة كالنار مطفئها ... غرضٌ[3] لها ترميه بالشَّرر
يجري الحباب[4] على زجاجتها ... والنّبرُ خيرُ مراكبِ الدُّرَر
كالجمر تنفح[5] كف حاملها ... فتظنُّه منها على خطر
والكأْس والساقي إذا اقترنا ... فانْظر الى المرّيخ والقمر
عَدَلا على طربي[6] بجائرةٍ ... لولا مجير الدين لم تَجُرِ[7]

* * *

(١) في « ح » : مقاتل . (٢) في « ح » : معاصمها مباسمها .

(٣) في « ح » : عرض . (٤) في « ح » : اللجين .

(٥) في « ب » : كالخمر وفي « ح » : يلفح .

(٦) في « ب » : عَدَلا على طرفي . (٧) في « ب » : لم يجر .

ولـه في مدح مجير الدين من قصيدة :

أرى الصوارم في الألحاظ تُمْتَشَقُ[١] ... متى اُستحالتْ سُيوفاً هذه الحَدَقُ

واويلتا[٢] من عيون قلّما رمقتْ ... إلاّ اُنثنت عن قتيلٍ ما به[٣] رمق

يا صاح دعني وما انكرتَ من ولهي ... بن الفريقُ فقلبي بعدهم فرق

أما ترى أيَّ ليثٍ صاده رشأٌ ... وأيَّ خِرْقٍ دهاه شادنٌ خَرِق[٤]

في معركٍ لذوات الدَّلِّ لو شرقت ... بجرِّه أنفسُ العُشّاق ما عشقوا

من كلّ شمسٍ لها من خِدْرها فَلَكٌ ... وبدرِ تمٍّ له من فرعه غَسَق

ومن كثيب تجلّى فوقه قمرٌ ... على قضيبٍ له من حُلّةٍ ورَق

وغادةٍ في وشاحٍ يشتكي[٥] عطشاً ... في خَجُول[٦] بها من ريّها شَرَق

تبسّمتْ والنّوى تبدي الجوى تحجبا ... من لوعة تحتها الاحشاء تحترق

وأنكرت لؤلؤ الأجفان حين طفا ... منها على لجّةٍ غوّاصها غَرِق

ومنها :

يا منْ لصبٍّ شجاه ليلُ صَبْوَته ... متى تبسّم هذا الأبيضُ اليَقَقُ

متى نهنه النُّهى حنّت عَلاقته ... إن الكريم بأيام الصّبى عَلِقُ

صاحبتُ عمريَ مسروراً ومكتئباً ... كذاك العيش فيه الصّفو والرنَقُ

وعشتُ أفتح أبواباً وأُغلِقها ... حتى سمتْ بي عُلاً ما دونها غَلَق[٧]

---

(١) في « ح » : ممتشق . (٢) في « ح » واويلتا . (٣) في « ح » : ماله .

(٤) الخِرْق : الذي الحسن الكريم الخليقة . والخَرِق : ولد الظبية الضعيف القوائم .

(٥) في « ح » : تشتكي . (٦) ح الحجل : الخلخال .

(٧) في « ح » : غلق .

فسرتُ مُغتبِق الإدلاج مُعتنِقاً ذرى عزائمَ من تعريسها العَنَق[١]

لا أرهب الليل حتى شاب مَفرِقهُ وهل يخاف الدُّجى من شمسه أبق

* * *

وله فيه[٢] من قصيدة وهي آخر ما أنشده في شعبان سنة ثمان وأربعين :

بين فتور المقلتين والكَحَلْ هوىً له من كلّ قلبٍ ما انتحلْ

ترَقَّ من فتكتها لواحظاً أما ترى تلك الظُّبا كيف تُسَلّ

يا ويحها نواظراً سواحراً ما عُقِل العقلُ بها إلاّ اختبلْ

لو لم تكن بالمَلْ في أجفانها لما بَرَتْ أسهمَها من المُقَلْ

يا رامياً مسمومةً نصالُهُ عينَاك لقارَةٍ، قالَ لي، أم ثُعَلْ[٣]

وعاذلٍ خوّفني من لحظها إليك عني، سبق السيفُ العَذَلْ

ذلك على سَفْك دمي محبّبٌ أنا القتيلُ مُغرَمٌ بمن قتلْ

لاحظت منه وجنتين[٤]، ما جرى ماء الصِّبا بجمرها إلاّ اشتعلْ

آنَ على ظمآنها ضمانة[٥] لو كفل الخصرُ لِوَجْدي بالكَفَلْ

ومنها :

يا صاح حَلَّ من أُشيط الأسى إذا حللت بين هاتيك الحِلَلْ

سلْ عن رُقادي بالغضا أين مضى وعن فؤادي بعدها ماذا فعلْ

---

(١) التعريس : النزول للاستراحة . العنق : السير السريع .

(٢) في الممدوح مجير الدين (انظر ترجمته في الصفحة ١١٥) .

(٣) القارة وثُعل : حيّان من أحياء العرب شُهرا بإحكام الرماية .

(٤) في « ح » : وجنيات ، وفي « ب » وجنيات . (٥) الضمانة : الزمانة .

وإن رأتْ عيناك ربعاً خالياً … فاسقِ حَيا (١) طَلَّها ذاك الطَّلَلْ

وَعَدِّ عن محاجرٍ بحاجرٍ (٢) … نظرتُها أقربُ عهدٍ بأجلْ

واجْتَنِ أثمارَ الهوى فبالَّلوى … غصنُ نقاً يَحملُ تُفّاحَ الخجلْ

وإنْ يغبْ عنك اهتزازُ قدِّه … فسلْ به أترابَه من الأسَلْ

كلُّ حَلالٍ عنده مُحرَّمٌ … فليت شعري عن دمي كيف استحلْ

إيّاك أن تحمِلَ قتلي ظـُلماً … فما لخصمي بقتيلي (٣) من قِبَلْ

ترى (٤) وَليَّ الثأرِ إن أرادَه … فيا مُجيرُ من مُجيرِ الدمِ هلْ

* * *

وله في غلام صَيْرَفيّ :

ظَبيٌ بسوق الصَّرْف ، من أجله … مَهرْتُ في الصَّرف وفي النقدِ

ما كنتُ في صَيْدي له طامعاً … لو لم يكن إبليس من جندي (٥)

يقول ، والدينار في كفه : … مَنْ عنده ؟ قلتُ له : عندي

وكمّتني عينُه بالرّضا … وأَنعقد الوعد على الوعد (٦)

* * *

وقوله في (٧) غلامٍ التحى :

يا عارضاً نفسَه (٨) ، وعارضُه … يضرب دون الوصال بالحُجُبِ

---

(١) في « ب » : فاستوجبا .

(٢) من منازل الحج في البادية .

(٣) في « ب » : بقتيل .

(٤) في « ح » : يرى .

(٥) لم يرد البيت في « ب » .

(٦) في « ح » : على الوعد .

(٧) في « ح » : وله في …

(٨) في « ح » : نفسه .

أَنْبتَ منه اسُلُوتي سبباً يا هاجري قبل ذا بلا سببِ
فأُلقَ به قطعَ كلّ ذي صلة هذا كُسُوفٌ بِعُقْدَةِ[1] الذّنب

* * *

وله في العِذار :

وقالوا لاح عارضه وما وَلّتْ وِلايتُهُ
فقلت عِذارُ مَنْ أهوى أمارتُـه إمارتُـه

* * *

وله :

إلاّ يكنْ قد هَوِيتُه بشراً فإنّه فتنةٌ على البشرِ
واحَرَبا من بياض وَجْنته تراكضتْ فيه ظُلْمَةُ الشَّعَرِ
حين تبدّى سَوادُ عارضه كما تبدّى الكسوفُ بالقمر

* * *

وله من قصيدة في الأمير مؤيد الدولة[2] :

أين مضاء الصّارمِ الباترِ من لحظاتِ الفاتن الفاترِ
وأين ما يُؤْثَر عن بابلٍ مِنْ فعالِ هذا الناظر[3] الساحر
ظَبْيٌ إذا لوّح منه الهوى بواصلٍ صرّح عن هاجر
يوهمني في قوله باطناً والحكْم محمولٌ على الظاهر

(١) في « ب » : لعقدة . والعقدة عند أهل الهيئة اسم للرأس والذنب . فعقدة الرأس تسمّى بالعقدة الشمالية (أو العقدة الصاعدة) وعقدة الذنب تسمى بالعقدة الجنوبية (أو العقدة النازلة) .

(٢) في « ب » : وله من قصيدة في الأمير مؤيد الدين بن منقذ . ومؤيد الدولة هو أسامة بن منقذ (انظر في التعريف به الصفحة ٧٦ الهامش ٥)

(٣) في « ح » : الصارم .

نام وأغرى[1] الوجدَ بي فانظُروا ... ما أولعَ النائمَ بالساهرِ

ثم اغتدى يقنِصُني نافراً ... يا عَجَبا لِلقانص النافر

عاتبتُه في عَبْرتي زاجراً ... خوفاً على الأسرار من زاجر

فاعتذرتْ عيني إلى عينهِ ... معذرةَ الوافي إلى الغادر

أضنى[2] الهوى قلبي ليطوي به ... مسافةَ البيْنِ على ضامر

وطار فانقضّ عليه الجوى ... بكاسِر الجفن على كاسر

وقهوةٍ تحسب كاساتِها ... كواكباً في فلك دائر

رَعَتْ بها لَيْلَ الهوى[3] فانجلى ... عن شمس هذا الزمن الناضر

وأبعَدَ[4] الأخطارَ تقريبُها ... مؤيِّدَ الدولةِ من خاطري

* * *

وله في سرج[5] :

حملتُ الجياد[6] فأكرمْتَني ... ورحتُ وقد حملتني الجياد[7]

فها أنا لا أتيه على العالمين ... وفوقي جوادٌ وتحتي جواد

* * *

وله أيضاً من قصيدة[8] في مؤيد الدولة :

كيف قلتُم ما عندَ عينيْه ثارٌ ... وبخدَّيْه من دمي آثارُ

---

(١) في « ب » : وأعرى . (٢) في « ح » : أضنى . (٣) في « ب » : النوى .

(٤) في « ح » : وأقرب . (٥) في « ح » : على سرج .

(٦) في « ح » كتب الكاتب « الجواد » ثم استدرك فوقها بكلمة « الجياد » .

(٧) الجياد جمع الجيد . وجمع الجواد بمعنى الفرس السريع .

(٨) في « ح » : وله أيضاً في مؤيد الدولة .

لو شهدتم إعراضَه وخُضوعي لم يكنْ في قضيّتي إنكار

يا لَقومي وكيف تُنْكِر[١] قتلي لَحَظاتٌ جُحودُها إقرار

إن تطالبتمُ من الطرْف والوجْـ ـنة عذري ففيهما أعذار

أو سألتُمْ أيُّ البديعيْن أذْكى جُلَّ ناري فذلك الجُلَّنار[٢]

ما أراني ليلي بغير نهارٍ غيرُ ليلٍ يلوح فيه نهارُ

زاد إشراقُ وجهه بين صُدغيْـ ـهِ وفي الليل تُشْرِق الأقمار

لا تسلْني عن الهوى فهو في الأجـ ـفان ماء وفي الجوانح نار

ويظنّ العذولُ أنّ مشيبي ضاحكٌ عنه لِمّةٌ وعِذار

لم أشِب غير أنّ نار فؤادي ألهبت فاعتلى الدُّخانَ شرارُ

* * *

وله من قصيدة :

فمٌ وثغرٌ وشَنَبْ كأسٌ وخمرٌ وحَبَبْ

واحَرَبا[٣] مِنْ شادنٍ لم يَرْضه مني الحَرَب

مُوَلَّد[٤] ليس له إلاّ إلى الحسن نَسَب

يَضْحك عن مُسَدَّسا تِ[٥] النحل فيهنّ الضَرَب

ما إن حماني ثغرَه إلاّ سباني ونَهَب

---

(١) في « ح » : ينكر .

(٢) في « ب » : أم ذلك الجلنار .

(٣) في « ح » : واحربي .

(٤) في « ح » : مؤيد .

(٥) في « ب » : مدسات .

ولا مشى تهادياً إلاّ مشى القلبُ خَبَبْ[1]

هل سببٌ إلى الرّضا يا عاتباً بلا سبب

تُنْكِرني قتلي وفي يَدَيْكَ من قتلي سَلَبْ

ما ليَ أبكي قاتلي يا للرجال لِلْعجب[2]

كأنّ عينيّ إذا دمي على دمعي انسكب

يدا أمين الدين تهـــمي باللُّجَيْن والذّهب

* * *

وله من قصيدة :

يا غريراً غرّ الفؤادَ المُدَلَّهْ يا عزيزاً به عرفتُ المَذَلَّهْ

بأبي ذلك الملاك وإن أصــبح من قتلتي على غير مِلَّهْ

كلّما ناظرَ العواذلُ فيه رُحْتُ من دَلّه قويَّ الأدِلَّهْ

أيّها الشادنُ المحرَّمُ وَصْلي كيف أغفلت مُقلةً مُسْتَحِلَّهْ

وإذا كان لحظه سببَ السُّقْــم فَلِمْ قيل إنها مُعْتَلَّهْ

ومن الوجد في العلاقة[3] أني لا أمَلّ الصدود حتى تَمَلَّهْ

حدِّثوه بعلّتي وسقامي فعسى أن يرقّ لي ولعلّه

آه مِمَّنْ إذا رفعتُ إليه من غرامي أدقّه وأجلّه

ردَّ رُزْنامجَ الشكاةِ وقد وَقّـــع لي فيه : صحّ والحمدُ لله

---

(١) في « ح » : وخب .
(٢) في « ح » : من عجب .
(٣) في « ح » : والعلاقة .

نظراً عادلاً كأنّ عماد الـــــدّين من لفظه عليه أماَّه
ألمعيّاً هواه عندي(١) على البُعـــــد مولًى على فؤادي المولّه
ذا يدٍ ذائداً بها نُوَبَ الدهـــــر فكم ردّها بأبرح غلّه

* * *

وله من قصيدة :

يذود الظُّبي عنهنّ والحدَقُ الصِّيدُ أمرْهَفَةٌ بيضٌ ومُرْهَفَةٌ سُودُ
على أنّ أوحاهنّ فتكاً صوارمٌ صياقلها أجفانهـــا والمراويد
فلا جسمَ إلاّ بالبواتر مُقْصَدٌ ولا قلبَ إلاّ بالنواظر مقصود
وما البارقاتُ الراعدات عواصف بهمّيَ لولا المُبرِقاتُ الرّعاديد(٢)
وليس الهوى ما صدّني عنه غَيْرةٌ(٣) ولا ما لواني(٤) عنه لَوْمٌ وتفنيد
ولكنه الشكوى إلى من أحبّهُ وإن حال صدٌّ دونها وصناديد
هل الرّوضُ من تلك المحاسن مُجتَنًى(٥) أم الحوضُ من ذاك المقبّل مَوْرود
وهل ظِلُّ ريعان الشبيبة عائدٌ عليّ ولُقيان الأحبّة مَرْدود(٦)
ودادٌ بأكناف الوفاء مُمَنَّعٌ وعهدٌ بأنواء الصّبـــابة معهود

ومنها :

وإني لخوّارُ الشكيمة في الهوى وإنْ بات في خدّيّ الدّمع أُخدود

---

(١) في « ب » : مني .
(٢) سقط البيت في « ح » .
(٣) في « ب » : غيره .
(٤) في « ح » : ما ثناني .
(٥) في « ح » : مجتنى .
(٦) سقط البيت في « ح » .

تَنَكَّبُ[1] خوفاً من دمي البيضُ والقَنا ... وَتَلْوِى به في لَيِّهِنّ المواعيدُ

ويَنْزِل لي عن ثارها النَّفَرُ العِدى ... وتقتادني في دَلِّها البقرُ[2] الغِيد

ويقطع[3] فيَّ الطَّرْفُ ، والطرفُ فاترٌ ... فقلْ في مَضاء السيفِ والسيفُ مَغْمود

* * *

وله من قصيدة مطلعها في الشيب :

أمّا الشبابُ فطَيْفٌ زارني ومضى ... لمّا تبلّج صُبْحُ الشَّيْب مُعْترِضا

ما كان أبيضَ وجهَ الْوَصلِ حين دجا ... وما أشدَّ ظلامَ الهجرِ حين أضا

وما وجدتُ الصِّبا في طُول صُحبته ... إلاّ كما لَبِس الجفنُ الكَرى ونَضا

فالآن صرَّح شيْبُ الرأس عن عَذَلٍ ... محضٍ ، ولم يَرْوِ[4] عنك النُّصحَ مَن مَحَضا

فإن تَبِتْ سُحُبُ الأجفان هامية ... فعن سَنا بارقٍ في عارضٍ وَمَضا

ومنها[5] :

ومن عجائبِ وَجْدي أنه عرضٌ ... لم يُبْقِ منّيَ جسماً يحمِل العَرَضا

ولم يدعْ ليَ موتُ السرِّ من جسدي ... عِرْقاً إذا جسَّه آسي الهوى نَبَضا

فإن يكن دَلَّ إعراض الدَّلال على ... غير المَلالِ فسُخْطي في هواكَ[6] رضا

* * *

(١) في « ح » : تنكبت .

(٢) في « ح » : ويقتادني في دلها النفر .

(٣) في « ح » : وتقطع .

(٤) في « ب » : عن عذل منه . وفي « ح » : [illegible] .

(٥) لم ترد اللفظة في « ب » .

(٦) في « ب » : في رضاك .

وله من قصيدة :

إنّ الأُلى جمعتْهمْ والنّوى دارُ ... جارُوا فهل أنت لي من ظلمهم جارُ
ساروا على أنهم قرباً كبعدهم[1] ... فما أبالي أقام الحيُّ أم سارُوا
عندي على الوجد فيهم كلُّ لائمةٍ ... وعندهم للهوى العُذريِّ أعذارُ
في الصُّدور[2] صَباباتٌ وَمَوْجِدَةٌ ... وفي الخُدور لُباناتٌ وأوطارُ
قد أنكر الناس من دمعي ومن حُرَقي ... هوًى تهادَن[3] فيه الماءُ والنارُ
إلامَ أُعلن أسراري وأكتمها ... وآيةُ الشوق إعلانٌ وإسرارُ
دَيْنٌ ، على عبراتي أنْ تُقِرَّ به[4] ... وإنما غايةُ الإنكار إقرارُ

* * *

وله من قصيدةٍ في خِتان :

وَنَجْلٍ تدرك[5] الأبصارُ منه ... سنا قمرٍ بتاج المجد حالِ
حَبَتْه سُنّةُ الإسلام طُهراً ... تكفَّل غَيْرَةَ الماء الزُّلال[6]
فيالكَ من دمٍ يجري سُروراً ... وكَلْمٍ نقصُه سِمَةُ الكمال
وذي ألمٍ يلذّ به[7] وجرحٍ ... يكون قصاصُه جَذَلَ الرجال[8]
وأيّ جناية ترْضَى[9] المَساعي ... بها ، ويُثاب جانيها بمال

(١) في « ح » : لبعدهم .
(٢) في « ب » : الصدود .
(٣) في « ح » : يهادون .
(٤) في « ب » : لن تقر بها . وفي « ح » : يقر .
(٥) في « ح » : يدرك .
(٦) في « ح » : غيرة ما الزلال .
(٧) في « ب » : تلذ .
(٨) غابت الكلمتان الأخيرتان في مصورة « ب » .
(٩) في « ب » : يرضي المساعي .

ولهُ من قصيدة :

لو أنَّ[1] قاضي الهوى عليَّ وَلِي ... ما جار في الحكم مَنْ عَليَّ وَلي

وكان ما في الدّلال من قِبَلِ الـ ... ـحُسْن بما في الغرام من قِبَلي

حسبي وحسبُ الجوى أُغالبه ... فيا عذولي ما لي وللعَذَل

كيف يُداوى[2] الفؤادُ من سَقمٍ ... تاريخُه كان وَقْعةَ المُقَل

لا تَسْقِيَنّي صريحَ لامَتِه ... فَصِحّتي في سُلافة القُبَل

بي من بني الترك شادِنٌ غَنِجٌ ... يصيد لحظ الغزال بالغزل

أَغْيَدُ يقتالُ طرفه ثَمِلاً ... وليس فيه سَماحةُ الثَّمِل

مُبتسِمٌ والعيونُ باكية ... وفارغٌ والقلوب في شُغُلِ

لا حظني كالقضيب معتدِلاً ... وصدّ والصبرُ غيرُ معتدل

وأصبحتْ في الورى محبّتُه ... كأنهـا دَوْلةٌ من الدُّوَلِ

مَلاحةٌ دانت القلوبُ لهـا ... طَوْعاً[3] كما دانت العُلى لعلي

* * *

ولهُ من قصيدة[4] :

ما أستأنفَ القلبُ من أشواقه أَرَبا ... إلاّ أستفزّته آياتُ الهوى طَرَبا

لله نِسبةُ أنفاسي إلى حُرَقي ... إذا النسيمُ إلى رَيّا الحِمَى أنتسبا

---

(١) في « ح » : كان .
(٢) في « ح » : يداوي الفؤاد .
(٣) سقطت اللفظة في « ب » .
(٤) سبق للعماد أن اختار من هذه القصيدة خمسة أبيات (انظر ص ١٢٠)

أهكذا لم يكن في الناس ذو شَجَنٍ إلاّ صَبا كلّما هبَّتْ عليه صَبا

ما أعجبَ الحبَّ ، يُدْعَى بأسْه غزَلاً جَهلاً به ، ويُسَمَّى جِدُّه لَعِبا

ويْحَ الحَمامِ أما تجتاز بارقةٌ[1] إلاّ بكا في مغاني الدار وانتحبا

كأنه واجدٌ وَجْدي بجيرتها فكلّما خطرت في قلبه وَجَبا

فموضعُ السِرِّ مني[2] يستضيء سَنًا ومنبع الماء منه[3] يَلتظي لهَبا

ومنها[4] :

أحبابَنا ، عاد عيدُ الهمّ بعدَكمُ تباعدتْ دارُكم في الحبّ واقتربا

ما بال سَلْوةِ بالي لا تسرّكمُ[5] حتى كأنّ لكم في راحتي تعبا

ما خانكم جَلَدي إلاّ وفى لكمُ قلبٌ متى سُمْتَه تركَ الغرام أبى

عَلاقةٌ غلبتْ صبري فلا عَجبٌ إن الصّبابة خصمٌ طالما غلبا

* * *

وله من قصيدة يهنّئ فيها أتابك الكبير عماد الدين زَنْكي[6] بن آق سُنْقُر رحمه الله سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بفتح الرُّها[7] . أولها :

هو السّيفُ لا يُغنيكَ إلاّ جِلادُهُ وهل طوّق الأملاكَ[8] إلاّ نجادُهُ

---

(١) في « ح » : ويح الغمام أما يختار بارقة . وفي « ب » : يجتاز .

(٢) في « ح » : بموضع السر منه . (٣) لعلها : منها .

(٤) جاءت اللفظة في « ب » في آخر البيت: كأنه واجد . . (٥) في « ب » : بال ، وفي « ح » لا يسركم .

(٦) كان أبوه من خواص السلطان ملكشاه السلجوقي وولاه حلب وحمص وغيرهما . فلما مات ملك ابنه جميع هذه البلاد وزاد حتى ملك الشام كله من محمد بن بوري بن طغتكين وفتح الرها وكانت لجوسلين الأرمني . ولد سنة ٤٧٧ وقتل على أبواب قلعة جعبر سنة ٥٤١ . كان قوي المراس عظيم الهيبة فيه ظلم وزعارة . (انظر وفيات الأعيان وشذرات الذهب والنجوم الزاهرة)

(٧) انظر ص ١٠٨ (٨) في « ح » : الآمال .

منها :

فيا ظفراً عمَّ البـلادَ صلاحُه ... بمن كان قد عمَّ البلادَ فسادُه

غَداةَ كأنّ الهامَ في كلّ قَوْنَسٍ ... كمائمُ [1] نبتٍ بالسُّيوف حَصادُهُ

فما [2] مُطْلَقٌ إلاّ وَشُدَّ وَثاقُهُ ... ولا مُوثَقٌ إلا وحُلّ صِفادُه

ولا مِنْبَرٌ إلاّ ترنّح عودُه ... ولا مُصْحفٌ إلاّ أُنير مِدادُه

إلى أين يا أسرى [3] الضَّلالةِ بعدها ... لقد ذلّ غاويكم وعزّ رشادُه

رويدَكُمُ لا مانعٌ من مُظَفَّرٍ ... يعانِدُ أسبابَ القضاء عِنادُه

فَقُلْ للملوكِ الكُفرِ تُسْلِمْ بعدها ... ممالكَها إنّ البـلاد بلادُه

كذا عن طريق الصّبح أيتها الدُّجى ... فيا طالما غالَ الظلامَ امتدادُه

فلو دَرَجُ الأفلاك [4] عنه تحصّنت ... لأمستْ صِعاداً فوقَهنّ صِعادُه [5]

ومن كان أملاكُ السموات جُندَه ... فأيّةُ [6] أرضٍ لم تطأها جيادُه

ومنها [7] :

سمت قِبلةُ الإسلام فخراً بطَوله ... وما كان يسمو الدين لولا عمادُه

* * *

وله وقد اجتاز بعزاز [8] في عهد الفرنج بها ، خذلهم الله ، وأنشدنيها ولده موفق الدين خالد [9] :

---

(١) لم أجد هذا الجمع في هذا المعنى (انظر ص ٧٢ هامش ١)

(٢) في « ح » : فلا .

(٣) في الأصلين : ما أسرى .

(٤) في « ح » : الأملاك .

(٥) ج الصَّعْدة وهي بمعنى الرمح .

(٦) في « ح » : فآية .

(٧) لا تظهر اللفظة في « ب » .

(٨) عزاز : بفتح أوله وتكرير الزاي ، وربما قيل بالألف في أوله ، بليدة [illegible] شمالي حلب (انظر معجم البلدان) . قلت : واللفظ الشائع بالألف .

(٩) انظر ص ١٢٥

أين عِزّي من رَوْحتي بعَزازٍ وجَوازي على الظِّباء الجوازي[١]

واليعافيرُ[٢] ساحبات المَعافيـ ـر[٣] علينا كالرَّبْرَب المُجْتاز

بعيونٍ كالمُرْهَفات المَواضي وقدودٍ مثل القَنا الهزّاز[٤]

ونحورٍ تقلّدت بثغورٍ ريقُها ذَوْبُ سكّر الأهواز[٥]

ووجوهٍ لها نُبُوَّةُ[٦] حُسْنٍ غير أن الإعجاز في الأعجاز

كل خُمْصانة ثَنَتْ طرف الزنّـ ـار من سُرّةٍ على هِزّاز

ذات خَصْرٍ يكاد يخفى على الفا رس منه مواقعُ المِهْماز

لاحظتني فانقضّ منها على قلـ ـبي طرْفٌ له قَوادِمُ باز

وسبتْني لها ذوائبُ شَعرٍ عقدتْها تاجاً على ابرواز

مَنْ مُعيني على بنات بني الـ ـأصفر غزواً فإنني اليومَ غاز

* * *

وله :

إذا ما خدمتَ كبار الملوك فأوّلُ ما تخدُم الحاشيه

فكن[٧] جاري الماء يسقي الرياض فأوّلُ[٨] ما تشرب الساقيه

وله في العِذار :

يا مُطْنِباً بصُدوده في لِمّتي ما غاب تحت عِذاره من خدّهِ

---

(١) الجوازيء: مفرده جازئة وهي الظبية (أو البقرة الوحشية) اتجزئها بالرطب عن الماء . (٢) اليعفور «بفتح الياء وضمها» الظبي . (٣) في «ح» : المغافير . وفي «ب» : المغافير . وفي التاج : برد مَعافري منسوب إلى معافر اليمن ثم صار اسماً للثياب بغير نسبة فيقال : معافر . (٤) في «ب» : الهزهاز . وهو صفة للسيف يقال : سيف هزهاز أي صاف لمّاع . (٥) تتم الأهواز عدداً من الكُوَر ، واسمها أيام الفرس خوزستان . وسكرها أجود سكر وبه يضرب المثل . (٦) في «ح» : بنوة . (٧) في «ح» : وكن . (٨) في «ح» : وأول .

لك عارضٌ ألقى عليَّ بياضَه وأغار من شعري على مُسْوَدِّه

وأظنُّ خدَّك مُذْ تخوَّف نَهْبَه ضَرَب السِّياج على حديقةِ وَرده

* * *

وله من قصيدة يهنىء نور الدين (١) رحمه الله باستقرار أمر دمشق وأسر جوسلين (٢) وفتح أعزاز وقورص (٣) والقلاع ويذكر قتل الإبرنس صاحب أنطاكية :

لِيَهْنِ دمشقاً أن كرسيّ مُلْكِها حُبي منك صَدْراً ضاق عن همّه الصَّدْرُ

وأنك، نورَ الدين، مُذْ زُرتَ أرضها سمتْ بك حتى انحطّ عن نَسرها النسر

هي الثَّغْر أمسى بالكراديس عابساً وأصبح عن باب الفراديس يَفْتَرّ

فإمّا وقفتَ الخيل ناقعة الصَّدى على بردى من فوقها الوَرَق النَّضْر

فمن بعد ما أوردتها حَوْمَةَ الوغى وأصدرتها، والبيض من عَلَقٍ حُمْر

وجلّلتها نقعاً أضاع شِياتِها فلا شُهْبُها شهب ولا شُقْرها شقر (٤)

علا النهرَ لمّا كاثَرَ القصبَ نقعُه (٥) مكاثرةً في كل نَحْرٍ له نَحْرُ (٦)

وقد شرِقتْ أجرافه بدم العدى إلى أن جرى العاصي (٧) وضحضاحه (٨) غَمْر

صدعْتَهمْ صَدْعَ الزُّجاجة لا يدٌ لجابرها . ما كلُّ كسرٍ له جَبْر

(١) انظر في التعريف به ص ٧٨ هامش ٢ .

(٢) في « ب » : جوسكين . وهو جوسلين الأرمني وكانت له الرُّها وغيرها .

(٣) في « ب » : فورص . وعند ياقوت قورُس : كورة من نواحي حلب .

(٤) لم يرد البيت في « ح » . (٥) في الأصلين : على . وفي « ب » القلضب وفي « ح » القضب .

(٦) في « ب » : في كل مجري لها نهر . وفي « ح » من كل مجرى له مجر . والتصحيح عن الروضتين .

(٧) في « ب » موضع الكلمة بياض . وفي الهامش لفظة كتبنا إشارة إلى هذا البياض .

(٨) في « ح » : وصحاحه .

فلا ينتحل من بعدها الفخرَ دائلٌ ... فمن بارز الإبريز كان له الفخر[١]

ومَنْ بزّ أنطاكية مِنْ مالكيها ... أطاعته ألحاظُ المؤلَّلة الخُزْر

أتى رأسه ركضاً وغودر شِلْوه ... وليس سوى عَفْي[٢] النسور له قبر

كما أهدتِ الأقدارُ للقمص[٣] أسرَه ... وأسْعَدُ قِرنٍ من حواه لك الأسر

فأتتْ بأيديها إليك حصونه ... ولو لم تُجِبْ طوعاً لجاء بها القسر

وأمستْ عَزازُ كاسمها بك عِزَّةً ... تشقّ على النسرين لو أنها الوكر[٤]

فسِرْ تملإ[٥] الدُّنيا ضياءً وبهجةً ... فبالأفْقِ الداجي إلى ذا السَّنا فقر

كأني بهذا العزم لا فُلّ حَدُّه ... وأقصاه بالأقصى وقد قُضِيَ الأمر[٦]

وقد أصبح البيت المقدَّسُ طاهراً ... وليس سوى جاري الدماء له[٧] طُهْر

وإن تتيمَّمْ ساحلَ البحر مالكاً ... فلا عجبٌ أن يملك الساحلَ البحر

سللتَ سيوفاً أثكلت كلَّ بلدةٍ ... بصاحبها حتى تخوفك البدر

ومنها :

إذا سار نور الدين في عَزَماته ... فقولا لليل الإفك قد طلع الفجر

هُمامٌ متى هزّت مواضي سيوفه ... لها ذكرا[٨] ، زُفّت له قلعةٌ بِكْر

---

(١) في «ب» و «ح»: ذابل . والتصحيح عن الروضتين (ج ١ ص ٧٣) . وفي «ب» : الابريز ، وفي «ح»: الابرنز .

(٢) في «ح» : عامي . (٣) لعله يريد القمص صاحب طرابلس ، وكان ممن أسره نور الدين (انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩) (٤) في «ح» : وكر . والنسران : كوكبان يقال لأحدهما النسر الطائر وللآخر النسر الواقع . (٥) في الروضتين : وآملأ .

(٦) يعاود الشاعر هنا بعض معاني قصيدته المتقدمة (ص ١٠٨) في تهنئة الوزير جمال الدين بفتح الرها :

فإن يك فتح الرُّها لُجةً ... فساحلها القدس والساحل

(٧) في «ح» : به . (٨) في «ح» : هزّت مواضي سيوفه لها ذكرا .

ومنها :

خلعتَ على الأيّام من حُلَلِ العُلى[1] ملابسَ من أعلامها الحمد والشكرُ

فلا تفتخر مصرٌ علينا بنيلها فيمناكَ نيلٌ كلُّ مِصْرٍ به[2] مِصْرُ

* * *

وله من قصيدة في مجير الدين آبق[3] :

بسيفك المُنْتَضى من الكَحَلِ ووَرْدِك المُجْتنى من الخجلِ

وكأسك المُشْتَهى مُقَبَّلُها أنت لأجلي خلقت أمْ أجَلي[4]

أهوى لذكراك كلَّ عاذلةٍ حسْبُك حباً محبّةُ العذَل

لولاك لم أستلذّ لائمةً فليت مَنْ لامني عليَّ وَلي

كي لا يكون المَلام منه على مُعتدِل القدّ غير معتدِل

مُبتهِجٌ والنّفوس ذاهلةٌ وآمِنٌ والقلوب في وَجَل

لو بان جسمي لِخصره لَشكا ذاك إلى ذا ظُلامةَ الكَفَل

* * *

وله :

وحمائم ناحتْ على فَنَنِ فبعثْن لي حزناً إلى حَزَنِ

ناحتْ ونُحتُ ، وفي البكا فرج[5] فظللت[6] أُسعدها وتسعدني

شتّى الهوى ، والشوقُ يجمعنا كلٌّ بكى منّا على شجن

---

(١) في متن « ب » : المنى ، وفي هامش البيت تتوالى الكلمتان : الغنى ، العلى .

(٢) في الروضتين : بها . (٣) انظر ترجمته في الصفحة ١١٥ هامش ١

(٤) في « ح » : من أجلي . (٥) في « ب » : والبكا فرج . (٦) في « ب » : فظلت .

وله :

قال لمن أطلع شمس الـــــــكأس من أُفْق اليمينِ

إحبس الكأس[١] فقد عفـــــتُ سُلاف الزَّرَجونِ[٢]

وأسقني من خمر ألحا ظاك كأْساً من فتونِ

أنا لا أشربها إلّـــــلا بكاسات الجفونِ

لا تلمني، أين[٣] سُكْرُ الـــــخمر من سُكْر العيونِ

*   *   *

وله في العذار ، وقد أعجب فيه وأغرب :

يا مُسْكري وجداً بكأْس جفونه — قال لي : أتاك لواحظٌ أم قَرْقَفُ[٢]

بادر جمالك بالجميل فربما — ذَوَتِ الملاحةُ أَو أَبانَ المُدْنِفُ

وأسبق عذارك باعتذارك قبل أَن — يأْتي بعزل[٤] هواك منه مَعَاطِفُ[٥]

تشبيه العذار بالمعطّف[٥] ، في هذا المعرض ، من نسيم الروض أَلطف

(١) في « ح » : احبس الراح .
(٢) الخمر .
(٣) في « ب » : إنّ .
(٤) في « ب » : بعدل .
(٥) المعطفات : الرسائل .

باب

في ذكر محاسن جماعة من الشعراء

من أهل عصري الأقرب بدمشق

عرقلة الكلبي

وهو أبو الندى حسّان بن نُمَيْر [1]

من حاضرة دمشق ، من كَلْب وَبَرة من الجلاح [2] وهي بطن منها . لقيته بدمشق شيخاً خليعاً رَبْعَةً مائلاً إلى القِصَر ، أعور مطبوعاً ، حلو المنادمة ، لطيف النادرة ، معاشراً للأُمراء [3] ، شاعراً مستطرَف الهجاء ، لم يزل خِصّيصاً بالأُمراء السّادة بني أيّوب ، ينادمهم ويداعبهم ويطايبهم قبل أن يملكوا مصر ، والملك الناصر صلاح الدين يوسف أشغفهم [4] بنكته ، وأكلفهم بسماع نُتَفِه ، وله فيه مدائح ، ولديه منه منائح .

فمن جملة قوله فيه ، وكان قد وعده [5] أنه متى ملك مصر يعطيه ألف دينار ، فقصده ومدحه بأبيات ، منها :

قل للصّلاح مُعيني عند إعساري [6] ... يا ألف مولاي أين الألفُ دينار

أخشى من الأَسْر إن حاولت أرضكم ... وما تفي جنّة الفردوس بالنّار

فجُدْ بها عاضِديّاتٍ [7] مُسطَّرةً [8] ... مِنْ بعض ما خلّف الطاغي أبو العار [9]

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب (ج ٤ ص ٢٢٠) وفي فوات الوفيات (ج ١ ص ١٤٤) « بولاق ١٢٨٣ » وفي النجوم الزاهرة (ج٦ ص٦٤) وفي الأعلام . ولد سنة ٤٨٦ وتوفي سنة ٥٦٧ هـ

(٢) في «ح»: بن الجلاح . وفي «ب» من الخلاج . (٣) في «ح»: معاشر الأمراء . (٤) في عود الشباب: أشغفهم.

(٥) في « ح » : وكان وعده . (٦) في الأصلين : عند أنطاري ، والتصحيح عن الشذرات والفوات .

(٧) العاضديات : دنانير منسوبة إلى الخليفة الفاطمي العاضد ، ضربها بالقاهرة سنة ٥٦٤ هـ ، ونقش على وجهها « لا إله إلا الله . محمد رسول الله . علي وليّ الله » وآية من القرآن . وعلى ظهرها البسملة والتاريخ والمكان والاسم : « أبو محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين » . (٨) في الفوات : موفّرة .

(٩) في « ب » و « ح » : أبو الطاري ، وفي الشذرات : أخو العاري ، وفي الفوات : اخو العار .

حُمراً كأسيافكم غُرًّا[1] كخيلكمُ ... عُتْقاً ثِقالاً كأعدائي وأطماري[2]

* * *

ومن جملة ما قال[3] فيه[4] :

الحمد لله السّميـــع المجيبْ ... قد هلَكَ الشِّرْكُ وضلّ الصّليبْ

يا ساكني أكناف مصر أنا ... أبو نُوَاس[5] والصلاحُ الخصيب[6]

---

(١) كذا في الشذرات والفوات ، وفي الأصلين : غبراً .

(٢) هذا هو ترتيب الأبيات في « ح » وفي الشذرات والفوات ، أما في « ب » : فالبيت الثاني يتأخر ليكون البيت الرابع .

(٣) في « ح » : ما قاله .

(٤) بين النسختين « ب » و« ح » في هذه الأسطر بعض الفرق والاختلاف في ترتيب العبارات والأشعار . وقد أثبتنا ما جاء في « ب » وذيّلنا بما جاء في « ح » . ففيها : بعد ذكر الأبيات الرائية : « فأعطاه خاصته ذلك وأخذ له من إخوته مثله فعاد إلى دمشق وهو مسرور محبور ، وكان ذلك ختام حياته ودنا أجل وفاته » .

وفي الشذرات والفوات : فيسَّر له ألفاً وأخذ له من إخوته مثلها فجاءه الموت فجأة فلم ينتفع بفجأة الغنى .

(٥) في « ب » : أبوا نؤاس .

(٦) هو الخصيب بن عبد الحميد ، كان على خراج مصر لواليها الحسين بن جميل الذي وليها للرشيد سنة ١٩٠ ﻫ وإليه تنسب منية الخصيب أو ابن خصيب ، وهي المنيا الحالية (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥١) . وقد مدحه أبو نواس في زيارته لمصر ، ومن مديحه له الأبيات المشهورة :

منحتكمُ يا أهلَ مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب

ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا ... على حدّ حامي الظهر غير ركوب

فإن يك فيكم إفكُ فرعون باقياً ... فإنّ عصا موسى بكفّ خصيب

رماكم أميرُ المؤمنين بحيّةٍ ... أكولٍ لحيّات البلاد شروب

والملاحظ أن الشاعر هنا يشبه صلاح الدين بالخصيب ، وستردُ بعض الأبيات التي يشبه فيها طلائع ابن رزّيك ، كذلك ، بالخصيب (انظر ص ١٨٧) .

ثم عاد إلى دمشق وهو مسرور محبور ، وكان ذلك ختام حياته ودَنا أجل وفاته ، وذلك بعد سنة خمس وستين بدمشق في سنة ست أو سبع وخمسمائة[١] .

وقد أنشدني كثيراً من شعره . وسمعت[٢] من أصدقائي أيضاً . فمن ذلك قوله يشير إلى أنه أعور :

أَقولُ والقلبُ في همٍّ وتعذيبِ ... يا كلَّ يوسفَ إرحم نصف يعقوبِ

* * *

وقوله في محبوب أحول ، وهو أعور . وهو من قصيدة في مدح جمال الدين وزير الموصل[٣] :

يا لائمي هل رأيتَ أعجبَ مِنْ ... ذي عَوَرٍ هائمٍ بذي حَوَلِ

أَقِلُّ في عينه ويكثُرُ في ... عيني ، بضدِّ القياس والمَثَلِ

ما آفتي غيرُ وَرْدِ وَجنته ... والوردُ لا شكَّ آفةُ الجُعَلِ[٤]

مهفهفٌ كالقضيب مُعتدلٌ ... وحكمه فيَّ غيرُ معتدلِ

فلو رأَتْ حسنَه فلاسفةٌ ... لعوّذوه بعِلَّة العِلَلِ

كم قد سقاني مُدامَ فيه على ... غنائه وانتقلتُ[٥] بالقُبَلِ

قد ذقتُ منه هجراً أمرَّ من الصَّـ ... ـبر ووصلاً أَحلى من العسلِ

أهوى تَجَنّيه والصدودَ كما ... يهوى المعالي محمدُ بن علي

---

(١) في الأصل « ب » : وخمس . وفي فوات الوفيات والشذرات أن وفاته سنة سبع وستين .

(٢) في « ح » : بعد البيت يا ساكني : وسمعت من أصدقائي ... الخ .

(٣) انظر ترجمته في هامش الصفحة ١٣ .

(٤) في « ح » : الجمل .

(٥) في « ح » : فانتقلت

محمد خاتِمَ الكرام كما　　سميُّه كان خاتم الرُّسُل (١)

* * *

وله في غلام يحبه أسمه يعيش :

بأبي قدُّ يعيش بأبي　　حين يهتزُّ أهتزازَ القُضُبِ
رشأٌ حاسدُه ضدُّ أسمه　　وإذا ما عكسوه مَذْهبي

* * *

وله (٢) في غلام قبّله مودِّعاً :

أقسمتُ يالأئمي فيمن أُبايتُ به　　وَمَنْ تحكَّم في هجري وإبعادي
لو أنه كلّما سافرتُ ودّعني　　بقُبلةٍ لم أزل في الرائح الغادي

* * *

وله (٢) في المِقْدَحة لُغزاً :

ومضروبةٍ من غير جُرْمٍ ولا ذنب　　حوى قلبُها مثلَ الذي قد حوى قلبي
إذا ما أتاها القابسون عَشِيَّةً　　حَكَتْ فلكاً يرمي الشياطين بالشُّهْب

* * *

وقوله في طالب الصّوري الشاعر ويستطرد بالهيتي الشاعر نصر (٣) :

يا طالبُ الصوريّ إن لم تتبْ　　عن شعرك المُنتَحَل البارِدِ
حلَّ بأكتافك (٤) في جِلَّقٍ　　ما حلّ بالهيتيِّ في آمِدِ

* * *

(١) سقط هذا البيت من النسخة «ب» .　　(٢) في «ح» : وقوله في ...
(٣) لم ترد لفظة نصر في «ب» ... وهو احد شعراء الخريدة ، وسيترجم له العماد إثر انتهاء ترجمة عرقلة .
(٤) لا نقط على التاء في النسختين .

وقوله في وُحَيْش الشاعر[١] :

لا باركَ الرّحمن في وُحَيْشِ ... فإنه مُكَدِّرٌ للعَيْشِ

كم[٢] قال ، لا قُلْقِل غيرُ نابهِ ، ... أبياتَ شِعْرٍ كبيوت الخَيْش

* * *

وقوله[٣] من أبيات وقد أعطاه بعضهم شعيراً :

يقولون : لِمْ أرخصتَ شعركَ في الورى؟ ... فقلتُ لهم : إذ مات أهلُ المكارمِ

أُجازَى[٤] على الشعرِ الشعيرَ وإنهُ ... كثيرٌ إذا استخلصته[٥] من بهائمِ

* * *

وقوله[٦] ، مما يغنّى به :

عندي إليكم من الأشواق والبُرَحا[٧] ... ما صيّر الجسم من فرط الضّنا[٨] شَبَحا

أحبابَنا لا تظنّوني سلوتُكمُ ... الحالُ ما حالَ والتبريحُ ما بَرِحا

لو كان يسْبَحُ صَبٌّ في مدامعه ... لكنتُ أولَ من في دمعه سبحا

أوْ كنت أعلم أنّ البيْن يقتلني ... ما بِنْتُ عنكم ، ولكن فات ما ذُبحا

* * *

---

(١) سيترجم العماد لوحيش هذا بعد ترجمته لنصر الهيتي (انظر صفحة ١٨١ هامش ٣) .

(٢) في « ح » : قد قال . (٣) في « ح » : وله من ...

(٤) في فوات الوفيات : أجازَ .

(٥) في « ب » والفوات : « خصته » ، وفي شذرات الذهب « حصلته » .

(٦) في « ح » : وله مما ... (٧) في « ب » : ما برحا .

(٨) في « ح » : من بعد الضنا .

وقوله :

كتم الهوى فوشتْ عليه دموعُهُ ... مِنْ حرّ جمرٍ[١] تحتويه ضلوعُهُ

صبٌّ ، تشاغل بالربيع وزهره ... قومٌ[٢] ، وفي وجه الحبيب ربيعُه

يالأئمي فيمن تمنّعَ وصلُه ... عن صَبِّه[٣] ، أحلى الهوى ممنوعه

كيف التخلُّصُ إن تجنّى أو جنَى ... والحسنُ شيء ما يُرَدُّ[٤] شفيعه

شمسٌ ، ولكنْ في فؤادي حرُّها ... قمرٌ[٥] ، ولكن في القَباء طلوعه

قال العواذل : ما الذي استحسنتَه ... منه[٦] ، وما يَسبيك ؟ قلتُ : جميعُه

* * *

وقوله في الشوق والفراق :

كتبتُ إليكُمُ أشكو سَقاماً ... برى جسمي من الشوق الشديدِ

وفي البلد القريب عدِمت صبري ... فكيف أكون في البلد البعيد

نوًى بعد الصدود ، وأيّ شيء ... أمرُّ من النَّوى بعد الصُّدود

* * *

ثم وقع بيدي بعد ذلك ديوان شعره فطالعته ، وقصائده قصار وفي النادر أن تزيد قصيدته على خمسة وعشرين بيتاً ، ومقطعته على عشرة أبيات ، وكلّها نوادر وكلام مضحك ، فانتخبت منه هذه الأبيات واُختصرت حذراً من التطويل :

---

(١) في النجوم الزاهرة : منْ حرّ نار . (٢) في النجوم الزاهرة : زمناً .

(٣) كذا في فوات الوفيات والنجوم ، وفي الأصلين : بغيتي .

(٤) في « ح » : لا يردّ . (٥) في « ح » وفي النجوم الزاهرة : بدر .

(٦) في « ح » : فيه .

الهمزة

فمن ذلك قوله من مقطّعة (١) :

وَهَبْ ما قالت الواشون حقًّا ... مَنِ الراقي إلى بدر السماء ؟

لقد أمسى الذي يبغي حبيباً ... مُحِبّاً طالباً للكيمياء

ومنها :

أَيَجْمُلُ أن أُضامَ ودُرُّ نظمي ... أحبُّ من الغنى عند العناء (٢)

أَمالَ العُرْبَ عن شعر التِّهامي (٣) ... وأغنى العُجْمَ عن شعر السَّنائيْ (٤)

* * *

وقوله من قصيدة في حسام الدين صاحب مارِدِين (٥) :

هذا الحبيبُ وهذه الصهْباءُ ... عَذْلُ المُصِرِّ عليهما إغْراءُ

والأَغْيَدُ الألْمَى يروقُك منظراً ... في سقيها (٦) والغادةُ اللَّمياء

---

(١) في « ح » : فمن ذلك قوله من قطعة على حرف الهمزة .

(٢) في « ب » الغني عند الغناء .

(٣) أبو الحسن التهامي علي بن محمد شاعر مشهور سافر إلى مصر فاعتقل وقتل سنة ٤١٦ هـ .
(انظر شذرات الذهب وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٧ وتتمة اليتيمة ج ١ ص ٣٧)

(٤) سنائي : شاعر من أعاظم شعراء إيران توفي في غزنة سنة ٥٧٦ د ومزاره معروف هناك .

(٥) هو الأمير تمرتاش « أوتيمورتاش » بن نجم الدين إيلغازي بن أرتق . كان أبوه إيلغازي صاحب ماردين وديار بكر وحلب ، فلما توفي اقتسم ابناه الملك فاستولى ابنه شمس الدولة سليمان على ميافارقين واستولى ابنه الآخر حسام الدولة تمرتاش على ماردين . ثم توفي سليمان سنة ٥١٩ د فملك أخوه تمرتاش ميافارقين بالإضافة إلى ماردين . كان شجاعاً جواداً عادلاً محباً للعلماء والفضلاء يبحث معهم في فنون العلوم وكان لا يرى القتل ولا الحبس . له مع الفرنج غزوات . توفي في ذي القعدة من سنة ٥٤٥ أو ٥٤٩ وكانت مدته نيفاً وثلاثين سنة (انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٠)

(٦) في « ح » : سقيها .

يا قاتلاً كأسي بكثرة مائِهِ   ما الحيّ عندي والقتيلُ سواءُ[1]

بالماء يحيا كلُّ شيء هالكٍ   إلاّ الكؤوسَ هلاكُهنّ الماء

والراح ليس لعاشقيها راحةٌ   ما لم يساعدهم غِنًى[2] وغِناء

ومنها[3] :

وبِوَجْنتي وبوجنتَيه إذا بدا   من فرط وجْدَيْنا حَياً وحياء

كيف الوصولُ إلى الوصال وبيننا   بَيْنٌ ودون عِناقه العَنقاء

لله جيراني بجَيْرونٍ[4] ، ولي   بلحاظهم وبهم ظُبىً وظِباء

وكأنهم وكأنّ حُمرةَ راحهم   في راحهم ، وَهْناً ، دُمىً ودِماء

وكأنما سقتِ البلادَ مُدامُها   كفّا حُسام الدين ، لا الأنواء

الباء

وقوله :

خَرِف الخريفُ وأنت في شُغُلٍ   عن بهجة الأيّام والحِقَبِ

أوراقُه صُفْرٌ ، وقهوتنـا   صفراءُ مثلُ الشمس في لهب

---

(١) في هامش « ب » : « أخذه من حسان بن ثابت : إن التي ناولتني فرددتها ... البيتان »

يريد الاشارة إلى البيتين :

إن التي ناولتني فرددتها   قُتلتْ قُتلتَ فهاتها لم تقتلِ

كلتاهما حلب العصير فعاطني   بزجاجةٍ أرخاهما للمفصل

من قصيدة :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل   بين الجوابي فالبُضَيْع فحومل

(٢) في «ح» : غناً . (٣) وردت «ومنها» في «ح» وحدها . (٤) جيرون : دمشق ، أو موضع منها .

يأتي بها غيري وأشربُها ذهباً على ذهبٍ بلا ذهبِ

* * *

وقوله في الحث على السفر :

ذَرِ المقام إذا ما ساءك الطابْ وَسِرْ فعزْمُك فيه الحزم والأربْ[1]

لا تقعدنَّ بأرضٍ قد عُرِفتَ بها فليس تَقْطع في أغمادها القُضُب

* * *

وقوله في مِرْوحة :

ومحبوبةٍ في القيظ لم تخلُ من يدٍ وفي القَرّ تشكوها[2] أكفُّ الحبائبِ

إذا ما الهوى المقصور هيّج عاشقاً أتت بالهوا الممدود من كل جانب

* * *

وله من قطعة :

وكم ليلةٍ قد بِتُّ أُسقى بكفّه على وجهه نادمتُ بدراً وكوكبا

حكت فمَه طعماً وريحاً ، وخدَّه إذا مزجوها ، رقّةً وتلهُّبا

* * *

ومن أخرى :

ونادبةٍ ناحتْ سُحَيْراً بأيْكةٍ فهيّجتِ الوَسواسَ في قلب نادب

تنوح على غصن أنوح كمثله[3] وهل حاضرٌ يبكي أسىً مثلَ غائب

* * *

(١) في «ح» : الأدب . (٢) فيفوات الوفيات : وفي البرد تقلوها ... (٣) كذا في الأصلين ، ولعلها «لمثله».

وله[١] من قصيدة في الصالح[٢] بن رُزّيك[٣] بمصر[٤]:

لمن الخيلُ كلَّ أرض تجوبُ   صَحِبَتْها في كل شِعب شَعوبْ
والجواري التي يضيق بها البحـ   ـر على أنّه فسيحٌ رحيب
غير[٥] سيف الإسلام خيرِ فتىً عَـ   ـزّ به دينُنا وذَلَّ الصليب
مَلِكٌ منه في الخطاب[٦] إذا شا   ء خطيب وفي النِّزال خُطوب

منها:

وكأني أبو[٧] نُوَاسٍ إذا ما   جئتُ[٨] مصراً وأنت فيها الخصيب[٩]

(١) في « ح » : وله من ...

(٢) هو طلائع بن رُزّيك الأرمني، الملقب بملك الصالح أبي الغارات لكثرة غاراته على الصليبيين. وزير عصامي، يعد من الملوك. أصله من الشيعة الإمامية في العراق. قدم مصر فقيراً أيام الفاطميين فترقّى في الخدم حتى ولي مُنية بني خَصيب في الصعيد. وحين قتل عباس الصنهاجي الخليفةَ الظافر لجأ إليه أهل القصر فدخل القاهرة بقوة وولي وزارة الخليفة الفائز بنصر الله سنة ٥٤٩ واستقل بأمور الدولة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين. ومات الفائز سنة ٥٥٥ فولي العاضد وتزوج بنت طلائع، واستمر هذا في الوزارة فدسّ له العاضد من قتله تخلصاً من تحكمه. كان شجاعاً، لا يترك غزو الفرنج في البر والبحر، حازماً، مدبّراً، جواداً. صادق العزيمة، عارفاً بالأدب، شاعراً. له ديوان شعر في جزئين وأكثر شعره في مدح أهل البيت. وله كتاب سماه « الاجتهاد في الرد على أهل العناد » يقرر فيه قواعد التشيع.

وقد ترجم له العماد في قسم شعراء مصر ترجمة مطولة وأورد مختارات من شعره. انظر خريدة القصر « قسم شعراء مصر » ج ١ ص ١٧٣ « نشر الاستاذ المرحوم أحمد أمين والدكتورين شوقي ضيف وإحسان عباس» وانظر في ترجمته: الأعلام، ووفيات الأعيان، وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٧٧، والنجوم الزاهرة في مواطن متفرقة من الجزء الخامس.

(٣) في « ب » : رزيك، وكذلك تكتب في كل موضع آخر ترد فيه.

(٤) لم ترد لفظة (بمصر) في « ح ».

(٥) يبدو كأن بين الأبيات هنا انقطاعاً لا يشير إليه الأصلان.

(٦) في « ح » : ملك في الخطاب منه.

(٧) في « ب » و « ح » : أبوا.

(٨) في « ح » : جئتَ.

(٩) انظر ترجمته في الصفحة ١٧٩ الهامش ٦

ولئن كنتُ مخطئاً في قياسي إنّ عذري ما قال قِدْماً (١) حبيب (٢)

ومنها :

لو أَراد الرقيب ينظر جسمي ما رآه من النحولِ الرقيبُ

مثل دار الزكيّ كيسي وكأسي (٣) وهي قَفْرٌ كأنها مَلْحوب (٤)

* * *

وقوله في أبن ثريا (٥) وكان دبّاباً :

لا ترقُدنْ وأُبنَ ثريا معاً فإنه أَطمع من أَشعب

كم دَبَّ كالعقرب سُكراً ، وكم قد قتلوه قِتلة العقربِ

* * *

(١) في « ب » : مدحاً .

(٢) إشارة إلى قصة بيتي أبي تمام حبيب بن أوس حين أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يقول في مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربُع الأدراس

فلما بلغ قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال أبو زيد الكندي الفيلسوف : الأمير فوق من وصفت ؛ وما زدت على أن شبهته بأجلاف العرب . فأطرق أبو تمام ثم أنشد على البديهة :

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلًا شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلًا من المشكاة والنبراس

(٣) في « ح » : مثل دار الزكيّ كيسي وراسي . (٤) صدر معلقة عَبيد بن الأبرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقُطَبيّات فالذَّنوب

وبدّلت منهم وُحوشاً وغيّرت حالها الخطوب

أرضٌ توارثها الجدوب فكلّ من حلّها مَحْروب

وملحوب : اسم ماءٍ لبني أسد بن خزيمة .

(٥) انظر آخر المختارات « حرف الياء » إذ يعاود عرقلة ذكرَ ابن ثريا هذا .

وقوله في أبي الوحش الشاعر[(١)] :

أبا الوحش جَمّلتَ[(٢)] أهل الأدبْ ... لأنكَ أطولُ قومي ذنبْ
وكيف يكون صغير المحلّ ... وبيتُك أكبر ما في الخشب

* * *

وله « رباعيّة » :

أقسمتُ بواوِ صُدغ هذا الحاجبْ ... في لام عِذاره ونونِ الحاجبْ
لو عاينه ابنُ مقلةَ والصاحبْ[(٣)] ... قالا عجباً لديه : جَلّ الكاتب

---

(١) هو وُحيش الشاعر (انظر ص ١٨١) .

(٢) في « ب » : جملت .

(٣) ابن مقلة والصاحب وزيران شهرا بالأدب وبه عرفا .

فأما ابن مقلة فهو أبو علي محمد بن علي بن الحسين (أو الحسن) بن مقلة من الشعراء الأدباء ، يضرب بحسن خطه المثل . كان شديد الطموح استوزره عدد من الخلفاء العباسيين ، ونقموا عليه وسجنوه . وفي عهد الراضي بالله قُطعت يده اليمنى فكان يشد القلم على ساعده ويكتب ، فأمر الخليفة بقطع لسانه وإعادته إلى السجن . ولحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه . ولد في بغداد سنة ٢٧٢ وبها مات سجيناً سنة ٣٢٨ . (انظر الأعلام ووفيات الأعيان والثعالبي في يتيمة الدهر ج٣ ص ١٠٠ مطبعة الصاوي « ويكنيه بأبي الحسن » وشذرات الذهب والنجوم الزاهرة) .

وأما الصاحب فهو أبو القاسم اسماعيل بن عباد ، كان نادرة زمانه في الفضائل والمكارم والعلم والتدبير وجودة الرأي . وهو أول وزير سُمي بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة من صباه فسماه الصاحب فغلب عليه ، وقيل إنه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم خُفّف فقيل الصاحب . استوزره مؤيد الدولة ثم أخوه فخر الدولة ، ولدا ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه سيد آل بويه ، وبقي في الوزارة ثمانية عشر عاماً ، وكان عالماً بفنون كثيرة . شاعراً ناثراً ، من مؤلفاته : الكشف عن مساوىء شعر المتنبي . ولد في الطالقان (طالقان قزوين) وتوفي بالريّ ودفن في أصبهان .

(انظر الأعلام وشذرات الذهب والنجوم الزاهرة ووفيات الأعيان)

التاء

وله في[1] غلام اسمه ياقوت :

قلتُ : وقد أقبل ياقوتُ   في فمه دُرٌّ وياقوتُ
أسِنّةٌ زُرق بأجفانه   أم جالت[2] البيضُ المصاليتُ
كأنما ألحاظه بابلٌ   فيهن هاروت وماروتُ

الجيم

وقوله في الطُّطْماج :

ألا رُبّ طاهٍ جاءنا بعد فترةٍ   بأطباق طُطْماج[3] أشَفَّ من الثّلْج
وقد غارت السيخات[4] فيها كأنها   بغالقَ ترك في طوارق افرنج[5]

* * *

وقوله في ابن أبي طاهر[6] الطبيب واسمه[7] عباس :

عُجْ على عبّاس تلقَ فتىً   غير نَكْرِيشٍ ولا بَذَجٍ[8]
فيسوف ما يُريق دماً   وبخدّيه دمُ المُهَج

(١) في « ح » : وقوله في ...   (٢) في « ح » : أم جالب ، وفي « ب » : أم حركت .
(٣) في النسختين « ب » و « ح » : بأوراق ططماج . وفي شفاء الغليل : الططماج نوع من الطعام معروف وقع في عبارة الفقهاء وهو بطاءين مهملتين أولاهما مضمومة والثانية ساكنة . ووقع في بعض كتب الاطعمة تسميته لاكشه ، ولم أر شيئاً منه في كلام من يوثق به . وفي شعر عرقلة :
ألا ربّ طاه جاءنا بعد فترةٍ   بأطباق ططماج أشف من الثلج
(٤) في « ح » : الأشياش .   (٥) الطوارق : نوع من الأتراس ، يبدو أن الافرنج كانوا أسبق إلى استعماله (انظر دوزي) .   (٦) في « ب » : في أبي طاهر .   (٧) سقطت الواو في « ب » .
(٨) النكريش : الملتحي أو جيد اللحية . والبذج : ولد الضأن أو هو أضعف ما يكون من الحملان .

لو تَمَعْناه السديدُ سلا   قلبُه عن عشقه البكجي !

قلتُ لما طالَ مجالسنا   مُشرقاً من وجهه البَهِج :

إنّ بيتاً أنت ساكنُه   غيرُ مُحتاجٍ الى السُّرُج

وعليلاً[1] أنت عائده   قد أتاه الله بالفرج

* * *

وقوله في مَرْثِيَة :

لقد حَسُنتْ به اليوم المراثي   كما حسُنت به أمسِ الأهاجي

ولكنْ لجَّ في شتم البرايا   وكان القتلُ عاقبةَ اللَّجاج

* * *

وقوله :

كأنّ احمرار الخدّ ممّنْ أُحبه   حديقةُ وردٍ والعِذارُ سيَجُها[2]

* * *

وقوله في أبي الوحش بن علّان لمّا امتدحه وكلّما اقتضاه حرّك رأسه :

يا من إذا جئتُه سؤولا   ونستُ بالسائل اللَّجوجِ

حرّكَ لي موعِداً بمَطْلٍ   حادي عَشْرٍ من البُروج[3]

---

(١) في عود الشباب : ومريضاً .

(٢) جاء هذا البيت في نسخة « ح » قبل البيتين : لقد حسنت ... مقدماً من تأخير .

(٣) في عود الشباب ، بعد ذكر البيت : يريد الدلو . والدلو : هو البرج الحادي عشر في السماء . وفي التاج : سمي تشبيهاً بالدلو . وفي المعجم الفلكي « لفريق أمين فهد معلوف » : الدلو صورة من صور منطقة البروج ، وهو البرج الحادي عشر ، وهو على هيئة انسان قائم باسط يديه وآخذ بأحداهما كوزاً مقلوباً ليسكب منه الماء .

الحاء

وقوله [١] :

حتى متى لا يَبْرَح التبريحُ ... وإلامَ أكتمُ والسّقامُ يبوحُ

لا شرحُ كتبِ أحبّتي يأتي [٢] ولا ... صدري بغير حديثهم مشروح

يا برقُ حيِّ الغوطتيْن وسقِّها ... مطراً حكاه دمعي المسفوح

كيف الحياة لمستهامٍ جسمُه ... في بعلبكَّ [٣] وفي دمشق الروح

ظبيٌ بها لم يَرْعَ إلاَّ مُهجتي ... والظبيُ ما مَرْعاه إلاَّ الشّيح

تشتاقه عيني وتبكيه دماً [٤] ... والقلبُ وهو بصدّه مجروح

مُتَعطِّف الصُّدْغين وهو مُجَنَّبٌ ... مُتَمَرِّض العينين وهو صحيح

لي من ثناياه العذاب وريقه ... أبداً صبوحٌ واضحٌ وصَبوح

وَيْحَ العواذل هل يُغشِّي نورُه [٥] ... أبصارَهم، أم كيف يخفى يوح [٦]

لاموا وقد نظروا مَلاحةَ وجهه ... واللَّوْمُ في الوجه المليح [٧] قبيح

* * *

وقوله في مجير الدين [٨] وقد اقترح عليه [٩] في ساقٍ يهواه وزنَ :

---

(١) لم ترد اللفظة في « ح » .

(٢) في « ب » : تأتي .

(٣) في « ب » : بعل بك .

(٤) في « ح » : ويبكيها دماً .

(٥) في « ب » : هل تغشى نورهم أبصارهم .

(٦) يوح : من أسماء الشمس .

(٧) في « ب » : في وجه المليح .

(٨) انظر ترجمته في الصفحة ١١٥ الهامش ١

(٩) تكررت اللفظة (عليه) مرتين ، سهواً ، في « ح » .

« شربتُ من دِنانِهِمْ	من كلِّ دَنٍّ قدحا[(١)] »
مَنْ لي بساقٍ أغْيدٍ	عِذاره قد سَرحا
كأنه بدرُ دُجًى	في كفّه شمسُ ضُحا
ما زلتُ من مُدامِهِ	مُغْتَبِقاً مُصْطَبِحا
حتى غدوْتُ لا أرى النّـ	ـدمان إلاّ شبحا
وقد عصيْتُ في الهوى	من لام فيه ولَحا
يا قلبُ كمْ تذكره	لا بارحتْك البُرَحا
هـذا الذي تعشقُه	كم قلبِ صَبٍّ جرحا
يا صاح يا صاح اسْقني	من راحتَيْه القَدَحا
واغتنِمِ العيشَ فما	تُبقي الليالي فرحا
كأنما البدر وقد	لاح لنا مُتّضِحا
وجهُ مجيرِ الدين مو	لانا إذا ما مُدِح

* * *

وقوله في ناصر الدين وفتح الدين ابنيْ أسد الدين شِيرْكوه[(٢)] :

---

(١) جاء البيت في « ب » كأنه جزء من قصيدة عرقلة .

(٢) أسد الدين شيركوه – ومعنـاه بالعربية أسد الجبل – ابن شادي بن مروان : أبو الحارث : الملك المنصور . عم السلطان صلاح الدين الأيوبي . كان شجاعاً عاقلاً مقيماً في دمشق . استنجد به المصريون حين دخل الافرنج بلبيس وقتلوا أهلها سنة ٥٦٤ هـ فجاءهم وطرد الإفرنج . وخلع عليه الخليفة العاضد خلع السلطنة وعهد إليه بوزارته . فأقام وزيراً شهرين وأياماً ثم توفي فجأة في السنة نفسها ٥٦٤ هـ ، فولّى العاضد =

لله شِبْلا أَسدٍ خادرٍ ما فيهما جُبْنٌ ولا شُحٌّ[(١)]

ما أَقبلا إلاّ وقال الورى : «قد جاء نصر الله والفتحُ»

*　*　*

وقوله « رباعيّة » :

لا راحةَ لي بغير شُرب الرّاحِ من ذي هَيَفٍ يطوف[(٢)] بالأَقداحِ

تبدو كالصّبح وهو كالمْصباحِ سكران الطرف ذو فؤادٍ صاحِ[(٣)]

*　*　*

وقوله في أبي الوحش[(٤)] :

قال وُحَيشٌ ليَ في منزلي مكبوبةٌ ظاهرة المذحِ

= صلاحَ الدين هذه الوزارة ولقبه الملك الناصر . ودفن شيركوه ظاهر القاهرة إلى أن توفي أخوه نجم الدين أيوب ، والد صلاح الدين ، فحُملا إلى المدينة .

ويقول ابن خلكان : إنه لم يخلف ولداً سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب بالملك القاهر ملك حمص [ذلك لأن فتح الدين مات في حيـاة أبيه سنة ٥٦١ ودفن في التربة النجمية إلى جانب قبر عمه شهنشاه بن أيوب في قبة فيهـا أربعة قبور هما الأوسطـان منها . انظر الروضتين ج ١ ص ١٤١ والدارس النعيمي ج٢ ص ٢٩٧] قلّده إياها صلاح الدين لمـا ملك الشام ، ولم يزل مالكها حتى توفي يوم عرفة سنة ٥٨١ بمرض حاد مزعج وقيل إن الخمر قتلته وقيل بل سقي السم . ونقلته زوجته بنت عمته ست الشام بنت أيوب إلى تربتها بمدرستها بدمشق ظاهر البلد ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب . وملك حمص بعده ابنه أسد الدين شيركوه ومولده سنة ٥٦٩ ووفاته سنة ٦٣٧ .

كان القاهر موصوفاً بالشجاعة والاقدام ، متطلعاً إلى السلطنة ، أبيّ النفس .

(انظر وفيات الأعيان والنجوم الزاهرة وشذرات الذهب والأعلام)

(١) لم يرد البيت في النسخة « ح » . (٢) في « ح » : تطوف .

(٣) جاءت هذه الرباعية في « ح » بعد بيتيه التاليين في أبي الوحش ، مؤخـَّرة من تقديم .

(٤) لعلّه وحيش الشاعر . انظر رأس الصفحة ١٨٢

فقلتُ : ما عندك مكبوبة إن لم تكن أمّ أبي الفتح[1]

الخاء

وله[2] :

صفات القويضي فتى مشرقٍ[3] يَحار لها العالِمُ الراسخُ
ذكيٌّ ، ولكنّه لاذنٌ أصيلٌ ، ولكنه كامخُ

الدال

وقوله من قطعة[4] :

قمرٌ يغيب إذا بدأْتُ مَلامَةً[5] وأغيبُ من حذر الوُشاة إذا بدا
ناديت طُرّتَه وضوء[6] جبينه سُبحان من قَرَن الضَّلالة بالهُدى

* * *

وقوله في سيف الدين محمد بن بوران[7] :

---

(١) سقط البيت من نسخة «ب» ، وجاء البيت الأول في آخر الصفحة وفي طرفها التعقيب بكلمة «فقلت» ، اشارة إلى البيت الثاني . ويظهر أن الناسخ سها بعد عن المتابعة فبتدأ الأبيات الجديدة على رويّ الخاء .

(٢) في «ح» : وقوله . (٣) ضبطت في «ح» : مُشرقٍ . وفي التاج : ما يدل على أنهم ينسبون إلى مِشرَق ، كمنبر ، : بطن من همدان ، وإلى مَشرِق : مخلاف من اليمن أو جبل ببلاد العرب .

(٤) في «ح» : من مقطعة .

(٥) في «ب» و «ح» : ملالة . والتصحيح عن عود الشباب . (٦) في «ح» : وصبح .

(٧) في «ب» : بوان . ولعله الأمير جمال الدين محمد بن الأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين (انظر ص ١١٥) ، أبو المظفر تاج الملوك صاحب دمشق ، ولاه أبوه بعلبك وتسلم دمشق لما قتل أخوه محمود سنة ٥٣٣ ولم تطل مدته ؛ إذ حصر الأمير زنكي بن آق سنقر وأخذ دمشق منه بعد حروب . مات في شعبان سنة ٥٣٤ ولا يعرف أمات قتلا أم حتف أنفه وأقيم بعده ابنه آبق (انظر ص ١١٥) وهو صبي مراهق . كان ظالماً سيء السيرة . (انظر شذرات الذهب والنجوم الزاهرة والوافي بالوفيات)

لِمَنْ حِلّةٌ ما بين بُصرى وصَرْخَدِ تروح بها خَيْلُ الجِلاحِ[1] وتغتدي
ونارٌ ، بقلبي مثلها ، لأَهْلِها تُشَبُّ لضَيْف مُتْهِمٍ[2] ولمُنْجِدِ
ومشوقة رقّت ودقّت[3] شمائلاً إلى أن تساوى جِلْدُها وتجلّدي[4]
من الخَفِراتِ البيضِ تُغْني لحاظُها عن المُرْهَفات البيض في كلّ مَشْهَد
حجازيّة الأجفان والخصر والحشا شآميّة الأَرداف والنهد واليد
إذا ابتسمت فالدُّرُّ عِقْدٌ مُنَضَّدٌ وإن حدّثَتْ فالدّرُّ غيرُ مُنضّد
وأنّى كمثل[5] البدر تبدو[6] جُيوبُه على مِثْلِ خُوط البانةِ المتأوِّد
له مقلةٌ سَكْرى بغير مُدامَةٍ ولي مُقْلَةٌ سَكْرى[7] بدَمعٍ مُوَرَّد
رعى الله يوماً ظَلّ في ظِلّ أَيْكةٍ نديمي على زهر الرياض ومُنشدي
وكأساً سقانيها كقنديل بيعةٍ بها وبه في ظلمة الليل نهتدي
معتّقةً من قبلِ شيثٍ[8] وآدم مُحَلّاةً من قبلِ عيسى وأحمد
صَفَتْ كدموعي حين صدّ مديرها[9] ورقّت كَدِيني حين أوفى بموْعد
وفي الشيب لي عن لاعج الحبّ شاغلٌ وقد كنتُ لولا الشيبُ طلّاعَ أَنْجُد
رمى شَعَري بعد السّواد بأبيضٍ وحَظّيَ من بعد البياض بأسود
فلا وَجْدَ إلّا ما وجدتُ من الأسى ولا حمدَ إلّا للأمير محمّد

* * *

(١) في الأصلين : الخلاج . وانظر الأسطر الأولى من ترجمة الشاعر في ص١٧٨ (٢) في « ح » : منهم .
(٣) في «ح» : دقّتْ ورقّتْ . (٤) تكرر البيت مرتين في النسخة «ح» : في آخر صفحة وأول صفحة جديدة.
(٥) في « ب » : بمثل . (٦) في « ب » : يبدوا . (٧) ممتلئة .
(٨) في « ب » : شيث . (٩) في « ب » : حين مدّ مديدها .

وقوله في آمِدَ :

في آمِدَ السوداءِ بِيضٌ ما أنثنَوْا ... إلاّ حَكَوْا سُمْرَ الرّماحِ قُدودا
تخِذوا من الليلِ البهيمِ قلانِساً ... ومن النهارِ مباسماً وخُدودا

يقال لآمِدَ السوداء لأنها مبنية بحجارة سود ، ولميّافارقين البيضاء ، ولنَصيبين الخضراء ، وللمَوْصل الحَدْباء ، ولحلب الشَّهْباء ، ولبغداد الزَّوْراء ، وللبصرة الفَيْحاء .

* * *

وقوله في ذمّ العذار :

إذا[1] ما الأمْردُ المصقول جاءت ... عوارضُه فنقْصٌ في ازْدياد
يموت المَوْتةَ الأولى فتُمْسي[2] ... على خدَّيْه أثواب الحِداد
وهل يَستحسِن الإنسان روضاً ... إذا ما حلّه شَوْكُ القَتاد

* * *

وقوله في الغزل والعِذار :

لي حبيبٌ كالبدر حُسناً وبُعْدا ... وقضيبِ الأراكِ لِيناً وقدّا
قلت لمّا بدت له شعَراتٌ ... ليتها للوُشـاة لن تتبدّا
جلّ مَنْ أنبت البنفسَج في الور ... د وسمّاها عِذاراً وخدّا
قمرٌ كلّما تبسّم قابلْـ ... ـتُ عقيقاً حوى من الدُّرِّ عِقدا
حالكٌ[3] في وجهه الجمال كما أُلْـ ... ـحِمَ في حسميّ السَّقام وأسدى[4]

* * *

(١) في « ب » : إذ .   (٢) في « ح » : فيمسي .   (٣) في « ح » : حار .
(٤) في « ح » : وسدّى . والفعلان سدّى وأسدى بمعنى .

وقوله من قصيدة :

مَنْ لي بمعسول الثَّنايا عَذْبِها ... لَدْنٍ كَخُوط البانة المتأوِّدِ

أبداً هواه لي مُقيمٌ مُقعِدٌ ... رُوحي فِداه من مُقيمٍ مُقْعِد

ولقد نعِمتُ بوَصله في نَيْرَبٍ[1] ... أَلِفَ الربيع بروضه الغصن[2] النَّدي

أزهارُه من جَوْهرٍ ، ونسيمه ... من عنبر ، وثمارُه من عَسْجَد

وعلى الغصون من الحمائم قَيْنَةٌ[3] ... تُغْنيك عن شدْوِ الغَرِيض[4] ومَعْبَد[5]

والماء في بردى[6] كأن حَبابَه ... بَرَدٌ حَبَتْهُ الريح غير مُجمَّد

بينا تراه كَسَجَنْجَلٍ[7] ساكناً ... حتى تراه أجعداً كالمِبْرد

* * *

ومن أخرى[8] :

دمشقُ حُيِّيتِ مِنْ حَيٍّ ومن نادٍ ... وحَبَّذا حبَّذا واديك من وادِ

ليس النَّدامى نَدامى حين تَنْزِلُه ... يُعاطُهم شادِن كأساً على شادِ

حقّاً وللوُرْقِ في أوراقه طربٌ ... كأنَّ في كلِّ عود ألْفَ عَوّاد

يا غادياً رائحاً عَرِّج على بردى[6] ... وحَيِّني من حديث الرائح الغادي

(١) قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين ، أنزه موضع رأيته « ياقوت » .

(٢) في « ح » : الغضّ . (٣) في « ب » : أيكة .

(٤) اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد أو أبو مروان ، ولقب بالغريض لجماله ونضارة وجهه ، من أشهر المغنين في صدر الاسلام وأحذقهم في صناعة الغناء ، سكن مكة وغنَّى سُكينة بنت الحسين . توفي أواخر القرن الأول .

(٥) معبد بن وهب ، نابغة الغناء في صدر الاسلام ، نشأ في المدينة ورحل إلى الشام وعاش طويلاً ومات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . (٦) في « ب » و « ح » : بردا .

(٧) المرآة . (٨) بعض هذه الأبيات التالية مما اختاره صاحب الفوات .

كم قد شربتُ به في ظِلّ داليةٍ ... من ماء داليةٍ تُنْبيك عن عادِ[1]

في جنْبِ ساقيةٍ من كفّ ساقيةٍ ... قامت تَثَنّى بِقَدٍّ غـير مُنْآد

سَمْراء كالصَّعْدة السّمراء واضحة ... يَشْفي لَمَى شفتيْها غُلّةَ الصّادي

لها بعَيْني إذا ماست عواطفُها ... جمـالُ ميّاسةٍ في عيْن مِقْداد

* * *

وله من قصيدة[2] في مدح الملك الناصر صلاح الدين قبل ملكه مصر يَحُثُّه على قصدها :

إلامَ ألامُ فيك وكم أُعادَى ... وأمرض مِن جفاك ولن أُعادَا

لقد أَلِفَ الضَّنى والسُّقْمَ جسمي ... وعينـــاي المدامعَ والسُّهادا

وها أنا قد وهَى صبري . وشَوْقي ... إذا ما قَلّت الأَشـواق زادا

بقلبي ذات خَلْخالٍ وقلْب ... تملّك فَوْدُها منّي الفؤادا[3]

مهفهفة كأَنّ قضيب بانٍ ... تثنّى في غلائـهـــا ومادا

بوجهٍ لم يزد إلاّ بياضاً ... وشَعرٍ لم يزد إلاّ سوادا

تعجّب عاذلي من حَرّ حبّي ... ومن برد السُّلُوّ وقد تمادى

ولا عجبٌ إذا ما آب حَرٌّ ... بآبَ ، ومن جَمادٍ في جُمادَى

وقد أنسانيَ الشيبُ الغواني ... فلا سُعْدى أُريد ولا سُعادا

وهل أخشى من الأنواء بخلاً ... ويوسُف لي ، فتى أيوب ، جادا

---

(١) في النوات : من ماء دالية في ظل دالية . وفي هامش عود الشباب : يسمّون في الشام الكرمَ دالية .

(٢) في مدح ... ومن قصيدة ...

(٣) القلب : سوار المرأة . والفوْد : جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام ، أو الشعر الذي عليه .

فتًى الدِّين لم يَبْرَح صلاحاً ... وللأموال لم يبرح فسادا

هو المعروف بالمعروف حقّاً ... جَوادٌ[١] لم يهب إلاّ جوادا[٢]

به الأشعار قد عاشت نَفاقاً ... وعند سواه قد ماتت كسادا

إلى كم ذا التواني في دمشقٍ ... وقد جاءكم مصرٌ تَهادى

عروسٌ بعلُها أسدٌ هِزَبرٌ ... يصيد المعتدين ولن يصادا

* * *

ومن أخرى في الصالح بن رُزّيك[٣] ويذكر مذهبه في التشيّع :

قف بجَيْرونَ أو بباب البريدِ ... وتأمّل أعطافَ بانِ القدودِ

تَقِقُ سُمْراً كالسُّمْرِ[٤] في اللَّوْن والليـ ... ـن وشِبْهَ الشعورِ[٥] في التجعيد

ومن البيض كالمهنّدةِ البيـ ... ـض وشبه الخدود في التوريد

من بني الصَّيد ، المحبّين صادوا ... بعيون الظبا قلوبَ الأُسود

يا نديميّ غنّيـاني بشِعري ... واسقيـاني بُنَيّة العُنقودِ

عرّجا بي ما بين سَطْرى ومَقرى[٦] ... لا بأكناف[٧] عالجٍ وزَرودِ[٨]

سقّياني كأساً على نهر ثورا[٩] ... وذراني أبوهـا في يزيد[٩]

---

(١) في « ب » : جوادا . (٢) أي سريعاً « النفاذ » . (٣) انظر ترجمته في الصفحة ١٨٧ الهامش ٢ .

(٤) سقطت اللفظة في « ح » على إشارة إليها في متن البيت ، ولعلّها غابت في التصوير .

(٥) في « ب » : الشعود ، وفي « ح » : الثغور .

(٦) في معجم البلدان : مَقْرى . بالفتح ثم السكون ، قرية بالشام من نواحي دمشق ، والمحدثون وأهل دمشق على ضمّ الميم ، وسَطرى : من قرى دمشق . وفي هامش « ب » : سطرى ومقرى موضعان بدمشق بالغوطة . وقد ضبطت اللفظتان في « ح » الأولى بفتح أولها « سَطرى » والثانية بضمّه « مُقرى » .

(٧) في « ح » : لا لأكناف . (٨) عالج وزرود : من رمال البادية . (٩) ثورا ويزيد : فرعان من بردى .

أنا من شيعة الإمام حُسَيْنٍ لست من سنة الامام وليدِ[1]

مَذهبي مُذْهَب ، ولكنّني في بلدة زُخرِفَت لكلّ بليد

غير أنّ الزمان فيها أنيقٌ تحت ظِلٍّ من الغصون مَديد

ورياضٍ من البنفسج والنرْ جِس قد عُطّرت بمسكٍ وعود

كَتَنا الصالح بن رُزّيك في كـ ـلّ قريبٍ من الدُّنى وبعيد

ملك لم تزل ثيابُ عِداه من حِدادٍ وثَوْبُه من حديد

* * *

وله من قطعة كتبها إلى ابن السّديد[2] وقد سافر إلى بغداد يطلب منه شُقّة :

حاجتي شُقّةٌ تَشُقّ على كـ ـلّ بغيضٍ من الورى وحَسودِ

ذاتُ لَوْنٍ كمثل عِرْضك لا عر ضي وحظّي من القريب البعيد

فابْعَثَنْها صفيقةً مثل وجهي جَلّ من صاغ جِلده[3] من حديد

واجْعَلَنْها طويلةً مثل قَرْني ولساني لا مثل قَدّي وجيدي

كَيْ أُرى في الشآم شيخاً خليعاً في قميصٍ من العراق جديد

* * *

(١) في « ح » : يزيد .

(٢) في « ح » : إلى السديد . والسديد هو سديد الدولة ابن الانباري وقد تقدمت ترجمته (انظر ص ٢٣ هامش ٧) . أما ابن السديد فهو محمد بن محمد بن عبد الكريم الانباري . كاتب الانشاء في ديوان الخليفة ببغداد . تولاه بعد وفاة أبيه واستمر الى أن مات في بغداد سنة ٥٧٥ .

(٣) في « ب » : في وجهه .

وقوله قديماً وقد تولّى صلاح الدين الملكُ الناصر إيالة دمشق :

لصوصَ الشام ، توبوا من ذُنوبٍ تُكَفِّرها العقوبةُ والصِّفادُ
لئن كان الفساد[1] لكم صلاحاً فمولانا الصلاحُ لكم فسادُ

* * *

وقوله في شمس الدولة[2] وقد نزل دار عمه أسد الدين[3] :

قلتُ لحسّادك زيدوا في الحسدْ قد سكن الدارَ وقد حاز[4] البلدْ
لا تعجبوا إن حلّ دارَ عمِّهِ أما تحِلّ الشمسُ في بُرْجِ الأسد

* * *

وقوله في مرثيةِ بعض المُجّان :

يا خفيفاً على القلوب لطيفاً قد بكاه أصادقٌ وأعادي[5]
كنتَ من مُهجتي مكانَ السويدا ءِ ومن مُقلتي مكان السّوادِ
قد بكاك الرّاووق والكأس والقَيْـــنة من لائطٍ إلى قوّاد

---

(١) في « ح » : النسيم .

(٢) في « ب » : شمس الدين . وهو الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادي ، الملقب فخر الدولة ، وهو أخو السلطان صلاح الدين ، وأكبر منه سناً . نشأ في دمشق وسيّره صلاح الدين إلى اليمن ومعه الأمراء بنو رسول ، فأخضع عصاتها وعدن ، وصلاح الدين على حصار حلب ، فوصل إلى دمشق وناب عن أخيه بها . وأقام مدة وانتقل إلى مصر . وبها مات سنة ٥٧٤ ، فأرسلت أخته شقيقته ستّ الشام فحملته في تابوت إلى دمشق فدفنته في تربتها التي أنشأتها بدمشق .

كان توران شاه شجاعاً كريماً حازماً غارقاً في الملذات . ومعنى توران شاه : ملك الشرق .

(انظر الأعلام والنجوم الزاهرة وابن خلكان وشذرات الذهب)

(٣) انظر ترجمته في الصفحة ١٩٣ الهامش ٢ (٤) في « ح » : جاز .

(٥) في « ح » : وأعاد .

أيّها الشيخ ما نهتك الثمانو ... ن وذاك البياضُ بعد السّواد

لم تزل تلكمُ العَرامة حتى ... ألحقتْه بالرّهط من قوم عاد

لا عُوَيْسٌ يبقى وإلاّ ابنُ العصيفيـ ... ـر ولا ابنُ الصّمان في الأنداد

شمِتوا حين مات والموت ما تَنْـ ... ـفع فيه شماتةُ الحسّاد

رحم الله من رأى مصرع الشيْـ ... ـخ وهيّا من التُّقى خيرَ زاد

* * *

وقوله :

شكا إليّ أمرَد ... قد حثّه[1] ضيق اليدِ

فقلت لم ضاقت وقد ... وسّعت باب المقعد

* * *

وقوله في شريف :

وحِشْبةٍ نالها شريفٌ ... بلا طَريف ولا تليدِ

ما إن تأمّلته عبوساً ... إلاّ ترضيتُ عن يزيد

الغزل

وقوله :

أصبح الملكُ بعد آل عليٍّ ... مُشرِقاً بالملوك من آل شاذي[2]

وغدا الشّرقُ يحسُدُ الغربَ للقو ... م ومصرٌ تزهو على بغداذ

ما حواها إلاّ بحَزْمٍ وعزم ... من صليل الفولاذ في الفولاذ[3]

(١) كذا في الأصلين، ولعلها : قد حثه ، ضيقَ . (٢) يشير إلى ما كان من انتهاء أمر الفاطميين في مصر على يدي صلاح الدين سنة ٥٦٧ ه «الروضتين ج ١ ص ٢٠٠» . (٣) في «ح» : البولاذ في البولاذ ، وفي الروضتين : وصليل .

لا كفرعون والعزيز ومن كا ن بها كالخَصيب والاستاذ[1]

الراء

وقوله :

نديمي قُمْ فقد صمتِ العُقارُ وقد غنّى على الأَيْك الهَزارُ

إلى كم ذا التواني في الأَماني أَفِقْ ما العمر إلاّ مُسْتعار

وخذها من يديْ ظبي غريرٍ بعيْنيه فُتورٌ وانْكسار

إذا ما الليل جَنَّ على النَّدامى تَجَلَّى من ثنايـاه النهار

يقول لي العَذول تسلَّ عنه وما عُذْري وقد دَبَّ العِذارُ

فَصَبْراً للنَّوى بعد التداني[2] فلولا الخمر ما ذُمَّ الخُمار[3]

* * *

وقوله من أُخرى :

أَمّا دمشقُ فجَنّاتٌ مُعَجَّلَةٌ للطالبين بها الوِلدانُ والحورُ

ما صاح فيها على أَوتاره قمرٌ إلاّ وغنّاه قُمْرِيّ وشُحْرور

يا حبّذا ودُروع الماء تنسُجها[4] أَناملُ الرّيح لولا أَنها زُور

---

(١) انظر في التعريف بالخصيب الصفحة ١٧٩ الهامش ٦

والأستاذ هو كافور بن عبد الله الإخشيدي ممدوح المتنبي ومهجوّه ، كان أول أمره عبداً للاخشيد ملك مصر ، ثم مازال ترقى به همته حتى ملك مصرسنة ٣٥٥ وصفا له استقلاله بها نيفاً وسنتين وتوفي بالقاهرة سنة ٣٥٧ . كان فطناً ذكياً عجباً في العقل والشجاعة (الأعلام وابن خلكان والشذرات والنجوم الزاهرة) .

(٢) في عود الشباب . بعد التلاقي . (٣) في عود الشباب : ما عُرف الخمار . والخمار : صُداع الخمر .

(٤) في « ح » : ينسجها .

ومنها :

همْ عارضوني على حُبّي لعارضه ... ومن أحبَّ عِذاراً فهو معذور

* * *

ومن أخرى[1] :

وكم ليلةٍ قد لاح من صُدْغه الدُّجى ... ومن كأسه الجَوْزا ومن فمه الفجرُ

وكم أخذت أوتاره الثأر من دمي ... سُحَيْراً ، فقال النّاس هذا هو السِّحر

يشاركني حِذقاً فمَنْ عنده[2] الغنا ... إذا ما تنادمنا ومن عنديَ الشِّعْر

* * *

وقوله :

قوموا انظروا واعذِروا ياعاذلين إلى ... بدرٍ تبادر من أفلاكِ أزرار

على قضيبِ أراكٍ في كثيبِ نقاً ... تهزّه خَطَراتٌ ذات أخطار

ما رامت[3] الروم والأتراك ما تركت ... أدقّ من خصره في عقد زُنّار

الماء والنار في خدّيْه قد جمعا ... جَلّ المؤلِّف بين الماء والنار

وقد بدت شَعَراتٌ في عوارضه ... كأنهن ليــالٍ فوق أسحار

* * *

وقوله[4] في العِذار :

دَبّ العِذار بخدّه فتعذّرا ... مِن بعد ما قد كان بدراً نيّرا

(١) لا تظهر اللفظة في « ب » من أثر التصوير .

(٢) في « ح » : كتب الكاتب : فمن حذقه . ثم كتب فوقها ، في فراغ ما بين السطرين : عنده .

(٣) في الأصلين : ما دامت .

(٤) في « ح » : وله في العذار .

وتناقصت أحواله فكأنه الـــــحبّال يمشي في المعاش إلى وَرا

* * *

وقوله :

قالوا بدا في خدّه الشَّعْرُ وأنت لا عقلٌ ولا صبرُ

واسودّ خدّاه ، فقلت أقصُروا لولا الدُّجى ما حَسُن البدر

* * *

وقوله :

أدِرْ يا طلعة البدرِ علينا أنجُم الخمرِ

وقطِّع ليلنا بالكأ س حتّى مطلَع الفجر

على فتّانة العينيـــن والخدَّيْن والثَّغْر

لنا في وجهها قمرٌ ومن نغماتها قُمْرِي

كذا فليشربِ الصهبا ء مثلي يا ذوي الشعر

كذا في ليلة الجمعـــة بل في ليلة القَدْر

مع الفتيان في الحانا ت بين الطَّبل والزَّمر

بحيث ابن ماكداد وحيث ابن أبي الدر[1]

حَرِيفـــان خُرافان بلا قَدْرٍ ولا قِدْرِ[2]

* * *

وله[3] :

نديمي داوِ بالخَمرِ الخُمارا أدرْ كأسي يميناً أو يسارا

(١) في « ح » : الذر . (٢) في « ح » : بلا قِدْر ولا قَدْر . (٣) في « ح » : وقوله .

مُشَعْشعة إذا ما صفّقوها ... بماء خِلْتَها نوراً ونارا

لها من مولِدَيْ موسى وعيسى ... شرابُ اليهود والنصارى

ومُسْمِعَةٍ إذا ما شئت غنّتْ ... «ألا حيّ المنازل والديارا»

بدتْ بدراً وماجت دِعْصَ رَمْلٍ ... وماسَتْ بانةً وشَدَتْ هَزارا[1]

إذا غازلْتُها أو غازلَتْني ... تأمَّلْتَ الفرَزْدَقَ والنَّوارا

ويومَ غَدَتْ تعيِّرُني بشَيْبي ... وقد رأتِ السَّكينةَ والوَقارا

وما في الشَّيْبِ عند الناس عيبٌ ... إذا ما عاد ليلُهُمُ نهارا

ولكن في الشباب خزَعْبلاتٌ ... لِمَنْ يهوى العَذارى لا العِذارا

* * *

وقوله في مدح بني السلاّر[2] :

لا تلُمني على الدُّموع الجواري ... فهي عَوْني على فراق الجوارِ

كم لئيمٍ يَلَذُّ بالعيش صفواً ... وكريمٍ يَغُصُّ بالأكدارِ

لا يَفي الوَصلُ بالصُّدود خليلـ ... ـيَّ كما الخمر لا يفي بالخُمار

فاسْقِنيها لعلّها تصرف الهـ ... ـمّ على طيب نَغْمة الأوتار

خَنْدَريساً كأنها في دُجى الليـ ... ـل بأيدي السُّقاة شمسُ النهار

---

(١) ينظر إلى بيت المتنبي :

بدت قمراً وماست خوط بانٍ ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

من قصيدته : بقائي شاء ليس هُمُ ارتحالا ... وحُسنَ الصَّبْر زَمُّوا لا الجمالا

(٢) أسرتهم ذكراً بختيار حسن الدولة السلاّر ، شحنة دمشق ونائب ظهير الدين طغتكين صاحبها سنة ٤٩٧ . أحسن سياسة الرعية ومات مريضاً في شعبان ٥١١ ، وأقيم مقامه ولده السلاّر عمر فاقتفى أثره (ابن القلانسي ١٩٨ ومواضع أخرى . وانظر زامباور «الترجمة العربية للدكتور زكي حسن ورفاقه» ج١ ص٤٦ ، ج٢ ص٢٧٦)

إنما العيشُ في رياض دمشقٍ ... بين أقمارها وبين القَماري

مثلما قد خلعتُ[1] أثواب مدحي ... بأختياري على بني بختيار

مَعْشَر كالغيوث في حَلْبة السِّلْـــمِ وفي الحرب كالّليوثِ الضَّواري[2]

بقلوبٍ كأنها من جبالٍ ... وأكفٍّ كأنها من بحار

وكأنّ الإله ، جلّ ، بَراهُمْ ... من فَخار ، والناسَ من فَخّار

* * *

وقوله في ملك النّحاة[3] وكان يذكر مصر :

قد جُنّ شيْخي أبو نزارٍ ... بذكر مِصْر وأين مِصرُ

والله لو حلّها[4] لقالوا ... قفاه يا زيدُ فهو عمرو

وزيد كان مُحْتَسِب دمشق فصار بمصر محتسبا[5] .

* * *

ومن جملة ما كتبه إلى الملك الناصر من قصيدة :

إليك صلاحَ الدين مولايَ أشتكي ... زمانًا على الحرّ الكريم يجورُ

ترى أبْصِرُ الألفَ التي كنتَ واعدي[6] ... بها في يدي قبل المَمات تصير[7]

---

(١) في « ح » : جمات . (٢) في الهامش من « ب » ، بخط مخالف : الضاري : العائد .

(٣) ابو نزار الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار . ولد ببغداد سنة ٤٨٩ ، وسكن واسط مدة ، وأقرأ فيها ، وسافر إلى خراسان وكرمان وغزنة . ثم استوطن دمشق وبها توفي . وقد ناهز الثمانين ، سنة ٥٦١ . كان أنحى أهل طبقته . فصيحاً ذكياً ، شديد الاعجاب بنفسه ، ولذلك لقب نفسه ملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . له مصنفات في الفقه والأصلين والنحو ، وله ديوان شعر (انظر القفطي وابن خلكان) .

(٤) في « ح » : لو جازها . (٥) وردت هذه الجملة في هامش « ب » ولم ترد في « ح » .

(٦) في « ح » : التي أنت واعدي . (٧) انظر في قصة هذه الدنانير ، الصفحة ١٧٨

وهيهاتَ والإفرنجُ بيني وبينكم ... سِياجٌ ، قتيلٌ دونه وأسيرُ
ومن عجبِ الأَيّام أنك ذو غِنًى ... بمصر ، واني في دمشق فقير[1]

السبي

وقوله في التشبيه :

كأنّ السماء وقد أزهرت ... كواكبها في دُجى الحندسِ
رِياضُ البنفسَج محميّـةً ... يُفتّح فيهـا جَنى النَّرْجِس

* * *

وقوله في ابن رُزّيك[2] لمّا غلب على وزارة مصر بعد عبّاس الذي فتك بأهل القصر وقتلهم[3] :

طاف على النّدْمان بالكاس ... وَخَدُّه من لونها كاسِ
مُهفهفُ القامةِ مَمْشوقها ... يخجل منه غُصُن الآسِ
كم أتصدّى لِجَفا صدّه ... وكم أُقاسي قلبَه القاسي
دِعْصُ نَقاً تحمله بانةٌ ... شمسُ ضحىً في زِيّ شمّاس
تحكي[4] ثنا الصالح أنفاسُه ... وصُدْغُه أيامَ عبـاس

* * *

وقوله :

ما اجتمع الشِّطرنج في مجلسٍ[5] ... والنَّرْدُ ، إلاّ بَرَدَ المجلسُ
لا سيّما إن حضرتْ نَرْجِسٌ ... والبـان والمنثور والنَّرْجِسُ

* * *

(١) جاءت هذه الأبيات في الروضتين ج١ ص١٧٧ . وفيها : ومثلي في دمشق فقير . (٢) في «ب» : زربك .
(٣) انظر الصفحة ١٨٧ الهامش ٢ . (٤) في « ح » : يحكي . (٥) في « ح » : في منزل .

وقوله في مُغنٍّ اُسمه عليّ :

عليٌّ صوته سَوْطٌ … علينا لا على الفَرَسِ
وُجملةُ ضربه ضَرْبٌ … لمُدَّرعٍ ومتَّرس
يقول السّامعون له : … رماه الله بالخرس
وخذ يا ربِّ مُهجتَه … إذاغنّى[1] : «خُذِي نَفَسي..»[2]

* * *

وقوله في صلاح الدين الملك الناصر[3] بديهاً أوان الورد :

ياحابس الكأس، خيلُ[4] الوَرد قد وَرَدتْ … شُهْباً وكُمْتاً ، أَدِرْ يا حابس الكأس
أَقسمتُ ما الورد في الأَزهار قاطبةً … إلاّ كمثل صلاح الدين في الناس
الوارثِ المجدَ من آبائه أبداً … مثل الخلافة في أَولاد عباس[5]

* * *

وله « رباعيّة » :

ويلاهُ على المُهفهف الميّاسِ … ما أَحسنَه وهو بقلبٍ قاسِ
يهتزّ كأنه قضيب الآسِ … سكران ولم يذق حُمَيّ الكاسِ

---

(١) في « ح » : عنّا .

(٢) مطلع أبيات للشريف الرضي :

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى … فلاقي به ليلاً نسيمَ رُبى نجد

(انظر مختارات البارودي ج ٤ ص ٢٧٨)

(٣) في « ح » : في الملك الناصر صلاح الدين . (٤) في « ب » : حيل الورد .

(٥) مكان هذا الشطر فراغ في مصورة « ب » .

الشين

وقوله[1] في طُغريل[2] السيّاف وهو جُوباشي دمشق :

قالوا يسبُّك طُغْريل[3] وتُهمله ... فقلتُ أخشى على عِرضي من الواشي

كنّا نحاذِر منه وهو مِرْشَحَةٌ[4] ... فكيف لا نتّقيه وهو جُوباشي

لي أُسوةٌ بجميع الخلق يشتُمهم ... جُكّا ودمّاص والعوذ بن شواش[5]

الصاد

وقوله في الملك الناصر وقد بعث[6] لأهل دمشق السلام وله الذهب[7] :

صلاحَ الدين قد أصلحتَ دنْيا ... شقّيٍ لم يبِتْ إلاّ حريصا

أتى منكَ السّلامُ[8] لنا عموماً ... وجُودُكَ جاءني وَحدي خصوصا

فكنتُ كيوسُفَ الصدّيق لمّا ... تلقّى منه[9] يعقوبُ القميصا

* * *

وقوله في التشبيه :

أما ترى البدر في السماء وقد ... حاول من بعد تِمّه نقصَه

بينا تراه كخُشْكنانكةٍ[10] ... حتى تراه كأنه قُرصَه[11]

(١) في «ب» : وقال . (٢) في «ب» : طغربل ، وفي « ح » : طغرل . (٣) في « ب» : طغْربْل .
(٤) في « ح » : وعود الشباب : مسخرة . والمِرْشحة : ماتجعله على ظهر الدابة وتحت السرج ليمتصّ العرق .
(٥) في « ب » : حبكا . وفي « ح » : سوّاش . (٦) في «ح» : نفذ . (٧) غابت اللفظة في مصوّرة «ب» .
(٨) في الروضتين «ج١ ص١٧٧» : وأرسلت السلام .. (٩) في «ح» : منك . (١٠) في المعرّب للجواليقي «ص ١٣٤» : الخُشْكنان : نوع من الحلوى . وعند «دوزي» : خشكنانكة . ويبدو أنها مستديرة كالبدر .
(١١) القرصة : حلوى من العجين والسكر والنشاء « دوزي » . ويبدو أنها تشبه الهلال .

الضاد

وله في مقليّ بَيْض :

أأحداقُ بَيْضٍ أم حديقةُ نَرْجِسٍ أتت بين مُصفرٍّ إلينا ومُبيضِّ
شربنا على التِّبْرِيّ كأساً كَلَوْنه وأخرى على الفضّيّ من ذلك الفضّي

* * *

وقوله :

جاءت بوجهٍ مُعْرِضٍ وطالما تعرّضا
بيضاء ما أبصرتُ منها قطُّ يوماً أبيضا
قالت : قلى ؟ قلتُ : نعم قلبي على جمر الغضا

العين

وقوله في الشوق :

ترى عند من أحببتُه ، لا عدمتُه ، من الشوق ما عندي وما أنا صانعُ
جميعي إذا حدَّثتُ عن ذاك ألسُنٌ وكلّي إذا حُدِّثتُ عنه مَسامع

* * *

وقوله :

وعِلْقٍ (١) تعلّقته بعد ما غدا (٢) منه كلُّ جديدٍ خليعا
له ضَيْعةٌ كلّما أمحلتْ يعيشُ ، وإن أخصبت مات جوعا

* * *

(١) في « ب » : علق . (٢) في « ح » : عدا .

وقوله :

بكا لي حاسدي مَيْناً ، وأدري ... بضِحْك فؤاده بين الضّلوع

وأكذبُ ما يكون الحزنُ يوماً ... إذا كان البكاء بلا دموع

* * *

وقوله في ابن مالك صاحب قلعةِ جعبر[1] :

لحا الله مُلْكاً يحتويه ابنُ مالكٍ ... وعاجَلَهُ في ساحة القلْعة القلْعُ

فتىً لستَ ترجوه ولستَ تخافه ... كَدُود الخلا[2] ما فيه ضرٌ ولا نفْعُ

الفاء

وقوله :

حبيبٌ لنا واعدٌ مُخْلِفُ ... يجور علينا وما يُنْصِفُ

بكلّ قَباء له صَعْدَةٌ ... وفي كل جَفْنٍ له مُرْهَف

فيذْهَل من بأسه عنترٌ ... ويخجل من حُسْنه يوسُف

أما وبروقِ الثنايا التي ... بها الشُّهْدُ والمِسْك والقَرْقَف

لقد حِرْتُ في قمرٍ أحْورٍ ... لنا ما يغيب ولا يُكْسَفُ[3]

شربنا على وجهه ليلةً ... عيونٌ سحائبها تذرِف

(١) قلعة جعبر مطلة على الفرات من الجانب الشرقي ، بين بالس والرقة ، مقابل صفّين ، واسمها القديم دَوْسَر ملكها السلطان نور الدين محمود بن زَنكي من صاحبها شهاب الدين مالك العُقَيْلي وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه . وقد أقطعه نور الدين ، مقابل القلعة ، سروج وأعمالها ، والملاّحة التي بين بلد حلب وباب بُزاعة ، وعشرين ألف دينار معجلة .

(معجم البلدان ، ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٤ ، النجوم الزاهرة)

(٢) يريد : بيت الخلاء . (٣) في « ح » : وما يكشف .

وَحَرُّ الكوانين مستعذَبٌ ... ببرد الكوانين مُسْتطرَف[1]
لدى شمعةٍ مثل لون المحِـ ... ـبّ وريح الحبيب إذا ترشف
تموت أنطفاء إذا سولِمَتْ ... وتحيا وهامتُها تُقْطَف
فقات وقد غاب جيش السحاب ... وطرفي عن الحبّ ما يَطْرِف
كأنّ الثريّا وبدرَ السماء ... وأنجمُها طُلّعٌ تَرْجُف
يدٌ قد أشارت إلى وردةٍ ... وحولها نَرْجِسٌ مُضْعَف

* * *

وقوله :

أما آن للغضبان أن يتعطّفا ... لقد زاد ظلماً في القطيعة والجفا
بِعادٌ ولا قُربٌ ، وسُخطٌ ولا رِضاً ... وهجرٌ ولا وَصْلٌ ، وغدرٌ ولا وفا
تكدّرَ عَيْشي بعد ما كان صافياً ... وقلبُ الذي أهواه أقسى من الصّفا
فيا خدّه لا زدتَ إلاّ تلهّباً ... ويا قدّه لا زدتَ إلاّ تَهَفْهُفا
ويا رِدْفَه لا زال دِعْصُك مائلاً ... ويا طرفَه لا زال جفنُك مُدْنَفا

* * *

وقوله :

نتفتُ السّوادَ من العار ضيْـ ... ـن عند الشبيبة نتفاً عنيفا
فلما كَبِرْتُ نتفت البياض ... وقد صار بعد الجنى الغضّ ليفا
ولو علم[2] النّاس بالحالَتَيْن[3] ... لما لقّبوني إلاّ نتيفا

* * *

(١) كذا في الأصلين ، ولعلها : مستظرف . (٢) في « ب » : علمو . (٣) في « ح » : في الحالتين .

وقوله[١] :

قولا لطُغْريل[٢] ولا تَقْصُرا — في سَبِّه عنّي وتعنيفِهِ

قتلْتَنا بالصَّرف سَكْراً ، فلا — برحتَ مقتولاً بتصحيفه[٣]

* * *

وقوله في إنسانٍ وعده[٤] بخروف وما وفى :

يا أبا الفضل بالنجفْ — إستمع كلَّ ما أصفْ

لك وجهٌ كأنّه الـ — ـبدر لكن إذا كُسِفْ[٥]

وقوامٌ كأنّه الـ — ـغُصْن لكن إذا قُصِفْ[٦]

وعذارٌ كأنه الـ — ـنمّل لكن إذا نُتِف

وبنانٌ[٧] كأنّه الـ — ـبحر لكن إذا نشِف

وأبٌ أكذب الأنا — م ولكن إذا حلَف

كم جوادٍ وهبته — حين أوْدى بلا علَف

وقباءٍ خلعته — وهو خارا بلا ألِف

إنّ مَنْ يرتجي خرو — فَكَ بالشِّعْرِ قَدْ خَرِفْ

* * *

(١) لا تبدو اللفظة في « ب » . (٢) في « ب » : طغربل .

(٣) لعلّه يريد بالتصحيف : شَكْزاً ، مصدر شكَزه بالرّمح : طعنه .

(٤) في « ح » : وعد . (٥) في « ح » : إذا انكسف .

(٦) في « ح » : إذا انقصف .

(٧) في « ح » : وبيان . وترتيب هذا البيت في « ب » بعد البيت : كم جواد . . .

وقوله في إنسانٍ يُلقَّب بالعفيف :

عُجْ بالعقيق وعَدِّ عن تَصْحيفه ... لا خير فيه إذا أُستقلّ مُصَحَّفا

يا كاتباً بخِلَتْ يداه بأَحرفٍ ... ماذا تجود إذا منعت الأَحرفا

القاف

وقوله :

صَدَّ الحبيبُ وذاك دون فِراقِهِ ... وَمَنِ الذي يَبْقى على ميثاقِهِ

رشأٌ أغارُ عليه من أجفانه ... وأَظنّها ، للسُّقْم ، من عُشّاقِهِ

وأَقولُ من سُكْري بخَمرة ثَغْرِهِ ... ويدي تُلِمُّ[1] بحلّ عَقْد نِطاقه

يا ساقيَ الصَّهْباءِ صِرْفاً لا تَجُزْ ... وأُمزُج لنا الصهباء من أَرْياقه

جَلَّ الذي أعطاه في الْحُسن المُنى ... وأَضاف خِلْقته إلى أَخلاقه

كالغصنِ في حركاته ، والظبي في ... لَفَتاتِهِ ، والبدرِ في إشراقه

قد ذُبتُ من شوقي إليه صَبابةً ... وكذا المحبُّ يذوبُ من أَشواقه

* * *

وقوله في الربيع[2] ووصف دمشق :

هذا هو الزّمن البديع المُونِقُ ... والعِيشَةُ الرّغْدُ التي هي تُعْشَقُ

فعلامَ تصحو والحَمام كأنها ... سَكْرى تُغنّي تارةً وتُصَفِّقُ

وتلوم في حبّ الديار جَهالةً ... هيهات يسلوها فؤادٌ شَيِّق

---

(١) ألمّ بالذنب فعله . وألمّ ، كذلك ، تستعمل بمعنى كاد ، من افعال المقـــاربة ، وفي الحديث : وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يلمّ . أي يقرب من القتل . (٢) في « ب » : الدمع .

والشام شامةُ وَجْنَةِ الدنيا كما … إنسان مقلتِها الغضيضة جِلَّق

مِنْ آسِها لك جَنَّةٌ لا تنقضي … ومن الشقيق جهنّمٌ لا تحْرِق

سِيَما وقد رَقَمَ الربيعُ ربوعها … وَشْياً ، به حَدَقُ البرايا تحْدِق

في نَيْرَبٍ(١) ضحكت ثغورُ أقاحِه … لما بكاه العارضُ المُتألِّق

* * *

وقوله :

وصاحبٍ يتلقّاني لحاجته … بالرَّحْب ، وهو مايح الخلْق والخُلُقِ

حتى إذا ما انقضت(٢) ولّى وخالَفني … أخسَّ من جُرَذٍ في بيت مرتفَقِ(٣)

كالماء ، بينا ترى الظمآن يرشُفه … حتى يبدّد باقيه على الطرق

* * *

وقوله في(٤) غلامٍ طويل وكان عرقلة قصيراً أعور :

لي حبيبٌ قدُّه … قدَّ من السُّمْرِ الرِّقاقِ

من رآه ورآني … قال ذا غير اتفاقِ(٥)

أعور الدَّجّال يمشي … خلف عُوجِ بن عُناق(٦)

---

(١) انظر الصفحة ١٩٨ الهامش ١ (٢) في « ح » : ما انقضى . (٣) بيت الخلاء « انظر دوزي »

(٤) في « ح » : وله في . . (٥) في « ح » : غير نفاق .

(٦) أعور الدجال : رجل من يهود ، يظهر في آخر هذه الأمة يدعى الألوهية ، ومن صفاته أنه أعور .

وعوج بن عُوق : رجل يقولون عنه انه ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وهلك على يديه ، وذُكر من عِظَم خلقه شناعة ، كان يوصف من الطول بأمر شنيع ، إذا قام كان السحاب مئزراً له . ومن قال عوج بن عُنق فقد أخطأ (انظر القاموس والتاج والحاوي للفتاوي للسيوطي « الأوج في خبر عوج » ج٢ ص٤١٣) .

الكاف

وقوله في المدرسة التي أنشأها الملك العادل رحمه الله بدمشق :

ومدرسةٍ سيَدْرُس كلُّ شيء ... وتبقى في حِمىً عِلْمٍ ونُسْكِ
تَضوّعَ ذكرها شرقاً وغرباً ... بنور الدين محمود بن زَنْكي

* * *

وقوله « رباعية » :

يا بدرَ دُجىً يحمِله غصنُ أَراكْ ... ما أَعجبَ ما يَحُلّ بي حين أَراكْ
لا تقتلْ بالصُّدود صبّاً يَهواكْ ... ما للأَعراب طاقةٌ بالأَتراكْ

اللام

وِصالٌ ما إليه من وُصولِ ... وسمعٌ ما يُصيخ إلى عَذولِ
لقد أَخفيتُ داءَ الحبّ حتى ... خفِيتُ عن الرقيب من النُّحول
وكيف يَصِحُّ هذا الجسم يوماً ... وآفته من الجفن العليل
وليلٍ مثل يومِ العَرْضِ طولاً ... ومَنْ عَوْني على الليل الطويل ؟
وما للصُّبح فيه من طلوعٍ ... ولا للنجم فيه من أُفول
إلى كمْ نحن في صدٍّ وهجرٍ ... وفي قالٍ من الواشي وقيل[1]
تُرى يوماً نَرى[2] تلك الأَماني ... وتجمع شملَنا كأْسُ الشَّمول

---

(١) جاء هذا البيت في هامش « ح » مستدركاً من إهمال .

(٢) في « ب » : تَرى .

وتعطِف لي عواطفُ مَنْ جفاني ... ويَشْفي من غَـلائله غَليلي
تصدّى للصدود قِلىً وبُعداً ... ولن تَخْفى علاماتُ المَلول
وفي صبري على التقبيح عُذْرٌ ... إذا ما كان من وجهٍ جميل[1]

* * *

وقوله في الشيب[2] :

إلى كم أبيد البيدَ في طلب الغنى ... وأقربُ رزقي فوق نجمِ سُهَيلِ
وقد وخَطَ الشيْبُ الشبابَ كأنه ... أوائلُ صبحٍ في أواخرِ ليلِ

* * *

وقوله في العِذار في غلامٍ اسمه وُهَيب :

قال قَوْمٌ بدا عِذارُ وُهَيبٍ ... فاسْلُ عنه. فقلت : لا ، كيف أسلو
أنا جَلْدٌ على اتقا أُسْدِ عينيْـــــــه ، وأخشى[3] عِذارَه وهو نملُ !

* * *

وقوله في امرأة يقال لها صَفيَّةُ ، وقد عزمت على السفر :

تقول صفيةٌ ، والصَّنْوُ منها ... لغيري ، حين قرَّبتِ الجِمالا
وقد سفَرتْ لنا عن بَدر تِمٍّ ... غَداةَ البَيْن وانتقبت هِلالا
أتصبرُ إنْ هجرنا او بَعُدْنا ... فقلتُ : نعم ، وقال القلب : لا ، لا
يخاف البُعْدَ من أَلِفَ التَّداني ... ويخشى الهجرَ مَنْ عَرَفَ الوِصالا

* * *

(١) في موضع الكلمة من نسخة « ح » : وجه ملول ، وفي الهامش : جميل .
(٢) تغيب اللفظة في « ب » . (٣) في « ح » : أأخشى .

وقوله من أخرى :

ميلوا إلى الدار من ذات اللَّمى ميلوا   كحلاء ما جال في أجفانها ميلُ

هذا بكائي عليها وهي حاضرةٌ   لا فَرْسَخٌ بيننا يوماً ولا مِيل

ممشوقة القدّ ما في شَنْفها خَرَسٌ   ولا تَضِجّ بساقَيْها الخلاخيل

كأنّما قَدُّها رُمحٌ ، ومَبْسِمُها   صُبْح ، بنفسيَ عسّالٌ ومعسول

ومنها [١] :

إني لأَعشق[٢] ما يحويه بُرْقُعها   ولستُ أُبْغِض ما تحوي[٣] السراويل[٤]

وربّ كأسٍ سقانيها على ظمأٍ   مُهَفْهَفٌ مثلُ خُوطِ البان مَجْدول[٥]

حتى إذا ما رشفْنا راحَ راحتِه   وَهْناً ، وأَنقلُنا عَضٌّ وتقبيل

جارت عليَّ يدُ السّاقي ومُقلَتُه   لكنني بزِمام العقْلِ معقول

* * *

وقوله في مدح الشيب :

رصّعَ الشيبُ لِمّتي يا حبيبي   بنُجومٍ طُلوعُهنّ أُفولي

كان شَعْري كمُقلتيْك فأضحى   كثناياك ، حبّذا من بديل

* * *

(١) لاتبدو اللفظة في « ب » ، وهذا موضعها في « ح » . ولعلّ مكانها بعد البيت التالي . إني لأعشق ...

(٢) في « ب » : لا أعشق .   (٣) في « ب » : يحوي .

(٤) في هامش عود الشباب : المتنبي :

إني على شغفي بما في خُمرها   لأعفّ عمّا في سراويلاتها

(٥) في « ب » : مجذول .

وقوله في مدح ابن نيسان بآمِد[1] :

قومي أُسمعي يا هذه وتأمّلي ... رَقْصَ الغصون على غِناء البلابلِ

فالطيرُ بين تغرُّدٍ وتشاجُرٍ ... والماء بين تجعُّدٍ وتسلْسُلِ

أظِباءَ وَجْرةَ كم بشطَّيْ آمِدٍ ... من ظَبيةٍ كَحْلى وظَبيٍ أكحلِ

ومُدلَّلٍ ومذَلَّلٍ في حُبّه ... شتّان بين مُدلَّلٍ ومُذَلَّلِ

والعَيْش قد رقَّتْ حواشي حُسنِه ... ما بين دَجلتِها إلى قُطْرُبُّلِ[2]

رَقَمَ الربيعِ رُبوعَها فكأنّها ... زنجيةٌ تختال تيهاً في الحلي[3]

ومنها في المدح :

في حِصنه غَيْثٌ ، وفوق حصانه ... لَيْثٌ يَكُرّ على الكُماةِ بمِسْحَلِ[4]

متبسِّمٌ لِعُفاته قبل النّدى ... كالبرق يلمَع للبِشارة بالوَلي[5]

يعطي المُحَجَّلَةَ الجياد[6] وكم لهُ ... في الجُود من يومٍ أغرَّ مُحَجَّلِ

ويَرُدُّ صدرَ[7] السَّمْهَريِّ بصدره ... ماذا يؤثّر ذابلٌ في يَذْبُلِ[8]

---

(١) في «ب» : ومن قوله في ابن نيسان بآمِد . وهو بهاء الدين بن نيسان كان مدبّر أمر آمد ورئيسها قبل أن يدخلها صلاح الدين سنة ٥٧٩ . وانظر الروضتين ج٢ ص٣٨–٣٩ «ويجعله الطابع ابن تيسان» وابن الأثير .

(٢) قرية ما بين بغداد وعُكْبَرا ، مشهورة بالخمر . ويقول عنهـا ياقوت : ما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٣) هنا موضع هذا البيت في «ح» . أما نسخة «ب» فقد جعلت منه آخر الأبيات في هذه القصيدة ، وليس ذاك مكانه لأنه ليس من أبيات المديح ، وإنّما هو من أبيات المقدّمة الوصفية . ويفسّره أن آمِد تسمّى آمِد السوداء لأنها بُنيت بحجارة سود . وانظر في ذاك الصفحة ١٩٧ .

(٤) في «ح» : يكر على الكماة . وفي «ب» : مسجل . والمسحل : العزم الشديد .

(٥) في «ح» : بالبشارة للولي . والوَلْي : المطر بعد المطر . (٦) في «ب» : الجواد .

(٧) في «ح» : صدري . (٨) جبل مشهور في نجد يكثر الشعراء من ذكره .

وكأنّه والمَشْرَفِيُّ [١] بكفّه ... بحرٌ يكُرّ على العُفاةِ بجدولِ [٢]

* * *

وقوله في الملك الناصر قبل ملك مصر وكان متولي دمشق [٣] :

رويدَكُمُ يا لُصوصَ الشآم ... فإني لكم ناصحٌ في مَقالي [٤]

وإياكُمُ من سميّ النبـــــيّ [٥] يوسُفَ ربِّ الحِجا والجمالِ

فذاك مُقطِّعٌ [٦] أيدي النساء ... وهذا [٧] مقطعٌ [٦] أيدي الرجال

* * *

وقوله في مُغنّية بمصر اسمها خراطيم :

تقول خراطيم لما أتيْـــــتُ : أهلاً بذا الشاعر الأَحْوَلِ

وغنّت فقالتْ لجُلاسِها : ... شبيهٌ بنصف اسمِ الأَوّل

الميم

وقوله من قطعة :

أَمُوَلَّدَ الأَتراكِ إن مُوَلَّدَ الـــــأَعْراب أَضحى في هواكَ مُتيَّما

لو كان قلبُك مثلَ عِطْفِك لَيِّناً ... ما كان حظي مثلَ صُدْغكَ مُظلما

* * *

(١) في « ح » : في المشرفيّ . (٢) يتلو هذا البيت في « ب » البيتُ : رقم الربيع ... المتقدم .

(٣) في تقديم هذه الأبيات في فوات الوفيات : وقال وقد تولّى صلاح الدين يوسف شحنكية دمشق في الأيام النورية .

(٤) في الفوات : في المقال . (٥) في الفوات : أتاكم سميّ النبي الكريم .

(٦) رواية الفوات . يقطع . (٧) في « ح » : وذاك .

وقوله في مبارك بن مُنْقذ[١] :

ضدُّ أسمه المُنقِذيّ ، عن ثقةٍ   فـلا تلومَنّه على اللُّوم

كالُجدَرِيّ الذي يقال له   مُبارَكٌ ، وهو ألف مشؤوم[٢]

* * *

وقوله من قصيدة :

سَلا هل سَلا عن ربَّةِ الخال واللّما   مُحِبٌّ غدا من ظَلْمِها مُتظلِّما

وهل لاح برقٌ من تبسُّم ثغرها   فأمطر إلاّ سُحْبُ أَجفانه دما

مُهَفْهَفَةٌ كالخيزُرانة لَيِّنَةٌ   تزيد اُعوجاجاً حين زادت[٣] تقَوُّما

ومنها :

أما آنَ أن تدنو الديارُ بنازح   وهل نافعي قوْلي بُعَيْدَ النَّوى أما

كأَنّ قِسِيَّ البين لم ترَ في الورى   لأغراضها إلاّ المحبين أسهما

* * *

وقوله في المنثور :

قد أقبل المنثور يا سيِّدي   كالدُّرِّ والياقوت في نَظْمِهِ

---

(١) لعلّه يريد أبا الميمون المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الملقب سيف الدولة مجد الدين : كان من أمراء الدولة الصلاحية . ولمـا سيَّر السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى بلاد اليمن وتملكها ، رتّب ابن منقذ هـذا نائباً عنه في زبيد . ثم فارقها إلى دمشق ومصر ، وفي مصر حبسه صلاح الدين إثر وشاية سنة ٥٧٧ . كان مقدماً في الدولة ، كبير القدر ، نبيه الذكر ، وكانت فيه فضيلة ، وكان يحب أربابها . ومدحه جماعة من مشاهير الشعراء ، وله شعر . ولد بقلعة شيزر سنة ٥٢٦ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٨٩ . (انظر الأعلام ، وابن خلكان ، والروضتين ج ١ ص ٢١٧)

(٢) في « ح » : ميشوم . (٣) في « ح » : نالت .

ثَناكَ لا زال كأنفاسه ومُخُّ من يَشْناكَ مثل اْسمِهِ

* * *

وقوله ، و[1] يُكتب على سَرْج :

أنا سَرْجٌ لمليكٍ حِصنه في الشّام شامَهْ
تحتيَ البرقُ وفوقي مِن أياديه غَمامَهْ
كتب اللهُ عليه كلّما سار السلامَهْ[2]

* * *

وله في شاعرٍ يُدْعى الطائي قدِم من[3] بغداد :

قد أصبح الطائيُّ في جِلِّقٍ بدُبْره أكرمَ من حاتم
يقول بالأَيْر الذي لم يزل يقوم ، والناس مع القائم

النون

وله من[4] قصيدة :

يا غصنَ بانٍ تَثَنَّى وهو نَشْوانُ وبدرَ تَمٍّ لِحَظّي منه نُقصانُ
إلامَ تَصْدَعُ قلبي بالصدود قِلىً وليس يسكنه إلّاكَ إنسان
من لي بذي شَنَبٍ يفترُّ عن بَرَدٍ ما إن يذوب وفي خدّيْه نيران
أخشى على كتفيْه من ذَوائبه وكيف لا أتخشّى وهي ثعبان

* * *

(١) سقطت الواو في « ب » ، وفي « ح » : وله ويكتب ...
(٢) جاءت هذه الأبيات في « ح » بعد أبيات الطائي التي تليها هنا ، مؤخرة من تقديم .
(٣) في « ب » : قدم بغداد . (٤) في « ح » : وقوله من ...

وقوله :

يا غُرْبةً جعلتْ فؤادي للأَسى إلفاً ، وخدّي للمدامع مَوْطِنا
حتى أَلِفتُ حديثَ حادثة النَّوى يَلْقىٰ الشدائدَ سهلةً مَن أَدْمنا

* * *

وقوله في الشيب :

وفي الشيب لي واعظٌ لو عقَلت قرعتُ على العمر سِنّي سنينا[1]
تراني وقد عارض العارضَيْـــن طوراً شمالاً وطوراً يمينا
أُقلّع أَوّلَ فرســانه ولكنّني أَتخشّى الكمينا

* * *

وقوله[2] :

وفي دير مُرّانَ[3] خمّارةٌ من الروم في يوم سَعْنينها[4]
سقتْني على وجهها المُشْتهىٰ أَرقّ وأَعتقَ من دِينها

* * *

وقوله من أُخرى :

ومُهَفْهَفٍ كالرّمح يحمل مثلَه قَتَلَ الورى وسْنانُهُ وسِنانُهُ
فارقته وفرِقت عند وَداعه مِنْ صارمٍ أَجْفانُهُ أَجْفانُهُ

---

(١) في « ب » : فزعت على العمر منّي سنينا . (٢) في « ح » : وله .
(٣) دير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع ورياض . ويشترك معه في التسمية دير آخر على الجبل المشرف على كَفَرْطاب قرب المعرة .
(٤) في « ح » : شمنينها .

في ليلةٍ طالت عليّ كأنّها عِطفاه أو صُدْغاه أو هِجْرانه
حتى بدا فَلَقُ الصّباح كأنّهُ وجهُ الأمير وعِرضه وجِفانُهُ

* * *

وقوله في غلامٍ كمرانيّ :

وكيف يراني الرُّقبا ء من سقمٍ بِجُثماني
وجسمي مثل ما يحوي كمرانُ[1] الكمراني

* * *

وقوله في مدح شمس الدولة صاحب اليمن رحمه الله[2] :

تأمّلْ ولتكنْ ثَبْتَ الجَنانِ نساء الحيّ أم حور الجِنانِ
بَدَوْن كأنهنّ بُدور تِمٍّ وَمِسْنَ كأنهنّ غُصون بان
وكم في الحيّ بَهْكَنة حَصانٌ مُبَرْقَعة المُحيّا والحصان
ومخضوب القناة من الأعادي لِعَيْنَيَّ كلُّ مخضوب البنان
أتيناهُنّ أضيافاً ولكن شُغلنا بالجفون عن الجِفان
يَقُمْن تَسَلَّ بالصّهباء عنّا على ضرْب المَثالث والمَثاني
فقلتُ وقد مضى نَوْءُ الثُّريا وجاءت بالسُّعود النّيّران
عيونَ السُّحْب كم تبكين وَجْداً وقد ضحِكَتْ ثُغورُ الأُقْحُوان

(١) الكَمَر والكَمَران : حزام من جلد «دوزي» . والأولى هي الشائعة في عامية الشام في أيامنا . وهو يشد فوق الثوب وتحت الزنّار ، وله جيوب صغيرة تحفظ فيها النقود . وفي « ب » و « ح » : كمرّان .
(٢) في « ب » : ومن قوله في شمس الدين صاحب اليمن . وانظر ترجمته في الصفحة ٢٠٢ الهامش ٢

وفي ربْع الحبيب لنا ربيعٌ ونَورٌ ما حَوَته النَّيّربان(١)
وما شمسُ الضُّحى في الحُسْن إلاّ كشمس الدولة المَلِك الهِجان

* * *

وقوله :

كم أُمَشَّى كأنني ذو طِحال وأُمنّى كأنني كمّون(٢)

* * *

وقوله في ابن نيسان(٣) :

كنت أذُمّ ابنَ مالكٍ(٤) فإذا(٥) ذاك سماءٌ عند ابن نيسان
قد قيل ما يَحْمَد المجرِّبُ لِلْـــــأوّل حتى يجرِّب الثاني
قَطَنْتُ في آمِدٍ أؤمِّلُهُ وأيُّ خيرٍ في ظِلّ قطّان

* * *

وقوله في ذمّ كتاب :

وصَل الكتاب، عدِمت عشراً ناملٍ أَنّى ما فيـه من التضمين
ما كان أشبهه وقد عاينته بوثيقةٍ حلّت(٦) على مديون

---

(١) تسمية أخرى، بالتثنية، للنيرب . انظر صفحة ١٩٨ هامش ١

(٢) يجعلون من الكمون مثلًا للتمنية الكاذبة، وفي ذلك يقول الشاعر :

فأصبحت كالكمّون ماتت عروقه وأغصانه مما يمنونه خُضْر

ومن الأمثال الشائعة في الشام : بالوعد أسقيك يا كمّون .

(٣) انظر في التعريف به الصفحة ٢٢١ الهامش ١ (٤) انظر ذمّه له في الصفحة ٢١٣

(٥) في « ح » : وإذا . (٦) في « ح » : ظهرت .

الواو

وقوله :

عذلوني في الحبّ ، والعَذْلُ[1] يَغْوي ورمَوْني بالصَّدِّ والصدُّ يَكْوي
واُستحلّوا غَزْوي بكلِّ غَزالٍ حلَّ في حُبّه قِتالي وغَزْوي
تركونا ما بين وَجْدٍ وشوقٍ والمطايا ما بين سَوْقٍ وحَدْوِ
يا أَحَيْبابنا بجَيْرونَ[2] حتى ومتى للغرام نَهوى فنَهوي[3]
أَهْجرونا إن شئتمو أو صِلُونا قد شربنا من كلِّ مُرٍّ وحُلْوِ

الهاء

وقوله :

جَنِّبْ عن الدنيا إذا جَنَّبَتْ عنك بإكبارٍ وتنزيهِ
فما ترى فيها فتىً زاهداً إن لم تكن قد زهِدَتْ فيهِ

* * *

وقوله في أبي الحكم[4] الطبيب[5] :

لنا طبيبٌ شاعرٌ أَشْتَرٌ[6] أَراحنا من شخصه اللهُ

---

(١) دمشق ، أو باب من أبوابها . (٦) في « ب » : والحبّ .
(٢) في « ح » : فهوى . (٣) في « ح » : . . في الحكم . .
(٤) هو الشيخ الأديب الحكيم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي الأندلسي . كان فاضلاً في العلوم الحكمية ، متقناً للصناعة الطبية ، مشاركاً في الشعر ، مشهوراً به ، وكان حسن النادرة ، محباً للهو ، وكان يعرف الموسيقى ويلعب العود ، ويجلس على دكان في جيرون للطب ، وله مدائح كثيرة في بني الصوفي الذين كانوا رؤساء دمشق أيام مجير الدين آبق . سافر إلى بغداد والبصرة وعاد إلى دمشق وبها توفي أواخر سنة ٥٤٩ . كان بينه وبين شعراء عصره مهاجاة . (ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٤٥)
(٥) في « ب » : اشترا . وانظر في سبب هجوه إياه بأنه اشتر العين ، طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .

ما عاد ، في[1] صُبْحة يوم ، فتىً إلاّ وفي باقيــه رثّاهُ

* * *

وقوله :

يا بني الأَعراب إنّ الـــــتُرك قد جارت بنُوها
عَقْرَبوا الأَصْداغ حيناً ولِحَيْني ثَعْبنوهــا

الياء

وقوله في طغريل[2] السياف :

أَيها السيّاف هيا لا تَدَعْ في البيت شَيّا
داوِ قرناً صار تُرْساً للدّبابيس مُهَيّــا
كم نصحناك وقلنا إنتبه ما دُمتَ حيّا
كاشْ نَحْسٍ أَنت فيه من حِراف[3] ابن ثريّ[4]

(١) في « ب » : من .
(٢) في « ب » : طغرك ، وفي « ح » : طغرل . وانظر ص ٢١١ .
(٣) من حارف الرجل : عامله .
(٤) انظر في اتهامه لابن ثريا هذا الأبياتَ المتقدمة في الصفحة ١٨٨ .

نصر الهيتيّ الدمشقيّ

هو نصر بن الحسن ، من ضَيْعةٍ يُقال لها « الهِيت » من أعمال حَوْران من ناحية اللِّوى . لقيته بدمشق ، وتُوُفي بعد وصولي إليها بسُنَيّات ، بعد سنة خمس وستين وخمسمائة .

أنشدني له وُحَيش[1] ، وذكر أن شعره كان سالماً نقيّاً ما عليه غُبار :

كيف يُرْجى معروف قومٍ من اللؤ ... مِ غَدَوْا يَدْخُلون في كلّ فنّ

لا يروْن العُلا ولا المجد إلاّ ... برَّ عِلْقٍ وقَحْبَةٍ ومُغَنّ

يتمنَّوْن أن تَحِلّ المسامير بأسماعهم ولا الصوتُ[2] منّي[3]

* * *

وأنشدني له بعض أصدقائي بدمشق :

ما لي أرى قوماً يروضون العُلا ... وبها عليهم نفرةٌ وإباء

لن يشْرَكونا في القريض ، وكلّهم ... في بعض ما نأتي به شركاء

زعموا بأنّ المَيْن في أقوالنا ... ونَسُوا بأنّا في المقال سَواء

إن كان خُلْفُ القول في أشعارنا ... نقصاً[4] فنحن وهم به أكفاء

(١) انظر ترجمة وُحيش ومختارات من شعره في أعقاب ترجمة نصر هذا « ص ٢٤٢ » .

(٢) في « ح » : أثبت الكاتب : ولا الموت منى ، ثم استدرك فكتب فوق كلمة الموت كلمةَ الصوت .

(٣) وردت هذه الأبيات الثلاثة في معجم البلدان عند حديثه عن الشاعر في مادة « هيت » .

(٤) في « ح » : نقص .

لا نحن نفعلُ ما نقول ولا همْ … فإذا نظرتَ فكلّنا شعراء[١]

لكنْ لنا ولهم على أقوالنا … بين الأنام مدائحٌ وهجاء

فإذا كَذَبنا ، قيل عنا : أحْسَنوا … وإذا همُ كَذَبوا يقال : أساءوا

هذا وإنّ لنا عيوناً مِلْؤها … من كلّ ما نُسِبوا إليه حياء

والله ما نسجوا على مِنْوالنا … يوماً وإنّا منهم بُرَآء

ومن العجائب أن يَرَوْنا دونهم … وهمُ لنا أرضٌ ونحن سماء

* * *

وأنشدني له أيضاً[٢] :

لقد تعجّبَتِ النُّظّام من مِدَحٍ … أزُفّها بين منظومٍ ومنثورِ

أبكار فكرٍ جلاها منطقي فأتَتْ … تختال ما بين تهذيبٍ وتحبير

ولا أنال بها رِفْداً إذا نُشِرت … إلّا سوادَ خُطوطٍ في مناشير

واخَيْبَةَ الشّعرِ أهديه إلى نفرٍ … عليه يَجْزُون مَسْطوراً بمسطور

رقاعُهم تملأ الدنيا بما رحُبَت … مَلْأَى من المَيْنِ والبُهْتان والزُّور

تُطْوَى وتُنْشَر والأدْناس تشملها … في كفّ كلّ سَخين العَيْن مَغْرور[٣]

كأنها ، وعطاياهم مُسَطَّرَةٌ … فيها ، لفائفُ مَيْتٍ غير[٤] منشور

(١) في هامش « ب » : التعليقة التالية في سطرين : كأنه قد دار على شعر ابن الرومي : يقولون ما لا يفعلون ... البيتان . وفوق السطرين لفظة : « معاني » منحرفةً . ولعله يريد : .. دار على معاني ..

(٢) في « ح » : أيضاً له .   (٣) في « ب » : مقرور .

(٤) في « ب » : بيت غير . وفي « ح » : ميت عند .

أو ما يُقلّعه البَيْطار مِن خِرَقٍ[١] عن كلّ أعجفَ غثٍّ[٢] اللحم مَعْقورِ
فما لها مُشْبِهٌ في كلّ مُخْزِيةٍ[٣] إلاّ منـاديلُ ربّات المواخير
لا تَطّرِحْها إذا جاءت فإنّ لها[٤] نفعاً ولكن لترقيع الطنـابير

* * *

ثم وقعت بيدي مسوّداتٌ من شعر الهيتي بخطه عند وصولي إلى مصر ، مما قاله بها وبالشام ، فنقلت منهـا ما تحسُد دُرَرَها[٥] الدراري ، ويعشق إنشاءها المشحون فُلْكُ معـانيه منشآتُ الجواري ، فمن ذلك قوله[٦] من قصيدة في ابن رُزّيك[٧] :

لم تدر ما طعم الكلال ولا الوَجا لولا تدرُّعها الظلامَ إذا سجا[٨]
والسير تحت هواجر الشِّعْرى التي يلقى الوجوهَ أُوارُها متوهّجا
بكواكب القَيْظِ التي قالت بها جُونُ الجنادِب تستظِلُّ[٩] العرْفجا
ذرْها وحاديَها وأجوازَ الفلا وتحمّل الأثقال فيهـا والنَّجا
عوّامةٌ في الآل تحسب أنه بحر[١٠]، وتحسبها السَّفينَ مُلَجّجا[١١]

ومنها في الغزل :

تجلو[١٢] بعيدان الأراك مُعلّلاً بالراح مثلَ الأُقحوان مُفَلَّجا

---

(١) في « ب » : حرق .
(٢) في « ح » : عث .
(٣) في « ب » : مخربة .
(٤) في « ح » : بها .
(٥) في « ح » : درر .
(٦) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٧) في « ح » : في ابن رزيك من قصيدة . وانظر ترجمته في صفحة ١٨٧ هامش ٢
(٨) في « ح » : لم يدر ... يدرعها .
(٩) في « ح » : يستظل .
(١٠) في « ح » : بحراً .
(١١) من لجّجت السفينة : خاضت اللجة . وفي الأصلين : ملججا .
(١٢) في « ب » : يجلوا .

مُضْنًى يُريك مُوَشَّحاً ومُمَنْطَقاً ... عَبْلاً يريك[١] مُخَلْخَلاً ومُدَمْلَجا

وكأنما ظبيُ الصّريم أعارهـا ... جِيداً ومُلْتَفَتاً وطَرْفاً أَدْعجا

عُلِّقْتُها تختال في بُرْدِ الصِّبا ... مَرَحاً ، وبُرْد شبيبتي ما أنْهَجا

حتى تنفّس من[٢] غياهب لِمّتي ... فَلَقُ المشيب بمَفْرِقي[٣] وتبلّجا

وكففتُ عن غزلي بها وتهذّبتْ ... مني القرائح للمدائح والهجا

وحَلَبْتُ هذا الدهرَ أشطُره فلم ... أرَ فيه ذا خطرٍ يُخاف ويُرْتجى

إلاّ بني رُزّيك أرباب النّدى ... والبأس والمجدِ المُؤثّل والحِجا

* * *

وقوله من قصيدة :

لئن أَمسكتْ عني سحائب جُودهِ ... فما أنا للبِرّ القديم جَحودُ

ألم تر أنَّ المُزْن يهطِل تارةً ... ويُمْسِك بعد الهَطْل ثم يجود

* * *

وقوله من قصيدة أولها :

تيمّمِ النار تجلو عاكِفَ الظُلَمِ ... يا مُدْلِجاً بطِلاح العيس لم ينمِ

حُلَّ النسوع بمَغْنًى[٤] لم يزلْ أبداً ... يَهُزّ[٥] بالمدح فيه نَبْعة الكرم

واُحطُط رِحال المطايا عن غواربها ... برحْب[٦] هذا الحِمَى الممنوع والحَرَم[٧]

---

(١) في « ح » : تريك .

(٢) في « ب » : في .

(٣) في « ب » : بلمتي .

(٤) في « ب » : بمغنى .

(٥) في « ح » : لم تزل .. تهز .

(٦) في « ح » : ترحب .

(٧) في « ح » : والكرم .

جناب أَرْوَعَ ما اُستسقيت راحتَه ... إلاّ تيقّنت أن البخل في الدِّيَم
طَلْقِ المحيّا متى وافاه سائلُهُ ... أنساه كلَّ طليق الوجه مُبتسِم
فأنزِل به تَلْقَ مَنْ ذادَتْ مواهبُه ... عن جاره سَطْوَةَ الإملاقِ والعَدَم
وامدُدْ إذا رُمْتَ إلماماً بساحته ... إلى صروف الليالي كَفَّ مُنتقِم
وَخُذْ من الريّ ما تَشْفي[1] الأُوام به ... واُعلَقْ من العِزّ حَبْلاً غيرَ مُنصرِم

ومنها[2] :

هذا المليكُ الذي لولا عزيمتُه ... كان الفَخارُ لِحَدّ[3] الصارم الخَذِم
مَنْ لم تزل في الوغى والسِّلم راحتُه ... تُفني العِدى واللُّهى بالسيف والقلم
فعزمُه أبداً بالنُّجْح مقترنٌ ... والرَّأْيُ بالرُّشد ، والألفاظُ بالحِكَم
مَنْ لم يزل يرعف الخَطّيُّ في يده ... والمشرفيُّ دمَ الأكباد والقِمَمَ[4]
ما قارعتْ يده إلاّ بمُنْحَطِمٍ[5] ... كلاّ ولا جالدت إلاّ بمُنْثَلِم

ومنها :

كأنّهم والرُّدَيْنِيّاتُ تكنُفُهُمْ ... يومَ الهياج غضابُ الأُسْد في الأَجَم

ومنها :

يا ابنَ الذين إذا عُدَّتْ مناقبهم ... بين الورى ضاق عنها واسعُ الكَلِم

* * *

(١) في « ب » : يَشفَى .
(٢) موضع اللفظة في « ب » طرف البيت التالي .
(٣) في « ح » : بحدّ .
(٤) لم يرد البيت في « ب » .
(٥) في « ح » : لمنحطم .

وقوله من قصيدة في صاحب بُصرى[١] أولها[٢] :

خَلِّ الصَّريمَ لواصفي آرامِهِ ... وغزالَه لِمُتَيَّمٍ بِبُغامِهِ

وَدَعِ الأَراكَ وما سما من دَوْحِهِ ... تدعو على الأَغصانِ وُرْقُ حَمامِهِ

ومنها في المدح :

أسدٌ ولكن من براثنِ كفِّه ... بيضُ الظُّبا ، والسُّمْرُ من آجامه

لو لم يكن أحدَ الضراغمِ لم يكن ... كسر الكُماةِ الشوسِ من إلهامه

سائلْ به يومَ الطِّليلِ فإنه ... يومٌ تجلَّى عنه من أيّامِه

إذ جاءه جيشُ الفرنجِ مُنَظَّماً ... فسما إليه فحَلَّ[٣] عَقدَ نظامه

وغدا يُحَدِّث في المجامعِ كُفرُهُمْ ... بالبأسِ والسَّطَواتِ عن إسلامه

وله بأرضِ القُدْسِ فيهم وقعةٌ ... سلبت ملِيكَهم لذيذَ منامِه

كم جَحْفَلٍ للشِّرْكِ همَّ بحَرْبه ... فأَحَالَ[٤] صدرَ الرُّمْحِ صدرَ هُمامِه

---

(١) في ابن الأثير « ج ١١ ص ١٥٧ » أن صاحب بصرى ممن كاتب صلاح الدين يحثه على قصد الشام . ولم يذكر اسمه في هذا الموضع .

وفي الروضتين « ج ١ ص ٢٣٦ » : ثم رحل صلاح الدين إلى بلبيس (من القاهرة) ثالث عشر ربيع الأول (من سنة سبعين وخمسمائة) وكانت رُسُل شمس الدين صاحب بصرى : صديق بن جاوليّ (وفي النجوم الزاهرة : جاوليّ) وشمس الدين بن المقدم ، عنده ، تستوري في الحثّ والبعث جنده .

وفي النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٧٣ » : فيها (سنة ٥٧٠) ملك السلطان صلاح الدين دمشق من الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود ، وكان أخذه لدمشق بمكاتبة القاضي كمال الدين الشهرزوري وصديق بن الجاولي والأعيان .

(٢) في « ح » : أولها في صاحب بصرى . (٣) في « ح » : محلّ .

(٤) في « ح » : فأضلّ .

فبنور شمس الدّين قد ٰشِفت من الـــــكُفرِ المُروّع عاكفاتُ ظلامه
فاللّيث في سِرْباله والغيث بيـــــن بنانه[1] والبدر تحت لِثامه
ماء المنـايا والمنىٰ في كفّه جارٍ ، وفوق الطّرْس من أقلامه
حازَ المفاخر والنُّهى في مَهده وسما إلى العَلْياء قبل فِطامه
لِلْأَريحيَّة[2] والنَّدى في عِطفه فِعلٌ يقصِّر عنه فعلُ مُدامه
وتهزُّ عِطفيه المدائحُ هزةً كعواسل المُرّان يوم زحامه[3]
يُغنيك في العام الجديب بجُوده عن فيض أبحره وجَوْد[4] غمامه
كَرَمٌ ، غدا هذا الزمان لكل ذي أملٍ يروض به نفوسَ كرامه

* * *

وقوله من قصيدة :

رداءَ اتّباع الغيِّ هل أنت نازعُ وهل لك مما[5] لاح بالفَوْد وازعُ
فحتّامَ تُصْبيكَ البُروق كأنها لِقلبك لا قلب الظّلام صوادع
فحلّأ جفنَ العين عن مَنْهَل الكرى وقد شرعتْ فيه العيون الهواجع
أَوَجْدَك أَمْ إلفاً بنُعْمان في الدُّجى على أيـكةٍ[6] هاجَ الحمامُ السَّواجع
أم الطيف لما زار ، وهْناً ، مُسلِّماً نبت بك لما سار عنك المَضاجع
فبتّ سميراً للنجوم كأنما تضمَّن من تهواه منها المطالع[7]

---

(١) في « ح » : ثيابه . (٢) في « ب » : الأريحية .
(٣) في « ب » : زحامه . (٤) في « ح » : جُود . (٥) في « ب » : عمّا .
(٦) في « ب » : أيكةٍ . (٧) في « ح »: يهواه منها المطامع .

فيالابِساً ثَوبَيْ مَشِيبٍ وصَبْوةٍ ... صُنِ السِّرَّ إلاّ أن تَنِمَّ المدامِع

فمالك في خَلْعِ العِذارَيْنِ عاذرٌ ... والْبَسْ[1] قِناعَ اللَّهْوِ، والفَوْدُ ناصع

ومُضطربِ الأحشاء من ألَمِ الجوى ... نَبَتْ عن سماع العذل منه المسامع

أقام الهوى منه الفؤادَ رَمِيَّةً ... لِما فوّقت يوم الوَداعِ البَراقع

فلا الماء إلاّ ما تَسُحُّ جُفونُه ... ولا النّارُ إلاّ ما تُجِنُّ الأضالع

يَحِنُّ إلى أرض الشّآم صَبابَةً ... كما حَنَّ مفقود القرينة نازعُ

ديارٌ كساها القَطْرُ سِرْبالَ بَهْجةٍ ... مصايفُها تُزْهى به والمَرابع

جَلَتْها الرياضُ الخُضْرُ في حُسْنِ حُلّةٍ ... من النَّوْرِ حاكَتْها الغيوثُ الهوامِع

سَقَتْها على تصفيق برقٍ تراقَصتْ ... بأسيافها فيه[2] البروق اللوامع

وألبسها زهْرُ الربيع مَطارِفاً ... مِن الوَشْي لاثتها[3] الرُّبى والأجارع

تُرَجِّعُ[4] فيه الطيرُ لحناً كأنّما ... يَجُسُّ به منها المثانيَ صانع

تخال مناقير الهَزار بدَوْحِها ... مزاميرَ. لكن أعوزتْها الأصابع

بلادٌ لأُسْدِ الغاب في عَرَصاتِها ... بأَلحاظ أحداق الظباء، مَصارع

فياطِيبها لولا زَلازِلُها التي ... يروعُك منها هَزُّها المتتابع

تَمُورُ كما مار السَّفين بلُجَّةٍ ... تَلاطَمَ فيها مَوْجُها المتدافع[5]

بأقطارها لا تطمئنُّ كأنّما ... توسّدهنّ اللوذعيُّ طلائع[5]

---

(١) في «ح» : وليس .   (٢) في «ب» : فيها .

(٣) في «ب» : لا تتها .   (٤) في «ح» : يرجّع .

(٥) سقط البيتان في «ح» .

ومنها [١] :

إذا ملأَ الصدرَ النِّجادُ وصافحتْ مُتونَ القنا الخَطّارِ فيه الأَشاجع
يقول: ألا أيْن المجالِدُ ، عضبُه وذابله العسّال ، أين المُقارِع
منازِلُه والملْ والصَّدْرُ والجدٰى على الخلق ، كلٌّ في الإِضافة واسع
وأفعالُه في المَكْرُمات كعزْمِه مواضٍ ، فما فيهن فعلٌ مُضارعُ [٢]
فما روْضَةٌ يُسْقَى بماءَيْنِ تُرْبُها وكلٌّ نميرٍ في المَنابت ناجِع
يمُجّ إليها النيل من صاعِد النَّدى ويَشْفَعُه من نازل القطر شافع
مُدَبَّجَةُ الأَرْجاء تُمْسي كأنها عقيلة خِدْرٍ [٣] سِرُّ ريّاهُ ذائع [٤]
تقابَلَ في المخضرّ أبيضُ ناصِعٌ وأحمرُ قانٍ منه أصفر فاقع
بأحسنَ منْ يومِ التهاني يَزُفُّها لمجدك نظّامٌ بليغ وساجع

* * *

وله في كبير مرض :

مَنْ مِثْلُه حين عاد مشتكياً والمجدُ والمَكْرُمات عُوَّدُهُ
مدَّ اليه الشفاءُ كلَّ يدٍ وعنه غُلَّتْ من الرَّدى يدُه

* * *

(١) تنزلق هذه الكلمة في « ب » إلى السطر التالي .

(٢) في هامش « عود الشباب » التعليقة التالية على لفظة فعل مضارع : فعل رضائي الاختيار .

(٣) في « ب » : خذر . (٤) لم يرد البيت في « ح » .

وقوله في مَرْثِيَةِ الصّالح بن رُزّيك[١] :

جَلَّ ماأحدثتْ صُروفُ الليالي عند مُسْتَعْظَمِ العُلى والجلالِ
مَلِكٌ بعد قَبْضِهِ بَسَطَ الخطْـــــبُ يديْه إلى بني الآمال
جادتِ العينُ بعد بُخْلٍ عليه بيواقيتِ دمعِها واللآلي
وغدا كلُّ ناطقٍ باسان مُوجَعاً فيه ، قائلاً : ما احتيالي
ذهب الصّالح الذي ألبس الأيّـــامَ مِنْ بعدِه ثيابَ الليالي
والذي كَفَّ كفُّه أيديَ الفقْـــرِ بما بثَّ من جَزيلِ النّوال
حَلَّ في التُّرْبِ منه من كان يرجو ه ويخشاه كلُّ حيٍّ حِلال
طوْدُ حِلْمٍ ما خَفَّ إلاّ إذا قيـــلَ : ألا أين حاملُ الأثقال
مَنْ لِشَنِّ الغاراتِ بعدَ أبيها[٢] ولِصَدْمِ الأبطال بالأبطال
ولِنَظْمِ الصُّدور،تعتاجُ الأحْـــقاد فيهنّ ، في صُدورِ العوالي
ولِفَصْلِ الخطاب في كلِّ أمرٍ شيبَ منه[٣] الإبهامُ بالإشْكال

ومنها :

خَلِّ دَمْعي فإنّهُ غيرُ راقٍ وفؤادي فإنه غيرُ سالِ
ليس يُطفي ناراً تَلَظّى بقلبي سُحْبُ جفني بمائها الهطّال
حُرِمتْ[٤] لَذّةَ الكرى كلُّ عَيْنٍ لم تَجُدْ بعدَه بدمعٍ مُذال

---

(١) انظر ترجمته في صفحة ١٨٧ هامش ٢
(٢) يلقب بأبي الغارات لكثرة غاراته على الصليبين .
(٣) في « ح » : فيه .	(٤) في « ب » : حرّمت .

وإذا بان ساكنُ الرَّبْعِ عنه ما يَرُدُّ البكاءُ في الأَطْلالِ

* * *

وقوله :

طاف ، وسِتْرُ الظَّلام مُنْسَدِلُ خيالُ مَنْ زان طرفَهُ الكَحَلُ

يَعْجَبُ مِنْ طارق الرُّقادِ وقد نا زَلَ جفني من بعد ما ارتحلوا

نُمَّت ولىٰ وَهْناً فأَتْبَعَهُ طيبَ كَراه المُتيَّمُ الغَزِلُ

ولو تَخَطَّى إليه باعثُه لم تُخْفِهِ دُجْنَةٌ ولا طَفَلُ

وكيف يُخْفي الظلامُ شمسَ ضُحىً غضَّتْ بأنوارِ وجْهِها الشُّبُلُ

الليلُ والصبحُ مِنْ مُرَجَّلِها على نَواحي جبينها خَجِلُ

وقدُّها عَلَّمَ الغصونَ ضُحىً تميلُ في البانِ ثم تعتدل

جَيْداءُ قد نظَّمت قلائدَها دُرّاً يحاكيه ثَغْرُها الرَّتَلُ[1]

لم أَدْرِ من قبل أَنْ تلاحظني[2] أَنَّ جفونَ الصَّوارمِ المُقَل

ولا علمتُ الظِّباءَ كانِسَةً فوق المطايا وكُنْسُها الكِلَلُ

ومنها :

منازلَ الحيِّ بالمُرَيجِ[3] سقى ثَرى مَغانيكِ عارضٌ هَطِلُ

لولا ظِباءُ الطُّلول منك لما شجا فؤادي ظبيٌ ولا طَلَلُ

ولم يَرُضْني هوى الحِسانِ كما يروضني للمدائح الأَمل

---

(١) ثغر رَتَل : حسن التنضيد . (٢) في « ح » : يلاحظني .

(٣) في « ب » : بمريح . وعند ياقوت مُرَيْح : اسم أُطم بالمدينة . ومُرَيْخ : اسم ماء .

من كلِّ سيّارةٍ مُحَبَّرةٍ ... دُرِّيَّةِ اللفظ ما بها خَلَلُ

عذراء ، روضيَّة النسيم ، على ... أوصاف سيف الإسلام تشتمل

غدا لأمر الإله مُمْتَثِلاً ... فأمره في العباد مُمْتَثَلُ

ملكٌ تُقِرُّ[١] الملوك أنهم ... له ، إذا ما تفاخروا ، خَوَلُ

تُهْدَى إلى التُّرْب في مجالسه ... مِنْ قبلِ تقبيل كفِّه ، القُبَلُ

قائد جيشٍ إلى العدى لجبٍ ... صَرْفُ الرَّدى منه خائفٌ وَجِلُ

قومٌ كأُسْدِ الشرى براثنها الـ ... ـبيض المواضي وغابُها الأَسَلُ

فَلِلْمَهَا ما تَقَلَّدوه ، وللـ ... أحداق يوم الهياج ما اعتقلوا[٢]

مِنْ مَعْشَرٍ ما لذا الزمان[٣] يدٌ ... يفعل في الناس مثل ما فعلوا

إن سُئِلوا المجدَ والعُلى مَنَعوا ... أو سُئِلوا العُرْفَ والنَّدى بذلوا

ومنها :

يسأله الوَفْدُ رِفْدَه فمتى ... ترحَّلوا عن جنابه سُئِلوا

تفعل في عِطْفِه المدائح ما ... يَعْجَزُ عنه الشَّمول والرَّمَلُ

ذِكْرُ النَّدى والعُلى يُرَنِّحُه ... كأنه منه شاربٌ ثَمِلُ

فالعلمُ والحِلْمُ والشجاعة والـ ... ـعِفَّةُ فيه والقول والعمل[٤]

---

(١) في « ح » : يقر .

(٢) اعتقل الرمح : وضعه بين ركابه وساقه .

(٣) في « ح » : ليس للزمان .

(٤) في « ح » : والقول فيه والعمل .

وُحَيش الأَسدي

هو[1] الأديب أبو الوحش سبعُ بنُ خَلَف بن محمّد بن عبد الله[2] بن أحمد بن زيد بن زياد بن المرّار[3] بن سعيد الأَسَدي النَّقْعِسِيّ ، ومَوْلده سنة أربع وخمسائة[4] .
لقيته بدمشق شيخاً مطبوعاً ، ومدحني بقصائد .

ومن جملة ما مدح به الملكَ الناصر صلاحَ الدين يوسُفَ بن أيوب عند وصوله إلى الشام وملكه دمشق سنة[5] سبعين من قصيدة أولها[6] :

قد جاءك السَّعْدُ[7] والتوفيقُ واُصطحبا ... فكن لأضعافِ هذا النصر[8] مرتقبا

ومنها[9] :

لله أنتَ ، صلاحَ الدين ، من أسدٍ ... أدنى فريسته الأيّامُ إن وَثَبا

رأيتَ جِلَّق ثغراً لا نظير له ... فجئتها عامراً منها الذي خَرِبا

نادتك بالذُّلّ لما قامَ ناصرها ... وأزمعَ الخَلْقُ من أوطانها هَرَبا

أحييتَها مثلَ ما أحييتَ مِصْرَ فقد ... أَعَدْتَ[10] مِن عدلها ما كان قد ذهبا

هذا الذي نصر الإسلامَ فاتّضحتْ ... سبيلُه ، وأهان الكُفْرَ والصُّلُبا

---

(١) في « ب » : وهو .
(٢) في « ح » : هبة الله .
(٣) في « ح » : مرّار .
(٤) في « ب » : سنة أربع وخمسين . لقيته ...
(٥) في « ح » : في سنة .
(٦) في الروضتين « ج ١ ص ٢٣٧ » من هذه القصيدة . أحد عشر بيتاً هي الأبيات الأولى .
(٧) في « ح » وفي الروضتين : النصر .
(٨) في « ب » : هذا الأمر .
(٩) لم ترد اللفظة في « ب » ولا في الروضتين .
(١٠) في « ح » : عدلت .

ويوم شاوَر[1] ، والإيمانُ قد هُزمت ... جيوشُه ، كان فيه الجحْفَلَ اللَّجِبا

أَبَتْ له الضيمَ نفسٌ مُرّةٌ ويدٌ ... فعّالةٌ ، وفؤادٌ قطُّ ما وَجَبا

يستكبر[2] المدحَ يُتْلَى في مكارمه ... زُهْداً ، ويستصغر الدنيا إذا وهبا

ويومَ دِمياط والاسكندريةِ[3] قد ... أصارهم مثلاً في الأرض[4] قد ضُربا

والشامُ لو لم يدارِكْ[5] أهلَه اندرستْ ... آثاره وعفَتْ آياتُه[6] حِقَبا

ومنها[7] :

هو الجوادُ ولكن لا يُقالُ كَبا ... وهو[8] الحسامُ ولكن لا يُقال نَبا

---

(١) في « ب » : شاوور . وهو الأمير أبو شجاع شاوَر بن مجير بن نزار السعدي من بني هوازن . ولاّه الصالح بن رزّيك إمرة الصعيد الأعلى بمصر أيام العاضد . وكان ذا شهامة وفروسية ونجابة ، فتمكن من ولايته . ثم كانت له ثورة وثب فيها على القاهرة فدخلها سنة ٥٥٨ وقتل العادل بن الصالح بن رزيك ، وزير العاضد ، وأخذ موضعه من الوزارة . ثم خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار ، الملقب فارس المسلمين ، اللخمي المنذري ، وقتل ولده طيّ ، ففرّ إلى الشام مستنجداً بالملك العادل محمود بن زنكي ، فأكرمه وأنجده بالأمير أسد الدين شيركوه ، فعاد إلى منصبه . ثم بدرت منه أمور يقولون إن منها أنه استعان بالافرنج على دفع أسد الدين ، فقبض عليه السلطان صلاح الدين ، وقتل بأمر ، برأيه ، قتله جرديك النوري (انظر ذيل الروضتين حوادث سنة ٥٩٤ ص ١٣) ، عتيق نور الدين ، سنة ٥٦٤ . ودفن في تربة ابنه طيّ . لعمارة اليمني في مدحه شعر كثير . (الأعلام ، والنجوم الزاهرة ، وشذرات الذهب ، وابن خلكان ، وانظر الروضتين ج ١ ص ١٣٠ و ١٦٥) .

(٢) في « ح » : يستكثر .

(٣) نزل الفرنج على دمياط سنة ٥٦٥ ، فأقاموا خمسين يوماً واستنقذها صلاح الدين . وانظر في ذلك الروضتين ج ١ ص ١٨٠ ، وانظر في حديث الاسكندرية ص ١٧٠ من الكتاب نفسه .

(٤) في « ب » : في الناس .

(٥) في الأصلين : تدارك . وما هنا عن الروضتين .

(٦) في الأصلين : أيامه . وما هنا عن الروضتين .

(٧) موضع الكلمة في الأصلين آخر البيت العاشر السابق ، ولعلّ مكانها هنا أفضل ، وهذا البيت الحادي عشر هو آخر الأبيات التي اختارها صاحب الروضتين .

(٨) في « ب » : فهو .

وهْو الهِزَبْرُ ولكن لا يقال طغا — وهْو الضِّرام ولكن لا يُقالُ خَبا

فأنتَ إسكندرُ الدُّنْيا ووارِثُها — فاقْصِد ملوكَ خُراسان وَدَعْ حَلَبا

* * *

وأنشدني لنفسه :

رُبَّ يَوْمٍ وليلةٍ بتُّ أقْضيـــــها بلا مانعٍ غِناءً[1] وسُكْرا

أَجْتلي نَرْجِساً وألْثِمُ رَيْحا — ناً وأجني وَرْداً وأرشُفُ خمرا

إنْ أمِلْ يَمْنَةً أُعانق خَصْراً — أو أمِلْ يَسْرَةً أُقَبِّلُ ثغرا

* * *

وأنشدني لنفسه :

وكم ليلةٍ قد بتُّ مُستَمْتِعاً[2] بها — إلى أن بدا من صبح سَعْدِيَ فجرُهُ

وخمري جنًى فيه ، ووَرْدِيَ خَدُّهُ — وصُبْحي مُحَيّاهُ وليليَ شَعْرُهُ

ورَيْحانُ نَقْلي من عِذارَيْه يانعٌ — وكأسي إذا مادارتِ الكأسُ ثغرُهُ

* * *

وأنشدني أبو الوحش لنفسه من قصيدة بدمشق سنة إحدى وسبعين في نور الدين[3] :

انظرْ فهذا الرَّشأُ الأحْوَرُ — يَرْهَبُ منه الأسَدُ القَسْوَرُ

يُقامِرُ القلْبَ بأجفانه — وغَيْرُ خافٍ أيَّما يَقْمِرُ

(١) في « ب » : عناقاً . (٢) في « ب » : مستمعاً .

(٣) في « ح » : لنفسه بدمشق من قصدة في نور الدين .

وأسمر تفعل ألحاظه ... بالقلب ما لا يفعل الأسمر[1]

تختلب الأنفس ألفاظه ... لا شك عندي أنه يسحر[2]

قالت ليوث الغاب: يا قوم ما ... أسرع ما يصرع ذا الجؤذر

يا بدويا جاره آمن ... لم ذمتي في حبكم تخفر

عقدك من لفظك مستنبط ... فانتق الجوهر والجوهر

أنظر إلى ميت الجفا إنه ... ميت إذا واصلته ينشر

ما الليل ليل عند هذا الورى ... إذا تبدى وجهك المسفر

والوجنة الحمراء مذ أزهرت ... تمنمها ريحانها الأخضر

والغصن المورق خجلان منـ ... ـذ[3] اهتز منك الغصن المزهر

واسقمي من غصن مزهر ... بغير هجراني لا يثمر

لما علت طرته وجهه ... قلت: أعجبوا هذا الدجى المقمر

كم لام قوم في هواه فمذ ... بدا لهم في زيه كبروا

واستكبروا وجدي فناديتهم ... قوموا انظروا، حسنه[4] أكبر[5]

يا صاح قد رق نسيم الصبا ... آثر بها إن كنت من يؤثر

قم فاسقنيها[6] اليوم رومية ... مما حبا القس بها قيصر

إذا بدت في كفه خلتها ... من خده في كأسه تعصر

---

(١) في «ح»: بالقلب ما يفعله الأبيض والأسمر. وواضح خطؤه. (٢) لم يذكر البيت في المتن من «ح» وإنما استدرك في الهامش. (٣) في «ب»: مذ. (٤) كذا في الأصلين، ولعلها: فحسنه ليستقيم الوزن.

(٥) في «ح»: واستكثروا ... اكثر. (٦) في «ب»: قم اسقنيها.

إِنْ غُيِّبَتْ في فيه أنوارُها فإنها في خَدِّه تظهر

أَو قيل عنها نَجَسٌ مُطاقٌ فإنها من يده تَطْهُر [١]

* * *

وأنشدني لنفسه من قصيدة :

وقد عَلِمَتْ أبناءُ عَصْرِيَ أَنَّني أنا المِسْكُ لكن دهري الجائر الفِهْرُ [٢]

إذا زادني سَحْقاً أَزيد تأرُّجاً فَمِنْ شأْنِه ظُلْمي ومن شأْنِيَ الصَّبْرُ

وقصدني بقصائد مدحني بها ، فأحسنت جائزته .

* * *

وله في بعض [٣] الأكابر وهو كمال الدين بن الشَّهْرَزُوري [٤] :

حُبُّ الإمام مُحَمَّدٍ لي مَذْهَبٌ ومطامعي بمُحَمَّدِ بنِ القاسمِ

وكلاهُما في الانتظار عقيدتي فَذَاكَ مقرونٌ برؤْيِ القائم

---

(١) في « ح » : هذا نجس ... في يده .

(٢) حجر رقيق تُسْحق به الأدوية على الصلاية . والصلاية : كل حجر عريض يدقّ عليه .

(٣) في « ح » : وكتب إلى بعض ...

(٤) هو أبو الفضل كمال الدين محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم بن المظفر الشهرزوري الموصلي الشافعي . قاض فقيه ، أديب وزير ، من الكتاب . كان عظيم الرياسة ، خبيراً بتدبير الملك ، سفر بين الخلفاء والأمراء ، وأصلح بينهم . ولد بالموصل سنة ٤٩٢ ، وتولّى قضاءها لأتابك زنكي . وانتقل إلى دمشق فولاّه نور الدين محمود بن زنكي الحكم فيها . وارتقى إلى درجة الوزارة فكان له الحلّ والعقد في أحكام الديار الشامية . استناب ولده محيي الدين بحلب . وابن أخيه أبا القاسم في قضاء حماه . وابن أخيه الآخر في قضاء حمص . وأقرّه صلاح الدين بعد وفاة نور الدين على ما هو فيه . فاستمر إلى أن توفي بدمشق سنة ٥٧٢ هـ . بنى مدرسة بالموصل ، ومدرستين بنصيبين ، ورباطاً بالمدينة المنورة ، ووقف أوقافاً كثيرة منها قرية الهامة ، بجوار دمشق ، على الحنابلة . قال ابن عساكر عنه : كان يتكلم في الأصول كلاماً حسناً وكان أديباً شاعراً فكه المجالسة .

(انظر في ترجمته الأعلام ، وابن خلكان ، والوافي بالوفيات ، والنجوم الزاهرة ، والشذرات ، وطبقات الشافعية ج ٤ ص ٧٤ ، وسيترجم له العماد في شعراء الموصل ويذكر طرفاً من شعره) .

فِتيان[1] بن علي بن فتيان بن ثمال[2]

الأَسَدي الخُزَيْمي[3] الدمشقي المعلّم[4]

سألت بدمشق سنة[5] إحدى وسبعين وخمسمائة ، عند شروعي في إتمام هـذا الكتاب ، عمّن بها من الشعراء وذوي الآداب[6] ، فذكر لي فِتيانٌ منهم فتيانَ المعلّم معلّمَ الصبيان ، وهو

---

(١) ترجم له ابن خلكان وأورد طرفاً من شعره . وقال إنه تعلق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن البرنك شحنة دمشق ، وهو أخو عز الدين فروخ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين لأمه ، وكان يعلم أولاده الخط .
كان بينه وبين ابن عنين (٥٤٩ - ٦٣٠) مكاتبات ومداعبات (انظر ديوان ابن عنين تحقيق الأستاذ الجليل خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي) .
مولده بعد سنة ثلاثين وخمسمائة ببانياس ، ووفاته بدمشق سنة ٦١٥ . ودفن بمقابر الباب الصغير .
عرف بالشاب الشاغوري المعلم . والشاغوري نسبة إلى الشاغور من أحياء دمشق .
وأشار إليه صاحب النجوم في وفيات سنة ٦١٥ . وترجم له في وفيات سنة ٦٢٧ وأورد نتفاً من شعره.
وذكره ياقوت في مادة (شاغور) وقال : رأيته أنا بدمشق ، وهو قريب الوفاة ، كان أديب طبع ، وله حلقة في جامع دمشق . كان يقرىء النحو وعلا سنه حتى بلغ تسعين أو ناهزها ، وله أشعار رائعة جداً ومعـان كثيرة مبتكرة . وقد أنشدني لنفسه ما أنسيته . وذكر له قطعة في مادة (شواش) ، وهو من منتزهات دمشق .
وفي خزانة مخطوطات المجمع العلمي العربي بدمشق صورة نسخة خطيّة نفيسة من الديوان رقم ١٤١) ، لعلّها النسخة الوحيدة ، صوّرت من الهند ، وهي من اختيار ابنه وجمعه ، كتبت سنة ٦٢٣

(٢) لم ترد في « ب » ، وعند ابن خلكان : ابن ثمال . وفي مصوّرة الديوان : ابن ثَمال . وعلى الأوراق الأولى من المصوّرة : أبو محمد فتيان بن علي بن جمال الدين الأسدي النحوي .

(٣) عند ابن خلكان : الأسدي الحنفي الدمشقي ؛ وفي النجوم الزاهرة (سنة ٦٢٧) : الأسدي الحريمي المعروف بالشاغوري ؛ وفي مصوّرة الديوان ، في المقدمة : الأسدي النحوي ؛ وفي آخره: تمّ جميع المختار من شعر الشيخ الأجلّ العالم فخر الأدب فتيان بن علي النحوي : وفي كتب الانساب ينسبون إلى أسد بن خُزيمة.

(٤) تغيب اللفظة في « ب » من أثر التصوير .

(٥) في « ح » : سألت بدمشق عنه سنة ...

(٦) في « ب » : وذوي الألباب .

ذو نظم كالعقود ، وشعر كمُجاج العُنقود ، ومعنى أرقَّ وأصفى من مَعين العَذْب البَرود ، ولفظٍ أنْسَق وأشهى من وَشْي البرود وأنفذ إليّ[1] مسوّدات من شعره ، ونُفـاثات[2] من سِحْره ، فكتبت منها ما يروق الأسماع ، ويشوق الطِباع[3]. فمن ذلك :

نَوْحُ الحَمام الوُرْقِ في أَوْراقِها	دَلَّ أخا الشوق على أَشواقِها
فأظهرَ الدَّمْعَ وأَخفى زَفْرةً	خاف على البانات من إحراقها
لو بَكَتِ الوُرْقُ ببعض دَمْعِه	لأُمْحِتِ[4] الأَطْواقُ من أَعناقها
فَلْتَعجَبْ لها[5] شاكيةً باكيةً	لم تَسْلُك الدُّموعُ في آماقها[6]
ما أَفْرَقَتْ مُهْجَته من الجوى	لكنه أَشْفَى على فِراقها
دَعِ العُرَيْبَ والنَّقا وزينباً	تجذِب[7] لِلْبَيْن بُرى نِياقِها
وعُجْ على دمشق تُلْفِ[8] بلدةً	كأنما الجنّات من رُسْتاقها[9]
سقى دمشقَ اللهُ غيثاً مُحْسِباً	من مُسْتَهِلّ ديمةٍ دفّاقها
مدينة ليس يضاهي حُسْنَها	في سائر البلدان من آفاقها[10]
تودّ زوراء العراق أنّها	منها ولا تُعْزى إلى عِراقها

---

(١) في « ح » : لي . (٢) في « ح » : ونفاثا . (٣) تغيب اللفظة في « ب » من انحراف التصوير .

(٤) في الأصلين : لامتحت ، وهي لغة ضعيفة . وما هنا عن مصوّرة الديوان . (٥) في « ب » : بها .

(٦) هذا هو ترتيب الأبيات في مصورة الديوان . أما في الأصلين فيتقدم البيت : فاعجب . . . على البيت : لو بكت . . .

(٧) في « ب » : يجذب . (٨) في « ح » : تلق .

(٩) في مصوّرة الديوان :

مدينةٌ أحْسِن بها مدينة كأنما الجنّة من رزداقها

(١٠) في « ح » : في سائر الدنيا ولا آفاقها .

أَهْدتْ لها [١] يدُ الربيع حُلَّةً ... بديعةَ التَّفويف من خَلّاقِها
بَنَفْسَجٌ مثل خُدودٍ أُدْمِيَتْ ... بالقَرْص والتَّجْميش من عُشّاقِها
ونَرْجِسٌ أَحداقه رانيةٌ [٢] ... عَنْ مُقَلِ [٣] الْغِيد وعن أَحداقِها
تَنَزَّلَ المَنْثُورُ من رياضِها ... تَنَزُّلَ الأَعلام من شِقاقِها
فأَرضُها مِثلُ السماء بَهْجةً ... وزَهْرها كالزُّهْر في إِشْراقِها
مياهُها تجري خِلالَ رَوْضِها ... جَرْيَ الثعابين لَدَى اسْتِباقِها [٤]
مُثْمِرةٌ أَنهارها ضاحِكةٌ ... تنطاق الوُجوه لأنطِلاقها
نسيمُ ريّا رَوْضها متى سَرى [٥] ... فَكَّ أَخا الهموم من وَثاقِها
قد رَبَعَ الرَّبيع في رُبوعِها ... وسيقت المُنىٰ إِلى أَسواقِها
لا تَسأَمُ العُيون والأُنوف من ... رؤيتها يوماً ولا اسْتنشاقِها [٦]
فكم بها من شادنٍ تَحْسُدُهُ ... لِحُسنه البدور في اتِّساقِها
كأَنَّما رُضابُه الصهباءُ بلْ ... مَذاقه أَطيبُ من مَذاقِها
وَمِنْ بدورٍ في الخدور لم تَزَلْ ... كواملاً لم تَدْنُ من مَحاقِها
فأَيُّ أُنسٍ ثَمَّ لم تُلاقِهِ ... وأَيَّةُ الراحات لم تلاقِها
بعدل فخر الدين قَرَّ أَهلُها ... عيناً وزاد الله في أَرزاقِها
زَوَّجَها الأَمْنَ ، وناهيك به ... بَعْلاً ، فطيبُ العَيْش من صَداقِها

---

(١) في « ح » : لنا .
(٢) في « ب » : دانية .
(٣) في « ب » : مقلة .
(٤) في « ب » : استباقها .
(٥) في « ب » : جرى .
(٦) في « ح » : ولا انتشاقها .

فأَقسَمَتْ لا نَشَزَتْ عنه وقد أقسم لا مال إلى طَلاقها[1]

ومنها[2] :

ليس لفخرالدين[3] ندٌّ في الوَغى إذا الحروب شمرت عن ساقها

(١) في « ب » : اطلاقها . (٢) موضع اللفظة في الأصلين البيت التالي . ولعل مكانها هنا خير .

(٣) في مصوّرة الديوان من هذه القصيدة خمسة عشر بيتاً (هي الأبيات الأربعة الأولى ، وسقى دمشق ، مدينة ، تود ، والأبيات الثمانية التالية) . وفي تصديرها : وقال أيضاً يمدحه ؛ يعطف على قصيدة سابقة يذكر أنها في مدح الأمير بدرالدين مودود بن المبارك والي دمشق . ومن أبيات القصيدة في المصوّرة ، بعد بيت : « تودّ زوراء العراق ... » :

٨ – أشكو إلى الأشواق ما شكته جـــــاتق إلى المودود من أشواقها
٩ – حقّ لبـــدر الدين أن نحسده على العـــلى البدور في اتساقها
١٠ – كهاله أحسن من كمالها فتصين ، طول الدهر ، عن محاقها
١١ – قد خيّم الربيع في ربوعها وسيقت المنى إلى أسواقها
١٢ – اختاره الله لخير ارضه إذ ليس مثل الشام في آفاقها
١٣ – فقابل الشـــام برأي رتق الـــــأمور بعد شدة انفتـــاقها
١٤ – ما غلّ في الحرب ولكن غلّ أيــــــدي عُصب الكفر إلى أعناقها
١٥ – لا فتئت أيامــه سعيـــدة لا تنكث الدهرَ قوى ميثاقها

وتتكرر التسمية في الأماديح الأخرى كذلك مرات كثيرة .

وابن خلكان يقول عن فتيان : إنه تماق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن المبارك ، شحنة دمشق وهو أخو عز الدين فروخ شاه ابن اخي السلطان صلاح الدين لأمه .

والشاعر في أصلي الخريدة يلقب ممدوحه بـ فخر الدين (انظر هذا البيت والبيت السابق ٥ ٢ في الصفحة ٩ ٤ ٢) .

فهل هما قصيدتان متوازنتان متداخلتان ؟ ومَن فخر الدين هذا ؟ أم هي أخطاء النسّاخ والمطابع ؟ أم هو الخلاف في التلقيب أو التكثر منه بين بدر الدين ، ونور الدين ، وفخر الدين ؟

هذا عن اللقب . وأما عن الاسم : ففي مصورة الديوان : مودود ، وكذلك عند ابن خلكان .

أما في النجوم الزاهرة فهو في الصفحة ٩ ٥ من الجزء السادس : مودود شحنة دمشق (أحد الأمراء الذين استحلفهم الأفضل ابن صلاح الدين قبيل وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩) . وهو في الصفحة ١٩٠ من الجزء نفسه : بدر الدين ممدود شحنة دمشق .

وفي الروضتين ج ٢ ص ٢١٣ : بدر الدين مودود الشحنة . =

تهابُه الأُسود في آجامها ... وَحَيَّةُ الوادي لَدى إطراقها

ويخضِب السُّيوفَ باُصطباحها ... من عَلَقِ النَّجيع واُغتباقها (١)

كأنما أعداؤه أحبّـةٌ ... يشتاق في الحرب إلى اُعتناقها (٢)

والخيلُ لا تقتحم الموت إذا ... دارت رَحى الحرب سوى عِتاقِها

سَحَّتْ بجَدْواه سَحاب (٣) كَفِّه ... فخافت العُفـاة من إغراقها

عليه من حُسنِ الثناء حُلّةٌ ... قَشيبةٌ لم يَخْشَ من إخلاقها

ومنها :

أمضى حسامٍ عقدته الدَّوْلة الـــ ... نُّورية الغَرّاء في نِطـاقها

أرسل نور الدين منه (٤) شُهُباً ... على العِدى لم يثن من إحراقها

* * *

وقال (٥) :

رُوَيْدَكَ كم تجني وكم تتدلّلُ ... عليّ وكم أُغضي وكم أتذلّلُ

= وفي ذيل الروضتين ص ٥٤ : ومودود لقبه بدر الدين وكان شحنة دمشق .

ولعل كل هـــذه النصوص ترجح أنه بدر الدين مودود شحنة دمشق . توفي هو وأخوه مسعود (صاحب صفد ولقبه سعد الدين) في سنة واحدة هي سنة ٦٠٢ . وتقدمت وفاة مودود على أخيه مسعود بشهر واحد ، فقد مات بدمشق . في الخامس من رمضان ، وتوفي مسعود بصفد في الخامس من شوال .

وهما ابنا الحاجب مبارك بن عبدالله ، وأمهما أم فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب . ففروخ شاه أخوهما لأمها ، وأختهما لأمهما أيضاً الست عذراء صاحبة المدرسة العذراوية المجاورة لقلعة دمشق .

والمترجمان أميران كبيران لهما مواقف كثيرة مع صلاح الدين .

(ذيل الروضتين ص ٥٤ والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٩٠)

(١) في « ح » : واعتناقها . (٢) في « ح » : عناقها . (٣) في « ب » : سجام .

(٤) في « ح » : منها . (٥) في مصورة الديوان : وقال في غرض له .

لَزِمْتَ مَلالاً ما تَمَلُّ لُزومَه ... فقلبي على جَمْر الغَضا يتَمَلْمَل

وَوَكَّلْتني بالليل أَرعى نجومَه ... وأنت بطول الصَدّ عني مُوَكَّل

ولا غَرْوَ إن جادت جفوني بمائها ... إذا كان مَنْ أهواه بالْوَصل يبخل

وقد صار هذا السُّخْط منك سَجِيَّةً ... فَلَيْتَكَ يَوْماً بالرِّضا تتجَمَّل[١]

فكُنْ سالكاً حُكْمَ الزمان فإنه ... يجورُ مِراراً ثم يَحْنُو فيَعْدل[٢]

وقد كان حُسْن الصَّبْر من قبلُ ناصري ... فإن[٣] دام ذا الإعراض عني سَيَخْذُل[٤]

وأَحْزَمُ[٥] خلق الله رأْياً فتىً إذا ... نبا منزِلٌ يوماً به يتحوّل

فكم ملَّ منّي عائدي[٦] ومَلَلْتُه ... وعاصيت في حُبِّيك من كان يعذِل[٧]

وأَيّامُنا تُطْوى ولا وَصْلَ بيننا ... وتُنْشَر والهِجران لا يَتَزَيَّل

أرى الحُسْنَ قد ولّى عِذارك دَوْلَةً ... ولكنه عمّا قليلٍ سيُعْزَل

فأَحْسِن بنا ما كان[٨] ذلك ممكناً ... وأَجْمِل فقتلي عامداً ليس يَجْمُل

* * *

(١) بعد هذا البيت في مصورة الديوان البيتان :

تجرّد من أجفانك السود أبيضاً ... على كل من ترنو إليه فتقتل

وما لحظة إلا تهزّ مهنّداً ... يعاب به من يجبك مقتل

(٢) لم يرد البيت في « ح » . ومكانه في « ب » قبل البيت السابق .

(٣) في الأصلين : وإن . وما هنا عن مصورة الديوان .

(٤) في « ح » : ستخذل .

(٥) هكذا في « ح » وفي مصورة الديوان . أما في « ب » فتتداخل كلمتان : أحزم ، أحسن .

(٦) في « ب » : عني لائمي . (٧) في الأصلين : يعدل .

(٨) في « ح » ومصورة الديوان : ما دام .

وقال :

ترنُّمُ الوُرْقِ على غصونها دَلَّ أخا العِشق على شُجونها [1]

فجاد بالدَّمع مَعين جفنه ودَمْعها لم يَبْدُ من عيونها [2]

دعْ عنك لَوْمَ عاشقٍ أَضْنَاهُ تحسّ حرَّ النّار [3] في مضمونها [4]

قد زاحم الوُرْقَ على رَنينها [5] وشارَكَ النِّياقَ في حنينها

وقد بكى شوقاً إلى قرينه كما بكت شوقاً إلى قرينها

وليس يبكي فقدَ ليلى أحَدْ في عَرْصَةِ الدّار سوى مَجْنونها

أفدي الذي تفعلُ بي جُفونه [6] فِعْلَ الظُّبا تُسَلُّ من جُفونها [7]

ما ضَرَّه لو أصبحت أخلاقه [8] كقدّه تُسعفني [9] بلينها [10]

* * *

(١) يذكر هذا المطلع بالمطلع السابق في الصفحة ٢٤٨ :

نوح الحمام الورق في أوراقها دلّ أخا الشوق على أشواقها

(٢) في مصورة الديوان :

أطاع بالدمع معين جفنه ودمعها عصى على جفونها

(٣) في « ح » : يحس نار الشوق . (٤) في مصورة الديوان :

دع عنك لوم عاشق تطربه حمائم البانات في غصونها

(٥) في « ح » : رنيتها . (٦) في مصورة الديوان : لحاظه .

(٧) وبعده في مصورة الديوان :

كأنما هاروت فيها كامن واحرب العشاق من كمينها

(٨) في مصورة الديوان : أعطافه . (٩) في « ب » : يسعفني .

(١٠) وبعده في مصورة الديوان :

تنفذ في قلوبنا لحاظه فتيأس القلوب من معينها

وقال[1]، مما يكتب على خريطة[2] :

يا حاملي لا رأيتَ الدهر إقلالا ... وزادَكَ الله توفيقًا وإقبالا

أعطاكَ ربُّك أموالاً تنالُ بها ... بين الوَرَى من جميل الذِّكر آمالا

الرزقُ يأْتيك والأعمارُ ذاهبةٌ ... أَنْفِق ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالا

* * *

وقال من قصيدة[3] :

وَمِيضَ بَرْقٍ أرى في فيك أَمْ شَنَبا ... وهل رَشَفْتُ رُضاباً منه أَمْ ضَرَبا

أَفْدِي الذي ما أَبَى باللَّحظِ سَفْكَ دمي ... لكن متى ما طلبْتُ العَطْفَ منه أبى

ظَبْيٌ من الترك أَضْنَتْني لَواحِظُه ... وأسهم الترك إن أَصْمَتْ فلا عجبا

يبدو بضِدَّيْن في خدَّيْه قد جُمِعا ... ماء الشباب ونار الحسن فاصْطَحبا

فذلك الماء أبكى ناظريَّ دماً ... وذلك الجَمْرُ أَذْكَى في الحَشا لَهَبا

شكا فؤاديَ مِنْ عِبْءِ الهوى تعباً ... كم شكا خصْرُه من رِدْفِه تَعَبا

يَهُزُّ أعطافَه دَلُّ الصِّبا فترى ... غُصْنًا[4] من البان يثنيه النسيمُ صَبا

يا مُطْلِعَ البدر فوقَ الغُصْن معتدلاً ... يلوح ما بَيْنَ شُرْبوشٍ[5] وطَوْقِ قَبا[6]

---

(١) لم أجد الأبيات في مصورة الديوان .

(٢) وعاء من جلد يشدّ على ما فيه . وهو يشبه حافظة النقود .

(٣) لم أجد الأبيات في مصورة الديوان .

(٤) في « ح » : غضًا .

(٥) في « ب » شربوس . والشربوش : قلنسوة طويلة ؛ معربة عن سَرْ بوش أي غطاء الرأس (انظر كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير) .

(٦) في « ح » : وبين قبا .

إعْدِلْ فإنّ رُسومَ الجَوْرِ(١) قد دَرَسَتْ مُذْ(٢) صار فينا مَكينُ الدّينِ مُحْتَسِبا

* * *

ثم سَمِع فتيان أني أثبتُّ شِعره، وأجريت في الفُضَلاء ذكره، فقصدني بقصيدته وحضر عندي لزفاف خَريدته، وسألني إثْباتها في ديوان الفضل وجريدته، فحلّيته بفريدته. وذلك مما أنشدني(٣) لنفسه يمدحني به(٤):

نَعَشْتَ قوماً وكانوا قبلُ قد دَثَروا لولا عُلاكَ، فطاب(٥) الوِرْدُ والصَّدَرُ

أحْيَيْتَ شعرهُمُ من بعد مِيتَته قِدْماً، وقد(٦) شعروا قِدْماً وما شَعُروا

أقسمتُ ما رَوْضةٌ مُخضرّةٌ أُنُفٌ باتَتْ تَسُحّ(٧) على أقطارها القُطُر

ذُبابُها هَزِجٌ، نُوّارُها أرِجٌ نباتُها بَهِجٌ مُستَحْسَنٌ عَطِر

كأنّ فاراتِ مِسْكٍ وَسْطَها فُرِيَتْ فَنَشْرُها بأماني النفسِ مُنْتَشِر

شَقّ النسيمُ على رِفْقٍ شقائقَها فضُرّجَتْ بدمٍ لكنّه هَدَر

قُضْبُ الزَّبَرْجَدِ منها حُمّلَتْ صَدَفَ الـ ـياقوت، فيها فتيتُ المِسْكِ لا دُرَر

أحداقُ نَرْجِسِها ترنو فأدمُعُها فيها تَرَقْرَقُ أحياناً وتنحدِر

ولِلأقاحي ثُغورُ الغِيد باسمة سِيكَت بإسْحِلَةٍ(٨) أنيابُها الأُشُر

تُريكَ حُسنَ سَماءٍ وهي مُصْحِيَةٌ والأنجمُ الزُّهْرُ فيها ذلك الزَّهَرُ

---

(١) في «ب»: الجود. (٢) في «ح»: قد. (٣) في «ح»: ما أنشدنيه.

(٤) في تقديم القصيدة في مصورة الديوان: وقال يمدح عماد الدين محمد بن محمد الكاتب رحمه الله.

(٥) في «ح» لطاب. وهو بيّن الخطأ.

(٦) في الأصلين: فقد، وما هنا عن مصورة الديوان. (٧) في «ب»: يسح.

(٨) سيكت: من السواك. والإسحل: شجر تتخذ منه المساويك. وفي «ح»: بأسلحة.

تبدو[1] بها طُرَرٌ من تحتها غُرَرٌ يا حبَّذا طُرَرُ الأزهارِ والغُرَرُ

يوماً بأحسنَ مِنْ خطِّ العماد إذا أقلامُه نُشِرَتْ عن حِبْرِها الحِبَرُ

ولا العُقودُ بأجيادِ العَقائل كالـ ـدُمى فَمُنْتَظِمٌ منها ومنتثِرُ

على ترائب كافورٍ تُزَيِّنُها[2] حِقاق[3] عاج عليها عاجَتِ الفِكَر

تلك اللآلي تَروقُ النّاظرين فما يَسُومها سأماً مِن حسنِها[4] النظر

يوماً بأحسنَ من نظم العِماد ولا من نثره ، فبه ذا[5] العصرُ يفتخر

أضحت[6] صِعاب المعالي عنده ذُلُلاً تحوي دقائقَها من لفظه الدُّرَرُ

كأنَّما لفظُه السِّحر الحلال أو الـ ـماء الزُّلال النَّقاخ الطيِّب الخصِر

شِيبَتْ به قَهْوَةٌ حمراء صافيةٌ عُصارُها غَبَرَتْ[7] من دونه العُصُر

ولا السحائب بالأنداء صائبةً فَجَوْدُها غَدِق الشُؤْبُوب مُنْهَمِر[8]

حتى إذا انقشعت من بعد ما هَمَعَتْ أثنى عليها نباتُ الأرض والشَّجَر

يوماً بأغْزَر من كفِّ العماد ندًى فكلُّ أنملةٍ من[9] كفِّه نَهَر

فلِلغَمائم تقطيبٌ إذا انبجَست وبِشْرُه[10] دونه[11] عند النَّدى القمر

---

(١) لم يرد البيت في مصورة الديوان . (٢) في مصورة الديوان : تزينه .

(٣) في « ح » أكف عاج ، ثم استدرك الكاتب فكتب فوقها : حقاق .

(٤) في مصورة الديوان : مالا من ظاها . (٥) في « ح » : فبهذا .

(٦) في مصورة الديوان : أمست .

(٧) في « ح » عبرت ، وفي مصورة الديوان : قد اتت .

(٨) أهمل البيت في « ح » . (٩) في « ح » : في .

(١٠) في مصورة الديوان : ونشره . (١١) في « ب » : عبده .

ما ابْنُ العميد[١] ولا عبد الحميد[٢] ولا الـــ ـصابي[٣] بأَحسنَ[٤] ذِكْراً منه إنْ ذُكِروا

ولو يناظره في الفقه أسعدُ[٥] لم يَسْعَدْ، وأَحْصَره عن نُطْقِه[٦] الحَصَر

هذا ومَحْتِده[٧] ما إن يساجِلُه خَلْقٌ إذا الصِّيدُ[٨] في نادي العلى افتخروا

أَصِخْ محمَّدُ إني جِدُّ معتذرٍ إنّ المقصِّر فيما قال يعتذر

---

(١) أبو الفضل محمد بن ابي عبدالله الحسين العميد (لقب والده بذلك على عادة أهل خراسان في التعظيم) ابن محمد. وزر لركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، والد عضد الدولة، سنة ٣٢٨ وبه تخرج عضد الدولة ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء. كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه في ذلك أحد في زمانه، وكان يسمى الجاحظ الثاني. قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. كان كامل الرياسة، حسن السياسة، جليل المقدار، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد (انظر صفحة ١٨٩ هامش ٣)، وكان يقال له الاستاذ. مدحه جماعة من الشعراء، منهم المتنبي. فوصله بثلاثة آلاف دينار، ومنهم ابن نباته السعدي. توفي بالريّ سنة ٣٦٠ فحلّ ابنه ابو الفتح علي ذو الكفايتين محلّه. (الأعلام، والوافي بالوفيات، وابن خلكان)

(٢) عبدالحميد بن يحيى بن سعد العامري: من أئمة الكتاب، يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. كتب لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في الشام، وظلّ وفيّاً له على ما أتاح له من فرصة الهرب، وقتلا معاً سنة ١٣٢ (الأعلام وابن خلكان).

(٣) أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابئ الحراني. نابغة كتّاب جيله. تقلد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون. كان صلباً في دين الصابئة. عرضت عليه الوزارة إن أسلم فأبى. وكان يحفظ القرآن. أحبه الصاحب بن عباد. فكان يتعصب له ويتعهده بالمنح على بعد الدار. ولد سنة ٣١٣ ومات سنة ٣٨٤. (الأعلام وابن خلكان)

(٤) في الأصلين: الصابيّ أحسن. والترجيح لتفادي التشديد في لفظة الصابي. وللمماثلة مع التراكيب السابقة.

(٥) لعله يريد أسعد الميهني، وهو أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر، الإمام الكبير النظّار، صاحب الطريقة، المتفق على أنه الفرد في علم الخلاف، برع في الفقه، وفاق أقرانه في حدة الخاطر والاعتراض وجري اللسان وقهر الخصوم. انتشر ذكره في الأقطار، وصار مقصداً للكل. مات بعد العشرين والخمسمائة. (انظر طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٠٣)

(٦) في مصورة الديوان: عن ذكره.

(٧) في «ب»: محتده. (٨) في مصورة الديوان: إذا القوم.

يا أُبن الكِرام الأُلى سارتْ مكارمُهم ... حتى تعجَّبَ منها البَدْوُ والحَضَر

راووق حِلْمِك فيما أنت تسمعه[(١)] ... يُبدي الجميلَ وفيه العيب[(٢)] يستتر

* * *

وأنشدني لنفسه في غلام شوّاء[(٣)] :

أنا في الهوى لحمٌ[(٤)] على وَضَمٍ لِما ... عايَنْتُ من بَرْحٍ ومن بُرَحاء

بمُشَمِّرٍ عن مِعْصَمَيْه مُزَنَّرٍ ... يهتزّ بَيْنَ التِّيه والخُيَلاء

غَمِر اللِّباس ، متى بدا لك وَجْهُه ... أَبصرتَ فوق الأرض بَدْرَ سماء

ما مَدَّ مُدْيَتَه لِقَطْع شِوائِه ... إلاّ أرانا[(٥)] أَعجَبَ الأشياء

ظَبْيٌ لواحِظُه أَشَدُّ مواقِعاً ... مِنْ شَفرةٍ بيَدَيْه في الأَحشاء

يَسْطو على ما ليس يَعْقِل مثلما ... يسطو بمُدْيَتِه[(٦)] على العُقَلاء

فاُعجَبْ لِشوّاء[(٧)] فِعالُ جُفونه ... في الناس ضِعْفُ فعاله بالشاء[(٨)]

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

اِقْدَحْ زِنادَ الشُّرورِ بالقَدَحِ ... واُلْمَحْ به ما تشاء من مُلَحِ

(١) في مصورة الديوان : سامعه .   (٢) في « ب » : وفيه الغيث .

(٣) في تقديم هذه الأبيات في مصورة الديوان : وقال وقد سأله الأديب وحيش الأسدي أن ينظم له أبياتاً في صبي شوّاء كان يهواه .   (٤) في « ب » : نجم .   (٥) في الأصلين : أراه .

(٦) كذا في الأصلين ، ولعلها بقاته .   (٧) في مصورة الديوان : لجزّار .   (٨) بقية القطعة في مصورة الديوان :

تستوقف الأبصار بالفسقار صو ... رة وجهه من رائح أو جائي

لو لم يكن بدر السماء لما بدا ... من لونها بغلالة زرقاء

قلت : والفسقار من أسواق دمشق القديمة ، وموضعه قريب من موضع « الخضيرية » اليوم .
(انظر تاريخ ابن عساكر : المجلدة الثانية)

صَهْباء قُلْ لِلّذي تَجَنَّبَها صَهْ ، باءَ بالهَمِّ[١] تاركُ الفَرَحِ

* * *

وأنشدني لنفسه :

وشادنٍ ، صِبْغَةُ شُرْبُوشِهِ[٢] في لَوْنِها[٣] والفعلِ ، كالّلهْذَمِ[٤]

مُعْتَقِلٌ من قَدِّه ذابلاً ولَحْظُه أَمْضَى من الِمخْذَمِ

لا غَرْوَ أَنْ راحَ ومَلْبُوسُه كأَنّما أَصدَرَهُ عن دمي

كأَنَّهُ بدرٌ تَجَلّى لنا من[٥] شَفَقٍ أَحمرَ كالْعَنْدَمِ[٦]

(١) في « ح » : بالإثم .

(٢) انظر صفحة ٢٥٤ هامش ٥ . (٣) في « ح » : في كونها .

(٤) في مصورة الديوان : كالعندم . (٥) في « ب » : عن .

(٦) انظر في ترجمة الحافظ ابن عساكر قصيدة أخرى لفتيان في رثاء الحافظ ص ٢٧٨

أبو الحسن عليّ بن جهير[1]

من الشعراء المعروفين بدمشق . وكان يُغَنَّى بشعره ، وله نظم مطبوع مقبول ، عَذْبٌ معسول ، وإليه تنسب هذه القطعة التي يُغَنَّى بها :

القلب مع الحبيب سائرْ والنوم من[2] الجفون طائرْ[3]

---

(١) لم ترد هذه الترجمة في « ب » ، وننقلها عن « ح » .

(٢) في « ح » : مع ، والتصحيح عن عود الشباب .

(٣) لم يرد من هذه القطعة إلا هذا البيت . وأصله من « الدوبيت » – وهو ، في شكله الغالب ، أربعة مصاريع ، في بيتين ، على قافية واحدة – أهمل الناسخ بيته الثاني .

ابن رويبل الأبّار [1]

هو أبو محمد الحسن بن يحيى [2] بن رُويبل الأبّار ، من أهل دمشق . ذكره وُحيش الشاعر [3] وقال : كان شيخاً مطبوعاً ديّناً ناسكاً لا يشرب [4] الخمر ولا يقرب المنكر ؛ وله دُكّان في سوق الأبّارين يبيع الإبر . قال : ورأيت ابن الخياط [5] جالساً على دُكّانه ، وتوفي بدمشق سنة اثنتين [6] وثلاثين وخمسمائة [7] .

قال : ومن شعره في مدح ابن الصوفي [8] رئيس دمشق [9] :

---

(١) انظر شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٣١ هـ (ج ٤ ص ٩٧) . (٢) سقطت « بن يحيى » من «ب» .

(٣) انظر ترجمته ومختارات له في هذا الجزء « ص ٢٤٣ – ٢٤٦ » . (٤) في « ح » ما يشرب .

(٥) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي ، من شعراء دمشق الذين عظمت شهرتهم ، وبها مولده ووفاته (٤٥٠ – ٥١٧ هـ) . له ديوان مطبوع . (٦) في « ب » : اثنتي .

(٧) في شذرات الذهب أن وفاته سنة ٥٣١ هـ . (٨) في « ب » : في ابن الصوفي .

(٩) هناك اثنان عرفا باسم ابن الصوفي :

١ – أحدهما الرئيس أمين الدولة أبو محمد بن الصوفي رئيس دمشق . ويسميه في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : الحسن بن الحسين . ويذكر بعض حوادثه مع شمس الملوك دقاق . الذي ولي دمشق أيام السلاجقة سنة ٤٨٨ وتوفي سنة ٤٩٧ . فيقول « في حوادث سنة ٤٩٧ ص ١٤٤ » :

« كان الملك شمس الملوك قد حمل على الرئيس أبي محمد بن الصوفي رئيس دمشق إلى أن قبض عليه سنة ٤٩٦ وبقي معتقلاً إلى أن أفرجت عليه مصلحة نهض فيها وقام بها . وبعد ذلك عرض له مرض قضى فيه محتوم نحبه وصار منه إلى ربّه . وقام بعده في منصبه ولده أبو المعالي سيف وأخوه أبو الذواد المفرّج »

(وانظر عن أبي الذواد هذا النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٥ و ٢٣٦) .

وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر «ج ٤ ص ١٧١» : الحسن بن الحسين بن محمد بن الصوفي الكلابي رئيس دمشق : سمع الحديث من ابن عوف ، وحدّث بشيء يسير ، سمع منه ابن صابر . وكان أصله من حلب وسكن أبوه دمشق وكان يقصّر ثيابه فلقب بالصوفي . توفي سنة سبع أو ست وتسعين وأربعمائة .

٢ – والآخر : الأمير الرئيس شجاع الدولة أبو الفوارس المسيب بن علي بن الحسن الصوفي وزير صاحب دمشق أبق . توفي سنة ٥٤٩ هـ . وانظر ترجمته في صفحة ٩١ هامش ٣ . وفي شذرات الذهب «ج ٤ ص ١٥٤ و ٢١٢» ، وشيئاً من أخباره في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . ويلقبه الأمير الرئيس نور الدين .

يا مُحْيِيَ الدّين بعد ما دَثَرا ... ومُشْبِهاً في زمانه عُمَرا
ومَنْ إذا ما ذَكَرْتَ سيرتَه ... سمعتَ ذِكْراً يُجمِّل السِّيَرا
أُنْظُر إلى عبدك الحقير فقد ... جار عليه الزَّمانُ واقتدرا
وخانه سَمْعُه وناظره ... مِنْ بعد ما كان يَثْقُبُ الإِبَرا
وصار في السّوق كالأجير، وهلْ ... يُفلِح من صار يُشْبِه الأجرا
وماله موئلٌ يلوذُ به ... سِواكَ يا مَنْ يُجمِّلُ الوُزَرا

* * *

قال: وكان مع نُسْكه وعفته، مُغْرًى يهجو زوجته. وذلك أنها أشارت عليه بمدح كبيرٍ فمدحه فما نَفَع، فهجاه فصُفِع، فقال: لولا زوجتي لما صُفِعْت، ولولا تغريرها بي لما وقعت.

فقال يهجوها:

أُغْرِيَتْ زوجتي بشُرْب العُقارِ ... أسكنتْني بجنب دار القِمارِ
أَطْعَمَتني مُخَّ الحِمار فلمّا ... أبصرتْني قد صِرْتُ مثل الحمارِ
بذات فرجها وصاحت[1] إلى النّا ... س هلمّوا يا مَعْشر الفُجّار

* * *

وقال:

لي قِطَّةٌ أنظفُ مِنْ زوجتي ... وذيلها أنظفُ مِنْ فيها
وكلّ ما صوّره ربُّنا ... من الخنا ركَّبه فيها

* * *

---

(١) في «ح»: وصاح.

وقال :

قردِيَ في الأقمين[١] وَقَادُ   وقِرْدُ إمراتيَ عَوّادُ

لأنها مُغرمةٌ بالغِنا   وتشرب الخمرَ وترتاد

وجملة الأمرِ بأني لها   ما دُمتُ طولَ الدهر ، قوّادُ

* * *

وقال فيها ، وكان يسكن في درب صامت[٢] من دمشق :

في دربِ صامتَ قَحبةٌ   قد أشبعت كلَّ المَدينه

ولهــا أخٌ في رأسه   قَرْنٌ ولا صاري السفينه

يرضَى بما ترضى به   ويبيع عُنْبُلَهَا بتينه

لو كان سامانٌ يعيـــش لما رضي مِنْ ذا بسينه

قال ، وقلت له : وَمَنْ[٣] سَامان ؟ قال : كان ضامن البُدّ بدمشق قديماً . والبُدّ هو الماخور .

---

(١) في كتب اللغة ، القمين : أتون الحمّام . وفي عامية الشام اليوم : «القمّيم» ، ولعلها من القمّة « المزبلة » أو القمامة « الكناسة » ، لأنهم يحرقون فيه الزِّبْل والأوساخ .

(٢) في المجلدة الثانية من تاريخ ابن عساكر ص ٦٦ « بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ونشر المجمع العلمي العربي » ما يشير إلى أن اسم الدرب هو درب ابن الصامت .

(٣) في « ب » : دمن .

عُبيد بن صفية [1]

جارية ابن الصوفي [2]

ذكر لي سالم بن إسحق المعرّيّ أن هذا عُبَيْداً [3] كان شاباً ذكياً ، نشأ بدمشق ، وَلَدَ مملوكةٍ يقال لهـا [4] صَفِيَّة [1] من إماء ابن الصوفي وزير صاحب دمشق ، فمات في عنفوان شبابه .

قال ، وأنشدني لنفسه :

مدحتُ أبا الفضل الأمين ، جَهالةً ... بشعرٍ إذا ما أظلم الشِّعر أشرقا

فألبسني ثوباً خليعاً كعِرْضه ... فلم يبقَ [5] إلاّ ساعةً وتمزقا

---

(١) في « ب » : صيفية .

(٢) انظر في التعريف بابن الصوفي صفحة ٢٦١ هامش ٩ وصفحة ٩١ هامش ٣

(٣) في « ح » : عبيد .

(٤) سقطت « لها » في « ب » .

(٥) في « ح » : فلم تبق .

المشتهى الدمشقي

أبو الفضل جعفر بن المحسّن[1]

ذو النظم المُشتهى ، والفضلِ الذي له في فنّه المنتهى[2] ، واللفظ الرائع ، والخاطر المُطاوِع ، نظمُه معتدل المنهاج ، صحيح المزاج ، أحْبَرُ من الديباج ، وأزهر من السراج الوهّاج[3] .

له في الفُستق :

كأنّما الفُسْتق المُمَلَّحُ إذْ ... جاء به مَنْ سَقاكَ صَهْباء

مثلُ المَناقيرِ[4] حين تفتحُها ... وُرْقُ[5] حمامٍ لِتشربَ الماء

* * *

وله فيه[6] :

أُنظرْ إلى الفُسْتق المَمْلوح حين بدا ... مُشَقَّقاً في[7] لطيفات الطيافير

واللُّبُّ[8] ما بين قِشْرَيْه يلوح لنا ... كألسُنِ الطيرِ ما بين[9] المناقير

* * *

(١) كذا في « ح » و « الوافي » . ولا تشديد على السين في « ب » وفي « ح » : زيادة الجملة التالية : من الطبقة الثالثة . وانظر دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي ص ٥٥ « الطبعة العلمية بحلب بتحقيق الشيخ راغب الطباخ » فقد ترجم له وهو عنده « أبو الفضل المشتهى الدمشقي » واختار له الأبيات الأربعة التالية في الجرب « انظر ص ٢٦٧ » . وقد ترجم له صاحب الوافي « مخطوط » فنقل عن العماد بعض مختاراته .

(٢) في « ح » الذي ليس له في فنه منتهى . (٣) لم تذكر الكلمة في « ح » . (٤) في « ح » : المناقر .

(٥) في « ب » و « الوافي » : زرق . (٦) في « ح » : وله . وقد جاءت هذه الأبيات في « نزهة الأنام في محاسن الشام » منسوبة إلى ابن سُكّرة المتوفى سنة ٣٨٥ (٧) في « ح » : من . وفي نزهة الأنام : مقشراً في .

(٨) في نزهة الأنام والوافي : والقلب . (٩) في نزهة الأنام : من بين .

وله :

دع حاسِدِيَّ وما قالوا[1] فقولُهُم ... مما ينبّه بي في البدْوِ والحضَرِ

فليس يُرْمى من الأغصان ذو ورَقٍ ... وليس يُرْجَم إلاّ حامل الثمر

* * *

وله :

وكنت أرجي أن[2] أرى منك رُقعةً ... أُنزّه فيها ناظري بقراتِها[3]

ولكن قضتْ نفسُ المودّةِ نحبَها ... لديك وما أعلمْتني[4] بوفاتِها

* * *

وله :

وروضةِ أَبْذَنجٍ[5] تأمّلتُ نَبْتَها ... لها منظرٌ يزهو[6] بغير نظير

وقد لاح في أقماعِه فكأنّه ... قلوبُ ظِباءٍ في أكفِّ صُقور

* * *

وله :

ومعذَّرين كأنّ نبتَ خدودِهم ... أشراكُ ليلٍ في عِراض نهار

يتصيّدون قلوبنا بلحاظهم ... مُتَعمِّدين تصيُّدَ الأطيار

حتى إذا اُكتسِتِ الخدودُ صنائعاً ... ناديتُ من شغفي[7] وشدة ناري

(١) في « ح » : وما ساوا ، وفي عود الشباب : شاءوا . (٢) في « ح » وقد كنت أرجو أن ، وكذلك في عود الشباب . (٣) في « ح » : فقراتها . ورواية البيت في الوافي :

وقد كنت أرجو أن أرى منك صبوة ... تصون صبابات الهوى عن نفاتها

(٤) في « ح » : وما علّمتني . (٥) في «ح» : آبذنج . (٦) في الوافي : يزهى . (٧) في «ح» : شغفي .

يا أهل تِنّيس وتُونةَ[١] قايسوا كم بين طَرْزِكُم[٢] وطَرْز الباري

* * *

وله :

وما قلتُ شعراً رغبةً في لِقا امرئٍ يُعوِّضُني جاهاً ويُكْسِبني بِرّا
ولا طرَباً مني إلى شُرب قهوةٍ ولا لحبيبٍ إن نأى لم أُطِقْ صبرا
ولكنني أيقنتُ أنيَ ميِّتٌ فقلت عساه أن يخلِّد لي ذِكرا

* * *

وله في غلام عدلٍ مُحَنَّك[٣] :

يا أهلَ رحبةِ مالكٍ قلبي المشوق على المقالي
مِنْ بعض أولاد العُدو ل بقامةٍ ذاتِ اعتدالِ
ما صار بدراً كاملاً حتى تحنّك بالهلال

* * *

وله في الجرب ، أبيات حقها أن تكتب بماء الذهب ، وهي :

رآني الفضلُ[٤] في فضلي سماء فأطلع ذي[٥] الكواكب فيّ حبّا
وكفّ بها يدي عن كل وَغْدِ يقبّلُ ظهرها وكساه رُعبا
وأوقع بين أظفاري وبيني ليأخذَ ثأرهنّ لديّ غَصبا[٦]
لأني كنت أنهبهن قَصًّا فصيّرني لهنّ الدهر نَهْبا

---

(١) تنيس : بالقرب من دمياط ، مشهورة بعمل الثياب الملونة والخفيفة . وتونة بالقرب منها ، ويضرب المثل كذلك بحسن معمول ثيابها وطرزها (وانظر ياقوت ، والمقريزي ج١ ص١٧٧-١٨١) . وفي « ب » : قونة .

(٢) في « ح » : طرزكم .

(٣) من قولهم : تحنّك إذا أدار العمة من تحت حنكه .

(٤) في عود الشباب : رآني الدهر .

(٥) في « ح » : ذا .

(٦) في « ح » : عصبا .

البديع الدمشقي [1]

أبو فراس طراد بن علي الدمشقي

ذكره الشريف حيدرة العلوي الزيدي المصري المولد، وهو شيخ ورد واسطاً من جانب فارس سنة خمس وخمسين وخمسمائة[2]. قال[3]: وكان ينظم شعراً ركيكاً يتجعبه، فلما رأى أنه قلما ينفق[4] نظمه صار رائضاً للخيل وصاروا يحسنون إليه لأجل الرياضة. قال: فارقت مصر[3] منذ عشرين سنة وسألته عن الشعراء بها[5] فذكر من جملتهم البديع الدمشقي. وقال: هو معدود في الشعراء، ووهب له صاحب مصر يوماً[5] ألف دينار.

---

(١) ترجم له ابن عساكر، ففي تهذيب التاريخ «ج ٧ ص ٥١ بتحقيق الأستاذ أحمد عبيد»: طراد بن علي ابن عبد العزيز، أبو فراس السلمي، شاعر من أهل دمشق. كان حيًّا سنة ثمانين وأربعمائة، وأورد له طائفة من الشعر.

وترجم له في الفوات فقال عنه: طراد بن علي بن عبد العزيز، أبو فراس، السلمي الدمشقي، الكاتب، المعروف بالبديع. مات متوليًا بمصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة. وكان آية في النظم والنثر. وذكر من شعره طائفة من الأبيات البائية والقافية التالية، وطائفة غيرها «انظر الفوات ج ١ ص ٥٠٢».

وترجمه الصفدي في الوافي «مخطوط» فذكر نحواً من هذا كله، وأورد أشياء من شعره. وأضاف: «له مقامات ورسائل. ومدح تاج الدين تتش بن ألب رسلان، وتوفي سنة ٥٢٤. قال: ومن شعره قصيدة مدح بها الوزير ابن أبي الليث، فأجازه ألف دينار، أولها:

من كان يغرب في القريض ويُبدعُ ... فلذا المكان من القوافي موضعُ»

وترجمه ياقوت في معجم الأدباء ١٢/٩ «الرفاعي»: والعماد مرة ثانية، في الخريدة «قسم شعراء مصر» ٢/٤٠١ قلت: وتتش هذا قتل في سنة ٤٨٨ في معركة مع أخيه وخلف ولدين أحدهما فخر الملوك رضوان الذي استقل بمملكة حلب، وشمس الملوك أبو نصر دقاق الذي استقل بمملكة دمشق. وكانت ولادة تتش سنة ٤٥٨.

(٢) النظر في هذا النص يبعث على الظن بهذا التاريخ، والتساؤل عن اتساق معانيه.

(٣) لم ترد اللفظة في «ح». (٤) في «ب»: أنه ما ينفق. (٥) لم ترد اللفظة في «ب».

فممّا أنشدنيه من شعره ، من قصيدة :

هكذا في حبّكم أستوجبُ ... كبدٌ حرّى وقلبٌ يجبُ
وجزا مَنْ سهرت أجفانُه ... هجرة(١) تمضي وأخرى تعقُبُ
يا لَقومي كلّ ما سهّلتمُ ... من طريق الصبر عندي يصعُب
كلُّ ما حلّ بقلبي منكمُ ... فعيون النُّجْلُ فيه السبب
وبقلبي بدرُ تمٍّ طالعٌ ... ما جرت قطُّ عليه السُّحُب
وجهُهُ روضةُ حسنٍ أسفرت(٢) ... خدُّه من وردها منتقِب
زفراتٌ في الحشا محرقةٌ ... وجفونٌ دمعها منسكِب
قاتل الله عذولي ما درى ... أنّ في الأعين أسداً(٣) تثب
لا أرى لي عن(٤) حبيبي سلوةً ... فدعوني وغرامي(٥) واذهبوا
قد قبلنا ما حكمتُمْ في الهوى ... ورضينا فعلامَ الغضب

ومنها(٦) :

ومِنَ الرَّيْحان في عارضه ... أرجلُ النمل بمسكٍ تكتب(٧)
فوحقّ الحب ما أدري : الدُّجى ... شَعرُه أم صُدغه أم عقرب

* * *

وأنشدني له(٨) من أخرى :

يا نسيماً هبّ مسكاً عَبِقا ... هذه أنفاس ريّا جِلّق

---

(١) في الذوات : حجة . (٢) في « ح » : سفرت . (٣) في « ح » : أسد .
(٤) في « ب » : لا أراني عن ، وفي « ح » : من ، وما هنا عن الذوات والوافي . (٥) في « ح » : وعذابي .
(٦) لم ترد الكلمة في « ح » . (٧) في « ب » : تكتب . (٨) سقطت « له » في « ح » .

كُفَّ عنّي ، والهوى ، ما زادني   بردُ أنفاسك إلاّ حُرَقا
ليت شعري ، نقضوا أحبابنا   يا حبيب النفس ، ذاك المَوْثِقا
يا لَصبٍّ أسروا مُهجته   بسهامٍ أرسلوها حَدَقا
وأداروا بعده كأس الكرى   وهو لا يشرب[1] إلاّ الأَرَقا
يا رياح الشوق سُوقي نحوهم   عارضاً من سحب دمعي غدِقا[2]
وانثري عِقد دموعٍ طالما   كان منظوماً بأيّام اللّقا

ومنها[3] :

أسروا قلبي جميعاً عندهم   بأبي ذاك الأسيرَ المُوثَقا
ليت أيامَ التصابي ثبتت   بالفتى أوْ ليته ما خُلقا

*   *   *

وأنشدني له في هجو الجُبَيْلي[4] الشاعر :

أتى الجبيلي بشعرٍ مثل شِعرته   كالعَيْر ينهق لمّا عاين الأُتُنا
فكم جهَدتُ بأن أهزو بلحيته   فصار يخرا عليها واسترحتُ[5] أنا

---

(١) في « ح » : لا يسرق .   (٢) في « ح » :
يا رياح الشوق شوقي نحوكم   عارضاً سحب دموعي غدقا
وكذلك في الوافي باختلاف الشطر الثاني : عارضاً من سحب عيني غدقا .
(٣) لم ترد في « ب » .   (٤) سيتحدث عنه العماد في الصفحة التالية .   (٥) في الوافي : فاسترحت .

الجبيلي

أنشدني له الشريف حيدرة الزيديّ في حمّامٍ بناها الأفضل[1] بمصر ، كُتِبَتْ[2] على بابها :

يا داخلَ الحمّام مُستمتِعاً ... منها بريح[3] المسك والمَنْدَلِ

إيّاك أن تذهَل من حُسنِ ما ... تنظره[4] في أوّل المنزل

في كلّ بيت جَنّةٌ زُخرفت ... ما مثلها في الزمن الأَول

رقّتْ وراقتْ فهي في حُسنها ... تحكي زمان الملكِ الأَفضل

---

(١) لقبه الأفضل نور الدين ، واسمه علي بن يوسف صلاح الدين بن أيوب . ولد بمصر ، يوم عيد الفطر ، سنة ٥٦٥ وكان أكبر أولاد أبيه ، وإليه كانت ولاية عهده . فلما توفي صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٩ كان الأفضل بصحبته فاستقل بمملكة دمشق ، واستقل أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان بالديار المصرية ، وبقي الملك الظاهر أخوهما بحلب .

ثم جرت بينه وبين أخيه وقائع انتهت إلى أن العزيز ، أخاه ، والملك العادل ، عمه ، حاصرا دمشق وأخذاها منه وأعطياه صرخد .

ثم مات العزيز بمصر وتولى ولده الملك المنصور محمد ، وكان صغيراً ، فطُلب الأفضل ليتولى شؤون مصر مساعداً له ، فأقام بها .

ثم أن الملك العادل قصد مصر وأخذها وأخرج الأفضل عنها ، ودفع له بلاداً بالشرق فلم يحصل له سوى سُمَيْساط – وهي قائمة على الفرات في ناحية بلاد الروم – فأقام بها إلى أن مات في صفر سنة ٦٢٢ فنقل إلى حلب ، ودفن بظاهرها .

كان الأفضل من محاسن الزمان ، لم يكن في الملوك مثله ، خيّراً عادلاً ، فاضلاً حليماً كريماً ، حسن الإنشاء والخط ، وكان يقول الشعر ، سمع من علماء الشام ومصر وأجيز .

(ابن خلكان ، والأعلام ، وذيل الروضتين ، والنجوم ، والشذرات)

(٢) في « ح » : كتب . (٣) في « ح » : بماء .

(٤) في « ب » : تنظر .

البائع الأعور الدمشقيّ

قرأت بخط أبي سعد[1] السمعاني من تاريخه المذيّل ، للبائع الدمشقي في ذمّ الْخُلْطة[2] :

تعجبني الوَحدة حتى لقد	يعجبني مَن أجابها لحدي
فليتني إن[3] كنت في جَنَّةٍ	أو في لظىً ، كنتُ بها وحدي
كيلا أرى كلَّ أخي فَعلةٍ	مُستفحِلٍ مُستكلِبٍ وَغْدِ

---

(1) استدركت الكنية في الهامش من « ب » . وانظر ترجمته في الصفحة ٣ الهامش ٣

(2) في « ب » : الخلط . (3) في « ح » : إذ .

باب
في ذكر محاسن جماعة من العلماء [1]
بدمشق ومن أهل القدس

(١) سقطت كلمة محاسن من « ب » .

ثقة الدين [1]

أبو القاسم علي بن الحسن بن هِبَة الله [2]

ابن عبد الله بن الحسين ، الدمشقي الشافعي الحافظ ، من أصحاب الحديث . لقيته بدمشق وسمعت عليه من التاريخ الذي صنّفه . واُتفق لي أيضاً سماع شيء مما ألّفه .

وذكر [3] السمعاني [4] أنه رفيقه ، وقال : كان [5] أبو القاسم بن أبي محمد من أهل دمشق ، كثير العلم ، غزير الفضل ، حافظاً ، متقناً ، ثقة ، ديّناً ، خيّراً ، حسن السمت ، جمع بين معرفة المتون والأسانيد ، مثبتاً ، محتاطاً ، رحل في طلب الحديث . ورد بغداد سنة عشرين وخمسمائة ورجع إلى دمشق ، ورحل إلى خُراسان على طريق أذْرَبيجان . ثم وافيت نيسابور [6] سنة تسع وعشرين ، وصادفته بها ، وكنت أسمع بقراءته ، واجتمعت معه ببغداد سنة ثلاث وثلاثين [7] ، وبدمشق سنة خمس وثلاثين ، وسألته عن مولده فقال : في العشر الآخر من محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة [8] .

---

(١) في « ب » : ثقة الدولة .

(٢) ولد أول سنة ٤٩٩ وتوفي في رجب من سنة ٥٧١ . انظر ترجمته عند ياقوت في معجم الأدباء في أجزاء متفرقة ، وعند ابن خلكان في وفيات الأعيان ج١ ص٣٣٥ ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ج٤ ص١١٨ ، وفي سير النبلاء «مخطوط ج١١ ورقة ٣٨ مصورات المجمع العلمي العربي تحت رقم ١٨٣» ، والسبكي في طبقات الشافعية ج٤ ص٢٧٣ ، وابن كثير ج١٢ ص ٢٩٤ ، والنجوم الزاهرة ج٦ ص٧٧ ، وشذرات الذهب ج٤ ص٢٣٩ ، والروضتين ج ٢ ص٢٦١ واقرأ ترجمة وافية مبسوطة النواحي في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ ابن عساكر التي نشرها المجمع العلمي العربي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٣) في « ب » : كان ذكر . (٤) انظر في التعريف به الهامش ٣ من الصفحة ٣ .

(٥) سقطت كان في « ح » ، ولذلك جاءت كل الأخبار على الرفع .

(٦) في « ب » بنيسابور . (٧) في « ح » : وثمانين ، وهو سهو .

(٨) سقطت جملة : وسألته ... وأربعمائة ، من « ح » .

وأنشدني لنفسه بالمِزَّة[1] من أرض دمشق :

أيا نفسُ[2] ويحكِ ، جاء المشيب فماذا التَّصابي وماذا الغَزَلْ

تولَّى شبابي كأنْ لم يكن وجاء مشيبي كأن لم يَزَلْ[3]

فيا ليت شِعْريَ ممَّن أكون وما قدَّرَ اللهُ لي في الأَزَل ! ؟

* * *

قال السمعاني : وأنشدنا أبو القاسم الحافظ الدمشقي لنفسه ببغداد :

وصاحبٍ خان ما أستودعتُه وأتى ما لا يليق بأرباب الدِّيانات

وأظهر السرَّ مُختاراً بلا سبب وذاك والله من أوفى الجنايات

أما أتاه عن المختار في خبرٍ أن المجالس تُغْشَى بالأَمانات

* * *

وذكر أنه كتب إلى أصحابنا من دمشق ، في ابتداء كتابٍ ، يعاتبني على ترك إنفاذ[4] كتاب دلائل النبوّة لأحمد البَيْهَقِيّ[5] وغيره من الكتب ، وقد لزم فيها ما لا يلزم :

ما خلت حاجاتي إليـ ـك[6] وإن نأتْ داري مُضاعَه

وأراك قد أهملتها وأضعتها كل الإضاعه

---

(١) قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق « ياقوت » . وهي اليوم من ضواحيها .

(٢) في « ب » : يا . (٣) لم يرد البيت في « ح » ، وبعده عند ابن خلكان وابن كثير :

كأني بنفسي على غرّةٍ وخطب المنون بها قد نَزَل

(٤) في « ب » : انفاد .

(٥) أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤ - ٤٥٨) من أئمة الحديث . صنّف كثيراً من الكتب الكبيرة والصغيرة . يقولون عنه : ما من شافعي إلا والشافعي فضل عليه ، غير البيهقي فان له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه .

(٦) في « ح » : ما كنت أحسب أن حاجاتي لديك . أي بزيادة تفعلية على الشطر الأول ترد الجزوء إلى التام .

أَنَسيتَ ثَدْيَ مودّةٍ بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتُك في الوفا ءِ أخا تميم لا قُضاعه
وأراك بكراً ما تخا ف على الصّداقة والبضاعه

* * *

فلمّا وصلتُ إلى الشام ، وأقمتُ بدمشق ، تردّدتُ إليه ، ورأيته قد صنّف تاريخ دمشق . وذكر أنه في سبعمائة كرّاسة ، كل كرّاسةٍ عشرون ورقة . وسمعتُ بعضه منه . وأورد من شعره[١] فيه .

ودخل إليّ بكرة يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين فعرضت عليه ما أورده السمعاني في حقه ، وسمعت المقطعات الثلاث اللاّمية[٢] والتائية والعينية من لفظه ، وقال : صدق السمعاني ، والآن أنت قد سمعته مني . ووعدني أن[٣] يكتب لي من شعره ما أورده في هذا الكتاب .

وهو الحافظ الذي قد[٤] تفرّد بعلم الحديث ، والاعتقاد الصحيح ، المنزّه عن التشبيه ، المحلّى بالتنزيه ، المتوحّد بالتوحيد ، المظهر شعار الأشعريّ بالحد الحديد ، والجد الجديد ، والأيْد الشديد[٥] .

ومما أنشدنيه لنفسه ، وقد أعفى[٦] الملك نور الدين[٧] قدّس الله روحه ، أهل دمشق من المطالبة بالخشب ، فورد الخبر باستيلاء عسكره على مصر ، فكتبه إليه يهنيه[٨] ، وأملاه عليّ في الثاني والعشرين من جُمادى الأولى[٩] سنة أربع وستين وخمسمائة :

---

(١) في «ح» : من شعري . (٢) تذكر كتب التراجم لاميّة أخرى له ، من خمسة أبيات ، مطلعها :
ألا إن الحديث أجلّ علم وأشرفه الأحاديث العوالي
(٣) في «ب» : بأن . (٤) في «ح» : الذي تفرد . (٥) في «ب» : السديد .
(٦) في «ح» : عفا . (٧) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٧٨
(٨) لم ترد جملة (فكتبه إليه يهنيه) في «ح» . (٩) في «ب» : الأول .

لمّا [1] سمحتَ لأهلِ الشّام بالخشبِ عُوِّضْتَ مصر بما فيها من النَّشَبِ

وإن بذلتَ لفتح القدس مُحْتَسِباً الأجر، جوزيت خيراً [2] غير محتسب

والأجْرُ في ذاك عند الله مرتقَبٌ فيا يُثيب عليه خيرُ مرتقِب

والذّكر بالخير بين الناس تكسبه خيرٌ من الفضّة البيضاء والذهب

ولستَ تُعْذَرُ في ترك الجهاد وقد أصبحتَ تملكُ من مصرٍ إلى حلب

وصاحب الموصلِ الفيحاء [3] مُمْتَثِلٌ لما تُريد فبادرْ فَجْأةَ النُّوَب

فأحزَمُ الناس من قوّى عزيمتَه حتى ينالَ بها العالي من الرُّتَب

وقد بلغتَ بحمد الله منزلةً عليّةً فاقصِد العالي من القُرَب [4]

فالجدّ والجِدّ مقرونان في قَرَنٍ والحزم في العزم والإدراك في الطلب [5]

وطهّرِ [6] المسجدَ الأقصى وحَوْزَتَه من النّجاسات والإشراك والصُّلُب

عساك تظفر في الدُّنيا بحسن ثنا وفي القيامة تلقى حُسنَ [7] مُنقَلَب

* * *

وتوفّي رحمه الله بدمشق، بين العشائين، ليلة الأحد حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين، ودفن بمقبرة باب الصغير. وصلّى عليه الملك الناصر صلاح الدين في ميدان الحصا [8]،

---

(١) جاءت هذه الأبيات في الروضتين ج ١ ص ١٦٠ (٢) في الروضتين: أجراً.

(٣) في «ح»: الحدباء. وانظر ص ٣٢ من هذا الجزء. (٤) لم يرد البيت في الروضتين.

(٥) في الروضتين: بالطلب، وفي «ح»: تجمع النسخة بين الشطر: فأحزم، والشطر: والحزم، فتجعل منهما بيتاً واحداً، وتهمل ما بينهما.

(٦) في الروضتين: فطهر. (٧) في الروضتين: خير.

(٨) هو الميدان الحالي، من محلات دمشق وأحيائها. وانظر المجلدة الثانية من تاريخ ابن عساكر.

وكان الغيثُ قد اُحتَبس في هذه السنة ، فدرَّ وسحَّ عند ارتفاع نعشه ، فكأنَّ السماء بكت عليه بدمعِ وَبْلِهِ وطَشِّه ، وبات الأرض بِرَشِّه . ورثاه جماعة من الفضلاء .

أنشدني فِتيان[1] بن عليٍّ الأسديّ الدمشقي المعلّم الأديب[2] لنفسه . وهذه القصيدة مشتملة على حقيقته وطريقته ووفائه[3] ووفاته :

أيُّ ركنٍ وَهىْ من العلماءِ ... أيُّ نجمٍ هوى[4] من العَلْياءِ

إنّ رُزْءَ الإسلام بالحافظ العا ... لم أَمسى من أعظم الأَرزاءِ

أَقفرتْ بعده رُبوعُ الأَحادي ... ث وأَقوتْ معالمُ الأَنباءِ

أَيُّها المبتغي له الدهرَ مِثْلاً ... أَتُرجّي تَعانق العَنْقاءِ

كان ناديه كالرّياض إذا ما ... ضحك النَّوْر عن بُكا الأَنْداءِ

كان حَبْراً يَقْري مسامعنا من ... أَسود الحِبْر[5] أَبيضَ الآلاءِ

كان بحراً مَنْ عام فيه حَباه ... باللآلي الأَنيقةِ اللأْلاءِ

كان من أَعلم الأَنام بأَسما ... ءِ رجال الحديث والعلماءِ

فهي من بعدُ في المَهارق كالأَفْ ... عال[6] إذ عُرِّيَتْ من الأَسماءِ

كان من وَصْمة التغيّر والتصـ ... ـحيف أَمْنًا لخابط العَشْواءِ

كان في دينه قويًّا قويمًا ... ثابتًا في الضرّاء والسرّاءِ[7]

(١) انظر ترجمته في هذا الجزء من الخريدة من ص ٢٤٧ – ٢٥٩ . ولم أجد هذه القصيدة في مصورة الديوان التي أشرت إليها في صدر الترجمة صفحة « ٢٤٧ هامش ١ » .

(٢) في « ح » : الأديب مما نظمه فيه من الرثاء وهي القصيدة .

(٣) في « ح » : بوفائه . (٤) في « ب » : وهى . (٥) في « ب » : اللون .

(٦) في « ح » : كالمهارق في الأفعال . (٧) في « ح » : في السرّاء والضرّاء .

كان علّامةً ونسّابةً لم يخفَ عنه شيءٌ من الأشياء

يا لها من مُصيبةٍ صمّاء لم يَحِدْ سهمها عن الإصماء

هَدمت ذروة المعالي ووارتْ جسد المجد في ثرى الغبراء

قد أرانا سريرُه كيف كانت قبلُ تُجْلى(١) أسِرّةُ الأنبياء

سيّرتْ نعشَه الملوكُ وأملا كُ السّموات بالبُكا والدُّعاء

وأمترى حزنُه مدامعَ أهل الـــأَرض حتى جرتْ دُموع السّماء

حَسْبُه أنّه بهِ اُستُسقِيَ الغيــثُ فجادتْ به يدُ الأنواء

نَعَش الله نعشه وسقــاه(٢) رحمــةً(٣)، بالغمامة الوَطفاء

قد وددنا أنّ العيون اُستَهلّتْ عِوَضَ الدمع بعده بالدماء

وَلتلك الدموع كانت نجيعاً قَصَرَتْه حرارةُ الأحشــاء

ولقد قرّت الأعادي عُيوناً طالما أُغضِيت على الأقْذاء

كم به جُرِّع العدوّ ذُعافاً(٤) من أفاويق البُؤس والبأساء

لم يزل يرغَم العدوَّ ويسعى رافلاً في مطارف النّعماء

من يكن شامتاً فللموت بأسٌ ليس يُثْنَى بالعِزّة القعساء

وله وثبةٌ تذِلّ(٥) لها أُسْـــدُ الشَّرى والجيوش في الهيجاء

من يمت فليمت مَمات أبي القا سم عن عِفّةٍ وطيبِ ثناء

---

(١) في « ح » : تحمل .
(٢) في « ح » : فسقاه .
(٣) في « ب » : رحمة .
(٤) في « ح » : ذفاعا ، وفي « ب » : دفاعا .
(٥) في « ح » : يذل .

كم حوى لحدُه من العلم والحلـــــم وكم ضمّ من سناً وسناء

إن يكن في الموتى يُعدّ فقد خلّــف علماً أبقاه في الأحياء

مودَعٌ في سوادِ كلّ فؤادٍ بتصانيفه بياض وَلاء [1]

وإليه تُنمى بنوه وطيب الـــأصل مستأزرٌ بطيب الجناء

لكُمُ يا بني عساكرَ بيتٌ سامقٌ في ذُرى العُلى والعَلاء

لم يزل مُنجباً أبوكم فما [2] بشّــر إلاّ بالسادة النُّجباء

ولكم في الأنام صيتٌ رفيع مُشرِفٌ فوق قِمّة [3] الجوزاء

فتعزّوا عنه بصبرٍ وإن كا ن مضى باصطبارنا والعزاء

نحن نبكي عليه حزناً وكم قد صافحته في اللّحد من حَوْراء

يا أبا عُذرِ كل معنىً دقيقٍ جلّ قدراً كالدُّرّة العذراء

صبرُنا يا ابن نجدة العلم أمسى عنك مستصعباً شديد الإباء

علماء البلاد حلّتْ حُبىً ها لك يا مَنْ عمّ الورى بالحِباء

ما عسى أن نقول فيك وقد فا تت [4] أياديك جملة الإحصاء

أنت أعلى من أن تُحَدّ بوصفٍ بلغته [5] بلاغة البلغاء

أنت أولى بأن تُرثّيك حتى يبعثَ الخلق ألسنُ الشعراء

فعليك السلامُ ما لاح وجه الـــصّبح من تحت طرّةٍ سوداء [6]

وسقى التربةَ التي غبتَ فيها كلُّ جَوْنٍ ودِيمةٍ هَطْلاء

---

(١) لم يرد البيت في « ح » . (٢) في « ح » : وما . (٣) في « ح » : همة .

(٤) في « ح » : وقد ذات . (٥) في « ب » : بلّغته . (٦) في « ح » : السوداء .

الصائن ابن عساكر [1]

أخو الحافظ

كان غزير العلم ، كبير القدر ، وافر المعرفة بجميع العلوم ، متقناً ، مُفَضَّلاً على أخيه .

تُوفي بدمشق بعد وصولي إليها ، ولقيته بها ، وله شعر حسن [2] .

---

(١) لم يرد ذكر الصائن في نسخة «ب» . والنص من « ح » . ولم تورد له النسخة شيئاً من المختارات الشعرية .

(٢) هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر ، الإمام الحافظ صائن الدين ، أخو الحافظ ، وكان الأكبر .

قارىء قرأ القرآن بالروايات ، وفقيه تفقه بدمشق وببغداد على أعلام العصر ، ومحدث سمع خلقاً من أئمة الرجال ، وروى عنه الكثيرون .

كان ديّناً ، ثقة ، عمدة ، ورعاً ، لا يروي ما لا يطمئن إليه . عرضت عليه الخطابة وغيرها فامتنع . واجتهد خاله القاضي أبو المعالي محمد بن يحيى « القاضي الزكي » بن علي القرشي في أن ينوب عنه في القضاء فلم يفعل .

ولد في رجب من سنة ٤٨٨ ورحل إلى بغداد سنة ٥٢٠ . ثم عاد إلى دمشق ، فدرّس في الغزالية والأمينية ، وأفتى ، وحدّث ، وكتب . وله شعر كثير .

توفي في شعبان من سنة ٥٦٣ عن خمس وسبعين سنة (وابن الأثير يجعل وفاته عن ثلاث وستين سنة) ، وذكره صاحب شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٦٢ وقال : جزم ابن ناصر الدين حافظ دمشق محمد بن أبي بكر عبدالله .. القيسي . (انظر الشذرات ٢٤٣/٧) في بديعته بديعة البيان عن موت الأعيان بوفاته في التي بعدها .

(انظر سير النبلاء للذهبي «مخطوط الورقة ٢٤ ج ١٧ ، خزانة المجمع العلمي العربي» ، وطبقات الشافعية ج ٤ ص ٣٢٠ ، وابن خلكان في آخر ترجمته لأخيه الحافظ ج ١ ص ٣٣٥ ، وكذلك في تاريخ ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٩٤ . والنجوم الزاهرة في وفيات سنة ٥٦٣ ج ٥ ص ٣٨٠ ، وشذرات الذهب في وفيات سنة ٥٦٢ ج ٤ ص ٢٠٧) .

قلت : والأمينية قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي « الباب القبلي ، وهو اليوم باب القوافين » قيل إنها أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية بناها أمين الدولة كمشتكين الأتابكي ، وكان والي صرخد وبصرى ، ثم ولي أتابكية عسكر دمشق سنة ٥٣٠ ، وتوفي سنة ٥٤٠ أو ٥٤١ ، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقيسارية القواسين . وكانت تسمى حق الذهب لكثرة أوقافها . وهي اليوم مدرسة صغيرة في السوق المعروفة بسوق الحرير (انظر الدارس ج ١ ص ١٧٧) .

والغزالية هي المكان المعروف بحلقة الغزالي في الجامع الأموي (الدارس ج ١ ص ١٨٠) .

الحافظ أبو محمد[1]

عبد الخالق[2] بن أسد بن ثابت الدمشقي[3]

له[3] :

قالَ الحفاظُ فذو العاهات مُحترمُ ... والشَّهْم ذو الرأْي يؤذَى[4] مع سلامتِهِ

كالقوس يُحْفَظ عَمْداً وهو[5] ذو عِوَجٍ ... ويُنْبَذ السَّهْم قصداً لاُستقامته

* * *

وله في فقيه :

أَبدى خِلافاً لوعدِ وَصلٍ ... وهدّد الهجرَ بائتلافِ

فلا عجيبٌ ، نَشا فقيهاً ... والفقهُ يحلو مع الخلاف

* * *

---

(١) ترجم له صاحب الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ج ١ ص ٢٩٧ » فقال : عبد الخالق بن أسد بن ثابت ، أبو محمد ، الحافظ تاج الدين . كان أبوه من أهل طرابلس ، وولد عبد الخالق بدمشق ، ورحل في طلب الحديث والفقه إلى بغداد وهمذان وأصبهان ، وكتب بخطه . ثم أورد له الأبيات : قل الحفاظ .. والأبيات : قل العواذل... التالية . وتولى التدريس بالمدرسة الصادرية بدمشق ، وكان له مجلس التذكير . مات بدمشق سنة ٥٨٣ هـ

وترجم له الذهبي في سير النبلاء (مخطوط ١٨٣ ، خزانة المجمع العلمي العربي ، الجزء السابع عشر ، الورقة ٢٥) فقال : وكان شافعياً ، ثم تحوّل حنفياً ، وتفقه على البلخي ؛ ومات في المحرم من سنة ٥٦٤ هـ

ويترجم له صاحب الشذرات في وفيات سنة ٥٦٤ هـ

(٢) في « ب » أبو محمد بن عبد الخالق .

(٣) لا تبدو اللفظة في « ب » من أثر التصوير .

(٤) في « ح » : يُودَى . (٥) في « ب » : تحفظ .. وهي ذو ..

وله :

قالوا ترى ماءَ وَجْنَتَيْه ، به لهيبُ نارٍ ما ينطفي[1] أبدا

فقلت لا تعجبوا فذا لهبي لاح بمرآة خدّه وبدا

كمثل بدرٍ ألقى تَشَعْشُعَه[2] في الماء لمّا أضاء مُتَّقِدا

* * *

وله[3] :

قال[4] العواذلُ ما اسمُ مَنْ أضنى فؤادَك ، قلتُ : أحمدْ

قالوا : أتحمده وقد أضنى فؤادك ، قلت : أحمد

لقيته بالشام في دمشق . مدرّس بالمدرسة الصادرية[5] . وتوفي بها سنة أربع وستين .
وكان يلقب بالحافظ وهو متطرّف في كل فنّ .

---

(١) في « ح » : ما تنطفي .
(٢) في « ح » : كمثل بدر الدجى يشعشعه .
(٣) جاء البيتان في الشذرات والنجوم الزاهرة .
(٤) في « ح » : قالوا .
(٥) في « ب » : لقيته بالشام في مدرسة الصادرية . وفي شذرات الذهب : مدرس الصادرية والمعينية (يريد المعينية) .
والصادرية : على باب الجامع الأموي الغربي . أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبدالله ، وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة ٤٩١ (انظر الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج ١ ص ٥٣٧ - ٥٣٩) .
والمعينية : هي في الطريق الآخذ إلى باب المدرسة المصرونية الشافعية . أنشأها معين الدين أنر بن عبد الله الطغتكيني مقدم عسكر دمشق ومدبر الدولة ، كان أتابك مجير الدين صاحب دمشق قبل نور الدين المتوفى سنة ٥٦٠ : (الدارس ج ١ ص ٥٨٨) . وانظر الهامش الخامس من الصفحة ٩١ والهامش الأول من الصفحة ١١٥

أبو عليّ الحسن بن مسعود

ابن الحسن الوزيرِ الدمشقي[1]

حافظ من أصحاب الحديث . وذكره السمعاني[2] في المذيَّل ، وقال : كان متودّداً مطبوعاً ، حسن العِشرة ، دَمِث الأخلاق ، سافر إلى أصفهان[3] ، ومنها إلى نيسابور[4] ، ومَرْو[5] ، وبَلْخ[6] ، وهَراة[7] ، وغَزْنة[8] ، و بلاد الهند ، وسمع الحديث . قال : وسألته عن

---

(١) في الوافي للصفدي « مخطوط » : الحسن بن مسعود بن الحسن ، أبوعلي ، ابن الوزير الدمشقي . الحافظ . أصله من خوارزم ، وكان جده وزير تتش تاج الدولة . وتزيّا أبو عليّ بزيّ الجند مدة ، ثم اشتغل بالفقه والحديث ، ورحل إلى أصبهان ، وأقام بمرو ، وتفقه لأبي حنيفة ، وتوفي سنة ٥٤٣ . ولم يذكر شيئاً من شعره .

(١) وفي معجم البلدان لياقوت ، في مادة « مرو الشاهِجان » ، يذكر الأبيات البائية الثلاثة التالية ، ويقول: إنها لأبي الحسين مسعود بن الحسن الدمشقي الحافظ ، وكان قدم مرو فمات بها سنة ٥٤٣ .

(٢) انظر في التعريف بالسمعاني الهامش الثالث من الصفحة ٣ .

(٣) اسم للاقليم بأسره ، والمدينة ، قصبته ، وهي من أعلام المدن وأعيانها خرج منها من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن « ياقوت » .

(٤) مدينة عظيمة يقول عنها ياقوت : لم أر فيما طوّفت من البلاد مدينة كانت مثلها . ومن أسمائها أبَرْ شَهْر . كثيرة الخيرات والفواكه . أصيبت بالغزّ الذين دمروها سنة ٥٤٨ ، ثم تجددت ، وأصيبت ثانية بالتتر ، فقتلوا كلّ من فيها وخربوها وألحقوها بالأرض « ياقوت » .

(٥) مرو الشاهِجان أشهر مدن خراسان ، وقصبتها ، حسنة الموقع كثيرة الماء والزرع . شهد ياقوت لأهلها بالرفد وحسن العشرة ولين الجانب . خرّجت عدداً كبيراً من العلماء والأعيان والأركان ، وكانت تضم عديداً من خزائن الكتب الموقوفة . أكثر الشعراء من ذكرها « ياقوت » .

(٦) مدينة مشهورة بخراسان ، من أجلّ مدنها وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة . ويقال لجيحون نهر بلخ لأن بينها عشرة فراسخ .

(٧) من أمهات مدن خراسان ، كثيرة الخير ، محشوّة بالعلماء ، خربها التتر سنة ٦١٨ .

(٨) اسم ولاية واسم قصبتها في بلاد الهند .

مولده ، فقال : خامس صفر سنة ثمانٍ وتسعين وأربعمائة ، وتوفي بمرو سابع المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

قال السمعاني : أنشدنا لنفسه :

يا سادتي ما عاقني عنكمُ قِلًى ، ولكنْ قِلَّةُ الكُسْوَهْ

بردٌ وثلجٌ ووُحولٌ ولا خُفٌّ ولا لِبْدٌ ولا فَرْوَهْ

فكيف مَنْ أحواله هكذا بمَرْوِ في بُحْبوحةِ الشَّتْوَهْ

* * *

وأنشدنا[1] لنفسه بمَرْوَ :

ذكَّرتْني حمامةُ المَرْوينِ حين ناحت[2] ليالِيَ النَّيْرَبَيْنِ

ورماني صرفُ الزمان ببَيْنٍ فرَّقَ الله بين بَيْني وبَيْني

* * *

قال وأنشدنا أبو بكر لامع بن عبد الله الصّائغ[3] بمروَ ، وأبو بكر محمد بن علي بن ياسر[4] ببَلْخ ، قالا : أنشدنا الحسن بن مسعود الحافظ لنفسه :

أخِلّايَ إن أصبحتُمُ في ديارِكمْ فإني[5] بمرو الشّاهجان غريبُ

أموت اشتياقاً ثم أحيا بذكركم[6] وبين التّراقي والضُّلوع لهيب

فما عجبٌ موتُ الغريب صَبابةً ولكن بقاه في الحياة عجيب[7]

(١) في « ح » : قال وأنشدنا . (٢) في « ب » : لاحت . (٣) في « ب » الصانع .

(٤) انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٦ وأضف : ترجم له الذهبي في سير النبلاء « مخطوط » وذكر أنه ولد بجيّان في الأندلس في شعبان من سنة ٤٩٢ ، وتوفي في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة ٥٦٣ .

(٥) في « ح » : فأنتم . (٦) عند ياقوت : أحيا تذكراً .

(٧) في هامش « ح » حول هذا البيت ، لفظة : وله . كأنما كان يريد أن يستزيد من المختارات .

المؤتمن[1] الساجى[2] المقدسى الحافظ

من أصحاب الحديث

هو المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبد الله الشافعي[3] المقدسي ، من أهل بيت المقدس . سكن بغداد . وهو حافظ معروف كبير من أصحاب الحديث .

قرأت في تاريخ أبي سعد السمعاني ببغداد يقول : سمعت عبد الله بن أحمد الحلواني[4] بمرو يقولُ : سمعت والدك أبا بكر السمعاني[5] يقول : ما رأيت بالعراق مَنْ يعرِف الحديث ويفهمه

---

(١) المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين (وفي شذرات الذهب : المؤتمن بن أحمد بن علي بن نصر ولعله يريد : أبونصر –) الربعي ، الديرعاقولي ، ثم البغدادي ، أبونصر الحافظ ، ويعرف بالساجي ، حافظ محقق ، واسع الرحلة ، كثير الكتابة ، حسن الخط ، متين الورع والديانة .

ولد في صفر سنة ٤٤٥ ؛ وروى عن أبي الحسين بن النقور وأبي بكر الخطيب ، ومن في طبقتهما بالشام والعراق وأصفهان وخراسان ؛ وروى عنه أبو طاهر السلفي وأبو بكر بن السمعاني وآخرون . وتفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي ، وكان الشيخ يداعبه ويقول :

وشيخنا الشيخ أبو نصر لا زال في عزّ وفي نصر

كان فيه صلف وقناعة وعفة واشتغال بما يعنيه . قيل عنه : لا يمكن أحد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام هذا حيًا . توفي ببغداد في صفر سنة ٥٠٧ عن اثنتين وستين سنة .

(تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص٢٤ ؛ طبقات الشافعية ج٤ ص٣١٣ ؛ شذرات الذهب ج٤ ص٢٠)

(٢) في « ب » : الساحي ، وكذلك ترد في كل مرة . (٣) في « ح » : الساجي .

(٤) في « ب » : الجلواني . وهو أبو المعالي عبد الرحمن أحمد بن محمد الحلواني المروزي . فقيه شافعي عالم حافظ ، تفقه بنيسابور وبمرو ، وسمع الحديث . سمع منه أبو سعد السمعاني وغيره . وتوفي سنة ٥٣٩ (انظر اللباب في تهذيب الأنساب ج ١ ص ٣١٢ ؛ وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٢٢)

(٥) انظر في التعريف به شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٩ في وفيات سنة ٥١٠ . وانظر ترجمة وافية له في طبقات الشافعية ج ٤ ص ٨٦

غير رجلين ، المؤتمن الساجي ببغداد ، وإسماعيل بن محمد بن الفضل بأصفهان[١] .

وسمعت أنه توفي ثامن عشر صفر سنة سبع وخمسمائة .

وله مقطعات من الشعر . قال : قرأت بخط أبي بكر محمد بن علي بن فولاذٍ الطّبريّ .

أنشدنا المؤتمن الساجي لنفسه :

وقالوا كُنْ لنا خِدْناً وخِلاًّ ... ولا واللهِ أفعل ما يشاءوا[٢]

أُحابيهم بكُلّي أو ببعضي ... وكيف وَجُلُّهم[٣] نَعَمٌ وشاءُ

* * *

قال : وقرأت بخطّه ، أنشدنا المؤتمن لنفسه[٤] :

يا ربّ كن ليَ حِصْناً ... عند انْثِلامِ الحصونِ

فقد حَفِظْتَ كثيراً ... فوقي ومِثْلي ودوني

---

(١) هو أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني الشافعي . ولد سنة ٤٥٧ ، وتوفي سنة ٥٣٤ أو في السنة التي بعدها . إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب ، عارف بالأسانيد . صنّف في التفسير بالعربية والفارسية وشرح صحيح البخاري ومسلم . كانوا يقولون ما رحل إلى بغداد بعد أحمد ابن حنبل أفضل ولا أحفظ منه . (شذرات الذهب)

(٢) في « ح » : ما يشا . وحذف نون الرفع من المضارع يرد أحياناً بلا موجب ولا ضرورة ، وعلى ذلك الحديث الشريف : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ... » .

(٣) في « ح » : وكلهم .

(٤) في « ح » : ... أنشدنا الساجي لنفسه .

أبو المعالي الشاعر المقدسي[1]

ليس من أصحاب الحديث ، ولم يكن في زماني ، واتفق ذكره ها هنا .

وله في الوَرْد :

وَوَرْدةٍ غضّة القِطاف لها ... والليلُ بادي الظلام ، أنوارُ

كأنّها إذ بدت تُغـازلني ... وجهُ حبيبٍ عليه دينار

* * *

وله :

بكا على ما كان من مَرْدتِهْ ... بكاءَ داوُودَ على زَلّتِهْ

من يكن العِزُّ له في اُستِهِ ... فذُلُّه بالشَّعر في[2] لحيته

---

(١) سقطت لفظة « المقدسي » في « ح » . (٢) في « ح » : من .

القاضي شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن محمد بن موسى

يعرف بابن الفراش . من أهل دمشق[1] ، كبير المحلّ ، كثير الفضل ، صحيح العقد ، رجيح العقل ، مشمول الشمائل حُلوها ، مقبول الفضائل[2] صفوها ، جامعٌ بين علم الأحكام والحِكَم ، صانعٌ في ترصيع البديع من الكَلِم ، قد غلب عليه الوقار ، وكأن كلماته يُعصَر منها العُقار .

كان قاضي العسكر في آخر عهد نور الدين محمود بن زَنكي[3] رحمه الله بالشام إلى أن مضى لسبيله ، وفاز في الخُلْد بسَلْسَبيله .

وولّاه الملك الناصر صلاح الدين في دولته[4] أمانة خِزانته ، وقرّره[5] على قضاء عسكره ، وخاصّته . وما زلنا في الأيّام المُنوّرة النّورية قرينَيْن في المُخيم ، وقريبَيْن في المَجْثِم ، وحِلْفَيْ مُجاورة ، وإلْفَيْ مُحاورة ، نتّفق ولا نفترق ، ونأتلف ولا نختلف ، وأقتبس من نطقه وصمته ، وأستأنس بخلقه وسَمْته ، ونتواسى في المَعيشة كالشقيقَيْن الشفيقين ، ونتساوى في العِيشة[6]

---

(١) في « ح » : . . . موسى ، من أهل دمشق ، يعرف بابن الفراش ، كبير . . .

(٢) في « ب » : القبايل .

(٣) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٧٨

(٤) في « ب » : في ديوانه .

(٥) في « ح » : ووفوره .

(٦) في الروضتين ، في حوادث سنة ٥٧٣ « ج ١ ص ٢٧٢ » عن العماد : وكنت لما فارقتُ القاهرة استوحشت ، وتشوقت إلى أصدقائي وتشوشت . وكتبتُ من المخيم ببلبيس إلى القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش ، وقد أقام بالقاهرة ، وكان صاحباً لي من الأيام النورية ، واستشرته في التأخر عن السلطان ، فكتب في الجواب : رافقه ولا تفارقه . فكرهت رأيه ، فكتبت إليه أبياتاً (ويورد الأبيات) ، فكتب إليّ في جوابها أبياتاً منها . . ويذكر له أربعة أبيات ليست مما هنا من مختارات .

كالصديقَيْن الصدوقَيْن ، وهو أصدق من خطب إليَّ صداقته ، وجعل صَداقها صِدقه ، وأسبقُ مَنْ جرى في حَلْبة الوفـاء فأعطى الـكرم حقّه ، ما كسَبت في الشام غيره ، ولا حَسَبت إلاّ خَيْره ، وما تمنيت مَنْ لم أَلْقَ[1] سُوءه سِواه ، ولا أَنميت ثَرْواه ، وله في كل فنّ من العـلوم يدٌ قوية ، وفـكرة في النظم والنثر سويّة ، وقريحة في إبداع القافية والرويّ رَوِيّة[2] .

ومما أنشدنيه من شعره :

سَحاب النَّدِّ مُنتشِرُ الضباب	وبنت الـكأس راقصةُ الحَباب
وعينُ الدّهرِ قد رَقَدتْ فأَيقظ	سروراً طرفُه بالهمّ كاب
ولا تستصرِخَنّ سِوى الحُمَيّا	إذا باداك[3] دهرُك بالحِراب
إذا مُزِجتْ يطير لها شَرارٌ	يَنَلْ شَبا الهموم عن الضِّراب
ولا تقلِ المشيب يعوق عنها	فقد ضَمِنَتْ لنا رَدّ الشباب
ولا تبغِ[4] الفِرار إلى لئيمٍ	تلاطفه فيخشُن في الجواب
فلي هِمَمٌ ، إذا سطتِ الليالي ،	مجاثمِ على هام[5] السّحاب
هي الدنيا تَسُرُّ إذا أرادت	وتَحْزُن مَنْ تريد ولا تُحابي
إذا انتبهتْ حوادثها لشخصٍ	فليس يُنيمها سَمَرُ العِتاب[6]
فإن زادت فأَوْسِعْها فؤاداً	قويّ الجأش مُنْفَسِح الرِّحاب
متى كَمُلَتْ رياض الفضل خِصْباً[7]	فأرضُ الحظّ مُجْدِبة الجَناب

(١) في « ح » : من ألق .
(٢) في « ح » : أرية .
(٣) في « ح » : ناداك .
(٤) في « ح » : ولا تنو .
(٥) في « ب » : على كَفَلَ .
(٦) في « ح » : ينيها سَمر .
(٧) في « ب » : حسناً .

تُضيء المُشْكلاتُ بفضلِ قَوْلي ... ويرتاع المُلاسِنُ[1] في خطابي

وإن طال المُفاخِرُ بالمعالي ... وحاولني تقاصر عن هِضابي

وأَعْجَبُ كيف تخفيني الليالي ... ووجه الشمس يَخْفَى في شِهابي

وُجوهُ مَناقبي حَسُنَتْ ولكن ... بِذَيْل الحظّ قد طاب[2] انتقابي[3]

ثياب العِرض إن دَنِسَتْ لِقَوْمٍ ... فكن ما عشت مُبْيَضَّ الثياب

وأَسلمني الزّمانُ إلى أُناسٍ ... إذا عُدُّوا فليسوا من صِحابي

رَقُوا ظُلْماً وأَنفسُهم ترامت ... بهم طبعاً إلى تحت التراب

عليهم للكلاب مزيدُ فضلٍ ... وليس لهم مُحافظةُ الكلاب

لهم دون الرغيف سِهامُ لؤمٍ ... تَصُدُّ القاصدين عن الطِّلاب

* * *

وكتب لي من نظمه بخطّه ، قال :

وقُلت في بعض[4] الأغراض التي اقتضتْ ذلك ، وكان سببه أني أنشدتُ لبعض الأصدقاء شعراً لِمِهيار[5] ، فتبرّم[6] منه لضيق صدره بسبب من الأسباب ، فمزحته ببعض

---

(١) في « ح » : وترتاع المَلاسن . (٢) في « ح » : طال .

(٣) في هامش « ب » : كذا في الأصل وصوابه : بذيل الحظ قد طال انتقابي .

(٤) في « ح » : . . من شعره بخطه يقول : قلت في بعض . . (٥) في « ح » : للمهيار .

وهو : أبو الحسين مِهيار بن مَرْزَوَيْه الديلمي : فارسي الأصل ، من أهل بغداد ، وبها مولده ، ووفاته . كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي سنة ٣٩٤ ، وتخرّج عليه في الشعر والأدب . ووازن كثيراً من قصائده . كان رقيق الحاشية ، طويل النفس ، له ديوان في أربعة أجزاء . توفي في جمادى الآخرة من سنة ٤٢٨ . (انظر الأعلام وابن خلكان وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧٦)

(٦) في « ب » : فتبرمه منه .

هذه الأبيات كأنها على لسانه :

لقد سمح الدّهرُ بالمُقْترحْ وكان السكوتُ تمامَ الفرحْ
وما زال إنشادُكَ الشعر لي يَمُرُّ بسمعيَ حتى أنقرحْ
ونغّصتَ عَيْشي بترداده وأفسدتَ من حالتي ما صلَحْ
فلا خير في نظم هذا القريض ولا في تغزُّله والمِدَحْ
لحى الله قلباً يحبّ المِلاح وإثْمَ الأقاحي[1] ورَشْفَ القدَحْ
ويهتزُّ عند اهتزاز الغصون ويعجبه ظَبْيُ سِرْبٍ سَرَحْ[2]
وتُطربه رَوْضةُ العارِضَيْن وما في شمائِلها من مُلَحْ
لئن سرّكمْ حُسنُ وَجْهِ الحبيب فما ذاك عنديَ إلاّ تَرَحْ
ولله دَرُّ عجوزٍ تروق لطرفِ الحكيمِ إذا ما لَمحْ
ويُعجبُه صِبْغُ حِنّائها وما بين أسنانها من قَلَحْ
لها رَحِمٌ مثلُ حبل[3] العِقال إذا ما دنوت إليه رَشَحْ
وإن حرّكتْه ذُكور الرّجال تخيّلْتَ ذاك[4] كنيفاً فُتِحْ[5]
فهذي مقالة هذا الحكيم ولا خيْرَ فيمن إليها جنَحْ
فَدَعْ قوله واختصر صورةً كأنّ الجمال لها قد شرح
إذا ما استدارتْ نطاق الخصور وماستْ قُدودٌ بزهْوِ[6] المِدَحْ

---

(١) في الأصلين : الأقاح .
(٢) في هامش « ب » : كذا في الأصل ، وسنح أجود .
(٣) في « ب » : حل .
(٤) في « ب » : ذلك .
(٥) في « ح » : نفح .
(٦) في « ب » بزهر .

فكم من غريقٍ بماء الجفون ... وكم من زِنادٍ فؤادٍ قَدَح

أَدِرْها وروِّ بها حائماً ... ودارِكْ بقيَّةَ عُمرٍ نَزَح

ولا تجعلِ المزجَ إلاّ الرُّضاب ... وواصل غَبوقك بالمُصْطَبَح

أَطِعْ في حبيبك غِشَّ الهوى ... وعاصِ العذول إذا ما نصح

ولُذْ بضلالك قبل الهدى ... وبادِرْ ظلامك قبل الوَضَح

وَدَعْ عنك وَضْعَ شِباكِ[1] المُحال ... ونَصْبَ الفِخاخِ[2] وعَدَّ السُّبَحْ

ولا تُغْلِقَنَّ بحمل الهمو ... مِ بابَ السرور إذا ما انفتح

وإِنْ خِفتَ من عاتبٍ فاستتِرْ ... بليل الشَّباب إذا ما جَنَح

فَتَبّاً لدهرٍ يُعِزُّ اللئام ... وقدرُ الكرام به مُطَّرَحْ

ذَلول إذا ما امتطاه الجهول ... وما[3] رامه الحرُّ إلاّ جَمَحْ

لقد شاد في الناسِ وجهُ القريض ... ولم يبقَ في دهرنا مُمْتَدَح

وقد طُمِسَتْ أوجهُ المكرُمات ... وقد غطَّتْ هُجْنُها والضُّرَح

ولا خير فيمن غدا طائعاً ... لقومٍ أَلَمَّ وبُخْلٍ أَلَحّْ

إذا بهرجته عقولُ الرجال ... وأخجله النَّقْص لمّا افتضح

لئن قصَّرَتْ خُطوةُ الحظِّ بي ... فمالِيَ عن هِمّتي مُنْتَزَح

وإن عَدَّ مُفتخِرٌ فضلَه ... فبي يُخْتَمُ الفضلُ بل يُفْتَتَح

(١) في « ب » : سمسات . وكذلك في « ح » : من غير نقط . وفي هامش « ب » : كذا في الأصل وصوابه شباك .

(٢) في « ح » : الفحاج . (٣) في « ب » : ولا .

وكم للفضائلِ من خاطبٍ[١] وما كلُّ خاطب بكرٍ نَكَح

* * *

قال ، وقلت[٢] :

لا تَلْقَ دهركَ بالعِتابِ فعُهوده ذات انقلابِ
واُلبُدْ إذا وَثب الرَّدى واصبر على مَضض المُصاب
فالدّهرُ يخدع بالسرو ر كمثل تلميع السَّراب
ما جئتـه مُسْـترْوِحاً[٣] إلاّ حصلت على اكتئاب
فإذا طلبت صفـاءه فابشر بأنواع العذاب
لا تَشكُوَنّ فما يُبا لي إن شكوتَ ولا يُحابي
يا صاحبي ماذا يَضُـ ـرّ الأُسْدَ من حَنَق الذِّئاب
لولاكِ ، غِزلانَ الفَلا ما هان مُرْتَكَب الصِّعاب
أَلِفَتْ[٤] مُنازَلَة القلو ب فما تَمَلُّ من الحِراب[٥]
يدنو[٦] فيمنعه الحيـا ء فيعود مَسدول الحجاب
والبدرُ أحسنُ ما يكو ن إذا تنقّب بالسَّحاب
لله عيشٌ سالفٌ واللّهو مَوْفورُ النِّصاب
وسرورنا مُستيقِظٌ فرِحٌ[٧] ، وطرف الهمّ[٨] كاب

(١) في « ب » : وكم خاطب فرّ من خاطب . (٢) في « ب » : وقلت .
(٣) في « ح » : متروحا . (٤) في « ب » : ألفت .
(٥) في « ح » : ألفت منازله القلوبَ فما تملّ من الحراب
(٦) كأن بين الأبيات انقطاعاً . (٧) في « ح » : متيقظ مرحٌ . . (٨) في « ح » : الدهر .

إذ قبّلنا لثمُ الخدو ... د وشُربنا خمرُ الرُّضاب
إذ نحن في جاد الصِّبا ... والعمرُ مجهول الحساب
فارحلْ عن الدنيا وجِـ ... ـدَّ ودَعْ مُلاعبة التّصابي
دَعْها فقد جاء المشيـ ... ـب بعزلِ سلطان الشباب
ما اللَّهوُ بعدَ الاربعيـ ... ـن وإن قَدَرْت ، بمُستطاب
بعثتْ طلائعَها المنو ... ن إليك مُسْرَجةَ العِراب[1]

* * *

وقلتُ : لمّا وَلِيَ الملكُ السعيدُ رضي الله عنه لسيّدنا الأجلّ عماد الدين[2] أبي حامدٍ محمد ابن محمد ، ابنِ أخي العزيز ، الإشرافَ[3] على ديوانه وسائر مملكته مُضافاً إلى ما كان يتولّاه من ديوان الإنشاء ، وكان قد وُلِد له وَلَدٌ بعقب[4] ذلك . ولم يتفق إنفاذها إليه في ذلك الوقت بسببِ رحيلٍ اتفق للملك السعيد ورحلنا معه في سنةِ ثمانٍ وستين وخمسمائة . وهي محتاجة إلى تنقيح[5] :

خانَ المُحالفُ[6] والمُعاهِدْ ... وجفا المُواتي[7] والمُساعِدْ
سهرت[8] عيونُ فضائلي ... لكنّ طرفَ الحظّ راقِدْ

---

(١) في « ح » : مشرجة العياب .
(٢) لم ترد « عماد الدين » في « ب » . وهو العماد الأصفهاني صاحب الخريدة . وعند ابن خلكان في ترجمة العماد « ج ٢ ص ٤٧ » : وعلت منزلته عند نورالدين ، وصار صاحب سرّه ، وسيّره إلى دار السلام رسولاً ... ولما عاد رتّبه في إشراف الديوان في سنة ثمان وستين . .
(٣) في « ب » : الأشرف .
(٤) في « ح » : فعقب .
(٥) تختفي الكلمة في « ب » .
(٦) في « ح » : المخالف .
(٧) في « ح » : المواتي .
(٨) في « ح » : شهرت .

أخـذ بصَفقةِ تـاجرٍ طاب المقاصد بالقصائدْ

فاخِرْ فإنك في زما نك[١] صالح، والوقتُ فاسد

أوَليس قومك معشرٌ[٢] كانت عوائِدهم عوائد[٣]

لا تتعب[٤] الحسّاب في عدد الكرام فأنت واحد

فلئن فَخَرْتَ بمن مضى فلتفخرنّ بك المَشاهد

فأُبشِر بمولودٍ يجـ ـدّدُ ذكر آباء أماجد[٥]

ولدٌ أتـانا مخـبراً في مَهده عن خير والد

ما فتّ في عضدٍ ولـ ـكن فتّ أكباد الحواسد

رفعتْ دموعي بعدكم ممـا أكابده جرائد

أين الذيـن نعدّهم عند النوائب والشدائد

يَلْقَوْكَ[٦] في شُوس الخطو ب مشمّرين عن السواعد

نفَقت ملابيس النِّفا ق وسوق أهل الفضل كاسد

رُفعت دواوين الكفا ة وخُلْخِلَتْ منها القواعد

وأُستبهمت حتى اقد أَيِس المُعَلِّل والعوائِدْ

فنهضتَ فيهـا قائماً بسِدادها والغيرُ قاعد

---

(١) في « ب » : في زمانٍ . (٢) كذا في النسختين . (٣) في « ح » : معابد .

(٤) في « ح » : لا يتعب .

(٥) تنخرم هنا نسخة « ح » فتتخلف عن النسخة « ب » لتتصل بها بعد ذلك بالبيت الثاني من القصيدة الميمية التالية « صفحة ٢٩٨ » (٦) كذا في « ب » . ولعلها يلْقَون .

فَصَحَتْ وصحّ زمانها — من ذا يغُشّ وأنت ناقد

وملأْتَ أسماع الرُّوا — ةِ من الفوائد والفرائد

وحفِظت عَقد مودّتي — فنشرت أَلوية المحامد

سرقت عزيمتُك الرّقا — دَ فبتّ مهجور المَراقد

غار الزمان فسلّهُ — سيفاً لأَهل الشرّ حاصد

* * *

وقلت في سنة ستين وخمسمائة وكتبتها إلى بعض الأصدقاء :

نواحي الأَرض ضاحكة الرُّبوعِ — وعينُ المُزنِ هاطلة الدموعِ

ووجه الأَرض بسّام المُحَيّا — وشادي الدَّوْح ممنوعُ الهجوعِ

وأَغصانٌ كأَنّ بها انتشاء — تصابت وهي شائبة الفروعِ

لقد طالت ليالي الهمّ فأْذَنْ — لشمس الرّاح فينا بالطُّلوعِ

ولا يسقيكها إلاّ غزالٌ — عَصيُّ الهجرِ ذو وصلٍ مُطيعِ

عُقاراً لو سطت في يوم حربٍ — لأَوْدت بالخُبَعْثِنَة [1] الشجيعِ

ولو مرّتْ على حلم ابن قيسٍ [2] — لأَضحى وهو كالطفل الرضيعِ

* * *

(١) الأسد . والشجيع : الشجاع .

(٢) أبو بحر ، الضحاك بن قيس بن معاوية التميمي ، الملقب بالأحنف ، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم . ولد في البصرة قبيل الهجرة ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره . أعجب به عمر حين وفد عليه في المدينة ، فكتب إلى عامله على البصرة أبي موسى الأشعري أن يقربه ، ويستشيره ، ويسمع منه . شارك في فتح خراسان ، واعتزل فتنة الجمل ، ومات في العراق سنة =

وقلتُ بسبب صديق :

إذا غارت خيولُ الهجر يوماً عليك ، فكنْ لها ثَبْتَ الجَنانِ
وإن خان الصديق فلا عجيبٌ أليس الأَصدقاء بني الزّمان

* * *

وقلتُ لمّا كنتُ بحلب بعد وفاة الملك السعيد رضي الله عنه ، وقد توالت الفتن ، وحَرِجت الصّدور ، مشوقاً إلى دمشق ومتذكراً لها :

عروسُ الكأس يجلوها نديمي علينا في ثيابٍ من نعيمِ
أَدِرْها[1] وأَحْيِ أشباحاً تراها رَمِيماً بين أجداث[2] الهموم
وداوِ بها جِراحات الليالي فاستَ على التّداوي بالمَلوم
ولا تكسِر حُمَيّاها بمَزْجٍ فتضعُفَ عن مُقاومة الغريم
وأَعجَبُ كيف تبرُز وهي شمسٌ مكلّلةَ الجوانب بالنّجوم
إذا طافت همومُك حولَ كأسٍ ترامتْ نحوها شُهُبُ الرُّجوم
وقد زَفّ الربيع إليك رَوْضاً قشيبَ الزّهْر مُعْتَلَّ النسيم
فَحُثَّ اليَعْمَلات إلى دمشقٍ سقاها اللهُ هَطّال الغيوم
فيا لله درُّكِ من ديارٍ تَراضَعنا بها حَلَب الكروم

= ٦٧ على أرجح الأقوال (الأعلام ، وانظر ترجمة وافية له في وفيات الأعيان ، وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٠ – ٢٤) .

(١) مع هذا البيت تتصل نسخة « ح » من حيث انقطعت في الدالية السابقة (انظر الهامش ٤ من الصفحة ٢٩٦).

(٢) في « ب » : أحداث .

فما رقأَتْ دموعي حين غابت ... جواسقُها ولا اُندملت كُلومي
إِذا ماطُفت حول دروب مقرى[١] ... فعرِّج بي إِلى دَيْر الحكيم
وبادرْ نحو رَبْوتِها ففيها ... إِذا واجهتَهـا بُرءُ السقيم
وحيِّ النَّيْرَبـَيْن[٢] فكم مضى لي ... على الشرفَيْن[٣] من شجنٍ قديم
إِذا الُخطباء في الأَغصان قامت ... تهزُّ النـائمين عن النعيم
إِذا كأْس الصَّبا دارت سُحَيْراً ... تحُلُّ معـاقد الدُّرّ النظيم
لقد أَهدت لها[٤] الخضراء بُرْداً ... بديع النَّسج مختلف الرُّقوم
وفي تلَّ الثعالب[٥] راح عنها[٦] ... ففيها منشإِي وبها تميمي
لقد حلّت جِنانُ الُخلد فيها ... وفي حابٍ هَوَتْ نارُ الجحيم
إِذا عُرِضت عليك رأَيت فيها ... عِراصَ[٧] الخير داثرةَ الرُّسوم
مُناخٌ للأَراذل منذ كانت ... محرَّمةٌ على الحرّ الكريم
أَقمتُ بها فلم يظفر طِلابي ... بذي أَدبٍ ولا خِلٍّ حميم
وأَرذلُ من ترى فيها وأَخزى ... ذوو الأَقدار والحسب الصميم
تُرى يحنو الزمان عليَّ يوماً ... فأَشكوَ[٨] ما لقيت إِلى رحيم
لعلّ الله أَن يُدني زماناً[٩] ... تَهُبُّ[١٠] لنا به ريحُ القُدوم

(١) انظر الهامش السادس من الصفحة ٢٠٠ : وعند ابن عساكر « المجلدة الثانية ص ١٤٤ » انها من منازل دمشق الشمالية . وفي الأصلين بضم الميم . (٢) انظر الهامش الأول من الصفحة ٢٢٧

(٣) هما الشرفان : الأعلى الشمالي والأدنى القبلي . (٤) في « ب » : لك .

(٥) يبدو أنه « صنعاء » دمشق وهي قرية دون المزّة ، خربت ، وآلت بساتين (الدارس ج ١ ص ٣٠ . وياقوت)

(٦) في « ح » : راخ عنها . (٧) في « ب » : عراض . (٨) في « ب » : وأشكوا .

(٩) في « ح » : .. يدنوا زمان . (١٠) في « ب » : يهبّ .

وأبناء الزمان كما تراءم ... أفاعٍ دأبُها نَفْثُ السّموم

فلا يحنو القويُّ على ضعيفٍ ... ولا يصل المَخوف إلى رَؤوم[١]

وسُقت اليهم الآمال حَثّاً ... فما وجدتْ سوى مرعًى وَخيم[٢]

رأيتُ[٣] سحائباً فظننتُ[٤] فيها ... رَذاذاً مُنْعِشاً لثرًى عديم

يحاربني[٥] الزمان وأيّ والٍ ... يناصفني وأيامي[٦] خُصومي

تَبَلَّغْ باليسير وعِش كريماً ... وغُضّ الطرف عن نظر اللئيم

فقد عقمت عن الكرم الليالي ... فلا تَرْجُ الوِلادة[٧] من عقيم

وناديتُ العفاف : إذا اقتسمنا ... فكن ما عشتُ في الدنيا قسيمي

* * *

وقلت لما خرجت من حلب مُتوجّهاً إلى الملك الناصر صلاح الدين أدام الله دولته ، وكان حينئذٍ بحمص[٨] ، ولم يسمعها[٩] :

سرى ما بيننا سِرُّ الغُيوبِ ... يُبَشِّرُنا بنصرك عن قريبِ

---

(١) لم يرد البيت في « ب » .

(٢) في « ح » : هشيم .

(٣) في « ب » : وأنت سحابنا .

(٤) في « ح » : وظننت .

(٥) في « ح » : تحاربني .

(٦) في « ح » : وآبائي .

(٧) في « ح » : المودة .

(٨) دخل السلطان صلاح الدين دمشق في آخر شهر ربيع الأول من سنة ٥٧٠ ، ثم رحل متوجهاً إلى حمص فتسلم البلد ، وقاتل القلعة ، ولم ير تضييع الزمان عليها ، فوكل بها من يحصرها ورحل إلى حماه فحلب . وعاد — بعد أحداث — إلى حمص فتسلم القلعة في الحادي والعشرين من شعبان ، ورتب فيها والياً من قبله .

(٩) من الخير في فهم هذه القصيدة الوقوف على بعض الحوادث التاريخية التي رافقت استيلاء صلاح الدين على حلب . ولعلّ الفصل الذي كتبه ابن أبي شامة في الروضتين بعنوان : « فصل فيما جرى بعد فتح دمشق =

ركبتَ إلى الحروب جيادَ عزمٍ مصرّفةً عن الرأي المُصيب
تبسّمتِ البلادُ إليك أُنساً وكانت قبلُ مُوحِشةَ القُطوب
لقد ولّتْ شَمالُ الشِّرْكِ لمّا أَنار الدينُ من أُفقِ الجنوب

= من فتح حمص وحماة وحصار حلب » أفضل ما يساعد ذلك .

فقد ذكر في هذا الفصل كيف أن الناس في حلب ، وكان فيهم ابن نور الدين ، اسماعيل الملك الصالح ، خافوا بعد أن حصلت دمشق لصلاح الدين، أن يقصد حلباً . فأوفدوا إليه رسولاً مهددين موعدين « وأنت أحد غلمان نور الدين وممن يجب عليه حفظه في ولده » . وردّ صلاح الدين يقول : « إني وصلت الشام لجمع كلمة الإسلام ، وتهذيب الأمور ، وحياطة الجمهور ، وسدّ الثغور ، وتربية ولد نور الدين ، وكف عادية المعتدين » .

ثم رحل السلطان إلى حمص فتسلم البلد وقاتل القلعة (انظر الهامش ٨ من الصفحة السابقة) . . ومضى إلى حماة ، ولقيه صاحبها عزالدين جرديك بالرستن وسلّم إليه حماة ، وسأله أن يكون السفير بينه وبين مَنْ بحلب ، فأجابه السلطان .

وسار جرديك إلى حلب ، فاجتمع بالأمراء ، وأشار عليهم بمصالحة صلاح الدين ، فردّوا مشورته ، ثم قبضوا عليه ، وألقوا به في الجبّ مع أولاد ابن الداية .

وكان السلطان صلاح لا يزال في الرستن ، ثم طال عليه الأمر فسار إلى جبل التركمان وهناك بلغه ما حل بجرديك من الاعتقال والقهر ، فسار إلى حلب مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ٥٧٠ . ونزل على أنف جبل جوشن .

وكان مَنْ بحلب يظنون أن السلطان لا يقدم عليهم ، فراعهم قدومه ، وخافوا من الحلبيين أن يسلموا البلد ، كما فعل أهل دمشق ، فأرادوا تطييب قلوب العامة . فأشير على ابن نور الدين أن يجمعهم ويقبل عليهم يخاطبهم بنفسه . فجمعهم وكان فيما قاله : « أنا ربيبكم ، ونزيلكم ، والملاجيء إليكم ، كبيركم عندي بمنزلة الأب ، وشابكم بمنزلة الأخ ، وصغيركم عندي يحل محل الولد » وخنقته العبرة ، وافتتن الناس وصاحوا صيحة واحدة : نحن عبيدك وعبيد أبيك ، نقاتل بين يديك ونبذل أموالنا وأنفسنا لك .

وكانوا اشترطوا عليه أن يعيد إليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة ، وأن يجهر بحيّ على خير العمل ، والأذان ، والتذكير ، في الأسواق وقدام الجنائز بأسماء الأئمة الاثني عشر ، وأن يصلّوا على أمواتهم خمس تكبيرات ، وأشياء كثيرة اقترحوها ، مما كان أبطله نور الدين ، فأجيبوا إلى ذلك .

وأرسل السلطان صلاح الدين رسولاً يعرض بطلب الصلح ، فلم يستجيبوا له فاشتد في القتال .

وجنأ من بحلب إلى المكيدة والختل ، فكتبوا إلى سنان صاحب الحشيشية ، فأرسل عدداً من فتاك =

تركت صوارخ الأعداء فيها مُخرَّقة المدارع بالحريب
تكاد قلوبهم[1] بالخوف منها تطير[2] عن المساكن بالوجيب
وما سهرت رماحك فيه إلا لترقد في الترائب والجيوب
عصت حلب وقاتل ساكنوها وليس قتالهم لك بالعجيب
لأنك ناصر الإسلام حقاً وهم رهط المغيرة[3] أو شبيب[4]
وقد قامت سعودك عن قريبٍ إليك أسوقهم سوق الجنيب

= أصحابه لاغتيال السلطان ، فجاءوا واختلطوا بعسكره ، وهمّوا بقتله ولكنهم أخفقوا .

ثم راسلوا قمص طرابلس ، وضمنوا له أشياء متى رحل السلطان عن حلب ؛ ومضى القمص جهة حمص ، ورحل السلطان من حلب إليها ، فنكص القمص عنها .

واجتمع على السلطان المواصلة والحلبيون . واجتهد هو في مصالحتهم ، فأبوا ، فنازلهم عند قرون حماة في التاسع عشر من رمضان ، فكسرهم ، ودار عقيب انكسارهم ، فنزل على حلب ، وهي النزلة الثانية ، وصالحوه بعد ، على أن يأخذ المعرة وكفرطاب وبارين .

وجرت معركة أخرى عند قرون حماة في شوال سنة ٥٧١ ، انتهت كذلك بانتصار صلاح الدين . وتبع ذلك استيلاؤه على منبج وعزاز ، ومحاصرة حلب ، ورحيله عنها بعد أن أخرجوا له ابنة صغيرة لنور الدين ، فسألته عزاز فوهبها لها .

وشغل صلاح الدين بعد بالفرنجة ، ومات الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين سنة ٥٧٧ ولم يبلغ العشرين . وعاد صلاح الدين فنزل على حلب من جديد ودخلها في صفر سنة ٥٧٩

(١) في « ح » : رقاد قلوبهم .   (٢) في « ح » : يطير .

(٣) يريد المغيرة بن سعيد ، المتنبيء ، الذي خرج بظاهر الكوفة في امارة خالد بن عبد الله القسري . كان مجسماً يقول بإلاهية علي وتكفير من لم يثبت معه من الصحابة ، ويقول : إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع (الأعلام) .

(٤) يريد شبيب بن يزيد الخارجي ، أبو الضحاك ، أحد كبار الثائرين على بني أمية . كان داهية طمّاحاً إلى السيادة ، بايعه الخوارج بالخلافة ، وقاتل الحجاج قتالاً عنيفاً لم تفلح معه كثرة الحجاج ولا قسوته ولا أمداد الشام ، حتى إذا كانت إحدى المعارك نفر به فرسه ، وهو على جسر ، فغرق في الماء (الأعلام وابن خلكان)

جِهادُكَ إن طلبت الغزوَ فيهم[1] ... أَهَمُّ إليك من غزو الصليب

فَزُرْ باب العراق وما يليه ... بكل مُزَنَّرٍ طربِ الكُعوب[2]

وفَجِّرْ مَنْبَعَ الأَوْداج حتى ... تَخوضَ الخيلُ في العَلَق الصبيب

ترى الإسلام قد وافاك يعدو ... إلى لُقياك مشقوق الجيوب

وقد نادى مُؤَذِّنهم ، فنادى ... ليوثُ الغاب : حيَّ على الحروب

أُناسٌ دَبّت الأَعلالُ فيهم ... وليس لهم كسيفك من طبيب

وقد وَلِيَ الوزيرُ وعن قريبٍ ... سينقاب الوزير إلى القَليب

أحاط بجمعهم في كلِّ نادٍ ... ظلامُ الكفر في ليل الذُّنوب

ومُذ أطلعتَ شمس النَّصل فيهم ... علا أعناقَهم شَفَقُ الغروب

فلا يَغرُرْكُمُ أن كفَّ عَنكُمْ ... فإنّ الأُسْدَ تجثِمُ للوُثوب

إذا ابتسمتْ سيوفُ الهند يوماً ... فمَبْسِمُها يدلُّ على النَّحيب

ولم يَذْخَرْكَ نور الدين إلاّ ... لتدفع عنه نائبةَ الخُطوب

فخلِّص ابنه بالسيف منهم ... فقد حبسوه في بلدٍ جديب

يَبيتُ وقلبُه المحزون أَشهى ... إلى لُقياك من ضمِّ الحبيب

صغيرٌ بينهم ، لا بل أسيرٌ ... غضيضُ الطرف مبخوس النصيب

تذكَّرْ عهده واُحْنُن عليه ... ونَفِّسْ عنه تضييق الكُروب

ولا يَغرُرْكَ من يُوليك وُدّاً ... ويَلْوي عنك أجفان المُريب

أتيتُك والرِّماحُ تخبُّ نحوي ... وخُضت[3] عَجاجةَ اليوم العصيب

---

(١) في «ب» : منهم . (٢) في «ح» : طربِ لعوب . (٣) في «ح» : وخضب .

رأيتُ كواسرَ الأَبطال حولي مُحَدَّدة المخالب والنُّيوب
وسِرتُ اليك محزوناً فلمّا رأَيتُك قلتُ للأَحزان : غيبي
رأيتُ المارقين ومَنْ يليهم جميعاً من عَصِيّ أو مُجيب
إِذا غنّت صواهِلهم[1] وأبدى لها الخطيُّ أخلاق[2] الطّروب
فَراشاً عاينتْ ناراً فأبدت تهالُكَها على جمر[3] اللّهيب
فأَوْسِع طَمْنَ من عاداك ظُلماً كما وسَّعتَ رِزق[4] المُسْتَثيب
أماتتني الهمومُ بأرض قومٍ بما فعلوا وأخذلني[5] كُروبي
وها قد قمتُ من قبري لِتحيا بقُربك[6] مُهجةُ الميتِ الغريب[7]
وقد هاجرتُ إنكاراً لما قد رأيتُ من المثالب والعيوب
ولي دهرٌ يُراقبني فأَرْمِدْ بلَحظٍ منك أَلحاظ الرّقيب
وشَمسي[8] تحرُق الحُسّاد كَبْتاً وتُعيي وصفَ ذي اللَّسَنِ الخطيب
عَلَتْ في أَوْجِها وحَضيضُ حظّي يُجاذِبها بأَرسان المغيب[9]

* * *

وقلت في سنة سبعٍ وخمسمائة ، وكتبتها إلى بعض الأصدقاء في سببٍ أقتضاه :

أَتطمعُ في عِقالك أَن يُحَلّا وتُدرك في ظلام الصُّدغ مَحْلا

---

(١) في « ح » : صواهلها .
(٢) في « ح » : أحلاق .
(٣) في « ح » : حرّ .
(٤) في « ب » : رقّ .
(٥) في « ح » : واحزان .
(٦) في « ح » : .. وربي لنحيى لقربك .
(٧) في « ح » : القريب .
(٨) في « ح » : وشمس .
(٩) في « ب » : يجاذبها بأرسان المعيب .

وكنتُ أقول لي صبرٌ مُعينٌ ... فلمّا صحّ هجرُك لي تخلّى
أتسمع في مُحِبّك قولَ واشٍ ... وما سَمِع المُعَنّى فيك عَذْلا
لقد حلّلتَ من قتلي[1] حراماً ... وحرّمتَ الوِصال وكان حِلّا
وتسمح لي بخمر اللّحظ صِرْفاً ... وتمنعني مِزاجَ الرّيق بُخلا
لقد عذّبْتني ، وأصبتَ فيه ... لأنّ الحبّ بالتعذيب أحلى
لقد نصحت دعاوى العشق قوماً ... يظنّون البَلا في الحبّ سهلا
فواحدُهم يَلَذُّ له زماناً ... ويطمع أن يرى أمناً وعدلا
إذا ابتسم الوِصال يهيم عِشقاً ... وإن عَبَس الصّدودُ سلا ومَلّا
وشرطُ العِشق أن تبقى أسيراً ... وتجعلَ حُبَّهم قَيْداً وغُلّا
فيا دهرُ ارتدِع عني وإلاّ ... ستلقى من مُعين[2] الدين نَصْلا
فتى إن زُرْتَه ألفيتَ عزماً ... يدافع من كروب الدّهر ثِقْلا
وتلقى للخطوب حِمًى منيعاً ... وتُبصر جانباً للّهو سَهلا
فآلاء المكارم منك تَتْرى ... وآيات المحامد فيك تُتْلى
مدحتك لا لأجلِ يسيرِ حَظٍّ ... ولكن مطلبي أوفى وأغلى[3]
أُؤمّلُ همّةً لك أمتطيها ... وأبلغ في خفارتها المَحَلّا
فتَنْعَشُ قوةً وتُزيلُ همّاً ... وتُحيي مَيّتاً وتَرُبُّ شَمْلا[4]

* * *

(١) في « ح » : من قبلي .
(٢) في « ح » : معز .
(٣) في « ح » : وأعلا .
(٤) في « ح » : فينعش .. ويزيل .. ويحيي .. ويرب ..

وأنشدني لنفسه :

الصَّفْوُ من ماءِ العِنَبْ ... يا صاح أَحلى ما شُرِبْ

راحٌ تُريك بمَزْجِها ... في الكأس سِلسلة الذهب

طُبِخَتْ بنار الدّهر لا ... نارِ التَّضَرُّم واللَّهبْ

لا يَمْنَعَنَّكَ شُرْبَها ... شهرُ المحرَّم أَو رجب

وانْهب زمانك إِنه ... لِشباب عمرك يَنْتَهِب[1]

* * *

وأنشدني لنفسه :

أَصوغ الحُلَى في كلِّ يوم وليلةٍ ... وأُتْعِبُ منّي في صياغتها النَّفْسا

ولو مُتُّ ضُرًّا ما عَقَدْتُ قِلادةً ... على جيدِ مَنْ لا يستحقُّ لها لُبسا

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه بمصر[2] :

صَيْدُ السرور أَجلُّ في الـ ... معقولِ منْ صَيْد الطُّيور

كم بين حَملك للكؤو ... س وبين حملك للصُّقور[3]

(١) في « ح » : منتهب .   (٢) سقطت لفظة (بمصر) في « ح » .

(٣) في « ح » : للطيور .

الفقيه الوجيه بُرهان الدّين[1]

مَسعُود بن شُجاعٍ الحَنَفي

مدرّس المدرسة النّورية[2] بدمشق . قرأ على برهان الدين البَلْخي[3] رحمه الله في عُنفوان

---

(١) العلامة أبو الموفق مسعود بن شجاع بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن القرشي ، الأموي ، الحنفي ، الدمشقي ، الملقب برهان الدين الفقيه . ولد في جمادى الآخرة من سنة ٥١٠ هـ بدمشق ، وارتحل إلى ماوراء النهر ، فتفقه على شيوخ بخارى . كان صدراً معظماً ، مُفتياً ، رئيساً في المذهب . درّس في النورية والخاتونية ، وولي قضاء العسكر لنور الدين ، وحصل له جاه وافر ، ودنيا واسعة ، كان لا تغسل له فرجية بل يهبها ويلبس جديدة . توفي في جمادى الآخرة من سنة ٥٩٩ هـ

(انظر الوافي « مخطوط » ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٦٨ ، والدارس النعيمي ج ١ ص ٥١٣ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٣) .

والخاتونية هنا هي الخاتونية الجوّانية بمحلة حجر الذهب « سيدي عامود اليوم » أنشأتها ، الحنفية ، عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أُنُر صاحب دمشق قبل نور الدين ، وزوجة نور الدين سنة ٥٤٢ وزوجة صلاح الدين بعده سنة ٥٧٢ . وتوفيت سنة ٥٨١ ودفنت بتربتها في سفح قاسيون . كانت من أحسن النساء وأعفهن ، وقد بنت للصوفية خانقاه ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد ، وتوسعت تربتها بعد وصارت جامعاً ، ووقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة (الروضتين ج ٢ ص ٦٦ ، الدارس ج ١ ص ٥٠٩ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧٢ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٩٩) .

(٢) يريد النورية الكبرى ، أنشأها الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل نورالدين محمود بن زنكي ، بعد وفاة أبيه ، ثم نقله من القلعة إليها بعد فراغها ودفنه بها ، وهي بعض دار هشام بن عبدالملك ، وكانت قديماً لمعاوية .

أول من درّس بها بهاءالدين ابن العقادة ، رئيس الحنفية بدمشق وهو بدرالدين(!) بن عسكر . وكان شيخاً فاضلاً مشهوراً إلى أن توفي سنة ٥٩٦ ، ثم درّس بها بعده برهان الدين مسعود الدمشقي .

(انظر الدارس ج١ ص ٦٠٦ وابن كثير ج١٣ ص٢٤ وذيل الروضتين ص١٧ ويسميه ابن العقادة)

(٣) أبو الحسن ، علي بن الحسن بن محمد بن محمد بن أبي جعفر ، وقيل جعفر ، البلخي ، الواعظ الزاهد الحنفي المعروف بالبرهان البلخي . أحد من نشر العلم في بلاد الإسلام . تفقه ببخارى وبرع في الفقه ، وسمع =

عُمْره ، ثم هاجر في طلب العلم إلى بُخارى وسَمَرْقَند ، فغاص من بحره في غَمْره[1] ، ثم عاد إلى الشام ، وأقام بمدرسة حلب ، وتنقّلت به أحواله ، وتحوّلت في البلاد رحاله ، ورتّبه نور الدين قاضياً بعسكره سنةً ، ثم توسّلنا له عنده في تفويض التدريس بالمدرسة الكبيرة[2] إليه ، فحصل له ما لم يخطر بباله ، وظهر بذلك حالي حاله ، ورفع نفسه عن درجة الشعر ؛ وكان له في الغربة أنجعَ وسيلة ، وأنجح فضيلة .

وسألته مراراً أن يُنشدني ما أُثْبِته ، ويُسمعني ما أُطريه وأنعَته ، فماطل بما طُلب منهُ بعد عِدَة ، وأدّعى الإملاق عن جِدَة ، ولم يخش من الصديق أَثَر مَوْجِدة . ووقفت على قطعةٍ بخطه كتبها بِبُخارىٰ إلى بعض علمائها وليست من جيّد نظمه ، ولا من النمط اللائق بعلمه ، وإنما جنى هو[3] على أدبه ، حيث لم يرد أن يُنوّه به[4] . فمن جملة أبياتها ، وأنا مضطر إلى إثباتها :

أيصبر قلبي عنهمُ بعد ما ساروا ... ودمعي من الشوق المُبَرِّح مِدْرارُ

همُ جيرةٌ جاروا عليّ ببُعدهم ... فليتهمُ عادوا إليّ وإن جاروا

= الحديث بما وراء النهر . ودرّس بحلب ، وبالشام بالصادرية والأمينية (انظر في التعريف بالصادرية الهامش الخامس من الصفحة ٢٨٣ ، وبالأمينية الهامش الثاني من الصفحة ٢٨١) وهو أول من درّس بها ، ثم جعلت له دار الأمير طرخان في دمشق مدرسة سنة ٥٢٠ هـ (انظر في التعريف بالمدرسة الطرخانية . الدارس ج ١ ص ٥٣٩) وهو أول من درّس بها كذلك . وإليه تنسب المدرسة البلخية (انظر الدارس ج١ ص٤٨١) .

ناظر في الخلافيات ، وقام عليه الحنابلة لأنه تكلم فيهم ، وعقد مجالس التذكير . وكان زاهداً معرضاً عن الدنيا ، إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . وهو الذي قام بإبطال « حيّ على خير العمل » من حلب حين كان فيها . وسفر بين نور الدين حين حاصر دمشق وبين مجير الدين صاحبها . مات في شعبان سنة ٥٤٨ هـ ودفن بباب الصغير ، وله ترجمة وافية في تاريخ ابن عساكر .

(الجواهر المضية في طبقات الحنفية . الدارس ج ١ ص ٤٨١ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٨ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠١ ، الروضتين ج ١ ص ٩١) .

(١) في « ح » : في غمرة . (٢) يريد المدرسة النورية الكبرى .

(٣) في « ح » : وإنما هو جنى . (٤) في « ب » : يفوه به .

الفقيه سديد الدين أبو عبد الله

محمد بن يوسف العُقَيْليّ الحَوْرانيّ [(١)]

وعُقَيل قرية من قرى اللّوىٰ بحَوْران . من فقهاء أصحاب [(٢)] أبي حنيفة رحمه الله ، صحب برهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن البلخي [(٣)] بدمشق ، وأخذ عنه ، واستفاد منه ، ورسخت في العلوم [(٤)] قدمه ، وسمت إلى الفضائل هِمَمُه ، وهَمَتْ بالفوائد دِيَمُه ، ودرّس بجامع قلعة دمشق الفقه [(٥)] ، وعدم في مُجاراته المثل والشبه .

ذكره القاضي شمس الدين محمد بن محمد [(٦)] ، وأثنى عليه ، وعلى محاورته [(٧)] ومذاكرته . وقال : لم أر أكثر منه إنصافا ، وإمهاء الخاطر في البحث النظريّ وإرهافا ، وتوفي سنة أربع [(٨)] وستين وخمسمائة ، وله شعرٌ ما بجودته باس ، وله من الأدب والحِكَم قاعدة وأساس .

وأنشدني شمس الدين له من أبيات :

ما أليق الإحسانَ بالأحسن ... عقلاً إلى الكافر والمؤمنِ

وأقبح الظلم بذي قُدرةٍ [(٩)] ... حُكْمٌ في الأرواح مُستأمن

يا من تولىٰ عاتباً مُعرِضاً ... يُعْذَلُ [(١٠)] في هجري [(١١)] فلا ينثني

---

(١) ترجم له ياقوت في معجم البلدان « مادة عقيل » في نحو من ترجمة العماد ، واختار له هذه الأبيات نفسها .

(٢) في « ح » : من أصحاب . (٣) في «ب» : برهان الدين البلخي . وانظر الهامش ٣ من الصفحة ٣٠٧

(٤) في « ح » العلم . (٥) في « ح » : سقطت لفظة (الفقه) . (٦) هو ابن الفراش ، وقد تقدمت ترجمته . انظر ص ٢٨٩-٣٠٦ (٧) في « ح »: محاضرته . (٨) في « ح » : سبع .

(٩) عند ياقوت : ثروة . (١٠) عند ياقوت : يعذل . (١١) في « ح » : في هجرتي .

شمس الدين أبو الحسن [1]

علي بن ثَرْوان بن الحسَن الكِنْدِيّ

كان أديباً فاضلا ، أريباً كاملا ، قد أتقن الأدب ، وقرأ اللغة [2] على ابن الجواليقي [3] وغيره من صدور العلم وبحوره ، ولم يزل الأدب بمكانه مشرقاً في دمشق [4]

---

(١) هو علي بن ثَرْوان بن زيد بن الحسن .. الكندي . ولد سنة ٥٠٠ هـ أو قبلها . الأصل من الخابور ، وقدم بغداد ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره حتى برع ، وكتب بخطه كثيراً من كتب الأدب ودواوين الجاهلية ، وكان يكتب خطاً مليحاً يشبه خط الجواليقي جودة وصحة . انتقل إلى دمشق ، ولقي القبول عند نور الدين الشهيد ، وصار من خاصته . وتوفي بها سنة ٥٦٥ هـ أو قريباً منها .

كان أعلم باللغة والنحو من ابن عمه أبي اليمن (انظر الهامش الثاني من الصفحة التالية) وهو الذي أفاده وأحضره مجالس الأدب والرواية ، ورغبه في ذلك وحثه عليه من صغره .

روى له صاحبا الوافي والشذرات من شعره البيتين :

درّت عليك غوادي المزن يا دار ولا عفت منك آيات وآثار

دعاء من لعبت أيدي الغرام به وساعدتها صبابات وتذكار

(انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ٢١٦ ، والوافي « مخطوط » ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٧٥ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٣٣١ ، وإنباه الرواة للقفطي) .

(٢) في « ح » : قد أتقن اللغة وقرأ الأدب .

(٣) أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن الجواليقي . ولد في ذي الحجة من سنة ٤٦٥ ، وسمع الحديث وبرع في علم اللغة والعربية ، ودرّس في النظامية بعد شيخه التبريزي ، واختصه الخليفة المقتفي — وكان يقرأ عليه شيئاً من الكتب — بإمامته في الصلوات .

إمام من أئمة اللغة والأدب ، ثقة ، ورع ، كامل العقل ، مليح الخط ، كثير الضبط ، صنّف التصانيف من مثل شرح أدب الكاتب ، والمعرّب ، وتتمة درّة الغواص . وتوفي في الخامس عشر من المحرم سنة ٥٤٠ هـ (وانظر في ترجمته وفيات الأعيان ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٤٧٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج١٩ ص٢٠٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج٤ ص٧٨ ، والنجوم الزاهرة ج٥ ص٢٧٧ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٤٠١ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ١٢٧ ، والأنساب للسمعاني ١٣٩) .

(٤) في « ح » : في دمشق مشرقاً .

بنوره ، في آفاق[١] ظهوره . وقد ذكرت تاج الدين الكندي[٢] ابن عمه من أهل بغداد ، وهذا ، لإقامته بدمشق ، أوردته[٣] مع أهلها ، والأصل من الخابور . رأيته بدمشق مشهوداً[٤] لفضله بالوفور ، مشهوراً بالمعرفة بين الجمهور ، موثوقاً بقوله ، مَغْبوقاً مَصبوحاً من نور الدين[٥] بطَوْله . وتُوفِّيَ بعد سنة خمس وستين وخمسمائة . وله شعر كثير ، وفضل نظيم ونثير ، ولم يقع إليّ ما أشدُّ يد الانتقاد عليه ، وأصرف عِنان الانتقاء إليه .

ومن جملة ذلك أنه قصد بعض رؤساء[٦] الزَّبداني وهو الأمير حجّي بن عُبيد الله فلم يجده[٧] ، فكتب على بابه هذين البيتين[٨] ، أنشدنيهما التّاج البلْطِيّ[٩] بمصر :

حَضَرَ الكِنديُّ مَغْناكم فلم يَرَكم مِنْ بعدِ كدٍّ وتعبْ

---

(١) في « ح » : في آثار .

(٢) أبو اليمن ، زيد بن الحسن بن زيد . . الكندي ، تاج الدين ، البغدادي المولد والمنشأ ، الدمشقي الدار والوفاة ، النحوي اللغوي ، المقرىء ، المحدث . ولد في شعبان من سنة ٥٢٠ ببغداد ، ولقي جملة من المشايخ ، كابن الشجري ، وابن الخشاب ، والجواليقي وأخذ عنهم ، وترك بغداد سنة ٥٦٣ ، واستوطن حلب مدة ، ثم انتقل إلى دمشق وصحب الأمير عز الدين فروخ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين ، وسافر في صحبته إلى مصر ، واقتنى النفائس من كتب خزائنها . وعاد يستوطن دمشق ويأخذ عنه الناس . أتقن العربية وانفرد بعلو الاسناد في القراءات والحديث . وتوفي في شوال من سنة ٦١٣ .

(انظر في ترجمته وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٦ ، ومعجم الأدباء ج ١١ ص ١٧١ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٤ ، وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٢٩٧ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٥٤ ، والنجوم الزاهرة ج٦ ص٢١٦ ، والروضتين ج٢ص٤٠٣ وأبياتاً من شعره في الكتاب نفسه ج١ص٢٢٢ ،والوافي «مصورات المجمع العلمي» في المجلدة رقم٨٩ورقم١١٠ ، وترجمةوافية في ذيل الروضتين لأبي شامة ص٩٥–٩٩) .

(٣) في « ب » : وأوردته . (٤) في « ح » : مشهود .

(٥) هو نور الدين زنكي . انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٧٨

(٦) في « ح » : بعض الرؤساء وهو . (٧) سقطت (فلم يجده) في « ح » .

(٨) في قصة هذين البيتين في الوافي « مخطوط » : وقصد جمال الدولة حجا (!) ابن عم الأمير أمين الدولة حاتم فلم يصادفه فكتب على باب الدار حفراً بالسكين : حضر . . وذكر البيتين .

(٩) في الروضتين ج ٢ ص٢٤٣ : والتاج أبي الفتح البلطي فيه (في رثاء القاضي الفاضل) ، وأورد له سبعة أبيات .

لو رآكم لتجلّى همُّه وأُنثنى عنكم بحُسن المُنْقَلَبْ

* * *

وله أيضاً من قصيدة أولها :

هتك الدَّمعُ بصوبٍ[1] هَتِنٍ كلَّ ما[2] أَضمرتُ من سِرٍّ خَفِيّ

يا أخلّاي على الخَيْف أما تتَّقون الله في حَثِّ المَطيّ

---

(١) في « ب » : بصوت . (٢) في الأصلين : كلما .

باب

في ذكر فضائل جماعة من الفضلاء

أيضًا بدمشق

من الكتّاب والأجناد وغيرهم

ابن النقّار الكاتب الدمشقي(1)

أدركتُ حياتَه بدمشق ، وكان شيخاً قد أناف على التسعين وقيل على الـ[illegible] [illegible] كان مليح الخطّ حُلوه ، فصيح الكلام صَفْوه ، وتولىّ كتابة الإنشاء بدمشق(2) لملوك[illegible] من تملّكها نور الدين محمود بن زَنكي رحمه الله(3) ، وكتب له أيضاً مدّةً يسيرة . وله نظم [illegible] ، وشعر مَعْسول ، وتُوفّي سنة ثمانٍ أو تسعٍ(4) وستين وخمسمائة .

فمن شعره السائر و(5) يُغنّى به :

الله يعلم أنني ما خِلتُهُ	يَصْبو إلى الهِجران حين [illegible]

---

(1) ترجم له الحافظ ابن عساكر . ففي تهذيب التاريخ (ج ٧ ص ٢٧٧ بتحقيق الاستاذ [illegible]) :

عبد الله بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحق بن النقّار ، أبو محمد [illegible] الكاتب المعدل . قال الحافظ : قال لي : ولدت سنة تسع وسبعين وأربعمائة بأطرابلس . [illegible] ونشأ بها وتأدب فيها ، ثم انتقل عنها إلى دمشق لما غلب العدو على أطرابلس فقطنها ، وقبل [illegible] أبو سعد الهروي وعدله ، ثم اختاره والي دمشق لكتابة الإنشاء بعد ابن الخياط . وكان [illegible] الخط ، جيد الإنشاء ، له يد في النظم والنثر ، قال الحافظ : وأنشدني لنفسه :

سقى الله ما تحوي دمشق وحيّاها	فما أطيب اللذات فيها [illegible]

وأورد القصيدة في واحد وعشرين بيتاً . .

قال الحافظ : وأنشدني لنفسه من قصيدة :

بادر إلى اللذات في أزمانها	واركض خيول اللهو في [illegible]

وأورد القصيدة في اثنين وعشرين بيتاً .

وترجم له صاحب النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٦٥ » فقال : عبد الله ... أبو محمد [illegible] . . وكان شاعراً ماهراً . . وأورد له بيتين من القصيدة : بادر .. وأربعة أبيات من القصيدة [illegible] ...

(2) لم ترد (بدمشق) في « ح » . (3) سقطت الجملة الدعائية (رحمه‌الله) في «ح» . [illegible] التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٧٨ (4) ليس في « ح » أو تسع . (5) الواو [illegible] نسخة « ح » .

مَنْ مُنصفي من ظالمٍ مُتَعَتِّبٍ (١)	يزداد ظُلماً كلَّما حكَّمتُهُ
ملَّكتُه روحي ليحفظَ مُلكَه	فأضاعني وأضاع ما ملَّكته
لا ذنبَ لي إلاّ هواه ، لأنني (٢)	لمّا دعاني السّقام أجبته
أحبابنا ، أنفقتُ عُمري عندكم	فمتى أُعوّض قَدْر ما أنفقته
وبمن أعود إلى سواكم قاصداً	والقلب (٣) في عَرَصاتكم خلّفته
وَلِمَنْ ألوم على الهوى وأنا الذي	قُدتُ الفؤاد إلى الغرام وسُقته
أأرومُ غيركمُ صديقاً صادقاً	هيهاتَ ، ضاق العمر عمّا رُمته
ياذا الذي جعل الخلاف سجيّةً	فعصيْتُ فيه عواذلي وأطعته
قد كنتُ أعذِل كلَّ صَبٍّ في الهوى	وألومه في العِشق حتى ذُقته
ما لي سوى قلبي وفيك أذبتُه	ما لي سوى دمعي وفيك سكبته

(١) رواية النجوم : متعنّتٍ .   (٢) رواية النجوم : لأنه .

(٣) في « ح » : والخلف .

ومن جملة مولّدي الأتراك الأجناد[1] بدمشق

أحمد بن طرخان[2]

سافر إلى ديار بكر ، وصار والياً بقلعة قريبة من مَيّافارقين ، وغزا الأرمن ، وأبلى في جهادهم بلاءً حسناً . وكان نحويًّا ذكيًّا لَسِناً[3]، وتُوفّي في سنة سبعٍ أو ثمان وستين وخمسمائة ، وله شعرٌ .

فمن ذلك قوله من أبياتٍ يُغنّى بها :

قلبي أشارَ بِبَيْنِهِمْ	وعليه كان[4] وَبالُهُ
فسَلوه بعد فِراقهم	وبِعادهم[5] ما حالُه

---

(١) في « ح » : والأجناد .

(٢) تغيب اللفظة في مصورة « ب » .

(٣) في « ح » : وكان يهوى ذكاء واسماً .

(٤) في « ح » : عاد .

(٥) في « ح » : بعد بعادهم وفراقهم .

ابن الزغلية [1] الكاتب

من أهل دمشق

زين الكتّاب أبو الحسن عليّ بن جعفر بن أسد بن عليّ المعروف بابن الزغلية ، قال : جدّي جوهريّ ، وأبي صائغ ، فلا جرم [2] ، ورثتهما في الصّناعة والصِّياغة ، والخط والبلاغة [3] ، فأنا [4] فيهما مُبالغ . منظوم طُروسه كالجواهر ، وعُقود نقوده [5] كالحَلْي الفاخر ، بل كالنّجوم الزواهر . شيخ بهيّ ، رُواؤه شهيّ ، وخطّه مُقْليّ [6] ، للعلم طِراز وللنظم حُليّ ، لقامه حلاوة ، ولكَلِمه طلاوة .

كان يكتب كلَّ سنةٍ لنور الدين مُصحفا ، ويصير ببرِّه في صرف الصّروف عنه مُتصرّفا ، خطُّه كالرّوْض الأُنُف ، والوَشْي المُفوّف ، والعِذار المقتضّ عُذرة الهوى العُذري ، والزُّلال الصافي لعين الحائم عند رؤيته في طاب الريّ . رأيته وقد نيّف على السبعين ، وتوفي بدمشق في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين [7] .

وأنشدني بدمشق لنفسه سنة إحدى وسبعين من قصيدة زعم أنه مدح بها الصالح ابن رُزّيك [8] وأنفذها إليه إلى [9] مصر سنة أربع وخمسين وهي [10] :

---

(١) في « ب » : الزعلية ، وكذلك ترد في كل مرة .

(٢) في « ح » : فلاسيا .   (٣) ليست (والخط والبلاغة) في « ب » .

(٤) في « ح » : فأنت .   (٥) في « ح » : وعقوده ونقوده .

(٦) نسبة إلى ابن مقلة ، مضرب المثل في تجويد الخط . وانظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ١٨٩

(٧) لم ترد جملة (وتوفي .. وسبعين) في « ب » .

(٨) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ١٨٧

(٩) في « ب » : وأنفذها إلى .   (١٠) لم ترد (وهي) في « ح » .

أَبُثّكما لو أَنّ نائبـةً تَعْرو ... تُفَرَّج بالشكوى إذا غُلب الصبرُ[١]

ولكنّ داء الحُبّ أعيا دواؤه ... ومالي[٢] إلى ما لست أُغنى[٣] به فقر

خليليّ هل أَلفيتُما أَو أَلِفتُما ... سوى الوصل يشفي داءَ من شفَّه الهجر

دعا للهوى مَنْ تَلْحَيان، فقد دعا ... مُجيباً، وكُفّا[٤] العَذْل إن لم يكن عُذر

ستُبدي شؤوني عن شؤونيَ كُلِّها ... وهل لامرئٍ نمّت مدامعُه سِرّ

وخالبـةٍ بالحسنِ حاليـةٍ به ... مُنىً صدقُها خَتْلٌ وصُحبتها[٥] خَتْر

تَشابه جفناها وجسمي وخصرها ... وجانس منها لفظَها العِقد والثغر[٦]

يهون عليها أن يَعِزّ[٧] رُضابُها ... بَروداً على مَنْ حَشْوُ أحشائه جمر

مُنيتُ بما يُوهي الجليدَ وحبّذا ... لو انقاد لي ذا القلب أو أصحبَ الفكر

ومنها في المديح[٨]:

ولو شئتُ أعداني على الدهر إذْ عدا ... أميرُ الجيوش المَلك الصالح[٩] الغَمْرُ

مليكٌ يَعُمّ الأرضَ واكفُ كفّهِ ... ففي كل قُطرٍ من سحائبها قَطر

ومنها[١٠]:

حوى قصباتِ السَّبْق في المجد والعُلى ... ومَنْ دونَه مِنْ دونِه المَسْلكُ الوَعْرُ

---

(١) في «ح»: غاب.
(٢) في «ح»: وما بي.
(٣) في «ب»: اعني.
(٤) في «ح»: وكفّ.
(٥) في «ب»: وصحتها.
(٦) لم يتسع متن البيت في «ح» لهذه اللفظة فاستدركها الكاتب على الهامش، وغاب أكثرها في التصوير.
(٧) في «ب»: نعر.
(٨) في «ح»: في المدح. وقد وردت هذه الجملة في «ب» في آخر البيت التالي.
(٩) في «ح»: الصالح الملك.
(١٠) جاءت في «ب» في آخر البيت التالي.

فيُخفِق عن غاياته كلُّ من سعَى ... ويَخفِقُ في راياته العزّ والنصرُ
تمنّتْ خراسانٌ سياسةَ عدله ... وتاهت على أرض العراق به مِصر

ومنها[1] :

وأكرم نفساً أن يُهَزّ إلى ندًى ... وأكبر قَدراً أن يُرى وبه كِبرُ
يميلُ إلى الشكر الجميل[2] سيادةً ... ويأبى ،وَقاراً ، أن يَميل[3] به السُّكر
فلا طربٌ إلاّ على نغم الظُّبَى ... ولا سُكرَ إلاّ أن يُرنّحه شُكر

ومنها[4] :

أرى ما وراء الحُجبِ عَيْناً بها عَمىً ... وأسْمَعَ ما في النفس أذْناً بها وَقْرُ
إذا ما دجا ليلٌ من الخطب مُظلِمٌ ... تبَلّج من إيراء[5] آرائه فجر
ولا عَيْبَ في أخلاقه غير أنها ... صفتْ فَنَفَتْ ظنَّ الورى أنها الخمر
ولا تِيهَ فيه غير أن يمينه ... بها أَنَفٌ من أن يُقاس بها البحر
فقد غمر العافين ساكنُ يَمّها ... فما ظنُّهم إن هاج آذيُّها الغَمْر
فَمن في النُّهى قيسٌ[6] وفي الجود حاتِمٌ[7] ... وفي عدله كسرى[8] وفي بأسه عمرو[9]

---

(١) هذه اللفظة من « ح » . (٢) في « ح » : الجزيل .
(٣) في « ب » : يميد . (٤) جاءت في « ب » في آخر البيت التالي .
(٥) في « ح » : ابداء .
(٦) هو قيس بن زهير العبسي ، أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق . ورث الامارة عن أبيه ، واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان . حكمه مستفيضة وخطبه غير قليلة ، وشعره جيد . زهد في آخر عمره فرحل إلى عُمان وعفّ عن المآكل حتى أكل الحنظل ، وما زال في عُمان حتى مات . =

له قلمٌ يَعْنو له مُبْرَمُ القضا | وتعجِز عن أفعاله البيض والسُّمرُ
وساحةُ صدرٍ ضاق عن رُحبها الفضا | وراحةُ جودٍ شحَّ عن سَحِّها القَطر

ومنها :

مِنَ القوم إن أَبدَوْا أعادوا وإن عَدَوْا | أبادوا ، وإن أَجْرَوْا إلى غاية جَرّوا
بُحورٌ إذا أجدَوْا ، بدور إذا بدَوْا | لُيوث إذا كرّوا ، غُيوث إذا برّوا[1]
إذا قيل هذا صائلُ الدّهر أقدموا | وإن عَرضت إحدى الدّنايا لهم فرّوا
تطيع المنـايا والأمانيُّ أمرَهم | فإن حاربوا ساءوا وإن سالموا سرّوا

ومنها[2] :

أيا كاشف الغماء إن جلّ فادحٌ[3] | ويا مُسبغ النَّعماء إن مَسّنا ضُرُّ

معدود في الأمراء والدهاة الشجعان والخطباء والشعراء ، ويضرب بدهائه المثل فيقال : أدهى من قيس ابن زهير ، وكان يلقب بقيس الرأي .
(الأعلام ، ومجمع الأمثال الميداني ج ١ ص ٢٥٠ ، وفرائد اللآل في مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٤)

(٧) حاتم الطائي ، فارس شاعر جواد ، جاهلي . له أخبار وأشعار ، يضرب المثل بجوده .
(انظر ترجمة وافية له في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٢١)

(٨) كسرى : لقب عام يطلقه العرب على ملوك الفرس ، والمعروف منهم بالعدل كسرى أنو شروان ، وقد حكم قبيل الاسلام قرابة نصف قرن ، واقترن زمنه في التاريخ الاسلامي بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبمهاجمة الأحباش مكة عام الفيل (انظر الجزء الأول من الطبري) .

(٩) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة . وفد على المدينة في جماعة من قومه بني زبيد ، فأسلم وأسلموا . وكان فيمن ارتد بعد وفاة الرسول ، ثم عاد إلى الإسلام وشهد القادسية . كان عصي النفس ، أبيا ، فيه قسوة الجاهلية ، وأخبار شجاعته كثيرة . وله شعر جيد . توفي في سنة ٢١ على مقربة من الريّ . (الأعلام والإصابة ج ٣ ص ١٨ – ٢١)

(١) في « ح » : ترّوا (٢) وردت في « ب » في أول البيت السابق .

(٣) في « ب » : قادح .

حفظتَ ثغور المسلمين وصانعتْ صروفَ[1] الرَّدى عنهم صنائعُك الغرُّ

فلا دعوةٌ إلاّ وأنت « مُقيمها ولا دولةٌ إلاّ وأنت لها ذُخر[2]

ولا مُقترٌ إلاّ وأنت » له غنىً ولا مُعسِرٌ إلاّ وأنت له يُسر[2]

ومنها :

فَهُنِّئَتِ الأيّام منك بمالكٍ به انتصر الإسلام وأُخذل الكفرُ

ومنها :

طوتني خطوبٌ للزمان شديدةٌ وأنت امرؤٌ في كفّه الطيُّ والنَّشْرُ

أقمتُ على رَغمي وقلبيَ راحلٌ فجاء إلى عُلياك يعتذرُ الشِّعر

* * *

وأنشدني له في الصّالح بن رُزِّيك[3] من قصيدة ، في سنة ثلاث وخمسين :

مَناصِح الفكرِ[4] في نجْواك[5] مُتَّهَمُ وفاخر الشّعر[6] مِنْ[7] لُقياك مُحتشِمُ

ومنها[8] :

يا أيُّها الملك الأعلى الذي شهدتْ بفضله الأمّتان العُرْبُ والعجمُ

أنت الذي بك يَدري من له أَربٌ قَدْرَ الكلام إذا لم تُعرَف القِيَمُ

---

(١) في « ب » : ثغور .

(٢) يمتزج البيتان في « ح » في بيت واحد بإهمال ما بين الفاصلتين « » .

(٣) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ١٨٧

(٤) في « ب » : مناصح الشعر . (٥) في « ب » : في نحواك .

(٦) في « ب » : التمر . (٧) في « ح » عن .

(٨) جاءت في « ح » بين البيتين : يا أيها الملك ؛ وأنت الذي .

شمسٌ ، وكلُّ ضياءٍ بعده ظُلَمٌ ... بُرْءٌ ، وكلُّ صلاحٍ بعده سَقَمُ

ومنها :

وحلّ في صدر دَسْت الملك منه فتىً ... يستوقف الطَّرْف ، في عِرنينه شَمَمُ
حالٍ بِدرِّ المعالي جِيدُ همّته ... عالٍ على رأسه من مجده عَلَمِ
يُرجى نَداه ويُخشى حَدُّ سطوته ... كالغيث والليث ، مِفْضالٌ ومنتقم

ومنها :

وهل يخاف صُروفَ الحادثاتِ فتىً ... أضحى بحبل أَبي الغارات يعتصمُ
بمطفِىءِ جَمراتِ الرَّوْع وهي لظىً ... تُذْكَى بوقع المواضي فهي تضطرم
بخائضٍ لججَ الهيجاء يسبحها ... وموجُها من[1] قلوب الدّارعين دم
بمُشْرِقِ الرأي ، والآراء مُظلمةٌ ... وثابتِ الجأْش ، والأَبطال تصطدم
ومُبصِرِ الأمر ، والأَقدارُ تستره ... عن أَن يراه البصير الحاذِق الفَهِم
غيثٌ إذا أُنهِلَ روّى كلَّ ذي ظمإٍ ... له السّماح سماءٌ والندى دِيَم
ليثٌ مَخالبه بيضٌ مُجرَّدةٌ ... بُتْرٌ ، وسُمْرُ العوالي حوله الأَجم

ومنها :

يا مالكاً في مواليه له نِعَمٌ ... تَتْرى وعند مُعاديه له نِقَمُ

ومنها[2] :

فمن يناوئك في هذا الأَنام وفي ... يمينك الماضيان : السيف والقلمُ

---

(١) في « ب » : في . (٢) لم ترد في « ب » .

أَمْ مَنْ يباريك في حزمٍ ومأْثَرَةٍ وعندك المُسْعِدان : الرأْي والحِكَمُ

ومنها :

إنّي أُجِلُّك أن أَلقاك مُشتكياً إلى عُلاك هموماً كلّها هِمَمُ

أُغالط النفسَ بالتسويف في زمني فعَيْن حاليَ تبكيني وأبتسم[1]

وكم معافىً تروق العينَ صورتُه وحشوُ أحشائه من همِّه أَلَمُ

وإن قضى لي بتأخير الندى ومضى فمُقتضيك العُلى والجود والكرم

* * *

وأنشدني[2] له من قصيدة يهنّىء فيها ببُرْء الملك العادل نور الدين[3] رحمه الله[4] :

بُرْءٌ أَبرَّ على إرواء باكرةٍ من السّحائب ظمآنَ الثرى جَدِبا

شفَى به اللهُ مجداً قد أَلَمَّ على[5] شَفاً ، وأَحيا حَياً أَبلَلْتَ فانسكبا

ومنها :

يا أَفصح العَرب العَرْباء قاطبةً وإن غدا لملوك التُّرك مُنتسِبا

ماجال طرفُ[6] الكرى في جفنِ مأْثَرَةٍ حتى تصرّم عنك الداءُ وانجذبا

عفَّتْ عوافيك آثارَ الهموم فما أبقت لها في فيافي فكرةٍ أَربا

وردَّ دونك ، نورَ الدين ، قاصرةً أَيدي المُلِمّ أيادٍ تخْجِل السُّحُبا

---

(١) في « ح » : وتبتسم .

(٢) جاءت هذه القصيدة في « ح » في هامش الصفحة ، كأن الكاتب سها عنها فانتقل إلى القصيدة الرائية التالية لها ، ثم عاد فاستدرك السهو .

(٣) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٧٨

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في « ح » .

(٥) في « ح » : قد أَلمت به .

(٦) في « ح » : طيف .

يا رحمةً عمّت الإسلام قاطبةً ونعمةً خصّتِ الأهلين والقُربا

حاشا جمالك أن يكساه طيفُ ضنًى وثوب عزّك أن تُنضاه مُستَلَبا

ولا عَرَتْك من الآلامِ حادثةٌ تُضحي لها عن عيون الناس مُحتَجِبا

ومنها[1] :

وعش مُنيلَ ذوي ودٍّ، مُبيدَ عدًى ماشئت ، مَرْجُوَّ آلاء ، مَخُوف شَبا

إن أمّ سعدَك طرفُ الحادثات كبا أوْ رام مجدَكَ نابُ[2] النائبات نبا

* * *

وأنشدني له من قصيدة في نور الدين محمود بن زَنكي رحمه الله وكان قد أهدى له مصحفاً بخطّه :

يا جُنّةً إن رماني سهمُ حادثةٍ وجَنّةً ليَ إن خُوِّفتُ بالنارِ

وفي القناعة لي عِزٌّ أصولُ به لكنّ عائلتي يهوَوْن إيساري

إذا ذكرتُ لهم فضل القناعة لم يسمَعْن وعظي ولم يقبلْن أعذاري

وليس لي[3] شافع أرجو النجاة[4] به سوى كتاب عظيمِ المُلكِ جبّار

لو أن حظّي كخطّي كنت أكسِب من دون الورى كلَّ يومٍ ألف دينار

فليت حظّي كخطّي في ملاحته وليت رزقي كآدابي وأشعاري

زيادةُ الحِذْق نقصُ الرزق فارْضَ بما تُؤتى[5] ولا تتكفّر فِعْلَ كفار

وقد طوى الله سرّ الغيب مقتدراً عنا لينفذ فينا حُكمه الجاري[6]

(١) لم ترد اللفظة في « ح » .

(٢) في « ح » : باب .

(٣) في « ح » : في .

(٤) في « ح » : النجاح .

(٥) في « ح » : توق .

(٦) في « ب » : لتنفد فيها حكمة الجاري .

يقوى رجائي وفرطُ اليأس يُضعِفُه ... فتنقضي مُدّتي في غير إيثاري

ذقتُ النعيم وذُقت البؤس في زمني ... فما وفى ليَ إحلائي بإمراري[1]

واحَسْرتا لتقضّي العمر في لعبٍ ... أقضي ولم أقضِ أغراضي وأوطاري

عسى إلٰهي ، إذا ما مِتُّ ، يغفر لي ... فإنه خير منّانٍ وغفّار

* * *

وأنشدني له[2] في المؤيّد ابن العميد بدمشق من قصيدة :

وله من ضوامر الصُّمِّ رُقْش[3] ... جاريات بوعده والوعيدِ

فإذا نمنم الكتابة في الطِّر ... س أرانا وشياً كوشي البرود

وإذا أنشأ الكلام ووشّا ... د شأى فيه فنَّ عبدِ الحميد[4]

وأبو الفضل ابن العميد[5] مُقِرٌّ ... ذو اعترافٍ بالفضل لابنِ العميد

وله في القريض غُرٌّ معانٍ ... حار فيها الوليد[6] وابنُ الوليد[7]

---

(١) في « ح » : احلاء وامراري .

(٢) في « ح » : . . له من قصيدة في المؤيد . .

(٣) في « ح » : خيل . وذكرت اللفظة في الهامش .

(٤) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٢٥٧

(٥) انظر الهامش الأول من الصفحة ٢٥٧

(٦) يريد أباعبادة البحتري ، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أحد الذرى الشعرية الثلاث : المتنبي وأبي تمام والبحتري . ولد سنة ٢٠٦ في منبج وارتحل إلى العراق ، واتصل بالخلفاء والأمراء وامتدحهم ، وقصر أكثر شعره على المتوكل ، وعاد إلى الشام ، وتوفي بمنبج سنة ٢٨٤ .

(٧) هو مسلم بن الوليد ، أبوه الوليد مولى الأنصار ، كوفي نزل بغداد ، وكان مداحاً مجيداً ، مفوهاً بليغاً . =

وأيادٍ من الصنائع بيضٌ تسترقّ[1] الأحرار رقّ العبيدِ

عرَف العارفون فضلك بالعلـــــم وقال الجهّــــال بالتقليد

* * *

وأنشدني له من قصيدة في[2] مدح القاضي كمال الدين ابن الشهرزوريّ[3] :

بكُتبك تنفكّ الكتائب نُكَّصاً منكّسةً راياتُها لا تُعقّبُ

إذا تُليت خال[4] العدوّ كلامها كِلاماً، وما عنها فؤادٌ مُحجّبُ

وأقلامُك اللاتي بها تَصْدَع القنا وتقضي على حدّ السيوف وتقضب

إذا ما علت فوق الطروس حسبتها خطيباً على أعلى المنابر يخطب

بأسودِها تبيضّ كلّ مُلمّةٍ وتخضرّ منها الأرض، والعامُ أشهب

وما طاب في الأرض العريضة نفحةٌ لعِرْض امرئٍ إلاّ ونَشْرُك أطيب

* * *

وأنشدني له من قصيدة في كمال الدين ابن[5] الشهرزوريّ :

أَصلِيَ فؤادَك ذكرُه أهلَ الغضا لمّا استقلّتْ عيسُهم جَمْرَ الغضا

وحدا بركبهمُ شُروقاً سائقٌ عَجِلٌ، إذا وَنَتِ الركائبُ حَرّضا

= مدح هرون الرشيد والبرامكة، والرشيد هو الذي سماه «صريع الغواني». يقول أبو تمام: أشعر الناس وأسهم كلاماً، بعد الطبقة الأولى، بشار والسيد الحميري وأبو نواس، ومسلم بن الوليد بعده. توفي سنة ٢٠٨. (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦)

(١) في «ح» يسترق.   (٢) في «ح»: وله من قصيدة في..

(٣) انظر في التعريف به الهامش الرابع من الصفحة ٢٤٦

(٤) في «ح»: حال.   (٥) سقطت (ابن) في «ب».

وظللتَ تَتْبعُهم وقلبك خافقٌ كالبرق في جُنح الدُّجُنَّةِ أَوْمضا
ودموع عينك قد مرَتْها زَفْرةٌ مُذْ خَيَّمتْ رَحلَ السّرورُ وَقُوِّضا
وبأيْمُن الأَظعان[1] في أحْداجهم نَجْلاء يَشْهَر لحظُها سيفَ القضا
غرّاء تحكيها الغزالة في الدُّجى نوراً ويحكيها الغزال تعرُّضا
ميّالةُ الأعطاف ناعمة الصِّبا لو لامستْ حجراً أصمّ لَرَوَّضا
فتانةٌ مِلء المجاسد ، أوْدَعتْ في القلب داء للمنيَّة عرَّضا
نجني الشقيقَ[2] مُذهَّباً من خدِّها بلحاظنا ، والأُقحوانَ مُفضَّضا
صَدَّتْ وشطّ مزارها وتنكَّرت وغدا مُمَرَّ عهودها مُتنَقِّضا
قد كنت جاراً ياهنيدةُ برهةً ما بين كاظمةٍ إلى ذات الأَضا
لهْفي على زمنٍ بقُرْبكِ فاتني ياليتني استقبلت منه ما مضى
واهاً لدهر غالنا بصُروفه وأعارنا إحسانه ثم اقتضى
فسقىْ زمانَ وصالنا مُتراكِمٌ كندى كمال الدين أعني[3] المرتضى

ومنها :

لو لم يكن لبنانه شِيَمٌ[4] الحيا ما أزهر القِرطاسُ منه ورَوّضا[5]
ما جاش في صدر المُلطَّف صدره إلاّ ظننت الجيشَ قد ملأ الفضا[5]

---

(١) في « ح » : الأضعان . (٢) في « ح » : الشقائق .

(٣) موضع اللفظة فراغ في « ب » . وفي هامش النسخة التعليقة التالية : « كذا في الأصل وصوابه كندى الكمال أبي على المرتضى ، أو كندى كمال الدين ابن ، على ما في النسختين » .

(٤) في « ح » : سيم . (٥) تقدمت نسبة هذين البيتين في الخريدة للقيسراني . انظر ص ١٢٨ .

ومنها (٢) :

قومٌ إذا عبس الزّمان تهلّلوا ... بمكارمٍ زَخَرت بحوراً فُيَّضا

شرعوا على دين السماح شريعةً ... قضتِ المكارمُ أن تُسَنّ وتُفْرَضا

---

(١) لم ترد اللفظة في « ب » .

نشوء الدولة أبو الفضل

أحمد بن عبد الرحمن بن عليّ بن المبارك السُّلميّ [1]

من دمشق من بني نفاذة[2] شابٌّ مُحِبٌّ للفضل، حريص على تحصيله، بجملته وتفصيله، وقد كتب ديوان[3] شعري ورسائلي، وهو يتولّى[4] الإشراف على الحُزْي بالقلعة.

أنشدني له من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين[5] سنة سبعين حين أخذه[6] دمشق:

بدا في سماء المُلْكِ من شخصك البدرُ	وقابله الإقبال والفتح والنصرُ
ومُذْ[7] حلَّ برجَ السَّعْدِ في خير طالعٍ	وأيمنه، مِنْ حوله الأَنْجُم الزُّهْر
وجلّى ظلامَ الشِّرْكِ إقبالُ[8] نوره	فأصبح مخذولاً له الذلُّ والقهر

---

(١) انظر بعض المختارات الشعرية له في الروضتين ج ٢ ص ١١ و ص ٢٠٩ . ويسميه نشو الدولة أحمد بن نقادة الدمشقي في مرة، ونشو الدولة أحمد بن نفاذه في المرة الثانية.

وفيمن ترجم لهم صاحب الفوات: ابن نقادة . . لم يذكر له إلا هذه التسمية، وإلا بيتين ملغزاً فيهما باسم يوسف . وقد جاءت الترجمة بعد من اسمه أحمد بن عبد الدائم وقبل من اسمه احمد بن عبد الرحمن .

وترجم له الصفدي في الوافي (مصورات المجمع العلمي العربي رقم ٨٦) ومما قال عنه : عاش ستين سنة وتوفي سنة إحدى وستمائة، وله مدائح كثيرة في السلطان صلاح الدين الكبير وفي أولاده وأخيه العادل وجماعته . وهو أحد المشهورين بحسن النظم . ثم أورد له طائفة من المختارات، وانتهى إلى قوله : وكان مع هذه القدرة على النظم وحسنه يسرق السرقات الفاحشة بالمعنى واللفظ فيظهر ذلك لمن له أدنى اطلاع وأيسر ذوق . ومثّل لذلك بسرقاته من الأرّجاني .

(٢) في « ح » : نفاثه .

(٣) في « ح » : ديواني .

(٤) في « ب » : يتوالي .

(٥) لم تذكر (صلاح الدين) في « ح » .

(٦) في « ح » : حين أخذ . .

(٧) كذا في الأصلين . ولعلها : وقد .

(٨) في « ح » : إشراق .

أتى بعدما نادت دمشقُ لبعده إلى ربِّها : تاللهِ مسَّنيَ الضرُّ[1]

شكت بعده لمّا توطّن غيرَها وقالت ، وكم أمثالها ، ليتني مِصر

وكانت له يعقوبَ إذ هو يوسفٌ فأضحت به تزهو وباشَرَها البِشْرُ

ومنها :

إذا اُسودّ خطبٌ دونه الموت أحمرٌ أتت بالأيادي البيض أعلامه الصُّفْرُ

فمذ ظهرت منصوبةً[2] جُزِمَتْ بها ظهورُ العدى ، من رفعها انخفض الكُفْر

فللّه حمدٌ[3] لا يزال مُجَدَّداً على ما حَبا من فضله وله الشكر

أتاح لنا من بعد يأسٍ مبرّحٍ مليكاً غدا من بعض خُدّامه الدهر

ومنها :

ولِمْ لا يجوز الأرض شرقاً ومَغرِباً ولله في إعـلاء رُتْبته سِرُّ

وكم اصلاح الدين ، مُذْ كان ، من ندًى إذا ضوّع[4] النادي به خَجِل العِطْر[5]

فيا مِلكاً[6] أعيا الملوك اقتدارُه وتاهت به التّيجان والمُلْك والعَصْرُ

وصار سَماع الناس عن جود كفه عَياناً ، فقالوا : صغّر الخَبَرَ الخُبْرُ[7]

وقد أَدْنتِ الأيامَ مَنْ كان يُرْتجى وَكَرَّ غِنىً جَدْواكَ وانْهزم الفقر

* * *

(١) سقط البيت في « ح » .

(٢) في « ح » : منصورة .

(٣) في « ح » : حمداً .

(٤) في « ح » : صوّع .

(٥) في « ح » : القطر .

(٦) قبل هذا البيت في « ح » : ومنها :

(٧) في « ح » : الخُبر الخَبر .

ومدحني بدمشق ، وقصدني بقصيدة نسج فيها على مِنْوالي في طلب التجنيس أوّلها :

إنّ مَنْ[١] أمرضتُمُ لا يُعادْ فاستمعوا عنه[٢] حديثاً يُعادْ

وأستخبروا ريح الصَّبا هل صَبا إلى سواكمْ أو عن الحدِّ حاد

وهل هواءٌ[٣] مُخْبِرٌ عن هوًى يُقصِّر ، فالوجد[٤] به ذو أمتداد

إنْ قالّ يومَ البيْن صبري فقد أضحى سَقامي بكم ذا أزدياد[٥]

ومنها :

أَطالَ من فَرْط ضلالي أسىً أَسأَلُ عن أخباركم كلَّ غادْ

ما ضرَّكم لو طاف بي طيفكم وهل يزور الطيفُ إلفَ السُّهاد

فإن سمحتم بِسُراه إلى أَسيركم ، فلْتأْذنوا بالرُّقاد[٦]

يا ساكني قلبيَ ، يا ساكبي ماءَ بجفني ، يا مُضيعي الوداد[٧]

كيف تجورون على جيرةٍ وقد حَلَلْتُمْ منهم[٨] في السَّواد

ضَنَّتْ سُلَيْماكم[٩] بتسليمها ولم[١٠] تساعدنا بوصلٍ سعاد

واهاً لوَصْلٍ بالجفا ما وفى منكم ، وقُرْبٍ بالقِلى ما أَفاد

إذا دنوتم ونأى وصْلُكم سِيّان عندي قُرْبُكم والبِعاد

أَبلغتُمُ الأَعداء فيَّ المُنى ونال منّي حاسدي ما أراد

---

(١) في « ح » : إن الذي .
(٢) في « ح » : منه .
(٣) في « ب » : وهل هواه .
(٤) في « ح » : والوجد .
(٥) في « ح » : في ازدياد .
(٦) في « ح » : في الرقاد .
(٧) في « ح » : الفؤاد .
(٨) في « ح » : منها .
(٩) في « ح » : سلمى لى بتسليمها .
(١٠) في « ح » : فلم .

يا طيبَ أيامٍ مَضتْ بالحِمىٰ وعَيْشنا بالخَيْفِ لوْ كان عادْ
مرّ كأيّام الصِّبا وانقضى وكان أشهىٰ من بلوغ المرادْ
وشادنٍ دام ثنائي على قَوامه لما تثنّى[1] وماد
ريمٌ رماني بشَبا لحظه وصدّ عني حين للقلب صاد
جرّد سيفاً جفنُه جفنَه يَزينه[2] من عارِضَيْه نِجاد
قد كتب الحُسْنُ على خدّه خطّاً له أسودُ قلبي مِداد
ظبيٌ تصيد الأُسْدَ ألحاظُه يا لِلأُسودِ بظِباء تُصاد
يقتل من أضحى له عاشقاً ولا[3] يعاف القتل من لا يُقاد
يا صنماً كلُّ محبٍّ له مِنْ حسنه يعبده أو يكاد
راقت معانيه وأوصافُه فأشبهت رِقّةَ ماء الثِّماد
دقّتْ عن الأفهام حتى حكت عبارةَ المولى الأجلِّ العِماد
الواضح المشكل من عِلمه للخلق ، والناهج سُبلَ الرشاد
هَداه بل أهداه ربُّ الورىٰ فهو لمن ضلَّ عن الحق هاد
جِداله يُنبيك عن خاطرٍ يَفُلُّ غَرْبَ العَضْب يوم الجِلاد
يا مَنْ غدا دينهمُ واحداً واختلف المَذهب والاعتقاد
دعوا الدعاوى وإليه ادّعوا فإنما تقليدُه الإجتهاد
واعتمدوا تسليم ما قاله لِتربحوا منه عناءَ العِناد

(١) في « ب » : انثنى . (٢) في « ب » : تزينه . (٣) في « ح » : وما .

كَبْتُ الأعادي(١) ما حوت كُتبه ... مِن حِكَمٍ تُحْييه(٢) حتى المَعادْ
ما روضةٌ غنّاء ، أشجارُها ... أضحى قريباً عهدُها بالعِهاد
أغاثها الغيثُ وأحيا الحيا ... ما كان منها قد تعفّى وباد
إذا بكى الغيثُ بها يلبس الـ ... ـبنفسَجُ الغضُّ ثياب الحِداد
والقطرُ لمّا عمَّ أقطارَها ... عمّم بالنبت رؤوسَ النِّجاد
وكلُّ غُصن قد نشا وانتشى ... مُنذ(٣) تربّى في مُهود المِهاد
تختالُ تيهاً بالصِّبا لا الصَّبا ... والزَّهر يَزْهى إذ له الجَوْد جاد
أبهجَ مما أوْدَعَتْ طِرْسَهُ ... يدٌ لها منه علينا أياد
وخاطر يُشهِدنا أنه ... أفصح من ينطِق علماً بضاد
يقدَحُ فِكراً ما خَبتْ ناره(٤) ... قطُّ ولا تَصْلِد(٥) منه الزِّناد
أقلامه أضحت بها قسمةُ الـ ... ـأرزاق والآجال بين العباد
طاب نِجاداً وزكا مَحْتِداً ... وشاد بنيان المعالي وساد(٦)

ومنها(٧) :

أيا عِماد الدين يا مَنْ به ... قد راج سوقُ الفضل بعد الكساد
أنتَ جوادٌ وِردُ(٨) إنعامه ... وارِدُه لم يخش يوماً جُواد(٩)

(١) في « ح » : المعادي . (٢) في « ح » : محيه . (٣) في « ح » : منه .
(٤) في « ح » : تارة . (٥) في « ب » : ولا يصله : وصَلَد الزَّندُ : صوّت ولم يور .
(٦) في « ب » : وشاد . (٧) في « ح » : منها . (٨) في « ب » : برد .
(٩) في « ح » : وارده لم يخس يوماً حواد . والجُواد : العطش أو شدته .

ومنها :

وكيف أُهدي نحوه مِدْحةً ولفظهـا من فضله مُستفاد

أتته في وزنٍ سريعٍ إلى خدمته تسعى بغير اتّئاد

رَوِيُّهـا [(١)] روّاه إنعامه فما لها ، لولاه ، قوتٌ وزاد

ومنها [(٢)] :

فاْسلم لعبدٍ أنت أنشأته فهْو بما أَوْليتَه ذو اعتداد

وعِش ، سَمِيَّ المصطفى ، راقياً ذُرَى المعالي ، والعِدَى في الوِهاد [(٣)]

---

(١) في « ح » : لرّيها .
(٢) لم ترد في « ب » .
(٣) في « ح » : وهاد .

المهذّب أبو طالب [1]

محمد بن حسّان بن أحمد بن الحسن بن الخضر [2]

الدِّمشقيّ المَوْلِد ، اليمنيُّ الأَصل ، كَهْلٌ من أهل الفضل ، عديم المِثل ، في النظم والنثر الممتنع السهل ، الرائق [3] الجزْل ، له الفصول المسجوعة في كلِّ فن ، والكَلِم المطبوعة بكلّ حُسن ، وكلامه بضاعة وُعّاظ دمشق وقُصّاصهـا ، وهو مسبوك من إبريز الحِكم وخِلاصها ، مَحوكٌ من لُبّ المعاني ومُصاصها ، ونثره كالدّرّ النظيم ، يُرصِّعه بالمَنطق الإيادي [4] ، في نطـاق كلام العِباديّ [5] ، وله مبتكرات رائقة ، ومخترعات رائعة ، ومبتدعات مَليحة ، ومذكّرات صحيحة .

زارني في دمشق في المدرسة التي أُدرّسُ فيها [6] ، لِمودّةٍ يُصفيهـا ، في رابع عشر

---

(١) ترجم له الوافي ج٢ص٣٣٠ ناقلاً عن الخريدة (على مثال ما في نسخة «ب») واختار له طائفة من الهمزية التالية وقال : قلت : شعر متوسط . وترجم له القفطي في «المحمدون من الشعراء» ترجمة موجزة فقال عنه : فاضل كامل قليل التهجم على معرفة الناس وخلطتهم ،له أدب وفضل وشعر رائق . واختار له ١٢ بيتاً من الهمزية التالية .

(٢) في « ح » : محمد بن بختيار بن أحمد بن الحسن بن الخضر . .

(٣) في « ح » : والرائق .

(٤) هو قُسّ بن ساعدة الإيادي ، أحد حكماء العرب في الجاهلية ،وأسقف نجران . خطيب معروف كان أصلاً لبعض تقاليد العرب الخطابية ، فهو أول من خطب متوكئاً على عصا أو سيف ، وكتب من فلان إلى فلان ، وقال في كلامه أما بعد . معدود في المعمّرين، طالت حياته وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة . (الأعلام)

(٥) الظن أنه يريد عديّ بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي المشهور ،أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى .

(٦) هي المدرسة العمادية داخل بابي الفرج والفراديس . بناها نور الدين برسم خطيب دمشق أبي البركات الخضر ابن شبل الحارثي . ولما قدم العماد من بغداد إلى دمشق في شعبان من سنة ٥٦٢ أنزله القاضي كمال الدين الشهرزوري (انظر الهامش الرابع من الصفحة ٢٤٦) بها ؛ فنسبت إليه لسكناه بها . ثم فُوّض إليه أمر التدريس فيها في رجب من سنة ٥٦٧ . (انظر الدارس ج٢ص٤٠٦ وابن خلكان في ترجمة العماد)

ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . وهو قليل الانبساط في قصد الناس ، كثير الاحتراز والاحتراس . فحين ظفِرتُ به شددت يدي عليه ، وملت بجانبي إليه [1] ، وقلت له : طالما ماطلني الزمان بدَيْن لقائك ، وناصلني [2] في دِين إخائك ، وعاقتني الأقدار عنك ، وراقتني الآثار منك ، حتى صدّق الخُبْرُ الخَبَرَ ، وحقّق النظرُ الأثر ، والآن حين سمح القدر ، ومَنَح الظفر ، فنصرف هذه الأوقات إلى اقتناء أقوات الأرواح ، ونديرُ بمجاورتك لِصَرْف همّ الفضل من مغناك [3] المستلَذّ صِرْفَ الراح . وجاذبْتُه أطراف الكلام ، وأعطاني المعاني الحسان الكِرام ، ونشدتُ عند إنشاده ضالة الفضائل ، وحاورتُ منه سَحْبان وائل [4] . فما أنشدنيه لنفسه من قصيدة [5] :

أظُبىً تجرّدُ من عيون ظِباء ... يوم الأُبيرق تحت ظِلّ خِباء

أمْ أسدُ خِيسٍ أبرزت لطعاننا [6] ... ورماحُهُنّ لواحِظُ الأطلاء

عاقت أسِنّتُهنّ في عَلَق النُّهى ... منا ، فلم تخرج [7] بغير دماء

وهززْنَ أعطاف الغصون فثقّفْننا [8] ... بل سُقْنَنا بأزِمّة البُرَحاء

والرَّكْب بين أثَيْلٍ منعرجَ اللِّوى ... والجِزْع ، مُزْوَرٌّ إلى الزَّوْراء

تُخْفي هوادِجُه البدورَ وقلّما ... تَخْفى بدورُ التِّمّ في الظلماء

ويَلُحْنَ من خَلَل البَراقع مثلما ... في الدَّجْن لاحتْ غُرّة ابن ذُكاء

---

(١) لم ترد (إليه) في « ح » . (٢) في « ح » : وناصلني . (٣) في « ب » : الفضل من مغناك .

(٤) هو سحبان بن زفر الوائلي من باهلة ، خطيب يضرب به المثل في البيان . اشتهر في الجاهلية وعاش زماناً في الإسلام وتوفي سنة ٥٤ هـ . (٥) سقطت (من قصيدة) في « ح » .

(٦) في « المحمدون من الشعراء – مصورات المجمع العلمي العربي » : أظعاننا .

(٧) في «المحمدون» : فلم تجرح . (٨) في « المحمدون » : تشفياً .

بين الحواجب[1] والعيون مَصارع الـــعشاق لا في ملتقى الأعداء

وقُدود أغصان الُخدوج[2] كأنها الـــألفات فوق صحائف[3] البيداء

من كل هَيْفاء القَوام مُزيلةٍ بالاحظ منها عَقْل قلب الرائي

تُملي أحاديثَ الجوى بجفونها سِرًّا ، وتشكو الشوق بالإيماء[4]

وحديث أبناء الغرام بحاجبٍ أو ناظرٍ ، من خَشية الرُّقباء

واهاً لقتلى عِشقٍ كلُّ مُذيبةٍ بالصدّ قابَ الصخرة الصمّاء

قتلوا بأسياف العيون ، وضائعٌ دمُ من يطالب مُقلةَ الحسناء

وإذا الهوى سُلَّتْ صوارمُه على قلبٍ فصاحبُه من الشهداء

ومُهَفْهفٍ نَضِر الصِّبا ، ثَنَتِ الصَّبا منه كقَدِّ الصَّعْدة السمراء

مُتَلثِّم بالشمس خَشيةَ ناظرٍ يُدميه منه بصارم الإيحاء

قمرٌ منازله القلوب ، وشرقُه فلك الُجيوب[5] ، وغَربه أحشائي

سقت المَلاحةُ وَرْدَ روضة خدِّه طلَّ الحيا وسُلافة الصَّهباء

فحماه عن لثم الشفاه بعقرب سوداء ، في كافورةٍ بيضاء

دبّتْ فأحرقها الشُّعاع فأمسكت عن سعيها[6] من خيفة اللألآء[7]

أمُعيرَ غُصْنِ البان هَزَّةَ عِطفه تيهاً ، ورقةَ جسمه الماء

(١) في « ح » : بين المصارع .

(٢) في « ب » : الجدوح .

(٣) في « ح » : صحيفة .

(٤) في « ب » : بالإيحاء .

(٥) في « ح » : الجنوب .

(٦) في « ح » : شمها .

(٧) في « ح » : اللأواء .

ومجرِّداً بيد الجمال على الورى هِندِيَّ لحظ المُقلةِ الحَوْراء
أترى[١] ظهير الدين فيما يقتضي عينـاك يوم تشاجُرِ الآراء

* * *

وأنشدني له من قصيدةٍ أولها :

أرأيت أحداقاً قُلِبْن قواضِبا يَفْلُلْن[٢] مُرْهَفَة السيوف مَضاربا
تالله ما استصوبتُ رأي أُولي نُهًى جعلوا مديح الباخلين مكاسبا[٣]
واُستمطروا سُحُبَ الأَكُفِّ فأمطروا نِعماً ، ولكنِ تستحيل[٤] مصائبا

* * *

وقوله من قصيدة في المعنى أولها :

أذكى صَبابتك الخليطُ الرّاحل[٥]

ومنها[٦] :

لا أبتغي عَرَضاً[٧] ولا تصحيفه والوُدّ منك يقلّ عنه النّائلُ
فَعلام يخضعُ ذو النُّهى لمحقَّرٍ فانٍ ، وأيام الحيـاة قلائلُ

ومنها في المدح :

ولرمحه وحسامه وسهامه رعدٌ وبرق في العَجاج ووابلُ

* * *

(١) في « ح » : أنهى ، وفي « ب » : أتري
(٢) في « ح » : فظلن .
(٣) لم يرد البيت في « ح » .
(٤) في « ح » : وكلّ يستحيل .
(٥) لم يرد هذا المطلع في « ب » .
(٦) ليست اللفظة في « ب » .
(٧) في « ب » : غرضاً .

وأنشدني له من قصيدة :

هتك الدُّجى برقُ الخيالِ السّاري سَحَراً ، فنارُ الشوقِ أيّة نارِ[١]
سمحت به خِدَعُ المُنىٰ فرأيته وَهْماً بوحيِ[٢] لواحظ الأفكار
والليلُ ممدودُ الرِّواق مخيّمٌ مُرْخٍ ذوائبَه على الأقطار
فكأنّه الزِّنجيُّ جرَّ ذُيولَه مَرحاً ، عليه[٣] حُلّةٌ من قار
وألذُّ زَوْرةِ عاشقَيْن تناجيا بعد الكرىٰ في خَلْوة الأستار
حيث الجسوم من الفُسوقِ طواهرٌ والفِسق في الأرواح ليس بعار
لا تَخْدَعنّ ، فما البدور كواملاً[٤] إلا بدور معاقد الأزرار
من كلّ خطّارِ القَوام إذا انثنى أزْرىٰ بقَدّ الأسمر الخطّار
حَمَلَ الدُّجى في طُرّةٍ من تحتها[٥] فلق الصباح يضيء[٦] النُّظّار
ومشىٰ يُعربد بالعيون كأنّما سُقيت لواحظه كؤوسَ عُقار
وَسْنان ، في رشفات بَرْد رُضابه حرُّ الجوىٰ وتلهّب التّذكار
سلب القلوبَ بوَرْدِ خدٍّ أحمرٍ وسُطورِ مسكٍ نُمّقَتْ بعِذار
فكأنّما[٧] أضحى كمال الدين في نهب القلوب له من الأنصار

* * *

(١) في « ح » : أية عار .
(٢) في « ح » : بلحظ .
(٣) في « ح » : بابسه .
(٤) في « ح » : كوامل .
(٥) في « ب » : من شعره .
(٦) في « ب » : تضيء .
(٧) في « ح » : وكأنما .

وأنشدني له في وصف الخصر من قصيدةٍ أولها :

قُضُبُ النَّقا هزَّتْ عليك قدودا[١] وأرتْك آرامُ الخيام خُدودا

ومنها[٢] :

وبمُهجتي مَنْ هزَّ تيهاً[٣] قدَّها بيد الجمال على النَّقا أُملودا

هيفاء ، جاذَبَ رِدْفُها من عِطفها خصراً ، تراه على الضَّنا مَعْقودا

دَقَّتْ معاقدُه ، ورقَّ فِخالُته[٤] عَدَماً يصارع[٥] في الظنون وُجودا

* * *

ونقلت[٦] له من رسالة وَسَمها :

بالنَّسْر والبُلبل

فاختصرتها وأولها[٧] :

طار طائرٌ عن[٨] بعض الشجر ، وقد هبَّ نسيم السَّحَر ، وانفلق عَمود الفَلَق ، وانْخرق[٩] قميص الغَسَق . مشهورٌ بالقَسْر ، موسوم بالنَّسْر ، والليل قد شابت ذؤابته[١٠] ، وابيضَّتْ لِمَّته ، وانهزم زِنْجُ الظلماء ، من صَوْلة رومِ الضياء .

والفجر مثلُ عِذار مَنْ صارت له سِتّون عاماً بعد حُسن سَواده

(١) في « ح » : قضب الصبى هزت عليك ورودا .

(٢) في « ح » : منها . (٣) في « ح » : منها .

(٤) في « ب » : فعلته . (٥) في « ح » : يضارع .

(٦) في هامش « ب » ، بخط مخالف : رسالة النسر والبلبل لأبي طالب محمد بن حسان .

(٧) في « ب » : اولها واختصرتها .

(٨) في « ب » : من . (٩) في « ح » : وانخرق .

(١٠) في « ح » : ذوائبه .

أَو ثغرِ محبوبٍ تبسّم في الدُّجى إِذ زار من يهواه بعد بِعاده

وعلا حتى صار رُوحاً (١) لأَجساد (٢) السُّحُب ، ونديماً لدراري الشُّهب ، وعديلاً للأَفلاك ، ونزيلاً للأَملاك .

فكأَنّه للشّمس جسمٌ ، والسُّهى عينٌ ، والمِرّيخ قلبٌ يخفِقُ
ولكلّ نجمٍ في السّماء شَرارةٌ تُردي شياطين الرُّجوم وتحرُق
غابوا لمطاِمه إِليهم واُختفَوْا ورأَوْه يجمع نفسه فتفرّقوا

كأَنما أَجنحته رُكِّبتْ من العواصف ، واُستُلِبت من البروق الخواطف ، واُخذت من رَمْز (٣) الأَلفاظ ، واُستُعيرت من غَمْز الأَلحاظ (٤) .

كأَنها مُقلة الحبيب إِذا خاف حُضور الرقيب (٥) أَو حَذِرا
أَوحى بها والعيون ترمُقه وهماً إِلى من يحبّه فَدَرى

مُنْفرداً في طريق طلبه اُنفراد البدر ، مُتوحِّداً في مضيق أَرَبه توحُّد ليلة القدر ، كأَنه سهم رُشق عن قوس القضاء ، أَو نجمٌ أَشرق في اُفق السماء . والأَرض تحته دُخانيّة اللون ، مائيّةُ الكون ، مُستبحرة الأَكناف ، متموِّجةُ الأَطراف ، كأَنه صرحٌ ممرَّدٌ من قوارير ، أَو سطحُ الفلك الكُريّ في التدوير .

أَو لجّة البحر إِثر (٦) عاصفة صافحت (٧) المتنَ منه فاُصطفَقا

(١) في « ب » : زوحاً .
(٢) في « ح » : لأحساد .
(٣) في « ح » : زمر .
(٤) تغيب الكلمتان الأخيرتان في مصورة « ب » .
(٥) في « ب » : الحبيب .
(٦) في « ح » : بعد .
(٧) في « ب » : صافقت .

فطار عقلُ النُّوبيِّ[1] من فَرَقٍ وخرَّ موسٰى جَنـانِه صَعِقا

يقبض أجنحته ويبسُط ، ويصعد إلى السماء[2] تارةً ويهبُط ، يجرح بأسنّة قوادمه أعطاف القَبول وأطراف الصَّبا ، ويقُدّ الشَّمْأل بخوافٍ كأنّها غُروب الظُّبٰى ، ويفتِق بخوافيه جيوب[3] الجنوب ، ويخرِق بصدره صدرَ الرياح في الهبوب[4] .

فكأنّ[5] لمعَ البرق خطفُ هُويِّه وكأنّ رشْق السهم نفضُ شُمُوِّه

وكأنّما جعل الرّياح خوافياً لجنـاحه في خفضه وعُلوِّه

حتّى أشرف من شُرَف مدائن الهواء ، وأُطلِع من رواشن أبراج السماء ، على روضٍ أريض ، وظلٍّ عريض ، وأنهار مُتدفّقة ، وأشجار مونِقة ، وطَلٍّ منثور ، ووَرْدٍ ومنثور ؛ ومكانٍ بَهيج ، وزهر أرِج ؛ وحديقة نديّة النبات ، وبُقعة مِسْكيّة النَّفَحات ، عنبريّة الأرجاء ، كافوريّة الهواء ، قد صُقِلت بمصاقل القطر مرايا أزهارها ، وعُقِدت لرؤوس أغصانها تيجـانُ نُوّارها ، وأكاليلُ جُلّنـارها ، ونشرت النسائم[6] مطويّاتِ حُلِلها من أسفاطها ، ورقصت حورُ نباتها على سَعة بساطها .

كليالي الوِصال بعد صُدودٍ من حبيبٍ كالبدر بل هو أبهى

إن رأيت الغنى ونيل المُنى جَمْـعاً وقابلتَه بها فهي[7] أشهى

ذات نباتٍ خَضِر ، وماء خَصِر ، ضاحكة القرار ، مُشرِقة الأنوار ، وكأنّ[8]

---

(١) في « ح » : النوبيّ .
(٢) في « ح » : إلى الأفق .
(٣) في « ب » : جنوب .
(٤) في « ح » : . . الرياح سد الهبوب .
(٥) في « ب » : وكأن .
(٦) في « ب » : النّسايم .
(٧) في « ح » : فهو .
(٨) في « ح » : كأنّما .

شجراتهـا عرائس أُبرزت للجلاء ، أو[1] قِبابُ زَبَرْجَدٍ نُصبت في الرَّوضة الخضراء ، وكأنَّ الفَلَكَ دنا إليها ، فتناثرت نجومه عليها .

رَوْضٌ أَريض وصوبٌ صائب وحياً مُحْيٍ ، وغيثٌ مُغيثٌ دائم الديَمِ
تبارك الله ذو الآلاء كم سَفَرَتْ وُجوه أحكامه للخلق عن[2] حِكَمِ

فمن وَرْدٍ فِضّيّ الأوراق ، ذَهبيّ الأحـداق ، كافوريّ الصِّبغة ، مِسْكيّ الصِّيغة ، مائيّ الجسم ، هوائيّ الرَّسْم ، حاكت الصَّبـا إهابه ، وخاطت الشَّمال أثوابه ، وفتّحت الجنوب أكمامه ، وحسَّرت الدَّبور عن وجه جماله لثامه ، فظهر في أُفُق الشجر ، كأنه شُهُب السَّحَر ، أو خدود الحُور في القصور ، ظهرت في غـلائل من الكافور ، أو أعشار المصاحف ذُهّبت أوساطها[3] ، أو غرر الوصائف عظم اُغتباطها[4]

أو وجنة الحِبِّ قرّت[5] في ملاحتها عينُ المُحِبِّ فأبدتْ حُمرةَ الخَجَلِ
رقّتْ[6] فأيسرُ وَهْمِ الفكر يجرحُها فكيف إن لمستها راحة القُبَلِ

ومن آسٍ زُمُرُّدِيّ الإهاب ، زَبَرْجَديّ الجلباب ، ذي وَرَقٍ كأَسنّة الصِعـاد ، أو كالصِّفاح جُرِّدَتْ للجـلاد من الأغماد ، قد أخذ خُضرة الفلك لوناً ، وحلّة جبل قاف كَوْناً ، أشبه في اُخضراره مرائر قلوب العُشـاق ، عُقَيْب الانشقـاق[7] ، لروعة[8] يوم الفراق .

(١) في « ب » : و .
(٢) في « ب » : من .
(٣) في « ح » : أوشاطها .
(٤) في « ب » : اعتباطها .
(٥) في « ح » : كرت .
(٦) في « ب » : دقت .
(٧) في « ب » : الإشفاق .
(٨) سقطت (لروعة) في « ح » .

كأنه ودُّ مَنْ تمّت مودّته ... باقٍ مع الدهر لا يَبْلى مدى الأَمد[1]

يُهدى إلى مَنْ له حُسْنٌ يضنُّ به ... أي قد غسلتُ بماء اليأْس منك يدي

ومن نرجسٍ كأجفان المِلاح ، أو كإشراق تبلّج الصباح ، منكَّسِ الأعراق ، مُطرِق الأحداق ، قائم على ساقٍ خَضِرةٍ ، أَلِفيّةٍ نَضِرةٍ كأنه[2] مَدافات فضة[3] قد رُصِّعت خَشية الانفطار ، بمسامير من نُضار .

متشوِّفٌ كالصبِّ خوفَ رقيبه ... إذ حان وقت زيارةٍ لحبيبه

فله إلى جانبيه نظرةُ خائفٍ ... منه ، وشكوى مُدْنَفٍ لطبيبه

ومن بنفسَج استُعير لونُه من زُرْق اليواقيت ، وأُخِذ من أوائل النار في أطراف الكبريت ، أو ثاكلات الأولاد ، أظهرن الحُزْنَ في ثياب الحِداد ، أو بقايا قرص في خدٍّ ورديّ ، أو أثر عضٍّ في عضد فِضّيّ ، ذي أوراق خَمْريّة ، وأعراق عِطْريّة ، صاغت الأنداء من الزُمُرُّد قوامه ، ونسجت الأهواء من الطلّ أكمامه ، وأخذت من نسمات المِسك نسمته[4] ، ومن أنفاس العنبر رائحته .

وكم في الرَّوْض من بِدْع وصُنْعٍ ... وآياتٍ تدل على القديمِ[5]

وأسرارٍ يحار العقلُ فيها ... فليس تكون إلّا من حكيمِ[6]

ومن غصونٍ تجتمع وتفترق ، وتترنّح وتعتَنِق ، والنسائم تحُلُّ عَقد أزرار الزَّهر ،

---

(١) في « ب » : مع الأمد .

(٢) في « ب » : . . على ساق خضرٍ نضرٍ كأنه . . (٣) في « ب » : الفضة .

(٤) تغيب الكلمة في مصورة « ب » . (٥) في « ح » : قديم .

(٦) في « ح » : الحكيم .

والأَهوية تفتح أقفـال أبواب الحصر[١] ، والشمس تسْفر وتنتقب ، وحاجب الغزالة يبدو ويحتجب ، والعِهاد يتعاهد بالقِطار أكنـافها ، والسُّحُب تطرّز بالبروق عَذَبها وأطرافها . وهي آيةٌ من آيات الربيع أظهرها للعِيان ، ومُعجزة[٢] من معجزات التدبير[٣] أقامها على الزمان .

تُجْلَى عرائسها بكلّ مُصَبَّغٍ ... وتميس تحت غلائل الأَزهارِ
فكأنما فَتَقَ الربيعُ لأرضها ... بيد النسيم نَوافِجَ العطّار

فوقفَ في الهواء حين[٤] رآها ، وقال : هـذه غاية النفس ومناها ، هاهنا ويلقي المسافر عصاه[٥] ، وتستقرّ بالغريب[٦] نَواه ، وفي قرار هذا الوادي يثبت سَيْلي[٧] ، ولمثله شمّرتُ عن ساق الجِدّ ذَيْلي . أين المَذْهب ، وقد حصَل المَطْاب ، وأين الرَّواح ، وقد أسفر الصباح ! ومَنْ بلغ غاية مُراده ، لم يلتفت إلى حُسّاده ، ومن نال الأَماني ، لم يبالي بالمباني . ماءٌ مُصْطخِب الأَوتار ، وظلٌّ ممدود الإزار ، وروضٌ يَمْرَح فيه الطَّرف ، ولا يقطعه الطِّرف ، وأزهار كقُراضة الذهب ، تناثرت من حَرارة اللّهب ، أو كالفضة أخاصها سَبْك الكير ، ونُثرت في زوايا القاصير ، أو مصبّغات أصناف الحُلَل ، نُشرت للناظرين بعد إتقان[٨] العمل . وخلوةٌ من واشٍ ورقيب ، وبعيد يُخشى أو قريب .

على مثلها ظلتُ فَرْداً أهيـــمُ وَجْداً وأُمعنُ وَحدي المطارا

(١) في « ب » : الخضر .
(٢) في « ح » : ومعجزها .
(٣) في « ح » : القدر .
(٤) في « ب » : حتى .
(٥) في « ب » : ومناها ، يلقي المسافر بها عصاه .
(٦) في « ح » : بالقريب .
(٧) في « ح » : ذيلي .
(٨) كذا في « ح » . وفي متن « ب » اتفاق ، وفي هامشها : كذا في الأصل وكأنه اتقان العمل .

فأستخبرُ[١] الشُّهُبَ النيّرا تِ عنهـا وأقطع داراً فدارا

فبينا هو صافُّ الأَجنحة عليها ، ينظر من[٢] الأُفق بعين التعجّب إليها ، إذ سمع صوتاً من بُلبلٍ سِحريّ ، على وكرٍ شَجَرِيّ ، يناغي النسائم بنغمة مِزماره ، ورَنَّة أوتاره[٣] ، ودساتين[٤] حناجر كالخناجر[٥] ، وألحانٍ أعذب من نقرات المزاهر ، ينثر دُرًّا من عُقود ألحانه ، ولؤلؤاً من أصداف أُفتنانه بين أَفنـانه ، ويرجّع قراءة مكتوب غرامه ، ويتلو آيات حزنه من مصحف آلامِه .

ويهتف طوراً بذكر الفراق[٦] وطوراً بذكر بِعـاد الحبيبْ

ويغتنم الوقت وقت الوصا ل حين خلا من حضور الرقيب

فقال هذه غريبةٌ أُخرى من غرائب القدر ، وعجيبة ثانية لم ترها العين ولا هجست في الفِكَر ، وكاسات خَمْرٍ تدار في الخَمَر[٧] ، وعقود سِحْرٍ تُحَلُّ في السَّحَر ، ونغمة لم أسمعها من ذي مِنقار ، وألحان مارُئِي مثلها لسار[٨] ولا قار ، كأنها ما قيل عن مزامير آل داوود ، وتسابيحهم في الرّكوع والسجود ، أو معبدٌ والغريض ، يتباريان في الطويل والعريض ، أو إسحـاق الفريد ، يعدّل عوده عند الرّشيـد ، أو هَزَج شُداةِ العجم ، أو رجّة حُداة العرب في الظُلَم ، أو أصوات رهبان الصّوامع ، أو تلاوة مَنْ تتجافى جُنوبهم عن المَضاجع .

(١) في « ح » : وأستخبر . (٢) في « ح » : في .

(٣) في « ح » : . . مزمارية ، ورنة أوتارية .

(٤) الدّستان ، في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من العود أو ما يقابله في سائر الآلات .

(٥) في « ب » : وشدّ دساس حناجر كخناجر . (٦) في « ح » : الحبيب .

(٧) الخَمَر : ما واراك من شجر أو غيره . (٨) في « ب » : لشاد .

نغمة تجلب السرور وتحيي ميّت القلب من ثرى الأحزانِ

وتردّ الشباب بعد ثمانيـــن وتزري برنّةِ العيـدان

ما أديرت إلاّ وقيل أسمعوا دا وود يتلو زبوره في الجنان

ثم هوى إلى القرار ، لينظر من النافخ[1] في المزمار ، فرأى البابل يتلو سُوَر بلباله ، في محراب وَباله ، ويرجّع سَجْع ألحانه ، في ربع أحزانه .

فكأنه ثَـكْلى على ولدٍ فقدَته بعد الضّعفِ والكِبَرِ

فلها انتحابٌ حين تذكره ينسيك لذّة نغمة الوَتَرِ

فقال الســلام عليك من طائر صغير حقير ، يظهر في صورة كبير خطير ، وشادٍ ظريف طريف ، بغير أليف ولا حليف ، ذي جسم كأنه سواد خالٍ في بياض خدّ الحبيب ، أو ظلمة[2] حال المحبّ شاهد وجه الرّقيب ، أنت صاحب هذا اللحن المطرب ، والصوت المُعْجب[3] ، ما أراك إلاّ صغير الحبّة ، بادي المحبة ، ضئيـل الجسم ، نحيـل الرّسْم ، ليليّ الإهاب ، ظلمانيّ[4] الجلباب ، تقتحمك العين لحقـارتك ، وتنبو عنك لصِغرك ودَمامتك ، قد أصفرّ منقارك لأحزانك ، ولبست حِداد أشجانك ، وصوتُك والمَسَرَّةُ فرسا رِهان ، ونغمتك والطربُ رضيعا لِبان .

يُثير صوتك في القلـــــب إن ترنمتَ حُزْنا

وتُخجل النايَ حُسْنا وتعجز العود لَحْنا

وأنا مع عِظَم صورتي التي حازت خِلال الكمال ، وأحرزت خِصال الجمال ، صُبْحيّ

(١) في « ب » : النافح .

(٢) في « ب » : كظلمة .

(٣) في « ب » : المعرب .

(٤) في « ح » : ظلماني .

الرّيش ، لا أتغذى بالحشيش[١] ، ذو العمر الذي أفنى لُبَد ، وأستنفد الأبد ، وقد تعجّب منه لُقمان ، وأحتاج إليه فرعون وهامان . ليس للطُّيور مطاري ، عند طارئ أوطاري . أنا ملك الطيور ، وسلطان ذوات[٢] الأجنحة على مرّ الدهور ، ومالي حلاوةُ هذه النغمات ، ولا لذاذة[٣] هذه الأصوات .

ولَعمري كذلك الدهر لا ير فع إلاّ مَنْ كان بالخفض أوْلى

ينظر العاقلُ اللبيب بعينٍ هي لاشكّ حين تنظر حَوْلا

وَيْحك ! من أين لك هذه المُلَحُ المِسْكيَّة النشْر ، والمِنَح[٤] العنبريّة العِطْر ، جِبِلَّتُك عنصرُ هذه الفضائل ، أم أستمليْتَ طُرَف أخبارها من قائل[٥] ؟ فقال له البلبل : يامَنْ سبح[٦] في بحر التخاليط وعام ، وظن أن القدَر يعطي ويمنع بالأجسام ، فيُعرِض عن الصِّغار ويُقبل على العظام . . أمّا صِغري فلا أقدر على تغييره ، والأمر للصانع الحكيم في تدبيره ، أما علمت أنّ الأرواح لطائف وهي أشرف من الأجسام ، والأجسام كثائف والمعتبر فيها جُودة الأفهام ، وإنسانُ العين صغير ويدرك[٧] الأكوان والألوان ، والإنسان عظيم والمعتبر منه[٨] الأصغران : القلب واللسان ، ما يكون الدُرّ بقدر الصَدَف ، وشَتّانَ ما بينهما في القيمة والشرف ، ولا الآدميُّ كالفيل ، وبينهما بَوْنٌ في التفضيل ، واللؤلؤ قَطْرٌ يقع في أعماق البحور ، ويُعلّق بعد ذلك على الترائب والنحور ، وليس الأختصاص بظواهر المباني ، وإنما هو[٩] بلطائف المعاني . وكم من صغير وهو

(١) في « ب » : إلا بالحشيش .

(٢) في « ح » : ذوي .

(٣) في « ب » : تلاوة .

(٤) لم ترد (والمنح) في « ح » .

(٥) في « ب » : قابل .

(٦) في « ب » : سنح .

(٧) في « ح » : وبه تدرك .

(٨) في « ح » : فيه .

(٩) سقطت (هو) في « ب » .

في عين ذي النُّهى كبير ، وفي فكر اللبيب أخي الفضل خطير[١] .

وما نطق الفيلُ الكبير بعُظْمه[٢] وقد نطقت قِدْماً[٣] مُقَدَّمة النملِ

كذلك ما أوحى إلى النَّسر ربُّنا وإن كان ذا عُظْمٍ وأوحى إلى النحلِ

وأمّا النغمة التي قرع طرفَ سمعك سَوْطُ لذّتها ، ورَشَق هَدَف قلبك نَبْلُ طيبتها ، فإنني رصَّعت شَذْرها في عِقد ألحاني ، على نغم[٤] بعض الأغاني . وذلك أن هذه الروضة فُجرَت أنهارُها ، وغُرِست أشجارها ، وفُتِقت نَوافج عِطرها ، وأشرقت مباهج[٥] زهرها ، وأُقيمت عَمَد قِبابها ، وعُلِّقت[٦] أستار أبوابها ، وهُيِّئت على أمرٍ مُقَدَّر ، لبعض ملوك البشر ، فهو يأتيها كلَّ ليلة إذا ولّى النهـار ، وأظلمت الأقطار ، وصبغ الليلُ ثوبَ الكون بظلمته ، فأشبه لباسَ العبّاسيّ في خلافته ، مع من يختار من ندمائه ، ويُؤْثر من أصفيائه ، وقد أُشعلت له فيها الشُّموع ، وأُتقدت بأشعتها الربوع ، ونُصبت ستائر القِيان ، وأصطفّت صنوف الحُور والوِلدان ، وأُفرغت شموس الخَنْدريس في أفلاك الكؤوس ، بأيدي بدور الرُّهبان ونُجوم القُسُوس ، وعُقِدت الزنانير على الخصور ، وأُسبلت طُرَر الشّعور ، على غُرَر البدور ، ورُجّعت أناجيل الألحان ، وقُبّلت صُلْبان

(١) في «ح» اعتبر أكثر هذه الجملة الأخيرة بيتاً من الشعر ، وجعله رأس الأبيات : وما نطق ، وأورده بالصورة التالية :

وكم من صغيرٍ وهو في عين ذي النهى كبير وفي فكر اللبيب أخي الفضل

وكرر جملة : وكم من صغير مرتين : مرة على أنهـا من منثور الكلام ومرة على أنها جزء من البيت . وأهمل كلمة خطير .

(٢) في « ح » : لعظمه .

(٣) في عود الشباب : يوماً .

(٤) في « ب » : بغم .

(٥) في « ب » : مناهج .

(٦) في « ح » : وغلقت .

الصور بأفواه الأشجان ، ونُقِرت أوتار المَثالث[١] والمَثاني ، وقامت العقول ترقص في قصور الصور والمباني[٢] .

وينقضي ليلهم في لهو وطرب ، وجِدّ ولعب ، وهَزَجٍ ورَمَل ، واعتناقٍ وقُبَل ، وأحاديث كقِطع الرياض ، ومُحادثات كبلوغ الأغراض ، حتى يَخرج الليلُ من إهابه ، ويعرّج على ذَهابه ، ويسفِر الصباح ، وقد هزّ عِطفي ذلك الارتياح ، وأنا خبيرٌ بشَدِّ دساتين عِيدان[٣] الألحان ، بصيرٌ بحلّ عُرى النَّغمات الحسان ، فمنهم تعلمت طَرَفَها ، وشددت وسطها وطَرَفها ، وصرت فيها إلى ما ترى[٤] ، وعند الصَّباح يَحْمَد القومُ السُّرى .

فقال النسر : إنك سقيتني بحديثك[٥] أشكر[٦] شراب ، وفتحت لي بأخبارك أغرب باب ، كيف السبيل إلى المبيت لتعلُّم هذه النَّغَم الشهية ، والفوز بحفظ هذه الأصوات الأُرْغُلِيّة[٧] ؟ . فقال البلبل : بالجدّ والاجتهاد ، تدرك[٨] غاية المراد ، وبالعَزَمات الصِّحاح ،يشرق صباح الصلاح ، وما حَصَلت الأماني ، بالتواني ، ولا ظفر بالأمل ، من استوطأ فراش الكسل ، وأُمّ العجز أبداً عقيم ، والخمول لا يرضى به إلاّ مُليم ، وبالحركات ، تكون[٩] البركات ، وثمار السعود ، لا تطلُع في أغصان القعود ، وبالهزّ تسقط الثمار ، وبالقَدْح توجد النار ، والحياء توأم الحِرمان ، والهيبة والخيبة أخوان ،

ومَنْ هاب أمراً ثم لم يك مُقْدِماً[١٠] عليه بصدق[١١] العزم والقول والفعلِ

---

(١) في « ب » : المثالب . (٢) في « ح » : في قصور المباني . (٣) لم ترد (عيدان) في « ح » .
(٤) في « ح » : وصرت إلى ماترى . (٥) لم ترد في « ب » . (٦) في « ح » : أشكر .
(٧) الأرغل : تحريف عاميّ للفظة الأرغن الأعجمية ، وهو من آلات الطرب .
(٨) في « ح » : يدرك . (٩) في « ح » : تدرك .
(١٠) في « ح » : لم يكن قط مقدماً . (١١) في « ح » : لصدق .

يفوت ولا يعطيه منه مُرادَه الـزّمان ، وبعد المَقْر يُجنىٰ جَنىٰ النحل

إذا تقوّست قامةُ النهار ، وجُعلت رجل الشمس في قيد الاصفرار ، وولّت[١] مواكبُ النور ، لقدوم سلطان الدَّيْجور ، وأنارت روضةُ السماء بزُهْر الكواكب ، وطلعَت الشُّهُب فيها من كل أُفُق وجانب ، فأْتِ إلى هذا المكان ، عسى أن تسعدك بمطلوبك عناية الزمان ، واُختف عن رامقٍ يراك ، فإنه أعونُ على مُبتغاك ، وإياك أن تقول : إن قُدّر شيء وَصَل ، وإن كان في الغيب مَقْضِيٌّ حصل ، فكم قد غرّ سَرابُ هـذا المقال من العُقّال ، وما حصَلوا إلاّ على الآمال .

ومُدمِنُ القرع للأَبواب منتظرٌ بكثرة القرع للأَبواب[٢] أن يلِجا
فانهض إذا ضقت ذَرْعاً بالأُمور ولا تقعد ، وقم مستثيراً واُنتظر فرجا

فلما سمع النسر مقاله ودّعه وطار ، وقال لعلّ في الانتظار ، بلوغَ الأوطـار . وأثبت في نفسه الرجوع ، وقال أمنع عيني هذه الليلة لذةَ[٣] الهجوع ، وقال أصبر على العذاب الأَليم ، ومن طلب عظيماً خاطر بعظيم ، وبالصبر يحلو صاب المُصاب ، وبالجَلَد تُصاب أغراض الصواب ، ومن لم يتحمل أعباء الأثقال[٤] ، ولم يصبر لصعاب الأَهوال ، تكدّر صفاء مسرّته[٥] وقعد قائم سعادته ، وخذله الزمان ، وقتله الحرمان .

ثم سقط على بعض الأَشجار ، مُتوَخّياً بزعمه[٦] مُضِيَّ النهار ، وأدركه الليل فنام ، وغرِق في بحر الكرىٰ وعام ، وكلّما حرّكتْ سواكنَه داعياتُ الطلب ، وأقامت قاعدَه مُزعجاتُ الأَرَب . قال : الليلُ بعدُ في إبّان شبابه ، ولعلّه ما جاء الملك مع

(١) في « ح » : وزلت .
(٢) في « ح » : الأبواب .
(٣) سقطت (لذة) في « ب » .
(٤) في « ح » : الأنفال .
(٥) في « ح » : صفاء مشربه ومسرّته .
(٦) في « ب » : يزعم .

أصحابه[١] ، وساعةٌ تكفي العاقل ، ولمحة تشفي الفاضل ، وكثرة الحرص سبب الحرمان ، وربّما أفضت فوارط الطاب إلى الهوان ، واُغتنام راحةِ ساعةٍ من العُمر ، فرصة[٢] جاد بها بخيل الدهر ، وكم نائمٍ حَصَل مرادُه ، وساهرٍ أخطأه إسعاده .

ولم يزل في رؤيا أحلام الأباطيل ، وإقامة المعاريض الفاسدة التأويل ، حتى وَضَح فَلَق الصُّبح من مَشرِقه ، وتمزّقت عنه جلابيب غَسَقه ، وبدا حاجب أُمّ النجوم ، وامتدت أشعّتها[٣] على التُّخوم ، فتنبّه[٤] من رقدة غفلته ، وطار من وَكر جهالته ، وأمَّ روضةَ البلبل طائراً ، ونزل عليها دَهِشاً حائراً ، وقد تفرق جمع الملك في السِّلك ، تفرُّقَ الشُّهب في الفلك ، وغُلِّقت[٥] أبوابها ، وتفرّقت أصحابها .

فقال له البلبل : يا هذا ! ما الذي شغلك حتى أشغلك[٦] ، وما الذي مناك ، حتى عدمت مُناك ؟ ! أما علمت أنّ من اُستلذ المنام ، واستطاب الأحلام ، عدِم المَرام ، ووُجِّه عليه المَلام ، وأنّ مَنْ شَدّ وَسَط[٧] اجتهاده ، وصل إلى بلوغ مراده ، وبصدق الطاب ، تدرك[٨] قاصية الأَرَب ، ومن ركن إلى إطالة البِطالة ، اُستحالت منه صورة[٩] الحالة ، والليل مطايا الأحرار ، إلى بلوغ الأَوطار ، ونجائبُ ذوي الألباب ، إلى بلوغ المحابّ .

فلما أكثر البُلبل على النسر العِتاب ، وانغلقت عنه أبواب الصواب ، ودّعه وطار ، وقد عَدِم الأَوطار . وكذلك حال ذوي[١٠] الأَحوال ، ومن له دعوى الصِّدق

---

(١) في « ح » : بأصحابه .
(٢) سقطت (فرصة) في « ح » .
(٣) في « ح » : أسعتها .
(٤) في « ح » : تنبه .
(٥) في « ح » : وعلقت .
(٦) في « ب » : أشغاك .
(٧) في « ح » : وسيط .
(٨) في « ح » : يدرك .
(٩) في « ح » : صوره .
(١٠) في « ح » : كذلك حال أصحاب . .

في المَقال ، والعُقّال يؤاخَذون بخَطَراتهم ، ويُطالَبون بعَثَراتهم ، ويُهجَرون لأجل لحظة ، ويُقطعون بسبب لفظة ، ويتكدَّرُ عليهم مَشْرَبُ أوقاتهم لأجل هفوة ، ويَمُرُّ[1] حُلو خَلَواتهم[2] بأقل جفوة ، فكيف مَنْ تُفْرَش له فُرُش الغفلة ، ويتوسّد[3] وِساد حُبّ المُهْلة ، ويَلَذُّ له كَرى اللّعب والبِطالة ، ويستمرئ مرعى الغَيّ[4] والجهالة ، ويعتقد أنه بمثل ذلك لا يُطالَب ، وعلى مثل ذلك الحال لا يُعاتَب ، هيهات إن سعداً لغَيُور[5] ، وإن الله لأغْيَرُ من سعد[6] ، نامت عين الخليل ، فأُمر بذبح إسماعيل ، ونام يوسف متاقياً[7] لأسرار الغيوب ، ففرّق القدَر بينه وبين يعقوب ، ونام محمد صلى[8] الله عليه فقيل له : يا أيها المُدَّثِّر ، قُمْ فأَنذر . نحن لا نرضى لبعض أصحابك بالمنام ، فكيف[9] نرضاه لك وأنت سيد الأَنام[10] .

وأتمّ هذه الرسالة بفصل وعظيّ ليس من شرط الكتاب .

---

(١) في « ح » : ويثمر . (٢) في الأصلين : حلواتهم . (٣) في « ب » : ويوسد .

(٤) في « ب » : البغي . (٥) في « ح » : غيور .

(٦) قال سعد بن عُبادة ، سيد الخزرج : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح (أي لضربته بحدّه لأقتله ، لا بصفحته وعرضه) . فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد تعجّبوا من غَيرة سعد : أتعجبون من غَيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني . رواه الشيخان ، وزاد مسلم فيه . وفي رواية : ومن غيرته حرّم الفواحش . انظر صحيح البخاري «العامرية ج٦ ص١٥٦» والتاج الجامع للأصول ج٢ ص٣٦٨

(٧) في « ب » : متلقناً . (٨) في « ح » : صلوات .

(٩) سقطت (فكيف) في « ب » .

(١٠) تنخرم النسخة « ب » عند هذه اللفظة ويمضي الناسخ يستمر في الكتابة وكأنه يتم الرسالة ، على حين أنه ينتقل انتقالاً مفاجئاً إلى رسالة أخرى لمترجَم آخر هو الأمير يغمر بن عيسى « انظر الصفحة التالية » . فنسخة « ب » تهمل ترجمة هذا الأمير ، وتمزج بين رسالة المهذب أبي طالب هذه « النسر والبلبل » ورسالة الأمير يغمر التالية . والقدر الساقط خمس عشرة صفحة . وانظر الهامش الثالث من الصفحة ٣٦٨

الأمير يغمُر بن عيسى[1]

ابن العكبري

من مولّدي الأَتراك بدمشق وأُمرائها المعروفين . لقيته بدمشق ، وهو ذو فضائل مُقرَّظة ، وشمائل حُلوةٍ وفطنةٍ متيقِّظة . شابٌّ من جملة الأُمراء شُجاع مُقدَّم مِقدام مُتظرِّف ، من الأَدب متطرِّف . خان أَملُه ، وحان أَجلُه ، وفلَّ الشَّبا الطريرُ من شَبابه الطريّ ، وجرى القدَر بأُفول كوكبه الدُرّيّ ، وكبوةِ جواده الجريّ ، وذلك في سنة ثمان أَو تسع وخمسمائة ، وأخلفت وعودُ رجائه ، وذوى عود بَهائه .

وجدتُ رسالةً له بخطه ذكر فيها ما يتضمّن مُعاشرة الإخوان ، وتعب الزمان ، والحثّ على اُغتنام الفُرَص ، ووصف الصيد والقَنص ، وشُرْب المُدام ، وتقلُّب الأَيام . ونقّحناها وصححناها ، وحذفنا منها وأَصلحناها ، وكلّلناها ورصّعناها ، وأَوردنا منها ما وقع الأختيار عليه نظماً ونثراً ، وأَحيينا له بإِيرادها ذكراً . وهي :

للصِّبا أَطال الله بقاء مَوْلاي الأَخ الكامل الفاضل ، روحِ جسد الإِخاء وقلبه ، وحُلى مِعْصم الصفاء وقُلْبه ، ومَدار فلك الوفاء وقُطبه ، وخِتام رحيق الحياء وقَطْبه ، ويتيمة جِيد الفضل وعِقده ، وفريدة حبل الطَّوْل وعَقْده ، ويمين شخص البراعة وشِماله ، وجَنوب مَهبِّ الشجاعة وشَماله ، وإِنسان عين الزمان ، والمُلاذ به من الحَدثان .

أَخ لي على جَوْر الزمان وعَدْله وعوني على اُستهضامه واُشتماله

---

[1] انظر الهامش العاشر من الصفحة السابقة .

إذا غالني خَطْبٌ وقاني بنفسه وإن نالنى جَدْبٌ كفاني بماله
فتىً جعل المعروف من دون عِرْضه ولم يقتنع عنه بزُرْقِ نِصاله
أباد أعاديه بغَرْبِ حُسامه وجاد لِعافيه بسَيْب نَواله
كريمٌ فما الغيثُ الهَتون إذا همى يُباريه باْستهلاله وانْهماله
وما الرِّزق إلاّ من طَلاقةِ وَجهه وما الموتُ إلاّ لمحةٌ من جَلاله
وما البحر إلاّ قطرةٌ من مَعينه ولا البدر إلاّ دُرّةٌ من كماله
وما العلمُ إلاّ لفظةٌ من مقاله ولا الفضلُ إلا خَلّةٌ من خِلاله
وما الأَرض إلاّ حيث مَوْطِئ نَعْله ولا النّاس إلاّ من ذَويه وآله
فلا زال مَعْمورَ الجناب مُسَلَّماً ولا زالت الأقدارُ طَوْعَ مقاله

ربّ الفصاحة ومُنشيها ، ومُعيد السّماحة ومُبْديها ، أخي المكارم وخدينها ، رأس المفاخر وعَرينها — مُسَلَّماً من أوقات[1] الزمن ، معصوماً من إحنات المِحَن ، ذا صَبْوةٍ يُؤْذن باْجتلاب السرور مَعينُها ، ويُذعن لاْنتصاب الحبور مُعينها ، ويحدو إلى اْغتنام العمر حاديها ، ويَشْدو بغرام الدهر شاديها . إذ هو دهر تدلّ أفعاله على غَدره ، وتُنْبئ أقواله عن مكره ، يستردّ ما وهب ، ويُعيد ما نَهب ويفرّق ما أَلَّب[2] ، ويُحَمِّقُ من أَدَّب[3] .

نَكِدٌ يُشتِّتُ ما الْتأَمْ وَيَلُمُّ شَعْباً مُنْثَلِمْ
ويُكَدِّر الصافي ويَمْزُجه لِوارده بِدَمْ
ويُغِصُّ إن هَنّا ولَيْس يفي وإن أعطى الذِّمم

(١) كذا في الأصل . ولعلها : آفات . (٢) في الأصل : آلب . (٣) في الأصل : آدب .

ذو النَّقْص مَرْزوقٌ لديْـــــــه وذو الفضائل قد حُرِمْ
فالحازمُ اليقِظُ الذي بعُهُــودِه ما يَعْتَصِم
ويفوز بالعيش اللذيــــذ والمسرَّة يَغتنم
من قبل أن يُمْسي ويُصـــــبحَ في حساب ذوي الرِّمَم
ويَنــالَ قِسْم تُراثِهِ عَصَبـاتُه وذوو الرَّحِم

فاللبيب من انتهز فرصة ، قبل أن تصير غُصَّة ، وبذل في نيل آرابه جهده وحِرْصَه ، وأنفق فاضل شبابه قبل أن يُعاين فيه نقصَه ، قبل أن يصير ما كنزه لنفسه ، وما أحرزه عن نابه وضِرسه ، بعد حلوله في رمسه ، مَأْكلةً لزوج عِرْسه . أيقظنا الله وإيّاك عن سِنة الغفلة ، ووفّقنا لاستخدام المُهلة ، وأعاننا على دُنيا لا يدوم نعيمُها ، ولا يَبْرأُ سقيمها ، ولا تندَملُ كُلومها ، ولا يسلم سليمها ، غرّارةٌ تُضِلّ مبتغيها ، مَكّارةٌ تُخيِّب رُوّادَها ومُنْتَجعيها :

دارُ سوءٍ فما تقيم على حا لٍ ولا تستقيم في الأفعالِ
طبعها اللُّؤم والخِلابة والحِقـــــد ونقضُ العُهود والأحوال
وانتزاعُ الغِنى بنــازلة الفقـــــر وحُلْوِ النَّعما بمُرّ الزوال
فالأَريب اللبيب يستنفد الدنـــــيا وأعراضَهــا ببذل النوال

فليس للمُقيم بها مُقام ، ولا للمُنْتَقم من صَرْفها انتقام ، إلاّ بمُداومة الصَّهْباء ، في الإصباح والإمساء ، لِصَرْف الهمِّ عن قلبه بِصِرْف الرّاح ، وجَعْل قَدَحِه الكبيرَ من الأقداح ، ومُباكَرَةِ دَنِّه وخَمّارِه ، ومُراوحة عُودِه ومِزْماره .

ولقد أستنفدتُ كلَّ المجهود ، في بلوغ المقصود ، فرأيتُ تحصيلَ الجار ، قبل الدار ، والرفيق ، قبل الطريق ، إذ لا سبيل إلى جمع المَسرَّة إلا بالمُصافي من الإخوان ، ولا إلى دفع المَضَرَّة إلاّ بالكافي من الأَعوان ، وفتح الله لي بسادةٍ أُمراء ، وقادةٍ كبراء ، يَجْزون عن الإساءة بالإحسان ، ويُقابلون الذَّنْب بالغفران ، إن قُطِعوا وَصَلوا ، وإن خُزِن عنهم بذلوا ، وإن فوضلوا فَضَلوا ، وإن نُوضلوا نَضَلوا ، وإن فوخروا فَخَروا ، وإن جُني عليهم أعتذروا .

عِصابةٌ من سَراة الناس مُنْجَبَةٌ ... صِيدٌ ، غطارفة ، ليسوا بأَغمارِ
غُرٌّ ميامينُ ، وصالون قاطِعَهم ... شُمُّس العَداوة ، أَخّاذون بالثار
همُ ، إذا المَحْلُ وافى ، سُحْبُ أَمطارِ ... وإن رَحا الحرب دارتْ ، أُسدُ أَخْدار
المُنْعِمون فلا مَنٌّ يُنَكِّدُه ... والمانعون حِمَى الأَعراض والجار
والطاعنون وساقُ الحرب قائمةٌ ... والمُطعمون على عُسْرٍ وإيسار
يُغْضُون عمَّن أَتى ذنباً بِحِلْمِهِمُ ... ولا يُجازون عن عُرْفٍ بإنكار
مَناظرٌ حَسُنَتْ والفعلُ يَشْفَعُها ... منهم فنالوا بهذا طيب أَخبار
تراضعوا دَرَّة الإِنصاف بينهمُ ... فما يجول لهم جَوْرٌ بأَفكار
تَجَلْببوا بجلابيب المكارم والـ ... ـآداب لكنهم عارون مِنْ عار
من تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيِّدَهم ... مثلُ النجوم التي يسري بها الساري

آراؤهم سديدة ، وأنباؤهم رشيدة ، وأَقوالهم مُفيدة ، وأفعالهم حميدة ، وطرائقهم مُستقيمة ، وخلائقهم كريمة ، يجودون إن ضَنَّتِ الغُيوم ، ويكتُمون السرَّ إذا أَذاعه النَّمُوم ، ويُنيرون إذا جَنَّ الظلام ، ويُجيرون إذا جارت الأَيام ، ويُغْدِقون إذا غَبَّر العام .

فَصِرْتُ من عَقدهم ، وانتظمتُ في عِقدهم ، فرأيت كلاًّ منهم قد حاول من هذا الأمر ما حاولت ، وتناول في تحصيله أكثر مما تناولت ، وأجمعت آراؤهم على ما رأيت ، ووافقتْ رِواياتهم ما رويت .

فلما اتفقت الشَّهوات ، وزالت الشُّبُهات ، شرعنا في استدامة المُدام ، وأتبعنا الليالي فيها والأيّام ، لا نُفيق من صَبوح وغَبوق ، ولا نَسأَم من خَلاعةٍ وفُسوق ، ما بين نغم أوتارٍ وَدَلْف راووق ، مُستوطنين مَنْزِلاً للخَلْوة ، وارتشاف القهوة . فاقتضى ما بيننا من اقتراح الألفة والتألُّف ، واطّراح الكُلْفة والتكلّف ، أن قسمنا الأيام والليالي بيننا أقساماً ، فكلٌّ يُعِدُّ في نَوْبته للاجتماع طعاماً ومُداماً ، ويُعَرِّف يومَه وليلته ، ويستعمل قُدرته ، ويستنفد طاقته في إظهار الأفانين العجيبة . ويجمع بين آلات الطرب والطيبة[1] ، وساعاتنا بالسرور تمضي ، وأوقاتنا بالحبور تنقضي .

ولم نزل على ذلك المنهاج ، متمازجين بأعدل المِزاج ، حتى انتهت النَّوْبة إلى سيّدٍ كريم من الجمع ، أَلِفَ حُلوَ العطاء وما عَرَف مُرَّ المنع ، فنادى مناديه في نادينا ، يَجْمع[2] حاضرنا وبادينا : إليّ ، قدِّموا الحضورَ إلى المنزل الرَّحْب ، وثقوا بالأهل والرُّحْب . فأجبنا المنادي ، وحلَلْنا النادي ، ووَلَجْنا داراً قد دار على المكارم سُورُها ، وأُجِدَّ بالجِدِّ العامر مَعْمُورها .

فلمّا اطمأنّ بنا المكان ، وساعد الزمان والإمكان ، جاء غلام حسن القَوام ، عَذْب الكلام ، كأنّه بدرُ التّمام ، ومِصباح الظلام ، إذا رنا فالربيب[3] ينظر من عينيه ، والقضيب يهتز من عِطفيه .

ما في الوجود له شَكلٌ يُماثِلُهُ من البرية لا أُنثى ولا ذَكَرُ

(١) الطيبة : مصدر طاب ، ومؤنث الطيب ، وطيبة الخمر : أصفاها . (٢) في الأصل : ويجمّع . (٣) اللفظة لا تساعد المعنى .

تحيَّرَ الحسنُ في تكوين صُورتِهِ وأظلم النيِّران : الشمسُ والقمرُ
إذا تبدّى فبدرٌ طالعٌ حَسَنٌ وإن تثنَّى فغصنٌ ناعمٌ نَضِر

قد كَمُل حُسنُه وخَلْقه ، وحَسُن زِيُّه وخُلُقه ، فقال بلسانٍ عَذب ، وكلام كاللؤلؤ الرَّطْب : عرفتم أيها السّادة ، ما جرت به العادة ، وأكلُ الطّعام ، قبل شُرب المُدام ، فاعزموا إذا دُعيتم ، ولا تأبَوْا إذا استُدْعيتم . فنهضنا مُلبّين نِداه ، مُجيبين دُعاه ، فسار أمامنا ، واتخذناه إمامنا ، إلى طعامٍ تَكِلُّ عن وَصفه الألسُن ، ويشتمل على ما تشتهي الأنفس وتَلَذُّ الأعين ، فاعتمدنا مَذْهب الإيثار ، وأكلنا حَسَب الاختيار ، ورفعنا فاضل الخِوان إلى الحاشية والغِلمان ، ثم استحضرنا الطُّسُوت والأَباريق ، والغَسول المُتَّخذ من ماء الورد والمسك السحيق ، فغسلنا الأيدي والأَفْواه ، واستعملنا الطّيب والأفواه . فلم نلبث حتّى أقبل غلامٌ أحسنُ من الأوّل وَصْفاً ، وأكملُ رَشاقة وظَرْفاً .

مُهَفْهَفٌ جَلَّ حُسناً أن تُكَيِّفَه في الخَلْق دِقَّةُ أفهامٍ وأفكارِ
حاز الجمال فكلُّ الخلْق يَمْنَحُه مَحَبَّةً بين إعلان وإسرار
في وجهه آيةٌ للحُسن باهرةٌ جلَّتْ فذَلَّ لديْها كلُّ جبّار
تمازَجَ المِسْكُ والكافور واتّفقا بوَجْنَتَيْه ولاذ الماء بالنّار

قد تحلَّى بالجمال ، وتردّى بالكمال ، سكران من خمرَتيْ صِباً ودَلال ، يتمايل كأنّه غُصْنٌ عبثت بعِطْفَيْه ريحا صَباً وشَمال ، وفى يمينه ثُلاثيّةٌ ذات شُعاع ونُور ، وفي يمينه كأس من بَلُّور .

حَمْراء في كأسِها السَرّاء تَطّرِدُ فما تَحِلُّ بها الضّرّاء والكَمَدُ

كأنّها جذوةٌ قد ضمّها بَرَدُ ... إذا صببتَ عليها الماءَ تتقدُ

يسعى بها شادِنٌ ألمى أغنُّ كحيـ ... ـــل الطّرْف نمّ به التّوْريد والغَيَد

فقال بلسانٍ فصيح ، وكلامٍ عذبٍ صريح ، ولفظٍ مليح ، ومعنى رَجيح : السلام عليكم يامَسَرّة نفوس الأوطان ، وقُرّة عيون الإخوان . فقلنا : وعليك السلام يا بِدْعة الزّمان ، ومجمع الحسن والإحسان ، ويا مُفْحِم قُسّ وسَحْبان[1] ، فقال : اعلموا أحلّكم الله دار الأمن والأمان ، وأمتع ببقائكم الإِخْوة والنّدْمان ، أني رسولٌ إليكم من جامع اللّذاتِ والأفراح ، ومُحيِّيها في الكاسات والأقداح ، بنتِ الكروم المُنقِذة من الهموم ، المُفرحة على الخصوص والعموم .

راحٌ لا يلوذ النَصَبُ بساحتها ، ولا يُكدّر التعبُ صَفْوَ راحتها ، ولا يَحُلُّ الحزن بدارها ، ولا يُطفئ الماء ضَوْءَ نارها . بِكْرٌ ما أُيِّمَتْ ، ومُرّةٌ حَلَتْ لما حُرِّمَتْ ، كلّما عُتِّقَتْ زادت جِدّةً ، وإذا كُسِرت بالمَزْج أزدادت حِدّةً ، قد قصّر عن وصفها الواصفون ، وحار في إدراك نَعْتِها العارفون . وأنا أقول بلسانها ، والذي في يدي عُنوانها ، وها هي الآن قد بَرَزَتْ من خِدرها ، وتحلّت بحَبابها لا بدُرّها ، وقد أنالتكم رَضاعَ دَرِّها ، وأغنتكم من وزن جَذرها ، وكفى تدعوكم إلى نفسها ، وتمنحكم ثِمار غَرْسها ، وتُبيحكم حِمى مَسِّها ، وتنبيكم أن هذه ليلةُ عرسها ، فهلمّوا ، وألمّوا .

وتقدم فسِرْنا خلْفَه[2] ، واجتَنَبْنا خُلْفَه ، وهو ينحرف إلينا كالظّبي الغَرير ، وينعطّف لدينا كالغُصْن النّضير ، ويُشرق علينا كالبدر المنير . فأدخلنا مجلساً صَغّر عندنا ما رأيناه ، وأنسانا كل ما رَوَيناه .

---

(١) انظر في التعريف بهما الهامش الرابع من صفحتي ٣٣٥ ، ٣٣٦

(٢) هذه الجملة مستدركة في هامش الأصل .

مجلسٌ حُفَّ بالسَّنا والسَّناء بايعَتْنا فيه يدُ السرّاء
في زمانٍ صفا وراق ورقّ الـ ـجوُّ لما وافى نسيمُ الهواء
وكسا رَبْعَه الربيعُ وحلّا هُ بلونِ الصفراء والحمراء
ضاع عَرْفُ الصَّهْباء والوقت والنَّدْ مان فيه وطيبُ نَشْرِ الكِباء[1]
فبلغنا كلَّ المُنى والأماني وغَنينا عن الغِنى بالغِناء
وشُغِلْنا عن القَنا بالقَناني والتَهَيْنا عن الظُّبَى بالظِباء
وانعكفنا على ارتشاف دم العنـ ـقود ضَرْبًا عن قصد سفك الدِّماء
بين إخوان نَجْدةٍ وأُولي بأْ سٍ وفضلٍ ويقظةٍ وحِباء
وسخاءٍ وحكمةٍ ووقارٍ ووفاءٍ وفطنةٍ وحياء
وجمالٍ وحُسْن خَلْقٍ ولطفٍ وكمالٍ ونَخْوَةٍ وذَكاء

قد أطلعت بدرَ الكمال سماؤه ، وأبرزت نجومَ الإقبال أفناؤه ، وحُفَّ بالنَّوْر والنُور ، والوَرْد والمَنثور ، ونُضِد بالزّهر والرَّيْحان ، بين الحور والولدان ، بكؤوس مُدام كالأرْجُوان ، بين اتّفاق أوتار ، واختلاف ألحان . وهم يسكرون بكاستهم[2] قبل كاساتهم ، وبسوالفهم لا بسُلافاتهم ، فناول كلَّ واحدٍ رِطلا ، ولم يترك أحداً منا عُطْلا ، وقال :

باكِرْ كُؤوسَكَ يا نديمي وذَرِ الوُقوفَ على الرُّسومِ
واشرب هنيئاً واسقِني كأساً تُريح من الهُموم

---

(١) عود البخور . (٢) كذا في الأصل ، ولعلها : بكياستهم .

بِكراً مُعَتَّقَةً وِلا دَتُها من الدَّهرِ القديمِ
من قبل مَهْبِطِ آدمٍ والكونُ في دار النعيم
حمراء يُشرِق نورها في ظُلْمة الليل البهيم
وتَخال نَظْمَ حَبابها في كأسها زُهرَ النُّجومِ
من كفِّ أحورَ يَنْثني كالغصن من مَرِّ النسيم
رشأٌ مَلاحته تُحَيِّرُ كلَّ ذي لُبٍّ سليم
أحوى أحمُّ عليه جلْباب النَّضارة والنّعيم
في مجلسٍ مُسْتَنْزَهٍ ما بين كاعبةٍ وريم

ونحن ما بين قيامٍ وقعود ، واشتمام رائحة نَدٍّ وعود ، واستماع ناي وعود ، إلى أن أخذت الراحُ منا بعض حقّها ، وصرنا في قبضتها وتحت رِقِّها ، وتقضَّى أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار[1] ، وهدأت منا النَّزْوة ، وبان فينا الفُتور والنَّبْوَة ، ومالت الرؤوس طيباً وطرباً ، وارتاحت النفوس عُجْباً وعَجَباً ، فحينئذ قرّ لنا القرار ، واطمأنت بنا الدار ، فتذاكرنا الأخبار ، وتناشدنا الأشعار ، فقام فينا سيِّدُ القوم خطيباً ، وأوْسعنا لوماً وتثريباً ، وعنّفنا بالوعظ ، وأغلظ في اللفظ ، وقال : يا غافلين عن الزمن الأنيق ، والعيش الرّقيق ، أما تستمتعون ما[2] سمحت به يد الزمان البخيل ، وتستلذّون المُقام قبل الرحيل . ثم تناول رِطْلاً كبيراً ، وأطرق يسيراً ، ونظر اليه شَزْراً ، وأطال رَوِيّةً وفِكراً ، فتطاولت إليه الأعناق ، ورمَّقت نحوه الأحداق ، فقال :

---

(١) كذا في الأصل : ولعلها : الغرار القليل من النوم .

(٢) كذا في الأصل ولعلها : بما .

أنظر إلى الماء فيه النّار تلتهبُ ... كأنه فِضّةٌ قد شابها ذَهبُ
وٱستغنم العيش وٱشربها مُعتّقةً ... وٱنهب زمانك واللّذاتُ تُنْتَهَب
من كفّ أحورَ في أجفانه مَرَضٌ ... به قلوبُ ذوي الألباب تُسْتَلَب
أحَمّ أحوى رَخيم الدلّ مُنْفرد ... في حسنه ، وإليه الحسن يَنتسب
للخمر من ذاته وصفٌ يشرّفها ... ما لا يجود به من مائه العنبُ
من خدّه لونُها القاني ، وسكرتُها ... من ريقه ، ولها من ثغره حَبَبُ

ونادى بلسانٍ قد أطاقته النَّشْوَة ، وٱعتقلته القهوة : يا إخوتي ٱشتغلوا بالعُقار[1] عن إنشاد الأشعار ، وبسماع الأوتار ، عن ٱتّباع الأوتار ، وبالإصغاء إلى الألحان ، عن البكاء على من نَفِد عمره وحان ، وتأمّلوا بدوراً يحملون شموساً ، ويَجْلُون لديكم عروساً ، ويُديرون لديكم خَندريساً ، ويغادرون رَسْم العقل بها دَريساً ، ويُحيون بقتلها مَزْجاً مُهَجاً ونفوساً ، إن أقبلوا فالبدور متجلّية ، وإن ٱنثَنَوا فالغصون مائلة مستوية . وٱنظروا شعوراً زيّنها التجعيد ، وخُدوداً طرّزها[2] التوريد ، وعيوناً صِحّتها السّقام ، ويقظتها المَنام ، ونظرتها الحِمام ، ولحاظها السّهام ، وأصداغاً مُبَلبلة ، وقُدوداً معتدلة ، وأفواهاً ضُمّنَتْ مِسْكاً وكافوراً ودُرّاً ومُداماً ، وشِفاهاً ضُمّنت شِفاء وطيباً ومُداماً ، وخُصوراً تَوَشّحَتْ بالنُّحول ، وأردافاً ٱستغنت بالعَرْض عن الطّول ، فتلقّينا[3] قوله بالقَبول ، وٱشتملنا على ٱرتضاع دَرّ الشّمول ، وعَدَلْنا إلى مُشاهدة الشّهود العُدول ، إلى أن بعث الليلُ رسولَه ، وأرخى[4] علينا ذُيوله ، وزحف

(١) في الأصل : العقار .
(٢) في الأصل : طرّرها .
(٣) في الأصل : فتلقتنا .
(٤) رسمت في الأصل : وأرخا .

بعساكره ، وخيَّم بدساكره ، فنوَّرنا ظُلَمه بغُرَرِ الجمْع ، وطعنّا بُهَمَه بأسنّة الشَّمْع . ولم نزل كذلك إلى أن هبَّ النسيم ، وسَكِر النديم ، ورقّ من الليل الأديم ، وامتدّ الضياء ولاح ، وغرّد الطائر وتاح[1] ، وانفرقتْ طُرّةُ الظلام عن جبين الصباح ، ونادى المؤذِّن : حيَّ على الفلاح ، ونحن ما بين قتيلٍ من كاسه ، صريعٍ من نُعاسه ، ساهٍ عن جُلّاسه ، لاهٍ بوسواسه ، هُمودٌ جُمود خُمود ، لا نسمع لنا رِكْزاً ، ولا يكلّم بعضنا بعضاً إلاّ رَمْزاً .

غيَّبَتْنا شواهدُ الصَّهْباء ... وتلاها سَماعُ طيبِ الغِناء

فبقينا صَرْعَى سماعٍ وسُكْرٍ ... واعترانا خَطْبا بَقاً وفَناء

مَنْ رآنا رأى مناظر أموا ... تٍ وفينا مَخابر الأَحياء

قد كَمُلَت أدوات الفَرْحة ، وعزمنا على الصُّبْحة[2] ، إذ طرقَنا مُخَبِّر ، وبما شاهده لنا مُبَشِّر . فسألناه عن قصته وما وراه ، وحقيقةِ ما عاينه ورواه ، فقال : العجائب لا تورد على وَهْلة ، والغرائب تفتقر في وصفها[3] إلى مُهْلة ، والعَجول ما يَحْمَد فِعلَه ، والرائد لا يَكْذِب أهلَه . رأيت صَيْداً لا يصيده إلا الصَّناديد ، ولا يناله إلا الصِّيد ، في مكان لا أَصِفه إلاّ بالحَصَر عن صفته ، ولا أعرفه إلاّ بالجهل من مَعرفته ؛ فأصغينا نحوه ، ونحونا صَغْوه ، وملنا عن الأصطباح إلى الأصطياد ، وأمرنا بإصلاح الزاد . فحين سفرت الشمس وحَسَرت نِقابها ، ورفعت عنها يدُ النهار حِجابها ، أُسرجت الخيول ، وأُجريت كأنها السيول ، واستصحبنا كلَّ جارحة وجارح ، وركبنا كلَّ سابحةٍ وسابح .

---

(١) تاح : تمايل . ولعلها : ناح . (٢) الصبحة : ما تعلّلت به غدوة . (٣) في الأصل : وضعها .

فمن أدهمَ أجتاب بُرْدَ الليل واُتخذ الصباحَ غُرّة ، وأحمر لبس قميص سُهيلٍ يملأ القلب مَسَرّة ، يسبقان في الشَّوْط هُبوب الرّياح ، ويطيران لوُقوع السَّوْط بغير جَناح . ومِن أشقر كلون المِرّيخ(١) أديمُه ، قد تم خَلْقُه وكَرُم خِيمُه ، وأبلَقَ أمتزج اللّيل فيه بالنهار ، مأمونِ العِثار ، ميمون الآثار ، لا يعرفان الوَجْى ، وما ركبهما إلاّ من نجا . ومِن أشهبَ مَوْشِيّ الإهاب ، كأنه مَشيبٌ من باقي شباب ، وأصفرَ كالشمس حين توارت بالحجاب ، وكلون المُحبين عند معاينة الأحباب ، يفوتان البرق في لمعانه ، ويفوقان الطائر في طيرانه . ومن كُمَيْتٍ كالكُمَيْت لونـاً وصفاء ، ووَرْدٍ كالوَرْد أحمراراً وبهاء ، ومن حِصان كحِصن ، أو بَرْقٍ في مُزْن ، ومن حَجْرٍ(٢) ذاتِ حَجْر ، كأنها سُحْرةٌ مُسْفِرةٌ عن فجر ، ومن خضراء كستها خُضرة الفلك أبهى وِشاح ، وأعارتها الريحُ سرعةً بغير جِماح ، نادرة العينيْن ، قليلة لحم الفَخِذين ، واسعة المَنْخرين . ومن بيضاء قُدّتْ من فَلَق الصَّباح ، وحكت ترائب الصُّباح(٣) .

جيادٌ تفوتُ الطَّرْفَ سَبْقاً وسُرعةً ... عِتاقٌ عِرابٌ من مَعَدٍّ وعدنانِ
يُنالُ عليها كلُّ صعبٍ مَرامُه ... ويغدو لها النائي ، إذا اُستُحضِرت ، دانِ(٤)
تَمُتُّ بأنسابٍ كرامٍ ، نجارُها ... نِجارٌ قديمٌ من جِياد سليمان
ويمنعها من أن تطير عَرامةً ... إذا قُرِعت بالسَّوط . فَضلاتُ أرسان

طوال الدّلائل(٥) ، مُشْرِفات الكواهل ، دَقيقات السّوالف ، ليّناتُ المعاطف ، جَثْلات السَّبائب ، قويّات المَناكِب ، عظيمات المياكل ، قُبُّ الأياطِل ، تحثّ بنا

(١) يقولون إن المريخ مأخوذ من المَرْخ وهو شجر تحتك أغصانه فتوري ناراً ؛ فسمي بذلك لاحمراره .
(٢) الحِجْر : الأنثى من الخيل . (٣) الصُّباح : الفلام الجميل . والصِّباح : ج الصبيح : وضيء الوجه .
(٤) كذا في الأصل . (٥) الثلاث الطوال المستحبة في الفرس : الأذن والعُنق والذراع ، أو الحزام .

المَسير ، إلى حيث نصير ، فكلّما ننتهي إلى غدير ، أو نَهرٍ بنَمير ، وقفنا عليه ، وشربنا دَوْراً لديه ، وإذا حللنا بمرجٍ أقمنا فيه ، ونهلنا القهوة في أرجائه ونواحيه . فما توسّط نهارُنا ، إلاّ وقد انكسر بالخمر خُمارنا ، ونشأت نَشْوةُ النّفُوس ، وتلاشت الدَّوْخَةُ من الرءوس . وما حاولنا النُّزول ، حتى قاربت الشمس الأُفول ، فوصلنا إلى الموضع الذي أعرب عنه ، ولم نر أطيب منه ، فألْقَيْنا به العصا ، وما ألقينا مَن عصا ، ونزلنا عن المراكب ، إلى المراتب ، وآثرنا مُفارقة الجنائب ، واخترنا مقارفة الحبائب ، وقد أجهدَنا اللُّغوب ، واضطهدَنا الرُّكوب . فنلنا من الطعام ، ومِلنا إلى المنام ، في رَوْضةٍ أريضة ، طويلةٍ عريضة .

أقامت السُّحبُ فيها غيرَ وانيةٍ تَسْقي ثَراها بهطّالٍ من المَطَرِ
مُخيِّماتٍ عليها مُشْيَ ثالثةٍ لكنَّها قُوِّضَتْ محمودةَ الأَثَرِ
أدارها الفَلَكُ الدوّار مُحْتفِلاً بها فزيَّنَها بالأَنْجُم الزُّهُرِ

زهت أزهارها ، وبَهَر بَهارُها ، وأنار نُوّارُها ، مُهتزّة أعطافُها ، مُعتزّة أطرافُها ، صافية نِطافُها ، ضافية[1] أريافُها ، نَضِرة أكنافُها ، عَطِرة أردافُها ، قد سَلّت عليها[2] يدُ الأُفق ، سَيفاً من البرق ، وصوّت هنالك الرعد ، فوفى له من السحاب الوعد ، وحلّت السماء أفواه عَزاليها ، فجادت عليها بكل ما فيها ، فاهتزّت الأرض وربَت ، وأخذت زُخْرُفَها وازَّيَنت ، وأنبتت من كلِّ زَوْجٍ بهيج ، وتنسّمت بكل نشرٍ أريج ، من شقيقٍ كالعقيق ، في بَهْج الرَّحيق ، وَوَهْج الحريق ، وأقاحٍ كالثّغور ، ومَنْثورٍ كالدُّر المنثور ، ووَرْدٍ كالخُدود ، وباناتٍ كالقُدود ، ونَفَلٍ وحَوْذان ، وشقائق

---

(١) في الأصل : صافية . (٢) في الأصل : علينا .

نُعمان ، وخُزامى وأُقْحُوان ، ما بين[1] أبيضَ يَقَق ، وأحمر قانٍ ، ضاحكٍ من بكاء الغيوم ، مُفاخِرٍ بناجمات زَهره زُهْرَ النجوم ، دالٍّ على وَحدانية الحيّ القيوم ، إذا حاول الثَّناء على الحيا منعه الخجل والحياء ، وحصره الحصَر والإعياء ، فشدا[2] بذكر رائحته ، مدحاً لغاديته ورائحته . وهذه في تقريظه وتحميده[3] . قد أحدقت بها أشجارٌ مختلفاتُ الأجناس ، مُتَّفِقات الأغراس ، قد تساويْن في الطول والطَّلَل ، وتسامَيْن عن المِثْل والمَثَل ، تُسْقى بماء واحد ويُفضِّل بعضَها على بعض في الأُكُل .

دَوْحٌ زكا فعليه من أوراقه كِلَلٌ ومن أزهارها إكليلُ
تُصْبي الوَرى منه بدائعُ مَنْظرٍ بَهِجٍ يَرُدُّ الطَّرْف وهو كليل
تَخِذَتْه أصنافُ الطيور مواطِناً فلهنّ فيه تنقُّلٌ ومَقِيل
وتجاوُزٌ وتزاوُرٌ وتذاكُرٌ وتحاوُرٌ وتَشاوُرٌ وهَدِيل
شَدْوٌ وتسبيحٌ وبَثُّ صَبابةٍ وتسجُّعٌ وترنُّمٌ وعَويل

كلّما هبّ عليهن الهواء أمالهن كالشّارب الثَّمِل ، وأدْنى بعضَهنّ إلى بعضٍ للضمّ والقُبَل ، وعطف على كلّ قضيبٍ قضيبا ، كما اعتنق مُحِبٌّ حبيبا . والوُرْق قد أخْفَيْن بأوراقهنّ بديعَ ألوانهن ، وهَتَكْن أستارَهُنّ بفنون ألحانهن في أفنانِهِنّ ، ن ويبحْن ، ويُغنِّين ويُغرِّدْن ، ويَصْدَحن تارةً ويُسبِّحْن ، ويُعْجِمْن طَوْراً ويُفْصِحن ، كأنهنّ قَينات حَجَبَتْهنّ ستور ، أو قينات[4] ضَمَّتْهُنّ خُدور ، يتزاوَرْن بلا رُسُل ، ويتواصَلْن من غير مَلَل ، قدْ أمِنّ المَغيب ، واطَّرَحْن الكاشح والرقيب ، وسكنّ

(١) في الأصل : ما بيض .
(٢) في الأصل : فشدى .
(٣) كذلك وردت هذه الجملة في الأصل .
(٤) كذا في الأصل ، ولعلها فتيات .

أَطيبَ مَنْزِل ، ووَرَدْن أعذب مَنْهَل . وهنالك نَهر ، كأَن حصاه الدُرّ والجوْهر ، وثَراه المِسْك الأَذْفر ، وماءه[1] من نهر الكوثر ، المُدَّخَرِ ليوم المَحْشر ، مُغْدَوْدِق المشارع ، سَهْل الشرائع . فبتنا بها ليلتَنا ، ونلنا أُمْنِيَّتنا . فلما تبلّج وَجْهُ الصباح ، نادى منادي الراح : حَيَّ على الأصطباح . فقلنا ما قَصْدُنا إلاّ الصَيْد ، ولا كرامة ولا كَيْد . ونهضنا إلى خيولنا فركبناها ، وإلى آلات القَنْص فاشتملناها ، وإلى الجوارح فجرَّدْناها ، وإلى المناهل فوردناها . فرأينا صَيْداً تحار لكَثْرَته الأَفكار ، وتقصُر عن إدراكه الأَبصار . فمن أَرانب وغِزْلان ، وحبارج[2] وكِرْوان ، وحَجَلٍ ودُرّاج ، وطيرٍ مما قد هاج ، وهي في عدد الرَمْل والنُّجوم . فجُعِل لكلّ صنفٍ من الجوارح جُزْء مقسوم ، فأَفْردنا الكلابَ للأَرانب والفُهُودَ للظِّباء ، والبُزاةَ للحَجَل والشواهين لطير الماء . وسرنا صَفّاً ، كأَننا[3] نحاول زحْفاً . والظِّباء في مَرابضها نائمات ، وعمّا يُراد بها غافلات ، في بُلَهْنِيةٍ من العَيْش وَدَعَةٍ ، وخِصْب في مَرعى وسَعَةٍ ، قد أَمِنَتِ البوائق ، ونسيت العوائق . والأَرانب في مَجاثِمِها لُبُود ، تَحسِبها أَيقاظاً وهي[4] رُقود . والحجَل قد فارق ثَبَجه ، وضَيَّع مَدْخله ومَخْرَجه ، منتصباً على الآكام ، لا يَفْتُر عن[5] الكلام ، كأَنّه وامِقٌ مُستهام ، أَو طافحٌ خَبَلَتْه مُدام ، في غفلةٍ من فتكات القَدر ، وأَمَنةٍ[6] من آفات الغِيَر . والدُرّاج قد أَخذ في الصِّياح ، لما أَحسّ تَبَسُّم[7] الصباح ، والبوزجات تُجاوبه بالنُّباح ، كأَنما الدُرّاج يدعوها إليه ، أَو كأَن الكلاب

---

(١) في الأصل : وماؤه . (٢) الخبْرج والخبروج : نوع من الحبارى ، أو ذكره . والجمع الخبارج والخباريج . انظر اللسان والدميري ومعجم الحيوان ص ٤٣ (٣) مع هذه اللفظة ينتهي الخرم في النسخة « ب » . انظر الهامش الماشر من الصفحة ٣٥٣ (٤) في « ب » : وهم . (٥) في « ح » : من . (٦) في « ب » : آمنة . (٧) في « ب » : أحسن تنسم .

تطلب ثأراً لَدَيْه . وطير الماء في ذلك النَّهر العَجّاج[١] ، المتلاطم الأَمواج[٢] ، قد شرع في الأَزْدِواج ، يُطرِّبُ مع إِلْفِه ويَمْرَح ، ويختال عُجْباً به ويَسْبح ، قد اتّخذ الماء مَعْقِلاً يحميه ، ولا يعلم أَنَّ حَتفه فيه .

فما كان إلاّ عن قليل ، ولا سِرْنا إلاّ[٣] جزءاً من ميل ، حتى نَفَرَت الظِّباء من مَرابضها وكُنُسها ، مُسْتَبْدِلةً منّا وَحْشَةً بعد أُنْسها . فمن غَزالةٍ تُزْجي[٤] خِشْفها ، وتَتَشوَّفُ حذراً عليه وتقلِّب طَرْفها ، وتودّ لو تحفَظه وتَقيه ، وبِرُوحها من البلاء تَفْديه . وَمِنْ فَحْلٍ قد طال رَوْقاه[٥] ، واشتدّ أَزْره وَقُواه ، وقد تقدّم على السِّرب ، كأنه طالب للحرب ، غيرَ مُحتفلٍ بنا[٦] يمشي الهوينا ويرعى ، ويلتفت تارةً إلينا ويسعى ، قد اعتمد على السَّبْق في الإِباق ، وَأَمِنَ مِنْ وَشْك الطاب[٧] واللّحاق . ومن ظَبيات يَرْتَعْن ويلعبن ، ويجئن ويذهبن ، غافلاتٍ عمّا يُراد بهنّ ، غير حافلات بما أتى إليهنّ .

فعمَدْنا إلى الفُهود ، وهنّ خَلْف الرجال قيامٌ وقُعود ، فما منها فَهْدٌ إلاّ وقد سُمّي باسم ، ووُسم بوَسْم ، فاستدعينا « طريفاً » ، وكان خفيفاً ذفيفاً[٨] ، إذا عدا سَبَقَ وميض البرق المتألّق[٩] ، وإذا نزا كان كالسيل المُتَدفِّق .

كأنّ الريح حين يلوحُ سِرْبٌ ... أعارتْه مُعاجَلَةَ الهُبوبِ
يُغير فيجعل النائي قريباً ... ويسلُبُ[١٠] مهجة الظبي الرَّبيب
تُلاحِظ منه حين يَجُول جسماً ... تدرّع حالياً حَبَّ القلوب

---

(١) في « ب » : العاج .
(٢) في « ب » : بالأمواج .
(٣) سقطت (إلاّ) في « ح » .
(٤) في « ح » : ترجى .
(٥) في « ح » : أرقاه . والروق : القَرْن .
(٦) لم ترد (بنا) في « ب » .
(٧) في « ح » : وأمن وثبات الطلب .
(٨) في « ب » : دفيفاً . والدفيف : الخفيف السريع .
(٩) في « ح » : المتالق .
(١٠) في « ب » : وتسلب .

وجاء الفَهّاد بفهد نبيل ، عريض طويل ، صغير الراس ، قوي الأساس ، يَقِظ الحواسّ ، صَعْب المِراس ، شَرِس الأَخلاق ، أَهْرَت الأَشداق ، قد لبس حُلَّة الأَرقم ، واُقتبس خَلَّة الضَّيْغَم ، فأَخذ جُلّه وبَرْقَعه ، ولِوَهْدةٍ[١] من الأَرض أَوْدعه ، فاُنساب اُنسياب الصِلّ مُسرِعا ، وَجَدّ لمّا وَجَدَ إلى مراده مَشْرَعا[٢] ، وهو يتستّر اُستتار المُريب ، وَيُتْبِع الجَرْيَ بالتَّقريب ، وكلّما حان من السِّرب اُلتفات ، وقف حتى يُظَنّ أَنه نبات . فلم يزل على كلتا[٣] حالتيه ، حتى دنا منه وشدّ عليه ، ودخل في جَمْعه ففرّقه ، وعمد إلى شَمْله فمزّقه ، فطاب كلّ طريقَ النجاة ، رَغْبةً في الحياة ، فما شاف ، إلى[٤] الأَخْشاف ، ولم يكن إلاّ أَسرعَ من أن يردَّ الناظر طَرْفا ، حتى جعل[٥] إهاب الفَحْل طَرْفا . فجاء الفهّاد إليه ، ونزل عليه ، وذبح ما صاده ، وناوله فؤاده ، وقال : ما تقولون[٦] في الشبعة ، والعمل بمقتضى الصَّنعة ، فقد أَحسن « الطريف » ، وصدر منه الفعل الظريف ، ولم يبق عليه للذمّ[٧] مكان ، وهل جزاء الإِحسان إلاّ الإِحسان . فقالنا : الرأي ما تراه ، فدونك وإياه .

ثم أَحضر الفهّادُ فهدةً وحشية ، تخال ظهرها حَشِيَّة ، قريبةَ عَهْدٍ بالبرّيّة ، قد جرّعَتِ الوحوشَ كؤوسَ المَنِيّة ، طويلةَ الرَّقَبَةِ والظهر والفخذين ، عريضة الأذنين والصدر قصيرة الساعدين ، وجهها عَبوس ، مستوحشة لا أَنوس ، قد حلّ في براثنها البوس ، فطريدتها[٨] من الحياة يؤوس .

---

(١) في « ح » : ولوهد .
(٢) في « ب » : .. وجد من مراده مراده مذهبا .
(٣) في « ح » : كلتي .
(٤) كذا في الأصلين .
(٥) لم ترد (جعل) في « ب » .
(٦) في « ب » : ما يقولون .
(٧) في « ح » : للدم .
(٨) في « ب » : وطريدتها .

وَجْهٌ كأَنّ البدر حالة تِمّهِ أهدى له تدويره وكمالَهُ
وَجَناته مَنْموشةٌ فكأنما ألقى عليها كلُّ خدٍّ خالَه

فاعترضتنا[1] شاةٌ وطَلاها وهيَ بعينها تُراعيه ، ومن أطيب النبات تُرْعيه ، فاستترنا منها ، وتخفَّيْنا عنها ، وقلنا للفهّاد : امْضِ وَانْفرد ، وَاقْصُ[2] وَاقتصد ، فهذا مكان قصير النبات ، قليل[3] الشَجَرات ، لا يتهيّأُ فيه[4] النزول ، ولا يمكن الفهد[5] فيه الدُخول ، فنحن ندور عليها ونردّها[6] إليك ، ولا شكَّ أنها تطمع فيك وتحمِل عليك . فلما عايَنَتْنا وَقفتْ ، وَلِأَغَنّها استوقفت ، وهاج بها القلق ، وبان عليها الفَرَق ، فتشاغلنا عنها حتى قَرّ قَرارها ، وسكن نِفارها ، وخمدت نارها ، وتوارى أُوارها ، وانعكفت على مَرْعاها ، ظنًّا أنه يخفى مرآها[7] ، لِيَتِمّ ما قُدِّرَ في الأَزَل ، وتستوفيَ ما بقي لها من الرزق والأجل . ثم عدنا فيه[8] راغبين ، والفتك بها راغنين[9] ، فقمَصت[10] مليًّا ، وخَلَصَت نَجِيًّا ، وطلبت مَخْرجا ، فلم تجد مُعَرَّجا ، فقصدت الجانب الخالي نحو الفهّاد ، وهو لها وخشفها بالمِرْصاد ، فلما تمكّن من الإرسال ، أخذ بُرْقُعَ الفهدة بلا استعجال ، وأرسلها فشدّت ، وقويت واشْتدّت ، فأشفقت الغزالةُ على خشفها ، فرضيت دونه بحتفها ، إذ[11] كان غير

(١) في « ب » : فاعترضنا .
(٢) في « ح » : واقص .
(٣) في « ح » : قصير .
(٤) في « ح » : به .
(٥) في « ح » : الفهد .
(٦) في « ب » : ونرد .
(٧) في « ح » : ظناً منها أنها تخفى مرآها .
(٨) في « ب » : فيها .
(٩) في « ب » راعبين . ورَغَن فيه : طمع .
(١٠) في « ح » : فقمصت . وقَمَص الفرسُ وغيره : رفع يديه معاً وعجن برجليه .
(١١) في « ب » : إذا .

عارفٍ بالهرب ، ولا قادرٍ على التعب[١] . ونظرت مداها ، فقصّرت خُطاها ، وتثاقلت في عَدْوها ، وتكاسلت عن نَزْوِها ، لِتُطْمِعَ الفهدةَ في صيدها ، وتحظى بسلامة وُأيْدِها ، ولم تعلم بماذا الدهرُ دهاها ، وبأيٍّ فادحةٍ[٢] رماها ، وبأيّ لافحةٍ أصلاها ، وبأيّ دِمْنةٍ طُلّ دَمُ طَلاها ، فاُستقامت الفهدة على العنز ، فلم يُنْجِها سرعة العَدْو والجمز ، فتَلّتْها للجبين ، وأخذت منها بالوَتين ، وشغلتها بحَيْنِها عن الحنين ، واُنفرد[٣] الخِشْف كالحزين ، يتفلّت ، ويتلفت ، ويتأسف ، ويتخوّف[٤] ، فأدركتنا عليه[٥] الشفقة ، ومَلَكَتْنا له[٥] الرقة ، وعزمنا أن[٦] نُخَلّيَ سبيلها ، ولا نُفرد عنها سَليلها ، فتراكضنا[٧] إليها ، وترامَيْنا عليها ، فوجدنا الفهّاد قد ذَكّاها[٨] ، وأباح الفهدةَ حِماها ، فقال : فات ما ذُبح ، وفاز من رَبِح . ثم قال : ما ترَوْن في الاُقتصار على هذا الطَلَق ، والاُقتناع بما اتّفق ، فالفهود معكم كثيرة ، ومدة نهار الصيد قصيرة ، وإصلاح الجارح أصلح ، والإحسان إليه أربح ، فما تركتم فيه وجدتموه ، وما شَرِهتم عليه حرمتموه . فقلنا : افعل ما بدا لك ، وَدَعْ جِدّك وجدالك .

ثم قدّم الفهّاد فهداً ربيبا ، عاقلاً أديبا ، كامل الأُنس ، كأنه من الإنس ، قد هذّبت التربية أخلاقه ، وأذهبت التوطئة شِقاقه ، وحلّى الإصلاح[٩] مَذاقه ، فهو[١٠]

---

(١) في « ح » : النعب .

(٢) في « ب » : قادحة . (٣) في « ب » : وانفردت .

(٤) في « ب » : تتقلب وتتلفت وتتأسف وتتخوف .

(٥) سقطت لفظتا : (عليه) و (وله) من « ب » .

(٦) في « ح » : على أن . (٧) في « ب » : فراكضنا .

(٨) في « ب » : ذماها . (٩) في « ح » : وحلا للاصلاح .

(١٠) في « ب » : وهو .

وَلاّجٌ خرّاج ، مهتاج كأنه محتاج ، دخّال إذا أُدْخِل ، نزّال إن أُنزل ، مِرْواح[١] إن أُرْسِل[٢] .

يَشُدّ على الطّريدة ثم يَهوي   فليس ترى[٣] به إلاّ انْتِياحا
فيُرديها مُعاجَلَةً كأنْ قد   تضمّن كفُّه القَدَرَ المُتاحا
له خُلقُ اللّيوث فكلّ وقت   يزيد على بَسالتِها جِماحا
وخَلْقٌ تنظر[٤] الأبصار منه   كأنّ عليه من حَدَقٍ وِشاحا

الريح حاسرةٌ في مَجْراه ، والظباء حائرة في مَرْجاه[٥] ، قد نَقِي بياضه ، وحَلِك سَواده ، وأُمِن إعْراضه ، فمُلِك قياده ، فأخذناه معنا ، والْتأمنا واجتمعنا ، وجئنا إلى أرضٍ سَبْخة لا حشيش بها ولا مَدَر ، ولا شيح ولا حجر ، وبها قطيعٌ قد نَيَّف على العشرين ، ولم يبلغ الثلاثين ، فلما قَرُبنا من السِّرب ، طِبنا أنفُساً بالخِصْب ، ووَثِقنا بالكَسْب ، وهو في الهَرَب ، ونحن في الطَّلَب ، نخشى أن يفوتَنا ، ونُحْرَم منه قوتَنا ، فأجمعنا على أن نَطْرَحه وندور عليه ، ونردَّه إليه . فتركنا الفهد من تحت الهواء ، ومَضَيْنا في طلب الظِّباء ، وهو قد لمّ بعضه في بعض[٦] ، كي يُخال[٧] قطعةً من الأرض ، وقَوَّرْنا حتى جئناها من أمامها ، كأننا نسوقُها بزِمامها ، فانقلبت على أعقابها ، ملتفَّةً بأصحابها ، ملتفتة إلى طلابها ، ونحن نقودها إلى

---

(١) في « ح » : مراوح .   (٢) تختفي الكلمة في مصورة « ب » .
(٣) في « ب » : يري .   (٤) في « ب » : منظر .
(٥) كذا في الأصلين ، ولعلها : مزجاه .   (٦) في « ح » : بعض .
(٧) في « ح » : يحاكي .

حَتفها ، ونذودُها عن إِلْفها ، فحين ضَيَّقْنا عليها[1] الحَلْقة والخِناق ، أُعتمدت[2] على الإِباق ، وأَمِنت اللَّحاق ، فرماها صَرْفُ القدر على الفهد ، ووَفى له فيها بالعهد ، فقام عليها مستطيلاً مُغيرا ، فخِلناه من سرعته بَرْقاً مُستطيرا ، فأَفرد منها عَنْزاً حائلا ، رَعَتِ العُشبَ حَوْلاً كاملا ، فنظرنا وإِذا بالعَجاج قد ثار ، ودم الأَدماء قد فار ، فأَسرعت بنا إِليه الجياد ، وقد سبقنا عليه[3] الفهّاد ، وهو يرقص فَرَحا ، ويرتجز مَرحا ؛ ويقول : ما في الحق مِرْية ، وليس بعد[4] عَبّادان قَرْية[5] ، ولا بدّ أَن نكتفيَ بالحِصّة من خِلاله وحَلاله ، ونكفيَه الغُصّة[6] في خُطاه وملاله ، فالشقيّ من طَمِع ، والسعيد من قَنِع ، والرّزق مقسوم ، والحريص محروم ، والتّلويح يغني عن التصريح ، وهل جزاء الجميل غير[7] الجميل ، وما على المحسنين من سبيل . فقلنا إِليك فوّضنا أَمره ، ومنك نطلب نفعه وَضُرّه .

فلمّا قضَيْنا من الفهود الوطَرَ ، أَفضينا إِلى المَرْج وَيَمَّمنا النَّهر ، وجعلنا طريقنا مَظِنّة[8] الأَرْنَب ، وتقاسمنا لصيدها جِياد الأَكْلُب .

شَمَرْدَلاتٌ[9] واسِعاتُ[10] الآماقْ سُودُ الزلاليم وَشُهْلُ الأَحْداقْ[11]

---

(١) في « ح » : عليه .

(٢) في « ح » : اعتمد .

(٣) في « ح » : إِليه .

(٤) في « ب » : ولا بعد .

(٥) من امثال المولّدين . وعبّادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في الخليج الفارسي .

(٦) في « ب » : القصة .

(٧) في « ح » : إِلاّ .

(٨) في « ب » : مضنة .

(٩) الشمردل : من الإِبل ، الفتيّ السريع .

(١٠) في « ح » : شمردلاتٍ واسعاتٍ . . .

(١١) في « ب » : الحداق .

غُلْبٌ[١] مَهاريتُ[٢] طِوالُ الأعناقْ قُبٌّ[٣] سَواطٍ[٤] شَرِساتُ الأَخلاقْ[٥]

يلثُمن تُرْبَ الأرض لَثْمَ المُشْتاق كأنهن يستَمِحْن الأَرزاق

للوحش[٦] من سُلْطانهن إفراق لا عاصمٌ منها له[٧] ولا واق

ولا مجيرٌ لا ولا شافٍ راق

فجرّ كلٌّ واحدٍ منا كلْبا ، وتفرّقْنا كأننا نحاول نَهْبا ، فَطَفِقت[٨] الأَرانب نافِرات ، والكلاب لهنّ كاسرات ، فحصَلْنا منهن على الفُرَج والنُّزَه ، وتَنكَّبنا عنهن وتركنا إلحاح الشَرَه .

واُستحضرنا البُزاة و[٩]الشواهين ، وعرضناهن علينا أجمعين .

فاُستدعى النقيب « بالكلّاب » ، فجيء ببازٍ أصفر نَقِيّ ، شاطرٍ ذَكِيّ[١٠] ، طويلٍ عريض ، أَزْرى بلونه على البيض ، نادر الأَحداق ، طويل السّاق ، قصير الجناح ، يسبُق في الطَّيَران عاصِفَ الرِياح ، صحيح سمين ، قويّ أمين ، لا يرجِع عن كلّ ما يُرسل عليه[١١] ، ويسبق حِمامَه إليه .

شَهْمٌ غدا يَزينه[١٢] اُصفرارُهُ محمودةٌ في صَيْده آثارُهُ

---

(١) الأغلب : الغليظ العنق .

(٢) مَهروت الفم : واسع الشدقين . وجمعه مهاريت .

(٣) الأقبّ : الضامر البطن الدقيق الخصر .

(٤) الساطي من الأفراس : البعيد الخطو الطويل .

(٥) جاء هذا البيت في هامش « ب » مستدركاً من سهو .

(٦) في « ح » : الوحش . (٧) في « ب » : لها .

(٨) في « ب » : قطفت . (٩) لم ترد الواو في « ب » .

(١٠) في « ح » : زكي . (١١) في « ب » : إليه . (١٢) في « ب » : يزنيه .

طائرُه لم يُنْجِه فِرارُه ... ولم يُوَقِّ نفسَه فرارُه[١]

ولم يردّ فتكه[٢] حِذارُه ... كأنّما سفكُ الدِّما شِعارُه

أو حلّ في مِنْسره شِفارُه

ثم أُستدعى « بالفاره » ، فأُتِيَ ببـازٍ أحمر ، أسود المِنْسَر ، رَحْبِ المِنْخَر ، مليح المَنْظر ، أزرق المِحْجَر[٣] ، أسود القفا[٤] أحدب الظهر ، شديد القُوى حديد البطش والقهر .

فاق البُزاةَ بلَوْنِه المتمرِّجِ[٥] ... وعلا بحمرته على الإصبهرجِ[٦]

ذو مِنْسرٍ رَحْبِ المَناخِرِ أسودٍ ... شمطاء هامته كرأس الزُّمَّجِ[٧]

وكأنّ زُرْقَةَ عينه في ماقِها ... سَبَجٌ[٨] أداروه على فَيْروزجِ

سَلَبَ العُقابَ سَوادَه فتراه من ... كلّ الجوارح حالياً بنموذجِ

غِطْراف[٩] عريض الصدر قويّ الأكتاف ، من أحسن الأنواع والأصناف[١٠] ، يُحْسِن النزول ، ولا يعرف عما يُرْسَل إليه النُّكول .

---

(١) كذا في « ب » . وفي « ح » : حذاره . ولعلها : قراره . (٢) في « ح » : قتله .

(٣) في « ح » : المتحجر . (٤) في « ح » : المنق . (٥) في « ح » المتمزّج .

(٦) في «ح»: الاصفهرج . وانظر في محاولة تفسير اللفظة المصايد والمطارد ص ٧٦ و ٨٠ ؛ والبيزرة ص ٦٥ و ١٦٠ و ١٧٥

(٧) الزُّمَّج : نوع من الطير يُصطاد به ؛ وهو دون العقاب تغلب على لونه الحمرة ؛ والجمع زماميج ؛ وقد جاء الجمع على زمامج عند علي بن الجهم في أبياته في الصيد :

قرنّا بزاةً بالصقور وحرّمت ... شواهيننا من بعد صيد الزمامج

(انظر ديوان علي بن الجهم بتحقيق معالي الأستاذ خليل مردم بك ص ١٢٠)

(٨) السبج : الخرز الأسود . (٩) في « ب » غطريف : والغطراف من فرخ البازي .

(١٠) في « ب » : الأوصاف .

ثم أستدعى[١] « بالفماتك » ، فجاءوا[٢] بالباز الأسود الحالك ، قد أُدّرع بحُلّةِ الغُراب ، وأُرتفع عن خِلقة العُقـــاب ، زُمّجيّ[٣] الراس ، قويّ الأساس .

جَوْنٌ تُلاحِظ منه منظراً حسناً له تَصيرُ البُزاة البيض كالرَّخَمِ

يَنال حامِلُه من حَمْله تعباً يَفِرّ منه إلى الإعراض والسَّأَم

كأنّ ما بين هاديه ونُيفقه[٤] تَلَهُّبُ النّار في دِقٍ من الفَحَم

مُتَقَرْنِص[٥] حيل[٦] ، في كلّ خِصاله مُكَمَّل ، لا يستنكف[٧] من صَيْد السُّمانَى والحَجَل ، ولا يضعُف عن الكُرْكِيّ[٨] والحرجل[٩] .

ثم أُستدعى « بالجَشرة »[١٠] فحضر زُرّق[١١] أبيض لطيف ، رشيقٌ ظريف ، كبير الراس ، سهل المراس ، قد حيّر عقول الناس ، أحمر العينين ، قصير الجناحين ، غليظ الساقين ، حسن[١٢] الكف ، مُدَوَّر مُلْتفّ .

---

(١) في « ح » : رسمت هنا وفي كل موضع آخر بعدُ « استدعا » .

(٢) في « ح » : فجاء . (٣) انظر الهامش السابع من الصفحة السابقة .

(٤) الهادي : العنق . نيفق الطائر : ما حول زمكاته (الزمكّى والزمك : ذنب الطائر أو أصل ذنبه) . انظر « البيزرة » مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق المرحوم العلامة الأستاذ محمد كرد علي ص ٧٣

(٥) قرنص البازيّ : اقتناه للاصطياد ، فقرنص البازي . لازم متعد .

(٦) في « ح » : جبل . وانظر « البيزرة » ص ٦٩ (٧) في « ح » : لا يستكف .

(٨) الكُرْكيّ : طائر يقرب من الوز ، أبتر الذنب ، رماديّ اللون ، في خدّه لمعات سود ، قليل اللحم ، صلب العظم ، يأوي إلى الماء أحياناً . والجمع كَرَاكيّ .

(٩) في « ح » : الحبرجل ، لم أجد اللفظتين . (١٠) في « ح » : بالحسرة .

(١١) في « ب » : أزرق . وفي « ح » : رُزّق . والزُّرّق : طائر صيّاد بين البازي والشاهين . والجمع زراريق .

(١٢) في « ح » : خشن .

مُوَضَّنٌ(١)، كبياض الثّلج ماسمحت ... بمثل صورته كلُّ الأعاصيرِ

كأَنّ حُمْرَةَ عينيه وهامته ... سُلافةٌ فضَلَتْ في كأس بَلُّور

فانظر إلى نُقَطٍ في جُؤْجُؤٍ(٢) لطُفَتْ ... كأَرجل النّمل في تِمْثال كافور(٣)

مقرنص بيت، قد سَلِم من لعلَّ وليت، تصير(٤) الطيور له كسيرة، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

ثم اُستدعى « بالشِّهاب » فأقبل بشاهين بيضاء كافوريّة، من كلّ عيْبٍ بَرِيّة، مُدَنَّرة الصَّدْر مُدَرْهَمَة القفا، شيمتها تركُ الغدر والأَخذُ بالوفا.

بيضاء كافوريّة اللون ما ... تنجو سباع الطير من كَيْدها

إن أُطْلقَتْ فالطيرُ من خوفها ... حاصلةٌ بالرّغم في قيْدها

وكلُّ ما(٥) يعلوه ريشٌ ففي ... قبضتها كَرْهاً ومن(٦) صَيْدها

فلكيّة الدوران، بريقية(٧) الطيران.

ثم اُستدعى « بالصاعقة » فرأَوا شاهين(٨) حمراء كالدينار، شديدة الأحمرار، طويلة الجناحين، قصيرة الساقين.

بحريّة أَرْبَتْ على العُقْبانِ ... جلّتْ عن الأَشكال والأَقرانِ

---

(١) وضَن الشيء: ثنى بعضه على بعض؛ ووضن النِّسْع: نسجه. ومنه الموضونة: الدرع المنسوجة. أو المقاربة النسج، أو المنسوجة حلقتين حلقتين؛ أو المنسوجة بالجواهر. ويقول أبو نواس في وصف البازي:

ألبسه التكريز من حوكه ... وشياً على الجؤجؤ مَوْضونا

(٢) الجؤجؤ: الصدر. (٣) يقول أبو فراس:

كأن فوق صدره والهادي ... آثار مشي الذرّ في الرماد

(٤) في « ب »: تطير. (٥) في « ح »: وكلما.

(٦) في « ب »: وفي. (٧) في « ح »: بوتقية. (٨) في « ح »: فوافا بشاهين.

تَرْقَى فما تُدْرَك بالعِيان الطائرُ القاصي لها كالدّاني

تنقضّ كالنَّجْم على الشيطان

عريضة بُعْد[1] الأكتاف والصّدر ، غير متعرضة للخلاف والغدر .

ثم أُستدعى «بالمنجنيق» فحضرت شاهين صفراء مُحَّيَّة[2] ، نادرة بحرية ، كثيرة النشاط ، كبيرة الأقراط ، طريَّةُ الأرياش ، فَرِيَّة الأستيحاش .

بُحَيْرِيةٌ مُحَّيَّةُ اللّوْن طُرِّزَتْ بأفعالها المُسْتحسناتِ نُعوتُها

إذا أُرسلتْ رامت عُلُوًّا كأنما أُعدّ لها في منتهى الجوّ قوتُها

فإنْ نحن أقلعنا[3] الطيور تحدَّرتْ[4] كصاعقةٍ حِرْصاً عليها تُميتها

صَيْدها الخِفاف والثِّقال ، وعَثْرة طائرها ما تقال[5] .

ثم أُستدعى « بالخطّام » فعبر بكُرّك[6] أسودَ بحريّ ، حسَن سَرِيّ ، مُرَدّد مُلْتَفّ ، واسع الصّدْر قوي الكف[7] .

مُشْرَئِبٌ ماضي البراثن ساطٍ مُستحيلٌ للطّيْر منه النَّجاء

مُسْتَحِلٌ سفك الدماء فما يسـ ـكن يوماً حتى تُراق الدّماء

---

(١) لم ترد اللفظة في « ح » وجاءت في « ب » مستدركة فوق السطر . والمحمود من صفات الشاهين ان يكون رَحْبَ الصدر ، عريض الوسط . وانظر في ذلك « المصايد والمطارد » لكشاجم بتحقيق الدكتور أسعد طلس ص ٤٥ ونهاية الأرب ج ١٠ ص ٢٠١ وما حولها .

(٢) المُحّ والمُحَّة : صفرة البيض . (٣) في « ب » : أقلعن .

(٤) في « ح » . تعذرت . (٥) سقطت (ما تُقال) في « ب » .

(٦) كذا في « ح » ، وفي « ب » لا ضبط ولا نقط . ولم أجد اللفظة .

(٧) في « ح » : الكف .

كم وكم لاذ بالهواء عِتاقُ الطّـــــــير منه[١]. فلم يَصُنْها الهواء

وكذاكَ أستجار بالماء طير الـــــــسماء خوفاً فما أجار الماء

مُشمِّرٌ عن ساق ، كأنه[٢] مُتنمِّرٌ لإباق ، يثب إلى فوق ، كأنّ[٣] به إلى السماء داعيَ شوق .

فلما أستكملنا العَدَد ، وأستَتْمَمْنا العُدد ، أخذ كلٌّ واحد منّا بسباقة[٤] بازه وشاهينه ، وسرنا على التُّؤدة والهينة ، والسواعدُ[٥] والأنامل ، لهنّ قواعد وحوامل وحذرنا السَّهْوَ والتغفال ، وتحريق اليد[٦] والترَاسل ، وكلٌّ من طار بين يديه[٧] طائر أرسل عليه ، والباقون ينظرون إليه ، والبوزجات على الخيل قيامٌ وقعود ، كأنهن فهود[٨] .

فمِنْ أبيضٍ ساطٍ أقبَّ شمَرْدَلٍ[٩] يفوق بياضَ الأقْحُوان المُنَضَّدِ

ومن أبلقٍ يلقىٰ العيونَ بحُلّتَيْ بياضٍ نقيٍّ وأحمرارٍ مُوَرَّدِ

إذاطائرٌ رام النَّجاة[١٠] تبادرا[١١] إليه كسهمَيْ قوسِ رامٍ مُسَدَّدِ

فإن غاب شمّا التُّربَ قصًّا كأنما أســـــتعانا عليه بالدّليل المُجَوَّدِ

---

(١) في « ح » : منها .

(٢) في « ب » : فكأنه . (٣) في « ب » : كأنه .

(٤) السِباق : القيد . وسباقا البازي قيداه من سير أو غيره . ولعلها بسباقَيْ .

(٥) في « ح » : والسواعدِ . (٦) في « ب » : تحريس البد .

(٧) في « ب » : يديها . (٨) غابت الكلمة في مصورة « ب » .

(٩) انظر هوامش الصفحة ٣٧٠ و ٣٧٥ في تفسير هذه الألفاظ .

(١٠) في « ب » : النجا . (١١) في « ح » : تبادروا .

فهي تنظر طائراً تُبيره ، أو كامناً في نَبَجةٍ[(١)] تثيره[(٢)] ، فطار بين يديْ صاحب الزُّرَّق[(٣)] حَجَلَةٌ[(٤)] ، وارتفعت[(٥)] إلى السماء فأرسله ، فلَزِم لها وجه التراب ينظر إليها بإحدى عينيه شَزْراً ، ويخفي نفسه عنها نُكْراً ، فلما بَعُدَت هَمّت بالنزول ، وأرْخت رجليها ، فنَزا طالعاً إليها ، فلَقِفَها ونَزَل ، وأحسن فيما فعل ، وسارع صاحبه إليه ، وذَبح في[(٦)] رجليه ، ولم يقم حتى أشبعه ، وبالشُّقة[(٧)] رفعه ، وقال : ما كلّ من وفىٰ بالوعد ، وليس في كل وادٍ بنو سَعْد[(٨)] .

ثم طار عن يسار صاحب البازِ الأصفر فحلُ دُرّاجٍ[(٩)] وَعلا[(١٠)] ، ولَحَق بأعنان السماء فأَرسله عليه[(١١)] فتواطى[(١٢)] واعتنق الكلا ، يجرُّ فاضل سِباقَيْه[(١٣)] ، ولا يفتُر من النظر إليه ، فعاين الدُّرّاجُ مَدْرجا[(١٤)] ، ورأى نَبَجا[(١٥)] ، وعَزَم على النُّزول به ، طمعاً[(١٦)] في حمايته وتأَشُّبه ، وشآه البازُ مُحَلّقا ، وتَلَقَّفه متعلقا[(١٧)] ، فقال صاحبه قد حصل ، فَفَرَط من كفه ونزَل ، ووَلَج النَّبَج ، وأقسم أنْ لا يخرج ، وانغمس الباز معه في

---

(١) النبجة : الأكمة . (٢) في « ح » : فهي تنتظر كامناً تثيره أو طائراً تبيره .

(٣) في « ب » : صاحب الترب الأزرق .

(٤) الحجَل : طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في العروض العالية .

(٥) في « ح » : فارتفعت . (٦) في « ح » : بين . (٧) الشقة والمشقة : تعنى .

(٨) أصل المثل : في كل أرضٍ سعدُ بن زيد ، قاله الأضبَط بن قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كره أموراً من قومه ففارقهم فرأى من غيرهم مثل مارأى منهم . (مجمع الأمثال ، وفرائد اللآل)

(٩) الدُّرّاج : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه ، أرقط بسواد وبياض ، قصير المنقار ، يطلق على الذكر والأنثى .

(١٠) سقطت (وعلا) في «ح» . (١١) في « ب » : إليه . (١٢) في « ب » : وتواطى .

(١٣) سباقا البازي : قيداه . (١٤) في « ح » : مندرجاً .

(١٥) في « ب » : ورآ سحا ، وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لزّها البـــاز أصابت نبجا أو سقطت لم تلق إلا مَدْرجا

(١٦) في « ح » : وطمع . (١٧) في « ح » : مُعلّقاً .

العَوْسَج ، انغماس القَرِم المُحْوِج[١] ، فدنا منه صاحبه وقَرُب ، وأقام يده له فركب ، فصرنا بأجمعنا نطلبه ، وألقينا الكلاب لعلها تَجْذِبه ، وهن[٢] يَنْشَقْنَه ، كأنهن يَشْتَقنه ، يَنْبَحْن ويَشْخِرن ، ويُبَصْبِصن بأذنابهن ويَكْشِرْن ، وقد قاسَيْن مِحَنا ، كأنّ له عندهن إحَنا ، فعجبنا من[٣] كيده ، وعُجْنا عن صيده ، والكلاب تَشَمّ رائحته ولا ترى له جِرْما ، كأنما أتى إليها جُرْما ، تجد الفَتْك به غُنْما ، والتَّرْك له غُرْما ، فوقفنا حوالي النَّبَجة[٤] ، ونظرنا في خِلال العَوْسَجة ، فإذا هو فيها كامِن ، وبها واثق آمِن فوكزناه[٥] بِمِنْسَأةٍ فطار ، وعَجّل الفِرار . فأرسل البازَ في كَتْفِه[٦] ، فأذاقه مُرّ حَتْفِه ، ونزل عليه ، وذبح في[٧] رجليه ، وأطعمه مااُشتهى ، وخَلّص منه الباقي لمّا اُكتفى ، وتَمَثّل[٨] بقول من نطق بالحِكمة ، ما كلُّ بَيْضاءَ شَحْمة[٩] .

وانحرفنا فأقاع من ورائنا ديكُ حَجَل ، كَمَذْعُور وَجِل ، يَجِدّ في الطَّيَران ، مرتفعاً إلى كيوان[١٠] . فنام الغِطريف[١١] له ففتح يده عليه وأرسله ، فخرج مُنْبَرِيًا إليه وواصله فحصَّلَه ، فأعجبنا ما رأيناه ، وعَوّذناه بالله وفديناه ، فمضى صاحبه

---

(١) في « ح » : المحرح .
(٢) في « ح » : تجتذبه ، فهنّ . (٣) في « ح » : عن .
(٤) في « ح » : البُنجة . (٥) في « ب » : فوكزنا .
(٦) في « ب » : كنفه . والكَتْف : لغة في الكَتِف .
(٧) في « ح » : بين . (٨) في « ح » : وتمثل .
(٩) أصله : ما كلّ بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة . يضرب في موضع التهمة أو في اختلاف الناس وطباعهم . وانظر في قصة المثل مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢١٠ وفرائد اللآل ج ٢ ص ٢٤٤
(١٠) كيوان : اسم زحل بالفارسية .
(١١) في « ح » : فأمر الغِطراف .

وذبح[١] في كفه ، وأشبعه إلى أنفه ، وقال : ليس الخبر كالعِيان[٢] ، ماءٌ ولا كَصَدّاء[٣] ومَرْعى ولا كالسَّعْدان[٤] .

وسرنا فرأينا من بُعْدٍ أشباحا ، فقرُبنا إليها ارتياحا ، فألفَيْنا كَراكِيَّ ، كأنهن[٥] بخاتيّ[٦] ، واقفات على غدير الماء ، متعلّقات على المرعى[٧] ، فرمقْنَنا بأحداقهن ، وتَطاوَلْن بأعناقهن ، ولما رآهنّ صاحب الباز الأسود ستره ، وما أظهره . فقام الباز على دابِرَتَيْه إليهن ، وحَمْلَق عيْنَيْه عليهن ، فقال : أرى بازيَّ تقاضاهن ، لمّا ضاهاهُنّ فما ترَوْن في الإرسال ، وعلى الله نتكل في جميع الأحوال . فقلنا[٨] : بازك قادر ، وأنت به خابر ، فأرْسِله إن قويَ العزم ، وأسرِعْ فهو الحزم ، فأنزل يده له فسقط عنها كالورقة ، يفتح جناحيْه ويعلقها كالبوتقة ، وأطلق فرسه ، خلفه ليحرسه . فأقلعن ، وعن الأرض ارتفعن ، فحصَل بينهن ، وقصَد حَيْنَهنّ ، وساب أكبرهن وأصابهن ، فصار صاحبه إليه ، وجعل رِجلَه على رِجْليه ، وفتح فَكَّيه ، وذبح في

---

(١) في « ح » : فذبح .

(٢) أصله : ليس الخبر كالمعاينة ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قاله (انظر مجمع الأمثال ج ٢ ص ١١٧ وفرائد اللآل ج ٢ ص ١٥٢)

(٣) في « ح » : كصدا . وفي (ب) : كصدئي .

(٤) ماء ولا كَصَدّاء : مثل يضرب لمن يُحمد بعض الحمد ويفضل عليه غيره . وصَدّاء : رَكيّة « بئر » لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . ويُروى كصدا ، من غير همز .

مرعىً ولا كالسّعدان : في معنى المثل الأول . والسّعدان : أخثر العشب لبناً ، وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون وأطيبَ وأدسم . وانظر في قصة المثلين مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٠٦ – ٢٠٧ وفرائد اللآل ج ٢ ص ٢٣٩ – ٢٤٠

(٥) في « ب » : كأنها . (٦) واحد البخت : نوع من الإبل .

(٧) استدركت (على المرعى) في الهامش من « ب » .

(٨) في « ح » : فقلت .

كَفَّيه ، وَكَتَف جناحَيْه ، وناوله رأسه وأشبعه عليه ، وهو يقول : زاحِمْ بِعَوْدٍ أَوْ(١) دَعْ(٢) ، إذا قالت حذامِ فصدِّقوها(٣) ، إن الجبان حتفه من فوقه(٤) .

وانتهينا إلى مَظِنّة(٥) طير الماء فوجدنا نقيعاً كبيرا ، وطيراً كثيرا ، فتقدم الذي على يده الشِّهاب وَصَفَر لهـا ، وخَلَّى سبيلها(٦) ، فدارت أضيق حَلْقة ، وأخذت أوفى طبقة ، ولحقت بالحُبُك ، ولاحقت قبة(٧) الفلك ، فأقلعنا إليها الديازج(٨) مع الملاعق(٩) ، فانقلبت(١٠) أسرع من نُزُول الصَّواعق ، فزجت ديزجا(١١) وعَلِقت ملعقا(١٢) ، فجاء وَشَقَّ لها جَنْبه ، وأطعمها قلبه ، وقال : الخير لا يؤَخّر ، والمُحسن بالإِحسان إليه أجدر ، فقلنا له(١٣) : رأيك صائب ، ومُخالفك خائب .

ومَشَيْنا قليلا ، فألفينـا فيضاً عريضاً طويـلا ، وعاينّا طيراً مَهُولا ، فأرسل الصاعقة عن يده فأسرعت في الدَّوَران ، وارتفعت في الطيران ، كأنّ لها في السماء أرَبا ، أو كأن بينها وبين الملائكة نسبا . فطيّرنا لها الذكور والإناث ، واعتمدنا في إطارتها الاستحثاث ، فانقلبت أسرع من الكوكب المنقضّ(١٤) ، والشُؤْبوب المرفضّ ،

---

(١) في « ب » : زاحم فعود . وفي « ح » : بعَوْد أوْ . . . والعَوْد : المُسِنّ من الإبل .

(٢) مثل معناه استعن بأهل السن والتجربة في الأمور . وهو كالمثل الآخر : إن كنت مناطحاً فناطح بذات القرون . (مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٩٣ ، وفرائد اللآل ج ١ ص ٢٦٩)

(٣) قاله جرير بن مصعب ، وحذام امرأته . انظر شرح شذور الذهب وحواشيه في شواهد المبني على الكسر .

(٤) مثل يضرب في قلة نفع الحذَر من القدر . وانظر مجمع الأمثال ج١ ص١٠ وفرائد اللآل ج ١ ص ١٤

(٥) في « ب » : مطنة . (٦) في « ح » : سباها . (٧) في « ب » : فيه .

(٨) في « ح » : لها الديارج . وانظر البيزرة ص ٥١ و ٦٩

(٩) في معجم الحيوان لمعلوف ص٢٣٣ : ملاعقي « أبو ملعقة » : طائر مائي عريض المنقار .

(١٠) في « ب » : فانقلب . (١١) في « ب » : ديزجنا . (١٢) في « ب » : معاقا .

(١٣) لم ترد (له) في « ح » . (١٤) في « ب » : المنقص .

فصادت أُنثى ، فعاد فَحْلُها إليها حَثّا ، لِيُخَلِّصها منها ، ويذود دونَها عنها ، وجاء إليها ضرباً بالجناحيْن ، فلم يعلم أنه جانٍ جنى الحَيْن ، فعلّق الشاهين[١] برجله رأسه ، وجرّعه من الحَتْف كأسه ، فأسرع صاحبه النزول ، وذبحها وهو يقول : على مثل ليلى يقتلُ المرءُ نفسَه ، ما كلُّ غانيةٍ هند ، فتى ولا كمالكٍ[٢] ، لكل مَقام مقالٍ[٣] ، ولكلّ مقالٍ رجال ، ولكلّ رجالٍ فعال ، ولكل فعالٍ مآل ، وما بعد الهدى إلاّ الضلال .

وسُقْنا فرأينا نهرا ، ووجدنا عنده إوَزّا[٤] ، فأطلق « المنجنيق » ، فارتفعت إلى العَيُّوق ، فأقلعنا لها الإوزّ ، وقلنا : من عزّ بزّ[٥] . فانقلبت كالبرق الخاطف ، بدويّ الرَّعْد القاصف ، وهبوب[٦] الريح العاصف ، وقصدت سَمْتَهُنّ ، وصارت من إشفاق الغرق[٧] تحتهن ، وحملت عِزّةً ، واحتملت إوَزّة . فقال صاحبها : كلُّ الصَّيد في جَوْف الفَرا[٨] ، والحقّ ما فيه مِرا ، وفي اللَّجاج حِرمان ، والزيادة ما لها نقصان . وفدّاها وعَوَّذها ، وأشبعها وأخذها .

ثم أتينا إلى ساقيةٍ فرأينا فرافير[٩] فرفعنا « الخطّام » عليهن فارتفع ، ودار وما وسَّع ، يخفظ رؤوسنا ، ويطيب نفوسنا ، إلى أن غاب عن الأبصار ، وتوارى عن

(١) لم ترد لفظة الشاهين في «ب» . (٢) مثل قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك حين قتل في حروب الردّة .

(٣) يقول الحطيئة في استعطاف عمر : تحنّن عليّ هداك المليك فإنّ لكلّ مقامٍ مقالا

(٤) في « ح » : آوزاً ، وكذلك ترد بالمد في المواضع الأخرى .

(٥) أي من غلب سلب . قالت الخنساء : كأن لم يكونوا حمىً يُتّقى إذا الناس إذ ذاك من عزّ بزّا
وانظر في البيت «شرح ديوان الخنساء» ص ١٤٤ ، والمثل مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٠٣ وفرائد اللآل ج ٢ ص ٢٦٧

(٦) في « ح » : هوي . (٧) في « ح » : العرق .

(٨) من أمثالهم المشهورة . وانظر في قصته مجمع الامثال ج ٢ ص ٧٤ وفرائد اللآل ج ٢ ص ١٠٧

(٩) الفُرافور : والفرفر ، كهدهد ، طائر من طيور الماء ، صغير الجثة على قدر الحمام .

النُظّار ، فأشفقنا من أفوله ، وشككنا في نزوله ، فطيّرْنا له الفرافير وكانت عشرا ، فنزل كأن له عندهن وِتْرا ، فصاد واحداً فأَخذناه وخلّصناه ، ثم[١] عدنا وأرسلناه ، فأَعاد من دورانه أحسنَ مما أبدى ، ثم انقلب إلى الطيور ولآخَر أَرْدى[٢] . ولم يزل[٣] كذلك يصيد ونرفعه ، ويحسن وما نُشْبعه ، حتى أتى على الجميع ، وأبدع في الصنيع ، فعند ذلك وفيناه طُعمه ، ووَفَرْنا قِسْمه .

ثم عدنا إلى المضارب ، لقضاء المآرب ، فوجدنا من تخلّف من الأصحاب ، قد أعدَّ يابس الأَحطاب ، فأُضرمت النيران ، وقُدّم[٤] الخِوان ، وحضر عليه الإخوان ، وشرعنا في تناول ما أعدّه الطاهي وهيّاه ، وحضّرْنا[٥] ما قنصناه فاشْتويناه ، ثم شرعنا الخيام ، وأقعدنا القيام ، وأُحضرت الراحُ وآلاتها ، ودارت بالأَقداح سُقاتها[٦] ، فاُجتلينا[٧] شموس العُقار ، من أيدي الأقمار ، وحُرّكت الأوتار ، وجاوبتها الأَطيار ، وعلت الأَصوات ، وحلَت الأوقات ، والقمر طالع ، والماء للنسيم دارع[٨] ، والغدير لمقابلة النجوم له كأنه سماء ، ونحن إلى ما[٩] في أيدي السُقاة ظِماء ، نستجلي مُحيّاها ، ونستحلي حُميّاها .

نستغنم العمرَ والأقدارُ غافلة[١٠] عنّا ، وغَرْبُ شَبا الأَيام مكفوفُ
ونقطع الدّهر في أمنٍ وفي دَعةٍ وَصْلاً ، وطَرْفُ صُروف الدهر مَطْروف

---

(١) في « ح » : فأخذناه ، ثم .
(٢) في « ح » : أرمى .
(٣) في « ح » : ولم نزل .
(٤) في « ح » : قدّمت .
(٥) في « ح » : وأحضرنا .
(٦) في « ب » : وسقاتها .
(٧) في « ب » : واجتلينا .
(٨) في « ح » : ذارع .
(٩) في « ب » : لما في .
(١٠) في « ب » : طالعة .

وأطيبُ العيش ما جاد الزمان به مُسَلَّما ، ليس تعروه الأراجيفُ
فما الحياة ولو طالت بدائمةٍ فلا يَغُرَّكَ تعليل وتسويف

وما[1] برِحنا كذلك إلى أن غَرَب القمر ، ودنا السَّحَر ، وكُره السهر ، فأخذنا من النوم نصيبا ، وضاجع كلُّ مُحبٍّ حبيبا . فلمّا طوى الليل سُرادِقه ، ونشر الصُّبح بيارقه ، انتبهنا من الرُّقاد ، وانتهبنا آلاتِ الاصطياد ، وفُزنا في اليوم[2] على الأمس بالازدياد .

ولم نزل عشرة أيام ، في صَيْدٍ وشُربِ مُدام ، حتى مَلِلْنا ما كنّا فيه ، وعزمنا على ما يُنافيه ، فمِلْنا عن الحركة إلى السكون ، وانتقلنا من الصحاري إلى الوُكون ، وقلنا[3] : إلى متى سفك الدِّما ، والفتك بالدُّمى[4] ، وحتّام نفرّق بين الأُلاّف ، ونُفوِّق سهم البيْن إلى الأحلاف ، فهل وثِقنا بالأقدار ، ونسينا تقلُّبَ الليل والنهار ، وهل أمِنّا أن نصاب بما أصَبْنا به ، ونُنْتاب[5] بِظُفُر الزمان ونابه ، فرَجَعْنا نطلب منازل ، خوالي من المكاره حوالي بالمكارم أواهل ، فلمّا دَنَوْنا من العُمران ، ووَجدنا رائحة الأوطان ، قال بعض الإخوان : ما ترون في النزول[6] بالبستان ؟ فامتثلنا أمره ، والتثمنا صدره ، والتزمنا حُكْمه ، وارتسمنا رَسْمه ، ودخلنا إلى بُستان ، كأخلاق الحِسان ، معمورٍ بالرَّوْح والرَّيْحان ، تتشاجر الوُرْق في أوراق أشجارها ، وتنفُث في

---

(١) في « ح » : فما .
(٢) في « ب » : وقرنا اليوم على .
(٣) في « ب » : فقلنا
(٤) في « ح » : سفك الدمى والفتك بالدما .
(٥) في « ح » : ونناب .
(٦) لم ترد (في النزول) في « ح » .

عُقَد سِحْرِها نفحات أسحارها ، وتتجاوب البلابل ببلابل أشجانها ، وتتناوب العنادب[١] بفنون ألحانها في أفنانها[٢] .

فمن فائزٍ بالوَصْل لم يذق النَّوى ... يُناغي جِهاراً إِلْفَه وينوحُ

وراقٍ ذُرى غُصنٍ رطيب ، فدأْبه ... ينادي إلى محبوبه ويصيح

وذاتِ قرينٍ لم تفارقه لحظةً ... فمِنْ شَعفٍ[٣] تغدو به وتروح[٤]

ومِنْ فاقدٍ إلفاً يَهيم صبابةً ... إليه ويُبدي حُزنَه وينوح

وأنتهينا منه إلى قصرٍ قَصُرَت عن نعته الهِمم ، وصغُرت عنده إِرَم ، شاهقِ البناء ، رائق الفِناء ، فائق الأرجاء ، فاستدللنا بالظاهر على الباطن ، وبحُسن المسكون على إحسان الساكن ، فيه[٥] بِركةٌ قد حُرِكت راؤها ، وفي وسطها فوّارة قد أرتفع إلى السماء ماؤها ، كأنها رُمح قد طعن به في[٦] نحر السحاب ، فجاد عليها بواكف الرَّباب ، قد أُديرت بأكواب وأباريق ، مملوءة من سلسبيل ورحيق ، فاستوينا في الإيوان ، وتناولنا ما حضر من الألوان ، وأرتَحْنا إلى الرّاح ، وأستهدَيْنا كيمياء الأفراح .

فأقبل شادِنٌ رخيم الدَّلال ، عديم المثال ، منتشي الطَّرْف ، متثني[٧] العِطْف ، فصيح اللهجة ، مليح البهجة ، خفيف الخصر نحيفه ، ثقيل الرِّدْف كثيفه ، ساجي[٨] اللحظ ، شاجي اللَّفظ ، متأوِّد القدّ ، متورّد الخدّ ، قد أُطلِع البدرُ من أزراره ، وأُودِع الدِّعصُ في إزاره .

---

(١) العندبيل : ضرب من العصافير ، وقيل تصحيف العنادليب .

(٢) تغيب اللفظة في مصورة « ب » .

(٣) في « ح » : شغف .

(٤) في « ب » : يغدو ويروح .

(٥) في « ح » : وفيه .

(٦) لم يرد الجارّ في «ب» .

(٧) في « ح » : منثني .

(٨) ف « ح » : ساحي .

رَشَأٌ يديه بحُسنه وجَمالِهِ فاق البدور بِتِمّه وكمالِهِ
أَزْرى بكل مُوَحّدٍ في حُسْنه حتى ببهجة شمسه وهلاله
يسقي الشَّمول بلحظه وبلفظه ورُضابه ويَمينه وشِماله
فالسُّكر من لحظاته[1] وفُتورها لا مايعاطي الشَّرْب[2] من جِرْيالِهِ[3]
حيّا فأحيانا بوَردة خدِّه وشدا فأطربنا بسحر مقاله

ريّان من ماء نَضارةٍ ونعيم ، وفي يده كأسٌ مِزاجُها من تسنيم ، فأَسكرَنا النظر إليه ، قبل تنـاول ما في يديْه ، وحيّانا بنَرْجس عيْنَيْه ، وحبانا بوَرْد[4] خدَّيْه ، فعَقَرْنا الأَلباب بالعُقار ، وخلعنا العِذار في حُبِّ العِذار ، وقضينا الأَوطار بالأَوتار ، وتوفَّرْنا على معاطاة الشَّراب ، ومُناغاة الأَحباب ، وما توقَّرْنا[5] عن الرِّضا[6] بِرَشْف الرُّضاب ، والأُقتضاء بكشف الحجاب .

وما زلنا على تلك الحال ، حتى أُستُهِلَّت من رجب غُرَّة الهلال ، فخالفنا[7] الهوى ، وحالفنا التُّقى ، وأُنتجعنا صَوْب الصّواب ، وأُدَّرَعْنا ثوب الثَّواب ، وأُستدْركنا فارِط الزَّلل ، وخِفْنا حابطَ العمل ، ومُنينا من تلك الرّفقة بالفُرقة ، ودُفِعنا من تلك الصُّحبة إلى الغربة ، وتفرّقنا في البلاد ، وتشتّتنا في الأَغوار والأَنْجاد .

وهذه سيرة الأَيام في الأَنام ، وفعالها بالخاصّ والعام ، لذّتها[8] كالأَحلام ، ويَقَظَتها كالمنام ، جعلنا الله من الفائزين بالخلود في دار السلام .

---

(١) في « ح » : لحظاتها . (٢) في « ب » : السرب . (٣) الجريال : الخمر .
(٤) في « ب » : بوردة . (٥) في « ح » : توفرنا .
(٦) كذا في الأصلين ، واثبات الهمزة أفضل للتوازن مع الجملة التالية .
(٧) في « ح » : فحالفنا . (٨) في « ح » : لذاتها .

قد كتبتُ هذه الرسالة على ما بها ، ورددتُ غلطها إلى صوابها .

* * *

ومن شعره في غير الرسالة قوله في حبيبٍ حُرِم وَداعه ، نقلته من خطّه :

وكنتُ إذا ذِكْرُ التفرّق راعني ... أُطمِّن[1] قلبي منكم بوَداعِ

فحالتْ أمورٌ دون نفسي وسُؤلها ... فقنَّعْتها[2] من ذكركم بسماعِ

* * *

وقوله يذمّ صاحباً له :

وصاحبٍ لا أعاد الدهرُ صُحْبته ... صَحِبْتُه ، وأراه شَرَّ من صَحِبا

لا يستقيم على حالٍ فأعرفَه ... ولا يفوه بخيرٍ ، جَدّ أو لعِبا

إن زرتُه قاضياً حقَّ الإخاء له ... غاب احتجاباً وإن أهملتُهُ عَتِبا

وإنْ تنصّلتُ مما قال مُعتذِراً ... أبى القَبُول ، وإن عاتبتُه غضبا

(١) كذا في الأصلين ، ولعلها أطمئن . (٢) في « ح » : فقنعها .

أبو طالب بن الخشاب

وهو عقيل بن يحيى ، من أهل باب شرقي من دمشق من عوامّها[١] . رأيته شيخاً في دار العدل بدمشق في شعبان[٢] سنة إحدى وسبعين . وقد خدم الملك الناصر[٣] بقصيدتين . فممّا أثبتّه[٤] له من القصيدتين قوله[٥] :

من لي بِخِلٍّ جائرٍ في حبِّهِ ... أبداً يعنّفني بكثرة عَتْبِهِ
إنْ بان آلَمَ مُهجتي ببِعاده ... أو آب أَوْدعني الأَسى في قُربه
لو كان يعلم ما أُلاقي في الهوى ... من صدِّه لانتْ قَسوة قلبه

ومنها :

والدهر لا يبقى[٦] على حال فلا[٧] ... تأمن لياليَ جَدْبه أو خِصْبه

ومنها في المدح :

ولقد ظمئتُ فلم أجد بدلاً من الـ ... ـماء الزُّلال سوى مَواطِر سُحْبه

* * *

---

(١) في « ب » : من أهل باب شرقي بدمشق من عوامها وهو عقيل بن يحيى .

(٢) لم ترد (في شعبان) في « ب » .

(٣) لقب السلطان صلاح الدين .

(٤) في « ب » : أثبت .

(٥) سقطت اللفظة في « ب » .

(٦) في « ح » : ما يبقى .

(٧) في « ب » : فلا .

ومن القصيدة الأُخرى :

أطاعتك[1] أطراف الرُّدَيْنية السُّمْرِ وسالمك التوفيق في البرّ والبحرِ

وعشتَ مدى الأيّام لا قال قائل كبا بك زَنْدٌ في عظيمٍ من الأَمر

* * *

وكان عرقلة الشاعر[2] ينبزُه بالرقبة . وله فيه شعر[3] .

(١) في « ب » : أطاعك . (٢) أحد شعراء الخريدة . انظر الصفحات ١٦٢ – ٢٢٩

(٣) لا يتضح هذا السطر في « ب » ، ذاك أنه مستدرك في الهامش ، وقد أتى عليه التقاء الصفحتين في اللوحة الواحدة في التصوير .

أبو الحسن بن أبي الخير سلامة النصراني الدمشقي

كاتب تاج الملوك [1] أخي الملك الناصر . فيه أدب وذكاء . كتب لي من شعره قوله :

يا حبّذا يومنا ، والكأسُ ناظمةٌ   نظمَ الحباب عليها شَمْلَ أحبابِ

ونحن ما بين أزهارٍ تحفُّ بأنْـ   ـهارٍ وما بين أقداحٍ [2] وأكواب

والماءُ تلعب أرواحُ النسيم به   ما بين ماضٍ وآتٍ ، أيَّ تلعاب

كأنه زَرَدُ الزَّغْفِ [3] السوابغ ، أو   نقش المَبارد ، أو تفريكُ أثواب

* * *

---

(١) هو أبو سعيد تاج الملوك بوري بن نجم الدين بن مروان ، أصغر إخوة صلاح الدين الستة : صلاح الدين يوسف ، وأبي بكر العادل . وشمس الدولة تورانشاه وهو أكبرهم ، وشاهنشاه ، وسيف الاسلام طغتكين .

وحين حاصر صلاح الدين حلب (انظر الهامش التاسع من الصفحة ٣٠٠) سنة ٥٧٩ هـ أصاب تاجَ الملوك بوري سهم في عينه فمات منه بعد أيام . وحزن عليه صلاح الدين حزناً شديداً ، فكان يبكي ويقول : ما وَفَتْ حلبُ بشعرةٍ من أخي تاج الملك بوري .

ويقول عنه صاحب النجوم « ج ٦ ص ٦٩ » : وكان قد جمع فيه محاسن الأخلاق : من مكارم وشيم ولطف وطباع ، مع شجاعة وفضل وفصاحة ، وكان شاعراً بليغاً . وأورد له بيتين من شعره .

وفي الروضتين « ج ٢ ص ٤٤ » : وكان تاج الملوك شاباً حسن الشباب ، مليح الأعطاف ، عذب المبرة ، حلو الفكاهة ، مليح الرمي بالقوس والطعن بالرمح ، وكان شجاعاً باسلًا مقداماً على الأهوال ، وكان قد جمع إلى ذلك الكرم والتفنن في الأدب ، وله ديوان شعر حسن متوسط . وأورد له بيتين من شعره .

ولد في ذي الحجة من سنة ٥٥٦ هـ وتوفي في التاسع عشر من صفر سنة ٥٧٩ هـ ، ودفن بمقام ابراهيم ظاهر حلب ثم نقل إلى دمشق . وبوري لفظ تركي معناه بالعربية ذئب .

(ابن خلكان ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ، والروضتين ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٦٥)

(٢) في « ج » : أكواس .

(٣) في « ب » : الزغف . ودرع زغيف : واسعة محكمة . ويقال دروع زَغْف وزَغَف وأزغاف .

وقوله [١] :

سَلِ الحبيب الذي هام الفؤاد به ... هل يذكر العَهد ، إنّ العهد مذكورُ

أيّام نأخذُها صَهْباء صافيةً ... يُمْسي الحزين لديْها وهو مسرور

يسعى بها غُصن بانٍ في كثيب نقاً ... له على القوم ترديد وتكرير

إذا أتاك بكأسٍ خِلْتَها قَبَساً ... يسعى به [٢] في ظلام الليل مَقْرور

يُعطيكه وهو ياقوتٌ ، ويأخذه ... إذا أشرت إليه ، وهو بلّورُ

والأرضُ قد نَسَجتْ أيدي الربيع بها [٢] ... وشْياً تردَّتْ به الآكام والقُور

فالتِّبْر مجتمِعٌ فيها ومفترِقٌ ... والدرّ [٣] مُنتظِمٌ فيها ومنثور

كأنّ منثورها ، والعينُ ترمُقه ... دراهمٌ حين تبدو أو دنانير

ما شئتَ من منظرٍ في روضها نَضِرٍ ... كأنما نَوْرُه من حسنه نُور

تظلُّ أطيارُها تشدو بها طرباً ... إذا تبدَّتْ من الصبح التباشير

من بُلبلٍ كلّما غنّاك جاوَبَه ... فيها هَزارٌ وقُمْرِيّ وشُحْرور

كأنما صوت ذا صَنْجٌ ، يجاوبه ... من ذاك نايٌ ، وذا بَمٌّ ، وذا زِير

* * *

وله في مدح تاج الملوك أيضاً [٤] في زمن الربيع :

تاجُ الملوك ، أدامَ الله نعمته ، ... أسْخى البريّة من عُجْم ومن عَرَبِ

مولىً ، أياديه في أرض يَحُلُّ [٥] بها ... أجدى وأحسن آثاراً من السُّحُبِ

---

(١) في « ب » . وله . (٢) في « ح » : بها . (٣) في « ب » : والزهر .
(٤) سقطت لفظة (أيضاً) في « ح » . (٥) في « ح » : تحل .

يُفَتِّحُ[١] النَّوْرُ فيها من أنامله ... فتنجلي منه في أثوابه القُشُبِ
حتى ترى روضَها يحكي مواهبَه ... فالبعض من فضّةٍ والبعض من ذهب

* * *

وله من قصيدة فيه[٢] بعث بها إليه في المعسكر[٢] في أيام الربيع :

مولايَ ، مجدَ الدين ، قد عاودتْ ... دمشقَ مِنْ بعْدِك أشجانُها
نَيْرَبُها قد مات[٣] شوقاً إلى الـ ... ـمَوْلى وواديها وميْدانُها
ماتْ إليه في بساتينها ... من شدَّة الأشواق أغصانُها
وأقسمت من بعده لا صحا ... من لوعةِ الأشجان[٤] نَشْوانها
وماسَ من أشواقِه[٥] آسُها ... واهتزّ إذْ بانَ له بانُها
وغنّتِ الأطيارُ من شَجْوِها[٦] ... واختلفت في الدَّوْح ألحانُها
واصفرّ في الرَّوْضة مَنْثُورها ... مِنْ شوقِه واخضرّ رَيْحانُها
رقرقت الدمعَ عليه كما ... ترقرقت بالماء غُدرانُها
فلا خَلَتْ يا خيرَ هذا الورى ... بطنانُها منك وظُهْرانُها
تلك هي الجنة ، لكنّها ... مُذْ غِبتَ عنها غاب رِضْوانُها

* * *

وله فيه وقد وعده بخِلْعة :

يا من له الشُّكر ، بعد الله مُفْتَرَضُ ... عليّ ، ماعِشْتُ في سِرّي وفي عَلَني

---

(١) في « ب » : تفتح .
(٢) سقطت اللفظتان (فيه ، في المعسكر) من النسخة « ب » .
(٣) في « ح » : بات .
(٤) في « ح » : الأشواق .
(٥) في « ب » : أسواقه .
(٦) في « ح » : سجرها .

إنْ كان غيرُكَ لي مولًى أُؤَمِّلُه … وأرتجيه ، فكانت خاتمتي كفني

* * *

وله يقتضيه بالخِلْعة وقد عزم على المسير إلى العسكر المنصور :

مولايَ جُدْ لي بوَعْدي … من قبل سَيْرِ الرِّكابِ

أنعِمْ عليَّ بثوبٍ … تَرَبَّحَ جزيل الثواب[1]

ثوب تكاملَ حُسْناً … كخُلْقِك المستطاب

كأنّه زمن الوصْـ … ـل في زمان الشباب

وفوطة مِثل شَعْري … رقيقة أو شرابي

طويلة مثل ليلي … لَمّ جفا أحبابي

كأنها رَمَضان … إذا أتى في آب

* * *

وله فيه :

يا حبَّذا أبواه إذ … وَلَداه من كرمٍ وخيرِ

وكذاك قد يُستخرج الـ … ـدُّرّ النفيس من البحور

والشّمس من أنوارها … يبدو سَنا القمرِ المُنير

ما زال مُنذُ فِطامه … في عَقْلِ مُكْتَهِلٍ كبيرِ

مولًى حوى فضل[2] الأكا … بر وهو في سنّ الصغير

ولقد رَقِيَ دَرَج[3] الأوا … ئل وهو في الزمن الأخير

* * *

(١) في « ب » : جزيل ثوابي . (٢) في « ب » : سنّ . (٣) في « ح » : زمن .

وله فيه :

يا مَنْ يَعُمُّ سَماحُه ونوالُه ... كرماً كما عَمَّ السَّحابُ المُمْطِرُ

ويفوح ما بَيْنَ الأنامِ ثناؤه ... فكأنه في كلِّ حيٍّ عَنْبَرُ

إني شقيتُ وفي ظِلالك أنعُمٌ ... ولقد ظمئت وفي يمينك أبْحُر

ولقد ذَلَلْتُ وأنت حِصْنٌ مانعٌ ... ولقد ضَلَلْتُ وأنت بدرٌ نَيِّر

أغنىٰ نداك الناسَ إلاّ فاقتي ... فاللهُ يُغني من يشاء ويُفْقِر

فلئن نظرتَ إليّ نظرة مُجْمِلٍ ... فلأنت[1] أولىٰ بالجميل وأجدَر

* * *

ومدحني في مصر[2] بهذه القصيدة ، وهي في حسن الفريدة ، في ذي القعدة من سنة[3] اثنتين[4] وسبعين وخمسمائة[5] :

أمُطيلَ عَذْلي في الهوى ومُفَنِّدي ... هل أنت من غَيِّ الصَّبابة مُرْشِدي

هيهاتَ ، ما هذا المَلامُ[6] بزاجري ... فانقص ، أبَيْتَ اللعن ، منه أو زِد

أنتَ الفِداء ومَنْ يلوم بشادنٍ ... أنا في هواه مضلَّلٌ لا أهتدي

يجلو لعينك غُرَّةً في طُرَّةٍ[7] ... فيُريك أحسن أبيضٍ في أسود

يسطو على عُشّاقه من قدّه ... وجفونه ، بمُثَقَّفٍ ومُهَنَّد

قمرٌ يَظَلُّ الماء في وَجَناته ... والنارُ بين تَرَقْرُقٍ وتوقُّد

---

(١) في « ح » : ولانت . (٢) في « ب » : بمصر . (٣) في « ب » : سنةَ ، بحذف الجار .
(٤) في الأصلين : اثنين . (٥) لم ترد (وخمسمائة) في « ب » .
(٦) في « ب » : الكلام . (٧) في « ح » : في طرفه .

ومن العجائب أنّ ناراً خالطت ... ماء وأن ضِرامها لم يَخْمُدِ
وكذاك ماء الدّمع إن أُنْضِحْ به ... نارَ الصّبابة والأسى ، تَتوقّد
فصَبابتي لمّا تخِفَّ ، وأدمُعي ... لمّا تجِفَّ ، وزفرتي[1] لم تَبْرُد
كم بِتُّ أرعى الفَرْقَدَيْن كلاهما[2] ... شَغفاً بمن يرنو بِعَيْنَيْ فَرْقَد[3]
آليتُ أرقُدُ في هواه ، ومن يكن ... ذا لوعةٍ وعلاقةٍ لم يرْقُد
علّ الليالي يكتَسِينَ بشاشةً ... يوماً فتُنْجِز[4] بعد مَطْلٍ موعدي
إنْ رقّ لي بعد القساوة قلبُه ... فالماء يقطُر مِنْ صِفاح الجَلْمَد
فأجِلْ[5] لحاظَك في محاسن وجهه ... إن تستطع نظراً إليه وَرَدِّد
تنظرْ إلى الأنوار بين مُمَسَّكٍ ... ومسبّج[6] ومُنَرْجَسٍ ومُوَرَّد
فكأنها نَوْرُ الربيع إذا بدا ... أوْ حسنُ خَطِّ محمَّدِ بن محمد
هذا عماد الدين والدنيا معاً ... وملاذُ كلِّ مُؤَمِّلٍ أو مجتدي
هذا الذي ما أُغْلِقَتْ أبوابُه ... من دون مُسْتَجْدٍ ولا مُسْتَنْجِد
هذا الذي أحيا العُلومَ وأهلَها ... بعد الرَّدى ، والعُرْفُ إحياءُ الرَّدي
وأبان منها كلَّ نَهْجٍ دارسٍ ... دَرْسَ الرُّسُوم من الدِّيار الهُمَّد
بيضاء حسنٍ ما دجت إلاّ بدا ... فأضاء مثلَ الكوكب المُتَوَقِّد[7]
لو عاش حينئذٍ فرام تشبُّهاً ... عبدُ الحميد[8] بخطِّه لم يُحْمَد

(١) في « ح » : وأضامي . (٢) كذا في الأصلين .
(٣) في « ح » : سعفاً بمن يرنوا بعين الفرقد . (٤) في « ح » : فينجز .
(٥) في « ب » : فاجعل . (٦) في « ب » : ومشبج . (٧) سقط هذا البيت في « ح » .
(٨) يريد عبد الحميد الكاتب . انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٢٠٧

يَقِظٌ له القلمان[١] في إنشائه ... وحسابه[٢]، في مَصْدَرٍ أو مَوْرِد

إن حاول الإنشاء يوماً ما، فيا ... ناهيك من دُرٍّ هناك مُنضَّد

ويُضَمِّنُ اللفظَ البديع معانياً ... أشهى من الماء القَرَاتِ إلى الصَّدى

وكأنَّ خطَّ حسابه[٣] في طِرْسِه ... شَعَرٌ تَنَمْنَمَ في عوارضِ أغْيَد

لو قُلِّدَ الدُّنْيا كفاها وحدَه ... في الحالتين، ولم يُرِدْ من مُسْعِد

ولقام[٤] منتهِضاً بكلِّ عظيمةٍ ... منها، وقوّم كل ما مُتَأَوِّد

هذا، وأمّا الفقه فهو إمامه ... فبعلمه في الفقه كلٌّ مقتدي

فلوَ انَّ أسعدَ[٥] عاش بعد وفاته ... يوماً فساجله به لم يَسْعَد

وإذا انبرى الشعر خِلْتَ قريضَه ... أطواقَ دُرٍّ في نحورِ الخُرَّد

شِعْرٌ ترشّفه النفوس كأنّه ... لفظُ الحبيب مقرِّراً للموْعِد

أو طيبُ وَصْلٍ بعد كُرْهِ قطيعةٍ ... من ذي انبساط بعد طولِ تَجَعُّد[٦]

وإذا تفاخر بالأُرُوم مَعاشِرٌ ... فله العلاء عليهم بالمَحْتِد

ما زال يُخْبِرِ فضلُه بل نيلُه[٧] ... عن حُسْنِ شيمته وطيبِ المَوْلِد

جَلَّ الذي أعطاك يا ابن محمّدٍ ... في كلِّ فضلٍ باهرٍ طولَ اليد

أقسمتُ بالكرم الذي أوتيتَه ... لولاك ما اتّضحتْ سبيلُ السُّؤْدُد

* * *

(١) في « ح » : العلمان .
(٢) في « ب » : وحسامه .
(٣) في « ب » : حسامه .
(٤) في « ب » : وأقام .
(٥) انظر البيت الثاني من الصفحة ٢٥٧
(٦) في « ب » : تحقد .
(٧) في « ح » : عن نُبْلِه .

وكتب إليّ أيضاً :

أَلا قُلْ لمن ذَمّ الزمان جَهالةً وَعَنّفه فيما جَناه وفَنّدا
دَعِ العجزَ وانهض غيرَ وانٍ إلى امرئٍ يكُنْ لك فيما أنت راجيه مُسْعِدا
فإنّك لم تبلغ من الدهر طائلاً وتحمَدُه حتى تزورَ مُحَمّدا
وإنّ عماد الدين أمنعُ مَعْقِلٍ إذا ما رَماكَ الدَّهرُ يوماً تَعَمَّدا
وأسيرُ هذا الناس فضلاً وسُؤْدُداً وأعوزُهم نِدًّا وأكثرهم نَدًى
تَفَرَّدَ إلاّ أنه الناسُ كُلُّهم وإن كان في عَلْيائه قد تفرّدا
مُعِزٌّ مُذِلٌّ مانِحٌ مانعٌ معاً يُرَجَّى ويُخْشَى واعِداً مُتَوَعِّدا
إذا ما رَمَى يوماً بإيعاده[(١)] العِدَى أقام لخوف الانتقام وأقعدا
جديرٌ بحالٍ[(٢)] الأمر أَشكل حَلّه برأيٍ به في كل عَشْواءَ يُهْتَدَى
له قلمٌ ما هزّه في مُلِمَّةٍ من الدهر إلاّ هزّ سيفاً مُهَنّدا
إذا انْسَلَّ من بين الأنامل خِلْتَهُ يُنَظِّمُ في القرطاس دُرًّا مُبَدّدا
إذا ما رنا يوماً بعين كَحيلةٍ رأيتَ لَدَيْه ناظرَ الرمح أَرْمدا
وإن يتحرَّكْ يسكُنِ الخطْبُ فادحاً ويبيضُّ وجهُ الرُّشْدِ إن هو سَوَّدا
لأنت عمادُ الدين أحسنُ شيمةً وأطيبُ هذا الناسِ أصلاً ومَحْتِدا
فلو جاز يوماً أن يُخَلَّدَ سيِّدٌ كريم بما أَسدَى لكنتَ المُخَلَّدا

---

(١) في «ب» : بإبعاده . (٢) في «ب» : بحل .

باب

في ذكر محاسن جماعة من فضلاء بني

حمص وحماة وشيزر

حمص (١)

القائد أبو العلاء الحمصي

المحسن بن أحمد بن الحسين بن مَعْقِل الأَزْدِيّ ، من أهل حمص ، سمعت وُحيش (٢) الشاعر بدمشق يقول : إنه توفي سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة ، وله ثلاثة أولاد فاقتسموا ديوانه (٣) أثلاثا ، وظنّوه تُراثا ، فقلت لهم : هذا لا يُجْدِيكم نفعا ، وإثباتُ شعر والدكم يوجب لكم رفعا ، فما قبلوا مني وتفرقوا به (٤) وفرّقوه ، ولا ثبتوا على حفظه ولا أثبتوه . له من قصيدة :

هل لسارٍ في دُجى هجرك (٥) هادِ … أم لعانٍ أسَرَتْ عيناكَ فادِ

قد تعدّيْتَ فأشمتّ العِدى … وتمادَيْتَ فجاوزتَ التّمادي

يا صحيحَ الجسم من داء الضّنا … وَخَلِيَّ القلب من ضُرِّ البِعاد

خَفْ مع القُدْرة من ظلمي فقد … نُهي القادر عن (٦) ظلم العباد

---

(١) لم ترد اللفظة في « ب » .

(٢) كذا في الأصلين ، وهو أحد شعراء الخريدة . وانظر الصفحات ٢٤٢ – ٢٤٦

(٣) في « ب » : بديوانه .

(٤) سقطت (به) في « ح » .

(٥) في « ح » : ليلك .

(٦) في « ب » : من .

نِمْتَ عمّا بي وجَفْني أَرِقٌ | لم يَذُق من كَلَفٍ طيبَ الرُّقادِ
وثَنَيْتَ العِطفَ عني لاهياً | مُؤثراً عكس طِلابي ومُرادي
فأَبِنْ لي مُخْبِراً بالله هل | أنت من أولاد شَدّادِ بن عاد[1]
وَيْحَ قلبي ما الذي أوقعه | في هوى صَعْبِ الرِّضا[2] صعب القياد
يتجنّى والتجنّي أبداً | سببٌ داعٍ إلى نقض الوداد

* * *

وله :

دعا مُهْجتي رَهْنَ أَوْصابها | وَحِلْف هواها وأَطرابها
وَكَفى فلي عنكم شاغلٌ | بتسهيد عَيْني[3] وتَسْكابها
فيا لِيَ من ظبيةٍ بالحِمى | تَتيهُ بإفراط إعجابها
مُقَسَّمة الحُسْن بين القِناع | وبين اللِّثام وجِلْبابها
فبدْرُ الدُّجى فوق أطواقها | وحِقْفُ النَّقا تحت أثوابها
ولو أنّ يوسُفَ في عصرها | لأَصبح مِنْ بعض حُجّابها
رُوَيدَكِ بِوَقيذ[4] الصُّدود | ومُذْوَى لواعج أوصابها
فأين السُّلوُّ وأين الخلاصُ | لنفسٍ أُصيبت بأحبابها
تَمَلَّكها مَنْ لأجفانه | نِصالُ الرُّماة ونُشّابها

* * *

(١) المعروف عن عاد أنهم كانوا عتاة يعتدّون بشدتهم وبطشهم (من أشد منّا قوة فصلت ١٥) (وإذا بطشتم بطشتم جبارين الشعراء ١٣٠) وانظر قصة عاد والنبي هود في كتب التفسير والتاريخ المختلفة .

(٢) في « ح » : فظّ الحشا . (٣) في « ب » : عينيّ .

(٤) في « ح » : برقيد . والوقيذ : الشديد المرض المشرف على الموت .

هذه رقيقة ، رفيقة ، لطيفة ، طريفة ، ولعلّ ناظمها قصد بها معارضة الرئيس أبي منصور بن الفضل الكاتب المعروف بصَرّبعر[1] في كلمته التي أولها :

تفيض نفوس[2] بأوصابها وتكتمُ عُوّادَها ما بها
وما أنصفتْ مُهجةٌ تشتكي هواها إلى غير أحبابها

ومنها[3] :

ومن شرف الحبّ أنّ الرِّجا ل تَشْري[4] أذاه بألبابها
وفي السِّرْب مُتْرِبةٌ بالجمال[5] تُقَسِّمه بين أترابها
فللبدر ما فوق أزرارها وللغُصْن ما تحت جلبابها
كأني ذَعَرْتُ بها في الخِبا ءِ وَحْشيةً عند مِحرابها
أُتَبِّعها نظراً معجلاً يُعَثِّر عيني بهُدّابها
متى شاء يقطِف وردَ الخدود وَقَتْهُ الأكُفّ بعُنّابها
وكم ناحلٍ بين تلك الخيا م تحسَبه بعض أطنابها

* * *

لا يعارض هذا السحر ، ولا يناقض هذا الشعر ، إلاّ من يفتضح ، وبيّنة قصوره تتَضح ، فإنّ الشاعر المُفْلِق ، إذا رُزِق في قصيدةٍ[6] ووُفّق ، فالألسنة تصقُلها ، والرّواة تنقُلها ، ولا يتفق لشاعرٍ في مدّة عمره إلاّ قصائد معروفة ، وهمته لاستحسان

(١) انظر في التعريف به الهامش الرابع من الصفحة ٤٨
(٢) انظر القصيدة في ديوان صرّدر ص ١٢٨ « مطبعة دار الكتب » .
(٣) لم ترد اللفظة في « ح » . (٤) في « ح » : تشهى .
(٥) في « ح » : للجمال . (٦) في « ح » : قصيدة .

الناس لها مصروفة[١] ، فالأريب[٢] ، اللبيب الأديب ، ذو القريحة الصحيحة ، يتعرض لقَبُول النصيحة ، ولا يعرّض بمعارضتها[٣] نفسه الفضيحة ، فإنْ نظم مثلها[٤] ، وأحكم صقلها ، فمن أين له قبولها ، ومتى ينفُق وينفق[٥] سوقها وسُولها ، وما كلّ حسنٍ مَبْخُوت ، وإنْ نظم دونها فهو ممقوت ، ومَنْ ملك القدرة على حُرّ الكلام في سرّ البلاغة ، وسحر الصياغة[٦] ، غاص بحرَ الفِكر ، لاُستخراج الدُّرَر ، ولم ير من همّته إلاّ التفرّد بالثناء الغرر[٧] ، لتتفرّد[٨] بالقبول فرائدُه ، وَلتَمِد العقولَ فوائدُه ، وتنير بالإشراق مقاصده ، وتسير في الآفاق قصائده .

---

(١) في « ب » : لها إلى تنقيحها مصروفة .
(٢) في « ب » : والأريب .
(٣) في « ح » : لمعارضتها .
(٤) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٥) في « ح » : يتفق وينفق .
(٦) في « ب » : الصناعة .
(٧) كذا في «ب» ، وفي «ح» : العرر .
(٨) في « ح » : لتفرد .

سعادة بن عبد الله الأعمى [1]

من أهل حِمص

يُعرف بسعادة ، ويكتب على قصائده سعيد بن عبد الله ، وكان مملوكاً لبعض الدمشقيين مَوْلِدا . شابٌ ضرير ، شَبا خاطِره طَرير ، قد توفَّرت بصيرته وإن ذهب بصره ، وأقرحت قريحته وشبّت فِكَره [2] .

لقيته بحمص مراراً ، وسافر إلى مصر في أول مملكة السلطان [3] الملك الناصر ، وعاد بوفرٍ وافر ، وغنىً ظاهر ، وحصلت له زيادة على ألف دينار ، وهو محظوظ مرزوق من نظم الأشعار .

كنت جالساً بين يدي الملك الناصر صلاح الدين بدمشق في دار العدل [4] ، أنفذ ما يأمر به من الشُّغل ، فحضر سعادة الضرير ووقف ينشد [5] هذه القصيدة في عاشر شعبان سنة إحدى [6] وسبعين [7] :

حَيَّتْك أَعطافُ القُدود ببانِها ... لمّا انثنتْ تيهاً على كُثْبانها [8]

وبما وقى العُنّابُ من تُفّاحِها [9] ... وبما حماه اللّاذ [10] من رُمّانها

---

(١) في «ب» : سعادة الأعمى . وقد ترجم له الصفدي في الوافي ج١٣ « مصورات المجمع العلمي العربي رقم ٨٩ » ناقلاً عن العماد وموجزاً ، واختار له الأبيات السبعة الأولى من القصيدة : حيتك . . التالية .

(٢) في «ح» : وشبّ فكره .   (٣) لم تذكر (السلطان) في « ح » .   (٤) بناها نور الدين . وانظر في خبرها الروضتين ج ١ ص ٨ والشذرات ج ٤ ص ٢٢٨ والدارس ج ١ ص ٦١٠ - ٦١١

(٥) في «ح» : ينشده .   (٦) في «ح» : أحد .   (٧) في الوافي : . . وسبعين وخمسمائة . وانظر الروضتين ج١ ص٢٥٣ فقد نقل هذه المقدمة عن الخريدة واختار من هذه القصيدة ، بعد ذكر المطلع ، ثمانية أبيات سنشير إليها .

(٨) في « ح » : على قضبانها .   (٩) كذا في « ح » وعند الصفدي . وفي « ب » : وقى التفاح من عنابها . وانظر البيت : متى شاء . . في ص ٤٠٤   (١٠) اللاذ : ج لاذة وهي ثوب حرير أحمر .

من كلِّ رانيةٍ[١] بمُقلةِ جؤذُرٍ يبدو لنا هاروت من أجفانها
وافَتْك حاملة الهلال بصَعْدَةٍ جعلت لواحظها مكانَ سِنانها
حوريةٌ تَسقيك[٢] جَنَّةُ ثغرها من كوثرٍ أجرَتْه فوق جُمانها
نَزَلت بَواديها منازلَ جِلَّقٍ فاستوطنت في الفيحِ من أوطانها
فالقصرِ فالشَّرَفَيْنِ[٣] فالمرجِ الذي تحدو محاسنه على استحسانها
فجِنان بَرْزَتها[٤] فياطوبى لمن أمسى وأصبح ساكناً بجِنانها[٥]
بحدائقٍ نُظِمت حليُّ ثمارِها نظمَ الحليِّ على طُلَى أغصانها
فكأنهنّ عرائس مَجْلُوَّةٌ[٦] وكأنها الأقراط في آذانها
ومرابع تُهدي إلى سُكّانها طيباً إذا نَفَحت على سكّانها
أرجاً لدى الغَدَوات تحسب أنه مِسْكٌ إذا وافاك من أردانها
فالنَّوْر تيجان على هاماتها والنُّور أثواب على أبدانها
والوُرْق قَيْناتٌ على أوراقها تَفْتَنّ[٧] بالألحان في أفنانها
أحنو إلى الهَضبات من أنشازها لا بل إلى الوَهَدات من غيطانها
وأحنّ من شوقٍ إلى مَيْطورها[٨] وأهيم من توقٍ إلى لَوّانها[٩]

---

(١) في « ح » : دانية . (٢) في « ح » : يسقيك . (٣) انظر الهامش الثالث من الصفحة ٢٩٩
(٤) برزة : قرية من غوطة دمشق ، حسنة الهواء ، يكثر الشعراء من ذكرها .
(٥) في « ح » : وأضحا ... وفي « ب » : بجنابها .
(٦) في « ح » : مجلية . (٧) في « ب » : يفتن .
(٨) في « ب » : منظورها . والميطور من قرى دمشق . انظر معجم ياقوت .
(٩) في « ب » : ألوانها . واللوّان من ضواحي دمشق النزهة .

وأَبيتُ من وَلَهٍ وفَرْط صبابةٍ أبكي على ما فات من أَزمانها
أَيّام كنتُ بها وكانت عيشتي كالرَّوْضة المَيْثاء في إبّانها
والربوةُ الشماء جنّتيَ التي رضوان منسوب إِلى رضوانها
دارٌ هي الفردَوْس إِلاّ أَنها أَشهى من الفردوس عند عِيانها

ومنها يصف البركة والفوّارة :

لنُهود بِركتها قدودٌ ، رقصها أبداً على المزموم من أَلحانها
ومعاطفٌ عَطَفَ النسيمُ قِسِيَّها فَهَوَتْ بنادقهـا على ثعبانها
دُحِيَتْ كُراتُ مياهها بصوالجٍ جالت[1] فوارسهنّ في مَيْدانها
وأُعتدَّ شاذروانها[2] بعساكرٍ لمعت جواشنها على فرسانها
وتقلّدت أَجيـادُها بقـلائدٍ نُثِرت[3] نظائمهنّ فوق جِرانها
وتضاحكت أَفواهها بمباسمٍ تُرْوي مَراشفُها صَدى ظمآنها
بمروَّقٍ صاف كأَنَّ زُلاله مُتَدَفّقٌ من راحتيْ سلطانها
سلطانِها الملك ابن أَيوب الذي كفّاه لا تنفك[4] عن هطلانها[5]
بمواهبٍ لو لم أَكن نوحاً لما نُجّيتُ يوم نداه من طوفانها
سَمْح يروح إِلى النديّ براحةٍ قد أَعشب المعروف بين بَنانها
وفتىً إِذا زخرت بحارُ نواله غرقت بحارُ الأَرض في خُلجانها

(١) في « ح » : حالت . (٢) الشاذروان: موضع نزه قرب الربوة في دمشق معروف في أيامنا باسم الشادروان.
(٣) في « ح » : نظمت . (٤) في « ح » : لا تنكف ؛ وفي الروضتين : لا ينكف .
(٥) هذا البيت والثلاثة التالية من مختارات الروضتين ج ٢ ص ٢٥٣

غيث يكُرّ من الظُّبىٰ بصواعق ماء الرَّدىٰ[1] يجري على نيرانها

بصوارمٍ أجفانها قِمم العِدىٰ لا ما كساها القَيْنُ من أجفانها

فضيّةٍ ذهبية فلُجَيْنها يختال[2] يوم الرَّوْع في عِقيانها

محمرّة بدم الفوارس خُضْرها فالوَرْد منثور[3] على رَيْحانها

من كلّ لامعةٍ بليلٍ قَتامها كالنّار لامعةً بليلِ دُخانها

تلك السيوف المُرْهَفات بكفّه أمضى على الأيّام من حدثانها[4]

قُضُبٌ إذا اُقترنت كواكب بيضها بكريهةٍ كانت ردىٰ أقرانها

مهزوزةٌ للضرب في يد ماجدٍ ضرب أطاح الروس عن أبدانها

ملك إذا جُليتْ عرائس ملكه رصعت فريدَ العدل في تيجانها[4]

وإذا جحافله أثَرْنَ سحائباً لمعت بُروق النصر في أحضانها

من كل شهباء الحديد كأنما الـ أمواج مائجة على شجعانها

وكتيبةٍ كم قد كتبن لها الظُّبىٰ كتباً يلوح العِزُّ من عُنوانها

وإذا ذوآبله هُزِزْن رأيتها والموت مُشْتَمِلٌ على خِرصانها[5]

من كلّ جاعلةٍ بكلّ كريهةٍ رأسَ الفتى رأساً على[6] جُثمانها

---

(١) في الأصل من « ب » : الندى ، وفي هامشها : الردى .

(٢) في « ح » خلجانها تختال .

(٣) في « ح » : مبثوث . وفي هامش « ب » التعليقة التالية : في الأصل مبثوث ، ومنثور أنسب واحسن .

(٤) البيت من مختارات الروضتين ج ١ ص ٢٥٣ .

(٥) الخِرص : الرمح القصير السنان .

(٦) سقطت (على) في « ح » .

سَمراء لا يَثْني حطيماً صدرُها إلاّ ومن نَحْرٍ فمٌ للسانها[(١)]
وإذا صواهله مَزَعْن حسِبتَها ما دقّ يومَ الرَّوْع من أرسانها
من كلّ سَلْهَبةٍ ألحّ بها الطّوى حتى طواها الضُّمْر طيّ عِنانها
جرداء تطّرح البروق إذا دنَتْ وتفوت ما قد فات من لمعانها
خيْلٌ هي العِقبان في طيرانها لا بل هي السِّيدان في عَسَلانها
فالشُّهْب ما حملْته في أرماحها والغُلْب ما نقلته في عَدَوانها[(٢)]
كم قُدْتَهنّ أبا المظفر ظافراً والأُسْدُ صائلةٌ على عِقْبانها
متواثباتٍ للطِّعان ، فلا كبَتْ تلك العِتاق الجُرْد يومَ طِعانها
عُقِدتْ سبائبُهنّ بالهمم التي أشطانُهُنّ تنوب عن أشطانها
هِمَمٌ رقَتْ بك فارتقيت من العُلىٰ رُتباً ، مكانُ الشمس دونَ مكانها
أقسمتُ ما هدَمْنَ[(٣)] أركان العِدىٰ إلاّ بما شيَّدْتَ من أركانها
فكواكب الأفلاك من خُدّامها وعصائب الأملاك من أعوانها
فلذاك بَهْرامٌ[(٤)] إلى بَهْرامها يُعزىٰ ، وكيوانٌ[(٥)] إلى كيوانها
فإذا[(٦)] سَلَلْتَ سللتَ بيض حِدادها وإذا هززت هززت سُمْر لِدانها
فافْخَر فلو روّعْتَ «روميةً[(٧)]» بها خرّتْ كنائسها على رُهبانها

---

(١) في « ح » : لسنانها . (٢) في « ب » : في غدرانها . (٣) في « ح » : ما هدّت من أركان .

(٤) بهرام : اسم المريخ . ومعرّبه البَهْرامج (محيط المحيط والألفاظ الفارسية المعرّبة لأدي شير)

(٥) كيوان : اسم زحل . (٦) في « ب » : وإذا .

(٧) فوق هذه اللفظة في « ب » أحرف لا تستبين لقراءة .

أو لو بها صبّحتَ « قُسطنطينةً » خفّضتَ ما رَفعتْه من صُلبانها

فانهض[١] إلى فتح السواحل نهضةً قادتْ لك الأعداءَ بعد[٢] حِرانها[٣]

وأسلم صلاحَ الدّين وأبقَ لدولةٍ ذلّت لدولتها ملوكُ زمانها[٣]

خضعتْ لها الشُّجْعان عند صِيالها وَعَنَتْ لها الأقران عند قِرانها

فلكَ ٱبنَ أيّوب بن شاذي[٤] ملكها صافي[٥] والشّاني قذى شَنَآنها

ولك الذي قد سرَّ من أفراحها وله الذي قد ساء من أحزانها

فاسعدْ بها يا أيُّها الملكُ الذي دانتْ لديْه على جلالة شانها

واستجْلِ من مِدَحي الحسانِ خريدةً حَسّانُ[٦] مفتقرٌ إلى حُسّانها

وافَتْكَ ترفُل في ثياب بهائها وإبائها وحيائها وصِيانها

كالكاعب العذراء حين تبخترتْ في دُرِّها المنظوم أو مَرْجانها

وأتتْكَ تنشُر ما طواه حَسُودها من فضلها وسَدادها وبيانها

في دارِ عدلٍ مُذْ طلعتَ بأُفْقِها بدراً جَلوْتَ[٧] الظُّلْمَ عن سُكّانها

فبقيتَ مُعْتَصِباً بتاج بهائها في دَسْتِ مجلسها وفي إيوانها

ما أصبحت أيدي الرعيّة تجتني عَفْواً ثِمارَ الأَمْن[٨] من بستانها

* * *

(١) في « ح » : وانهض . (٢) في « ح » : يوم .

(٣) البيتان آخر الأبيات التسمة المختارة من هذه القصيدة في الروضتين . وقد جاء البيت « وأسلم » قبل البيت «فأنهض» بلفظي : فأسلم، وانهض . (٤) في « ب » : شادي .

(٥) في « ح » : حبها الصافي . (٦) انظر في التعريف به الهامش الأول من الصفحة الرابعة .

(٧) في « ح » : جليت . (٨) في « ح » : ثياب الأنس .

وقام إليه ، اليوم الذي[1] يليه ، وقد جلس السلطان في دار العدل[2] ، وقد احتفل الحفل ، بحضور أهل الفضل ، فأنشده :

لا يُقْعِدَنَّك ما حَلُّوا وما عَقَدوا ... هُمُ الذئاب وأنت الضَّيْغَمُ الأَسدُ

كم يخطِفون بروقاً ما بها مَطَرٌ ... ويقصِفون رُعوداً ما بها بَرَد

والقوم قد قعدوا عمّا نهضتَ به ... من السِّداد ، فلا قاموا ولا قعدوا

فلا ثيابُ المعالي فوقَهم جُدُدُ ... ولا طريق الأَماني نحوهم جَدَد

إيّاك تغفُل عنهم مثل ما غفَلوا ... إيّاك ترقُد عنهم مثل ما رَقدوا

ماذا الكرى يا صلاح الدين عن أَرِقٍ ... من قبل[3] سيفك قد أودى[4] به السَّهد

ولهان تَزْفِر[5] نارٌ في جوانحه ... يَشُبُّها القاتلان : الخوفُ والحَسَدُ

لا يستطيع اهتداءً فهو مرتبكٌ ... حيران ، فيه وفي آرائه أَوَد

مخيَّبُ السَّعي لا يعتاده ظَفَرٌ ... مُضَلَّلُ الرأي لا يقتاده رَشَد

فكيف يَرْقَع خَرْقاً وهو مُتَّسِعٌ ... أم كيف يُصْلِح أمراً وهو مُنْفَسِد

لمّا رآك وقد أقبلت تَقْدُمُها ... أُسداً[6] عرائنها الإقدام والعدد

أَلقى السلاح وما فُلَّتْ ظُبَى قُضُبٌ ... تَفْري الرؤوس ، ولا دُقَّت قَناً مُلُد

وراح مِنْ بعد ذاك الجمع مُنفرداً ... وَمَنْ نَحاك[7] بِجَمْعٍ سوف ينفرد

يَطوي الحُزونَ فيَطويه ويَنْشُرُه ... حُزْنٌ له منه وَجْدٌ فوق ما يَجِدُ

---

(١) في « ب » : وقام إليه الذي . . وفي « ح » : وقام اليوم الذي . . وانظر الروضتين ج١ ص٢٥٣ فقد ذكر القصيدة واختار منها بيتين سنشير إليهما . (٢) في «ب» : السلطان للعدل . وانظر الهامش الرابع من الصفحة ٤٠٦ (٣) في « ب » : من قتل . (٤) في « ح » : قد أردى .

(٥) في « ح » : ترقد . (٦) في « ح » : أسدٌ . (٧) في « ح » : نحال .

وفي شَباه الذي أغمدتَهُ فَلَلٌ — وفي حشاه الذي أقلقته[1] كَمَدُ
وحوله عُزّلٌ لو أنهم قصدوا — أضحى القنا وهو في لَبّاتهم قَصَد
خانوا فخانوا[2]، وما حازوا الذي طلبوا — خابوا فآبوا وما نالوا الذي قَصَدوا
لمّا دَعَوْكَ أجبت القوم في لَجَبٍ — السيفُ ناصره والواحدُ الصَّمَد
حتى إذا ما رأوا[3] في الدّرع منك فتىً — كأنه من ثباتٍ في الوغى أُحُد
صَدُّوا وما عَطَفُوا ، ألوَوْا وما وقفوا — ولَوَّا وما رجَعوا[4]، ذَلّوا وما أسِدوا
فرّقتهم فِرقاً ، فاستسلموا فَرَقاً — بظاهر القرْن ، والأقرانُ تطّرِد
صدَعْتَ ما شعبوا ، قطعتَ ما وصلوا — فَلَلْتَ ما شَحَذوا ، حللتَ ما عقدوا[5]
حقَنْتَ منهم دِماءً لو تُراقُ جرَتْ — منها مُدودٌ لها من هامِهم مَددُ
عَفَفْتَ من[6] قتلهم يومَ الوغى فنجَوْا — ولو ترى القتلَ رأياً ما نجا أحد
فهم عبيدُكَ إن لانوا وإن خَشُنوا — وإن أقرّوا بما أوليتَ أو جحَدوا
وهم أساءوا فأحسنتَ الغداةَ بهم — صُنْعاً يُحَدِّث عنه الفارس النَّجُد
أوسعتَ فِرْعونهم لما طغى غَرَقاً — بزاخرٍ : لُجّتاه النَّقْعُ والنَّجَد
حَبابُه البَيْضُ ، والبِيضُ الحِدادُ له — خُلجٌ ، وأمواجُه لما طغى الزَّبَدُ[7]

---

(١) في « ح » : أفلقته. (٢) في « ح » : فخانوا.

(٣) في « ح » : حتى إذا عاينوا. (٤) في « ب » : وما زحفوا.

(٥) تنخرم هنا المصورة في « ب » بمقدار صفحتين في لوحة واحدة ، ويبدو أن ذلك من إهمال المصور إذ جاوزهما إلى ما بعدهما . وقد اعتمدنا في استدراكهما على النسخة « ح » .

(٦) كذا ، ولعلها : عن. (٧) كذا في الأصل . واللفظة لا تساعد على معنى البيت ، وتسوق إلى الإيطاء . ولعلها : الرُّبَد بمعنى الفرند . وسيف ذو رُبَد : إذا كنت ترى فيه شبه غبار أو مَدَبّ نمل .

إذا تلاطم مَوْجُ السّابغات به ... على الكُماةِ عَلاه من دَمٍ زَبَدُ
عَرَمْرَمٌ كالدَّبى الطيّار مُنْتَشِرٌ ... تُحْصى[1] الرِّمال ولا يُحْصَى له عدد
إذا نَهَدْتَ إلى أرض العدوِّ به ... لم يَبْق من مائها غَمْرٌ ولا ثَمَد
تسمو عليه سَماءٌ من عَجاجته ... مبنيَّةٌ من قناه تحتها عُمُد
سماءُ نَقْعٍ لشيطان العدوّ بها ... من الأَسنّة شُهْبٌ كلُّها رَصَد
وفي دياجيه نارٌ من صوارمه ... تكاد تقطُر ماءً وهي تَتَّقِد
نار تُشَبّ على أيدي غطارِفةٍ ... لا يَبْرُق الجوّ إلاّ كلّما رَعَدوا
شُمِّ الموانيف[2] في أفعالهم رَشَدٌ ... في النائبات وفي أقوالهم سَدَد
ما جِنّ عبقرَ جِنٌّ كلّما عَزَفوا ... ما أُسْدُ بِيشَةَ[3] أُسْدٌ كلّما حَرِدوا
من كلّ أرْوَعَ ، أمّا رُمْحُه ثَمِلٌ ... لا يَسْتَفيق ، وأما سيفه[4] غَرِد
في كلّ يوم جِلادٍ لو أَلَمّ به ... عَمرو بن وُدّ[5] عَداه الصَّبْر والجَلَد
شِمْ بالشآم سيوفاً من عزائمهم ... إذا غَمَدْتَ المواضي ليس تنغَمِد
ولا تَخَفْ فالعوالي شوكُها ثَمَرٌ ... حُلْوُ الجنا ، والمعالي صابُها شَهَد

---

(١) في الأصل : يحصي . (٢) كذا في الأصل .

(٣) بيشة : اسم واد فيه موضع مشجر كثير الأسد . وأسده مضرب المثل في الشعر . انظر معجم البلدان لياقوت .

(٤) في الأصل « ح » : كتب الكاتب « ماؤه » ثم شطب فوقها وأثبت كلمة « سيفه » .

(٥) عمرو بن عبد ودّ العامريّ ، من بني لؤي ، من قريش . فارس قريش وشجاعها في الجاهلية . أدرك الإسلام ولم يسلم ، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين فقتله علي بن أبي طالب سنة ٥ هـ . ولم يشتهر عمرو بن ود اشتهار غيره من فرسان الجاهلية كعامر بن الطفيل ، وبسطام ، وعتبة ابن الحارث ، لأن هؤلاء كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ؛ وعمرو من قريش وهم أهل مدينة وساكنوا مدر وحجر لا يرون الغارات . « الأعلام عن شرح النهج لابن أبي الحديد »

وَاخْطُبْ بِحَدِّ المواضي كُلَّ شامخةٍ ... في أنفِها شَمَمٌ في جيدها غَيَدُ

فمن يكن بالمواضي خاطِباً أبداً ... زُفَّتْ إليه بلادٌ كلُّها خُرُدُ

هل بعد جِلِّقَ إلاَّ أنْ ترى حَلَباً ... وقد تَحَلَّلَ منها مُشْكِلٌ عَقِدٌ[1]

وقد أتتك كما تختار طائعةً ... وقد عنا لك منها الحِصن والبلد[1]

أبا المُظَفَّرِ كم قد نلتَ من ظَفَرٍ ... لواؤه بلواء المُلْكِ مُنْعَقِد

وكم هززتَ قُدوداً من رِقاقِ ظُبىً ... بها رِقابُ الأعادي في الوَغى قِدَد

وكم شَهِدْتَ جِلاداً فاسْتَلَبْتَ به ... حُشاشَةَ الجَلْدِ والشُّجعانِ تَجْتَلِدِ

بصارمٍ مُرْهَفِ الحدَّيْنِ ذي شُطَبٍ ... كأنَّها شُعْلَةُ البرقِ التي تَقِدِ

صافي الحديدة لا يعْتاقُه عَذَلٌ ... عن المَضاء ولا يعتادُه فَنَد

وتحت سَرْجِكَ ممّا أنتَ راكبُه ... رُوحٌ من البرق، من مُزْنٍ لها جَسَد

أَمَقُّ أَجْرَدُ صُلْبُ الصُلْب مُنْدَمِجٌ ... أصكُّ لا صَكَكٌ[2] فيه ولا جَرَدُ[3]

مُلَمْلَمُ الرِّدْفِ مَحْبُوكُ القَرا[4] مَرِجٌ ... يَزِينه الثابتان الرُّسْغ والعضد

سَهْلُ القياد على ما فيه من شَرَسٍ ... صعبٌ ففيه الرِّضى المحبوب والحَرَد

وفي الصَّفاة وفي أردافه زَلَقٌ ... وفي القناة وفي أعطافه رَوَدُ[5]

ترمي به الأملَ الأقصى فتدركه ... حتى كأنّك فوق الريح مُقْتَعِد

---

(١) البيتان من مختارات الروضتين ج ١ ص٢٥٣ (٢) الأمق : الطويل . الأجرد : القصير الشعر . الأصك : القوي . الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين عند المشي .

(٣) كذا ولا يظهر المعنى لأن الجَرَد قِصَر الشعر وهو من الأوصاف المحمودة في الخيل ولعلها : حرد . لولا أن اللفظة ستستخدم في القافية بعد بيت واحد ، وفي ذلك عيب الإيطاء . (٤) الظهر .

(٥) رادت الريح رَوْداً « بالتسكين » : تحركت تحركاً خفيفاً ليناً . والتحريك ضرورة شعرية .

وكيف لا تدرك الآمال يا أسداً ... له الرِّماح عَرينٌ والظُّبا لَبَد

ياابن الذين إذا ما اُستُمنِحوا مَنَحوا ... وابنَ الذين إذا ما اُستُرْفِدوا رَفَدوا

هٰذي صفاتُك إلاّ أنها دُرَرٌ ... غُرٌّ فمنتثرٌ منها ومُنتَضِد

مواهبٌ هُنّ في ثغر النّدى شَنَبٌ ... مناقبٌ هنّ في جيد العُلى جَيَد

رغائب لك لا تفنى غرائبُها ... فعند كلِّ يدٍ من بيضهن يَد

فللمُحاسِن منها نافخ(١) صَرِدٌ(٢) ... وللمُخاشن منها لافِحٌ وَمِد(٣)

فاُسلم وجيشُك لا يُثنى له عَلَمٌ ... واُسعد وبيتُك لا تهوي له عُمُد

بحيثُ من مُخْطَفٍ لَدْنٍ له طُنُبٌ ... وحيث من مُرْهَفٍ عَضْبٍ له وَتِد

وحيث شأنُك سامٍ ما له صَبَبٌ ... وحيث شانيك هاوٍ ما له صُعُد

* * *

ثم لقيتُ سَعادةَ الضرير فاُستنشدته الكلمة الطائيّة التي مدح بها الملك الناصر بمصر، لمّا وفد إليه بها في مبدإ الأمر، وقد حُيي بالنصر، فأعطاه ألف دينار من التبر. وأملى من حفظه(٤):

وقفتُ وأنضاءُ المَطِيِّ ضُحًى تَمطُو ... وُقوفَ جَوٍ أنحى على قُرْبِه الشَّمْطُ

(١) كذا. والأفضل: نافح، للمقابلة مع لافح في الشطر الثاني، لأن النفح: الهبوب في البرد، واللفح: الهبوب في الحرّ. (٢) الصَرِد: القوي على البرد.

(٣) من ومِدَت الليلة: اشتد حرّها مع سكون: فهي وَمِد ووَمِدة.

(٤) في الروضتين ج ١ ص ٢٥٣: وقال «ينقل عن الخريدة» وكان سعادة سافر إلى مصر في أول مملكة الناصر فمدحه بقصيدة طائية فأعطاه ألف دينار. فمنها يصف غارته على غزة، وعوده من ذلك الغزو بالعزّة. ثم اختار منها ثلاثة أبيات سنشير إليها في مواضعها. وانظر ملاحظة صاحب الروضتين على مثل هذه القصائد الطائية ج ١ ص ٢٤٧

على دارساتٍ من رُسومٍ كأنّها صحائف كُتْبٍ لا يَبينُ لها خَطُّ
معالم دارٍ بل معاهد عَرْصةٍ بها للقَطا من بعدِ ساكِنها لَغط
أُخاطب منها صامتاً غير ناطقٍ ومن عَبراتي في ترائبها سِمْط
فلو لَقَطَتْ يوماً عقيقَ مدامعي بدِمْنَتِها ظمياء أَمْلَلها[1] اللَّقْط
ولو سفَح الكِنديُّ بالسِقْط مثلَ ما سَفَحْتُ بها أثنى على دمعه السِقْطُ[2]
خليليّ هلْ مِنْ حاملٍ لي تحيّةً إلى قمرٍ نجمُ الثريّا له قُرْط
نَشَدْتُكما بالشام عُوجا فسَلِّما على ظَبَياتٍ أُسْدُ أَلحاظها تَسْطو
على المائسات اللاء رَنَّحها الصَّبا على الآنسات اللاء نَفَّرَها الوَخْط
وقولا لِمَنْ يَعْطو إليها صَبابةً فتنفِرُ عنّا كالمَهاةِ ولا تَعْطو
أَشَرْطُكِ يا ظمياء أن لا تهاجرُ مُقيمٌ لِمَنْ يَهْواكِ أم عُدِم الشَّرْط
بنفسي وأهلي أنتِ مِنْ بابليّةٍ لها وإليها الحلُّ، في السِّحْرِ، والرَّبْط
وبي[3] دُمْيَةٌ مِنْ دونها تُحْطَمُ القنا ويجري على أعطافهنّ دمٌ عَبْط
مُخَفَّفَةُ العِطْفين مَهْضومة الحَشَ مُثَقَّلَةُ الرِّدْفَيْن يوهِنُها المِرْط
أَتَتْ بين حِقْفٍ مائجٍ وأَراكةٍ مُنَعَّمَةٍ أَوراقُها الشَّعَرُ السَّبْط
فنصّت[4] على الكافور منها سوالفاً على الجُلَّنار الغضّ من مِسْكها نَقْط

---

(١) في « ب » و « ح » أمكنها . والتصحيح عن عرد الشباب .

(٢) يشير إلى امرىء القيس ومطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بسِقط اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ

(٣) في « ح » : وفي . (٤) في « ح » : فنصّت .

وعنّتْ بِعُنّابٍ تَنُوء بحمْـله أنابيبُ دُرٍّ زانها الخَلْقُ لا الخَرْطُ

ونار شفاهٍ حَوْلَ جَنَّةِ مَبْسِمٍ مِزاجاهما شَهْدٌ جَنِيٌّ وإسْفِنْط(١)

فلا ، ولَمّاها العذبِ ، لا كنتُ ناقضاً عهودَ هواها لا ولا سالياً قطّ

وكيف وعندي من هواها صَبابةٌ تكاد بها مني الجوانح تنقطُّ(٢)

ووَجْدٌ كوَجْد الناصر المَلْك بالعُلى وبالشَّرف السامي الذي ما له هَبْط

فتىً مُهْتَدي الآراء في كلِّ حادثٍ مُضِلٌّ لآراءِ الملوك بها خَبْط

له هَيْبَةُ الليث الذي مابه ونىً(٣) وأُكرومةُ الغَيْثِ التي مالها غَمْط

وما كُتْبُه ، مُذْ كان، إلاّ كتائبٌ حُروفُ ظُباها في الطُّلى مالها كَشْطُ

وليس له ، ما عاش ، إلاّ من القنا قَنا الخطِّ ، أقلامٌ إذا ذُكِرَ الخطّ

يَخُطُّ بها ما شاء من صُحُف الطُّلى فطوراً لها شَكْلٌ وطَوْراً لها نَقْط

أنابيب تجري كالأنابيب من دَمٍ إذا بَرْيُها في الرَّوْع أَتْبَعَهُ القَطّ

أفاعي رِماحٍ أُضْرِيَتْ في عُداته فليس لها من غير أرواحهم نَشْط(٤)

يُجيدُ بهنّ الطعنَ ضَرْبٌ بضربه غداةَ الوغى ينقدّ هامٌ وينعطّ(٥)

فتىً من بني أيّوب إن همّ أَوْهَى فما الغيثُ إذ يحبو وما الليث إذ يسطو

وما يُوسُفٌ في المُلك إلاّ كيوسُفٍ ولكن له من غير إُخوته رَهْط

---

(١) من أسماء الخمر ولفظه بالطاء وبالدال ،قيل:وليس بالخمر وإنما هو عصير عنب . انظر المعرّب للجواليقي ص١٨

(٢) في « ب » : ينقّط . (٣) في « ب » وهاً . وفي « ح » الذي ما بها ونأ .

(٤) في « ح » : من غير ارماحه شرط . وفي « ب » مكان الكلمة الاخيرة كلمة « سرط » ، وفي هامش الصفحة كتبت كلمة نشط . والنشط : مصدر نشطته الحية : عضته .

(٥) ينعط : ينشق . وفي « ح » : وينقط .

ملوكُ حُجورُ[١] الأَرْيحيّاتِ مذ[٢] نَشَوْا ... مُهودُهم ، والمَكرماتُ لهم قِمْطُ

شبابٌ وشيبٌ مذ تساموْا ومذ عَلَوْا ... على صَهَواتِ السَّبْعَةِ الشُّهْبِ ماحَطّوا[٣]

ومذ أنبضوا رَمْياً بنَبْلِ ذكائهم[٤] ... أصابوا المعاني المُبْهَماتِ ولم يُخْطوا

شآبيبُ في سِلْمٍ ، محاريبُ[٥] في وغىً ... يطير لِقَدْحِ[٦] المُرهَفاتِ بها سِقط

ومنها يصف غارته على غزّة ، وعوده من تلك الغزوة بالعِزّة[٧] :

فتىً مُذْ غزا بالخيل والرَّجْل غَزَّةً ... نأى عن نواحيها الرِّضا ودنا[٨] السُّخْطُ[٩]

رماها بأُسْدٍ ما لهنّ مَرابِضٌ ... ولا أَجَمٌ إلاّ الذي يُنْبِت الخطّ

وعاث[١٠] ضواحيها ضُحىً بكتائبٍ ... من التُّرك ، لا رومٌ[١١] طَغامٌ ولا قِبْط

رماهم بأمثال السَّراحين شُزَّباً ... عليها[١٢] أُسودٌ بل أساوِدَةٌ رُقْط

وطاحت على تلك الرمال جُسومُهم ... ففي كل سِقْطٍ من جماجمهم[١٣] سُقْط

ومنها :

أَلا أيُّها الصِّدّيق يوسُف مَسَّنا ... من الضُّرّ ما لا نستطيع به نَخطو

فأَوْفِ لنا كَيْلَ النَّدى متصدِّقاً ... فإنّ جزاءَ المحسنين هو الشَّرْط[١٤]

* * *

(١) موضع الكلمة بياض في « ب » . (٢) في « ح » : إذ . (٣) لم يرد البيت في « ح » .
(٤) في « ح » : ركابهم . (٥) المحراب والمِحْرَب : الشجاع صاحب الحرب .
(٦) في « ب » : بقدح . (٧) انظر الهامش الرابع من الصفحة ٤١٦
(٨) في « ب » : وذنا . (٩) هذا البيت والبيتان التاليان مما اختاره صاحب الروضتين ج ١ ص ٢٥٣
(١٠) في « ب » : وعاش . (١١) في « ح » والروضتين : لا نوبٌ .
(١٢) في « ح » : عليهم . (١٣) في « ح » : حماهم .
(١٤) في البيتين اقتباس من الآية الكريمة : يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضرّ ، وجئنا ببضاعة مُزْجاة ، فأَوْفِ لنا الكيل وتصدّق علينا ، إن الله يجزي المتصدّقين « يوسف ٨٨ »

وأنشدَ ، ليلةً أُخرى[١] بدمشق وأنا حاضر ، فيه هذه القصيدة . منها :

في أَعين البِيض ما في البِيض والأَسَلِ ... فاُحذَرظُبَى اللَّحْظِ إذْ تُنْضَى من الكَحَلِ

ولا[٢] تَثِقْ بعيون العِين صائدةً ... صِيدَ الرِّجال بأَشراكٍ من الحِيَلِ

فالأَعينُ[٣] النُّجْل داءٌ لا دواءَ له ... فكن علياً بداء الأَعيُنِ النُّجُل

ومنها[٤] :

بواضحات الثَّنـــايا ما ثَنَيْنَ فتىً ... على الثنيّة إلاّ وهو غير خلي

أَقبلْن يضحكن عن بيضٍ لآلِئُها[٥] ... أَصدافهنّ شِفـاهٌ حُلوةُ القُبَل

من كلِّ هيفاء في أَوراقِ حُلَّتِها ... غصن من القدِّ في دِعْصٍ من الكَفَل

كالخيزُرانة وافتْ وهي حاملةٌ ... روضاً من الحسن في روضٍ من الحُلَل[٦]

فما ترى سَوْسَناً يُصْبيك من طُرَرٍ[٧] ... حتى ترى نَرْجِساً يُضْنيك من[٨] مُقَل

فإن ضممتَ ضممتَ البـان من هَيَفٍ ... وإن لَثِمتَ لثمت الورد من خجل

وإن شربتَ شربت الرّاح من شَنَبٍ ... يجري على واضحٍ عَذْب اللَّمى رَتِل

ورُبَّ باديةٍ من[٩] بيت باديةٍ ... في ريقها عَلَلٌ يَشْفي من العِلَل

وخَمْرةٍ عندنا منها خُمارُ هوًى ... وعندها حين[١٠] تمشي نَشوة[١١] الثَّمِل

---

(١) لم ترد اللفظة في « ح » .
(٢) في « ب » : فلا .
(٣) في « ح » وفي « عود الشباب » : والأعين .
(٤) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٥) في « ح » : لها ، وفي « ب » : لا اليها .
(٦) في « ب » : من الكلل .
(٧) في « ح » : عن طرر .
(٨) في « ح » : يصبيك عن .
(٩) في « ح » : في .
(١٠) في « ب » : عند .
(١١) في «ح» : تمسى سلوة . وفي عود الشباب : حين تمشي نشوة .

صهباء ممزوجة بالمسك أو بشذى ... ذكر ابن شاذي صلاح الدين والدُّوَلِ

القائدِ الخيلَ تهوي في أعنّتها ... مثلَ الأجادل ، والأبطالُ في جدل[1]

والليلُ من رَهَجٍ والصبح من قُضُبٍ ... والبحر من مُهَجٍ والبرّ من قُلَلِ

والأرضُ من نَزَوات اللّمع في شُعَلٍ[2] ... والجوّ من هَفَوات النَّقْعِ في طَفَلِ

والبيضُ من عَلَقِ الأقران في حُلَلٍ ... حُمْرٍ ، ومن قُمَم الشُّجْعان في خِلَلِ[3]

والشمسُ ، شمس الضحى ، في النَّقْعِ آفلةٌ ... وشمسُ هِمَّتِه الغرّاء لم تَفِلِ[4]

كالغيث[5] والليث ، هذا منه في خَجَلٍ ... عند العطاء ، وهذا منه في وَجَلِ

يلقى القنا وهو أمضى من عواملها ... في القول والفعل والآراء والعمل

ويَنْثَني ولها في كفّه قِصَدٌ ... يُثْني عليه ثناءً غير مُنفصِلِ

تُثني على مَلِكٍ أعطى أسنّتها ... من الفوارس أقصى السُّؤْل والأَمَلِ

مُعَذَّلٌ في النَّدى صَبٌّ به أبداً ... وكيف يُعْذَل صَبٌّ غير مُعْتَذِلِ

أغرُّ يَعْذُبُ صابُ الحادثات له ... فصابُها عنده أحلى من العسل

جَذْلان ، أبهج في الظَّلْماء من قمرٍ ... يقظان ، أثبت في الهيجاء من زُحَلِ

صعب العريكة ، سَهْل الرّاحتين ، له ... رأيٌ حصيفٌ قويمٌ غيرُ ذي مَيَلِ[6]

رأيٌ شديد القُوى ، ما فيه من خَوَرٍ ... لا بل سديد النُّهى ما فيه من خَلَلِ[7]

---

(١) في « ب » : حدل . (٢) في « ح » : في شغل .

(٣) في « ح » : في حلل . والخِلّة : جفن السيف المغشّى بالأدم .

(٤) في « ح » : لم تفِل . (٥) في « ب » : فالغيث .

(٦) في « ح » : غير معتدل . (٧) في « ح » : شديد النهى ما فيه من خطل .

ورايةٌ ما هفَتْ يوماً ذوائبها ... إلاّ على قدّ عَسّالٍ من الذُّبُلِ
صفراءُ ، خافقةٌ بالنّصر ، حائزةٌ ... بالحَوْل ما لم يَحُزْه الغير بالحِيَل
منشورة ليس يُطوى عزمُ ناشرها ... حتى ينالَ مكاناً قطّ لم يُنَل
وصارمٌ مُرْهَفٌ خَفّتْ مضاربُه ... فليس يَسْبق إلاّ سُرعةَ الأَجل
سيفٌ ليُوسفَ ما قُدّت حديدتُه ... إلاّ من الظّفَر المقرون بالجَذَل
محمّرةٌ بالدّم المسفوح خُضرتُه[(1)] ... فآسُها نابتٌ في وَرْدِه الخضِل
كأنّه وهو في يُمْنـاه مُنْصَلِتٌ ... برقٌ جلا عارضاً في عارضٍ هَطِل
وذابلٌ عِطْفُه يهتزّ من طَرَبٍ ... إلى الطِّعان ولا يهتزُّ من خَطَل
صُلْبُ المَكاسرِ ، لَيْنُ المَتْنِ ، فارسُه[(2)] ... له من الجيش ما يَهْوى من النَّفَل
بلَهْذَمٍ من نجوم القذف ، طاعنُه ... يكاد يُنْفِـذُه من صَفحة الجبل
يزداد من طَوْله طُولاً براحته ... إذا طِوال الرُّدَيْنِيّات لم تَطُل
وسابحٌ لو يُجاري الريحَ عاصفةً ... لَقُيِّدَت[(3)] خطوات الرّيح بالمَثَل
سهلُ القياد فما يُعزى إلى شَغَبٍ[(4)] ... جَمُّ النشاط فما يُدْعى إلى كسل
ثَبْتُ الشَّوى والقَرا[(5)] ، والرِّدف مجتمعٌ ... مُلَمْلَمٌ مُشمخِرُّ المَنْكِبَيْن عَلي
إذا تَأمّلتَ أَعـلاه وأسفـلَه ... رأَيت حُسْناً مقيماً غير مُرْتَحِل
صافي الأَديم صقيل ، لونُ كُمْتَته ... من الكُمَيْت فلم يَنْقُص ولم يَحُلِ[(6)]

(١) في « ح » : الدم بالمسفوح خضرته . (٢) في هامش «ب» كلمة: حامله . (٣) في « ح » : تقيدت .
(٤) في « ح » : شغَبِ . (٥) الشوى : الأطراف . القرا : الظهر .
(٦) كذا في « ب » . ولعلها : فلم يَنْفُض ، من قولهم : نفض الثوب أو الصبغ إذا ذهب بعض لونه .

بادي الحُجُول تُريك[1] النجمَ غُرَّتُه ... بواضحٍ كصِقال المشرفيّ جَلي

إذا ونىٰ وَجَرى من تحتِ راكبه ... نال المُنىٰ بين ذاك الرَّيْثِ والعَجَل

نجمٌ يمرّ ببدرٍ في دُجى قَتَمٍ ... صقرٌ يكُرّ بليثٍ في شَرىٰ أَسَل[2]

بماجدٍ من بني أيّوبَ طينَتُه ... من طينة الجود لا من طينة البَخَل

بواحدٍ حَوْلَه في كلّ نائبةٍ ... من العزائم جيشٌ غيرُ مُنْخَذِل

ومنها :

يا أيّها البطلُ المعروف بالكرم الـ ... ـموصوف ، والرّجل المُوفي على الرَّجل[3]

يا أيّها النّاصِرُ المَلْك الذي قهرَتْ ... بسيفه مِلّةُ الإسلامِ للمِلَل

ومنها :

فلا برِحْتَ لدُنْيا أنتَ مالكُها ... شمساً[4] مدى الدهر لا تنأى عن الحَمَل[5]

* * *

وأنشدني لنفسه قصيدةً فيه ، منها في صفة الجيش والخيل :

جيشٌ تَجيش على مِثْل الصُّقورِ به ... أُسْدٌ براثِنُها من كلّ ذي شُطَب

في صفة الخيل :

من كلّ مُنْجَرِد الخدَّيْن تحسبه ... رُوحاً من البرق في جسمٍ من السُّحبِ

* * *

(١) في «ح» : يريك . (٢) الشرى في الأصل : مأسدة يضرب بها المثل . الأسل : الرماح ، وكل حديد رهيف .

(٣) أصلها الرَّجْل : ج راجل . (٤) في «ح» : شمس .

(٥) الحَمَل : برج من بروج السماء الربيعية .

وأنشدني لنفسه في الشمعة :

وقائمةٍ لا تَمَلُّ القيــام ... على بِرْكةٍ من لُجَيْنٍ بديع
إذا ٱبتسمتْ بين جُلّاسِها ... حَباها التَّبَسُّمُ فَيْضَ الدموع

* * *

وأنشدني لنفسه أيضاً في الشمعة :

وشادنٍ نادمتُــه ... تحت رُواق الغَيْهَب[1]
بدرُ دُجًى مُقترِنٌ ... من كأسه بكوكب[1]
يطعن[2] أحشاء الدُّجى ... عند الرِّضا والغضب
بصَعْدَةٍ من فضّـةٍ ... لَهْذَمُها من ذهب

* * *

وأنشدني لنفسه في النار :

يا حُسْنَ نارٍ أتَتْنــا ... في حِنْدِسِ الظَّلْمــاء
وافتْ إلينا تهادى ... في حُــلّةٍ حمراء
حتى إذا ما توارت ... عن ذلك الإيراء
أبدتْ قُراضةَ تِبْرٍ ... في خِرْقةٍ دَكْناء

* * *

وأنشدني لنفسه في كانون النار :

وجاثمٍ بيننا على الرُّكَبِ ... لا يتشكّى الغَداةَ من تَعَبِ

---

(١) جاء هذان البيتان في « ح » : متعاكسين . ثم أشار الكاتب إلى أن أولها مؤخر وإلى ان الثاني مقدم .

(٢) في « ح » : تطعن .

مُسَلْسَلٌ يَعْذُبُ[1] العَذابُ له   فهو كقلبِ المُتَيَّمِ الوَصِبِ
فبينما ان تراه[2] في سَبَجٍ[3]   يختال، حتى تراه[2] في ذهب[4]

* * *

وأنشدني لنفسه من قصيدةٍ أولها :

كم بين شَدّي بأشْطان النَّوى عِيري   وبين شُربي على شَدْوِ النَّواعيرِ
ما بين مُنْتَسِجٍ ضافٍ ومُطَّرِد   صافٍ كمِثْل الصَّقيلات المباتير

ومنها :

ونَرْجِسٍ أدمعُ الأنداء حائرةٌ   منه على عَسْجَدٍ في وَسْط كافور

ومنها في صفة الورد ، وقال هذا معنى ما سُبِقْتُ إليه[5] :

والوردُ ما بين أغصانٍ تُحاربه[6]   عند القِطاف بأظفار السَّنانير

ومنها :

قُمْ للصَّبوح فقد لاح الصَّباح لنا   وبَشَّر الدِّيكُ عنه بالتباشير

---

(١) في «ب» : تحسن . (٢) في «ح» : نراه . (٣) السبج : الخرز الأسود .

(٤) في هامش «ب» : أخذه من السريّ الرّفاء :

نحمله سبجاً أسودا   فيجعله ذهباً أحمرا

وانظر أبيات السري الرّفاء في ديوانه الذي نشره الاستاذ حسام الدين القدسي «القاهرة ١٣٥٥» ص ١٣٨ من قصيدة يستدعي فيها صديقه ويصف غرفته ، وفيها يقول :

وذي أربع لا يطيق النهوض   ولا يألف السير فيمن سرى .. الأبيات

(٥) في «ح» : وهذا معنى ما سُبق اليه . (٦) في «ح» : يحاربها .

وقامَ مُرْتَقِصاً ما فوقَ(١) مِنْبَرِهِ مُصَفِّقاً بين تهليلٍ وتكبيرِ
يقولُ هُبُّوا إلى اللذاتِ وابتدِروا فقد صفا عَيْشُكم من كلِّ تكديرِ
إيّاكُمُ أن تَعُقُّوا بنتَ خابيةٍ كانت وِلادتُها من عهدِ سابورِ
كأنّها وَمِزاجُ الماءِ يُرْهِقُها(٢) نارٌ تَسَرْبَلُ سِرْبالاً من النُّورِ
كأنّها ، وَيَدُ الساقي تُكَرِّرُها ياقوتةٌ رقصت في ثوبِ بَلُّورِ

* * *

وأنشد الملكُ الناصرُ أيضاً(٣) قصيدةً منها :

جِبالٌ عُلاً تُطَوِّلُها هِضابٌ وأُسْدٌ وغىً تُوائِبُها ذئابُ(٤)
وكيف تساجِلُ الصُّبْحَ الدَّياجي وكيف يُماثِلُ البازَ الغرابُ
سيُخمِدُ نارَ هذا الخطبِ مَلْكٌ لنيرانِ الحروبِ به التهابُ
فتىً للمُعْتَدين به عِقابٌ كما للمُجْتَدين به ثوابُ
فتىً دانتْ لِعِزَّتِه الليالي وذَلَّت تحت أَخْمَصِهِ الصِّعابُ

ومنها(٥) :

سيَرْتَقِ(٦) فَتْقَ هذا المُلْكِ منه قواضبُ ، للرؤوسِ بها انقضابُ

---

(١) في « ب » : ما بين .

(٢) كذا في الأصلين ، وفي عود الشباب : يرهقها . (٣) سقطت اللفظة في « ح » .

(٤) في هامش « ب » : أخذه من المتنبي : طوالُ قنا . . البيت . يريد بيت المتنبي في مطلع إحدى قصائده في سيف الدولة :

طِوالُ قناً تُطاعِنُها قِصارُ وقَطْرُك في ندًى ووغًى بِحارُ

(٥) لم ترد في « ب » . (٦) في « ح » : سترتق .

ويمْرُعُ بالبَوار جَنابُ قومٍ | لهم عن نُصْرة الدين اجتنابُ
فلا تقبل لهم ، ماعِشْتَ ، عُذراً | وإنْ خضعوا لَدَيْكَ وإن أنابوا
همُ حَشَدوا عليك بكلّ وادٍ | عصائبَ ، بالضَّلال لها[1] اعتصاب
وجيشاً مُذْ دعاك على اغترارٍ | صلاحَ الدين ، عاجَله الجواب
بأرعنَ مثلِ رُعْنِ الطَّوْد مَجْرٍ | تَضيق به من الأَرض الرِّحاب
خميس سوف ترضى البيض عنه | إذا زأَرت ضراغِمُه الغِضاب[2]
تَكُرّ على الصُّقور به أسودٌ | عليهن للقَنا الخطِّيّ[3] غاب
كأَنّ مُثار قَسْطَلِه عليهم | إذا طلعت شموسُهم ضَباب
فلمّا أقدموا للطعن وَلَّوْا | ومَنْ أَيقنوا بالنُّجْح خابوا
ظفِرتَ أبا المظفّر بالأعادي | وقُلِّلَ منهمُ ظُفُرٌ وناب
وكانوا كالحديد[4] ، فحين أصْلَوْا | صلاحَ الدين ، نارَ سطاك ذابوا
أُصابوا بالهزيمة حين وَلَّوْا | ولو وقفوا الغداةَ لما أصابوا
غداةَ هزيمتِهم فلَوَوْا وقالوا : | غنيمتُنا السَّلامةُ والإياب

ومنها :

وما ضَحِكتْ ثُغور الشام إلاّ | وفيها من محاسِنِكم رُضاب
فأَوجُهُكم كواكبها الدّراري | وأَيديكم مشارِبُها العِذاب

---

(١) في « ب » : للضلال بها . (٢) في « ح » : الغضاب وفي « ب » : غضاب .
(٣) في « ح » : البرّيّ . (٤) في « ب » : الحديد .

عَصَمْتُم بالعَواصِمِ كلَّ ثَغْرٍ بِذَبٍّ لا يُفَلُّ له ذُبابُ[1]

أَطَرْتم عنه عادِيَةَ الأعادي كما طارتْ من الرِّيحِ الذُّباب

وَصُلْتُمْ فالعذاب بكم نعيمٌ وصُلْتُم فالنَّعيم بكم عذاب

سيشكُر صُنْعَكم عنه رجالٌ لهم فيكم دعاءٌ مُستجاب

* * *

وأنشده في تلك الأيام قصيدة أُخرى مَوْسومة، أوّلها :

أَلا حبّذا وصْلُ الحبيب الذي شفا مُحِبًّا من الداء الدّوِيِّ على شَفا

ومنها :

ويا حبّذا صِرْفٌ من الرّاحِ قَرْقَفٌ صَرَفْتُ بها عني الأَسى[2] فتَصَرَّفا

عفا الله عنها من كريمةِ كَرْمَةٍ بها منزل الأحزان والهمّ قد عفا[3]

يطوف بها ساقٍ رشيقٌ مُهَفْهَفٌ[3] تَكامَلَ فيه[4] الحسن لما تَهَفْهَفا

غزالُ نَقاً، لمّا براه إلٰهُه بَرى جسمَ ماءٍ فيه قلبٌ من الصّفا

من الغيد أجْزيه عن[5] الغَدْرِ بالوفا صفاءً، فيَجْزيني عن الوَصْل بالجفا

ومن عجبٍ أن لا يزيد تَعَطُّفاً ومن شِيَمِ الأغصان أن تتعطّفا[6]

---

(١) ذُباب السيف : طرفه الذي يُضرب به . (٢) في « ب » : الأذى .

(٣) سقط هذان الشطران في « ح » : واتصل صدر بيت الأول بعجز بيت الثاني في بيت واحد .

(٤) في « ح » : فيها . (٥) في « ب » : من .

(٦) في هامش « ب » وفي صلب « ح » التعليقة التالية : مثل هذا البيت لابن القيسراني . وانظر البيت في الصفحة ١٣٣ من هذا الجزء .

فواشَقوتي[1] إن لم يكن[2] لي مُسْعِداً[3] وواضَيْعتي[4] إن لم يكن لي مُسْعِفا
وقائلةٍ ماذا الكَلال عن السُّرَى وعزمك عَضْبٌ[5] كلّما هُزَّ أُرْهِفا
وقد أجزلت كفُّ ابن أيّوب للورى عَطاءً إذا ما أشفق السَّمْحُ أسرفا
فقلتُ لها : إني كيعقوب أُكْمِهٌ فقالتْ : لك البُشرى إذا زُرْتَ يُوسُفا
إلى ملكٍ إن جاد زاد ، وإنْ سطا أبادَ ، وإن أعطى أفاد وأتحفا

ومنها في صفة السيف والقلم :

إلى مَن له باعٌ طويلٌ ، وصارمٌ صقيلٌ ، إذا ما أنصفَ الهامَ نَصَّفا[6]
وأرقشُ من صُمِّ اليراع مُثقَّفٌ إذا هزّه فاق الوَشيجَ المُثقَّفا
فهذا من الأعناق يكشط أحرفاً وهذا من الأرزاق يَسْطُر أحرفا
فذاك الذي يُجري نجيعاً مُضَرَّجاً وذاك الذي يُسْدي صنيعاً مُفَوَّفا

ومنها :

كريمٌ إذا ما جاءه معدِمٌ حبا حليمٌ إذا ما جاءه مُجْرِمٌ عَفا

ومنها :

أيا مَنْ يخاف الشِّركُ عَزْمَته التي بها أَمِنَ التوحيدُ منْ أن تَخَوَّفا
ويا من إذا ماضَلَّ عن سَنَن الهُدى سواه ، قضى بالعدل فينا وأنصفا[7]

---

(١) في « ب » : فيا شقوتي . (٢) تكررت « إن لم يكن » في « ح » .

(٣) في « ح » : مسعد .

(٤) في هامش « ب » : وفي صاب « ح » : لو قال وواخيبتي لكان أتى « ح : قد أتى » بالتطبيق .

(٥) في « ب » : غضب . (٦) في « ح » : أنصفا . (٧) في « ح » : وأتحفا .

أَثِرْها نِحافاً كالسَّراحين شُزَّباً وَقُدْها خِفافاً كالشَّواهين شُرَّفا [١]

عليهنَّ من راياتك الصُّفْر رايةٌ إذا زحفت لم تُبْقِ في الأَرضِ مَزْحَفا [٢]

وغابُ قناً سُمْرٍ إذا طَعَنَتْ به أُسودُ بني شاذي [٣] الحُماة تَرَعَّفا

وكُنْ قائداً [٤] أعلام جيشٍ عرمرمٍ كأَعلام رَضْوى كلّما سار مُوجِفا

لُهامٍ [٥] إذا ما رفرف النَّقْعُ فوقه رأيت له فوق السِّماكَيْن رَفْرَفا

فما إن ترى صُبْحاً من اللَّمْعِ فوقه إلى أن ترى ليلاً من النَّقْع مُسْدِفا

بكلِّ صقيلٍ يقطُر الدمَ حَدُّه كأَنَّ على مَتْنَيْه حمراءَ قَرْقَفا

شَقَقتَ به لمّا تبسّم ثغرُه عيونَ جِراحٍ في الجماجم ذُرَّفا

سَتُنْصَر نصرَ المُصْطفى يوم بدرِه وما يَنْصُر الرَّحْمنُ إلاّ مَنِ اصطفى

* * *

ولسعادة الضرير الحمصي من قصيدةٍ أنشدها الملك [٦] النـاصر بحماة في ثامن صفر سنة اثنتين [٧] وسبعين أولها :

يا وابلَ المُزْنِ إن حَيَّيْتَ حَيِّيتِ عنّا العِراق [٨] وإن رَوَّيْتَ رُوِّيتا

ومنها [٩] :

للهِ كم من فتاةٍ في مَرابِعِها تَهْدي إلى كَبِد العُشّاق تَفْتيتا

---

(١) في « ح » : شزّفا .
(٢) في « ح » : إذا رجفت . . مرجفا .
(٣) في « ح » : شادي .
(٤) في « ح » : عاقداً .
(٥) اللُّهام : الجيش العظيم .
(٦) في « ح » : وله من قصيدة أنشدها في الملك . .
(٧) في الأصلين : اثنين .
(٨) في « ح » : الفراق .
(٩) لم ترد في « ب » .

وَمِنْ مَهاةٍ مَهاةُ الرَّمْلِ تُشْبِهُها ... عَيْناً ، وتشبهها[1] أُمُّ الطَّلَى لِيتا

بيضاء تُسْبِلُ سُوداً من ذوائبها ... ما زال منهنّ ذَوْبِ المِسك مَفْتوتا

وتنفُثُ السِّحرَ من أجفانِ فاتنةٍ ... تُعَلِّمُ السحرَ هاروتاً وماروتا

ومنها في صفة السيف :

كم زُرْتُها والقنا من دونها أُزُرٌ ... فما نَكِلْتُ ولكن زِدْت تَثْبيتا

ولي خليلٌ خَلِيٌّ أستعينُ به ... عَضْبٌ يبيت به الماذيُّ[2] مَبْتوتا

يرعى نبات الطُّلى في كل مُعْتَرَكٍ ... وليس ترعى المنايا فيه تَنْبيتا[3]

أَجرى الفِرَنْدُ على صَفْحَيْه جَدْوَلَه ... وصافح الحتفُ حتفاً فيه مَسْؤُوتا[4]

وأشبه الذَرَّ ذَرٌّ فيــه مكتَمِنٌ ... لا يرتضي غير أرواح العِدى قُوتا

أجاده بسَرَنْديب وأَخْلَصه ... قَيْنٌ فجاء صقيل المَتْن إصْليتا[5]

يَظَلُّ يُرْعِدُ لا من خِيفةٍ فإذا ... سقَيْتَه من دمٍ غَنّاك ما شِيتا

ومنها :

ورُبَّ ليلٍ جعلنا في دُجُنَّتِه ... كأسَ المُدامِ إلى اللذات خِرِّيتا

كأساً تُجَمِّعُ أشتاتَ السرورِ لنا ... كما تُشتِّت شملَ الهمِّ تَشْتيتا

فَسَقَّنيها بلا رَيْثٍ ولا مَهَلٍ ... ولا أزورارٍ إذا زُرْت الحوانيتا

---

(١) في « ح » : ويشبهها . (٢) الماذيّ : كل سلاح من الحديد .

(٣) التنبيت ، وقد يكسر أوله : اسم لما ينبت من الشجر او ما قطع من سعف النخلة وشوكها للتخفيف عنها .

(٤) سأته : خنقه . (٥) الإصليت من السيوف : الصقيل الماضي .

وأُضرِمِ بنار السواقي نار ساقيةٍ ... لم نَكُرَ عَن شربها ليلاً بتكريتا

وغَنِّني ومغـاني اللهو آهلةٌ ... «هاتِ الحديثَ عن الزَّوْراء أو هِيتا»[1]

وعَنْ سميِّ ابن يعقوبَ الذي خَجِجي ... إلى أياديه لا يَلْزَمْن توقيتا

الناصرِ العادلِ المَلْكِ الذي بِشَبا ... إنصافه[2] عاد عُود الظلم مَنْحوتا

والطاعنِ الغرّ آلافاً مَصاليتا ... والواهب الْحُمْرَ[3] آلافاً يواقيتا[4]

---

(١) مطلع قصيدة للمعري . وانظر ص ٨ من هذا الجزء .

(٢) في « ح » : بِينا أوصافه . (٣) في « ح » : الجمّ .

(٤) وانظر قصيدة أخرى لـعمادة في مدح صلاح الدين حين خرّب حصن بيت الاحزان ، الروضتين ج٢ ص١٢

حماة[1]

ابن قسيم الحموي[2]

هو أبو المجد مُسلم بن الخَضِر بن مُسلم بن قُسَيْم الحَمَوِيّ التَّنوخيّ

أبو المجد مُجيدُ الشعر ، وحيدُ الدهر[3] ، فريدُ العصر[4] ، ذو رِقّةٍ للقلوب مُسْتَرِقَّة ، والعقول مسترِقَّة ، ولطفٍ لِلُّبِّ سـالب ، وللخِلْب خالب ، وللصبر غالب ، ولِدَرّ البحر جالب ، ولِدَرّ الفكر حالب ، وفي عُقَد السِّحر بعقوده نافث ، وبنسيم السَّحَر في نسيبه عابث ، نهجه مُحْكَم ، ونَسْجه مُعْلَم ، ومَذْهبه مُذْهب ، وأُسلوبه مُهَذَّب ، وحَوْكه رفيع ، وسَبْكه بديع ، وسِلْكه مُتَّسِق ، ومَطْلَعه مُشْرِق ، ورَوْضه مُونِق ، وعود فضله مُورِق .

كان[5] ثالث القيسرانيّ وابن منير[6] في زمانهما ، وسبقهما في مَيْدانهما ، نبغ في عصر شيخوختهما[7] ، وبلغ إلى درجتهما ، وراق سِحرَهما[8] سحرُه ، وفاق شِعرَهما شعرُه ،

---

(١) لم تذكر اللفظة في « ب » .
(٢) ترجم له ابن عساكر « ج ١٦ ، مخطوطات الظاهرية » فيمن اسمه المسلم « المسلم بن الخضر بن المسلم . . » وقال عنه : شاب شاعر قدم دمشق ومدح أتابك زنكي . واختار له طائفة من الابيات . « انظر حرف الميم وحرف النون » .

وترجم له الصفدي في الوافي فقال عنه : مسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم . . من شعراء نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى توفي سنة إحدى واربعين وخمسمائة ، اظنه كان يلقب شرف الدين . وذكر حكاية عنه واختار طائفة من شعره بعضه مما اختاره العماد وسنشير إليه في مكانه ، وبعضه مما تفرّد به الصفدي .

(٣) في « ح » : مجيد الشعر وحيد الدهر .
(٤) لم ترد (فريد العصر) في « ح » .
(٥) في « ح » : وكان .
(٦) كلاهما من شعراء الخريدة وقد تقدمت ترجمتها . انظر الصفحات ٧٦ – ١٦٠ من هذا الجزء .
(٧) في « ب » : شيخوخيتهما
(٨) سقطت اللفظة في « ح » . وراق عليه : زاد عليه فضلاً .

لكنّه خانه عمره ، وفَلّ شَبا شبابه ، وحَلّ حُبى آدابه ، وأَمَرّ جَنى جَنابه ، وحلّ شَعوبُ بشِعابه [1] ، وذلك في سنة نَيِّفٍ وأربعين وخمسمائة .

ووجدت في ديوانه لَحْناً فاحشا ، ووَهْناً بالخطل جائشا [2] ، ونظرت في ديوان شعره ، فالتقطتُ فرائد دُرّه ، وقلائد سِحره ، وشَحذت من غِراره ما قَبِل الشَّحْذ ، وأَخذت من خُلاصته ما استوجب الأَخذ ، وأَوردت لُمَحاً من مُلَحه ، ونُبَذاً من مُنْتقاه ومُنْتَقحه [3] .

الباء

فمن ذلك قوله [4] :

أَهلاً بطيف خيالٍ زارني سَحَراً ... فقمتُ والليلُ قد شابت [5] ذوائبهُ

أُقبّل الأَرضَ إجلالاً لزَوْرته [6] ... كأَنما صَدَقت عندي كواذبه

وكِدتُ لولا وُشاةُ الصُّبح تُزْعجه ... بالبَيْن أُصغي لما قالت خَوالبه

ومودِع القلبِ من نار الجوى حُرَقاً ... قضى بها قبل أَنْ تُقْضى مآربه

تكاد من ذِكْر يوم البين تَحْرقه ... لولا المدامعُ ، أَنفاسٌ تُغالبه

وصار من فَرْط ما أَضناه يَحْذَره [7] ... فَرْطُ الضَّنا ، فهو بالي الجسم ذائبه

فللمدامع ما تُخفي ضمائره ... وللضَّنا منه ما تُخفي جلابيبه

---

(١) في « ب » : شطوب شعابه

(٢) في « ب » : ووهنٌ بخطلٍ جايشا .

(٣) هذا هو ترتيب الجمل في «ب» ، أما في «ح» : فقد جاءت الجملة (وأوردت .. ومنتقحه) بعد كلمة (سحره)

(٤) في « ب » : فمن ذلك قوله من قصيدة .

(٥) في « ب » : ذابت .

(٦) في « ب » : لزؤيته .

(٧) في « ب » يحذره .

ومنها في مدح الرقيب :

عابوا الرّقيب ولولاه لما حُمِدتْ عواقبُ الحُبّ وأُنساغت مَشارِبُهْ
ولست أعذِله فيما يحاول من حفظ الأحبّة بل لا كان عائبه
إني لأعشقُ عذّالي ، على كَلَفي به ، ويحسُن في عيني مُراقبه

ومنها :

لم تُبق عندي النّوى لُبًّا أحارُ به يوم الفِراق ولا قلباً أُحارِبُه

ومنها :

ومُنْتَضٍ صارماً من لَحْظ مُقلتِه على مُضاربه تُخْشى مَضاربُه
بدرٌ كأن الثريّا في مُقلَّدِه نِيطت بأحسن ما ضمّتْ ذوائبه[1]
يا وَيْحَهُ أنجومُ الليل تعشقه أم قلّدتْ مِدَحي فيكم[2] ترائبه

* * *

وقال من قصيدة :

أما والذي أهدى الغرام إلى القلبِ لقد فتنتني بالحِمى أعينُ السِّرْبِ
رَمتْنا ولكن عن جفونٍ مريضةٍ عَرَفْن مكان الحبِّ من كَبِد الصَّبّ
وأطْلعن مِنْ سِجْف الخدور أهلّةً جعَلْنَ سماء الحسن أسنِمةَ النُّجْب
وما كنت أدري أنّ غِزلان عالجٍ مَراتعُها بين الأكِلَّةِ والحُجْب
لقد أخذوا بالبَيْن من كلّ عاشقٍ بَقِيّةَ نَفْسٍ لا تُفيق من الحبّ

---

(١) في « ب » : حقائبه . (٢) في « ح » : فيه .

رأَتْهُنّ من(١) حَمْلِ السِّهام عواريًا ... وما عندها أَنَّ الكنائن في النَّقْبِ(٢)

ولو علم المُشتاق أَنّ حِمامه ... مع الرَّكْب لم يقرأْ سلاماً على الرَّكْب

ولمّا رأَيْنَ القُرْبَ عَوْنًا على الجفا ... لِذي(٣) الحبِّ سَلَّطْنَ البِعادَ على القُرْب

فيا قُرْبَ ما بين الصَّبابة والحشى ... ويا بُعدَ ما بين المَسَرَّة والقلب

وما صَدّ عني النومَ مثلُ مُهَفْهَفٍ ... كأَنَّ به معنىً من الغُصُن الرَّطْب

ثنى عن نفيس الدُّرِّ فضلَ لِثامه ... كما افترّ بدرٌ في الدُّجُنَّةِ عن شُهْب

ومنها :

تَقَلَّد من أَلحاظه مِثْلَ عَضْبِه ... فأَصبح يعتدّ الجفونَ من القُربِ

وقد كنتُ أَخشى السيفَ والسيفُ واحدٌ ... فما حياتي إذ قلد العَضْبَ(٤) بالعضب

خليليّ هل أَلقى من الدّهر مُسْعِداً ... يعرّفني مُرَّ الزّمان من العَذْب

* * *

وقال من أبيات :

يا مالكَ القلبِ أَنت أَعلمُ مِنْ ... كلِّ طَبيبٍ بعلّةِ القلبِ

إن كنتُ أَذنبتُ في هواكَ فقد ... أَصبح هجري عقوبةَ الذنب

إنّي لأَرضى البِعادَ منك إذا ... كنتَ له مُؤثراً على القُرْب

وهجرُكَ المرُّ إن رضيتَ به ... أَطْيبُ عندي من وَصْلِكَ العَذْب

---

(١) في « ح » : عن . (٢) في « ب » : وما عندهم الا الكنائن والنقب .

(٣) في « ب » : لدي . (٤) في « ح » : الغضب .

ولائمٍ في هواكَ قلتُ له ... قبلَ سماعِ الكلامِ والعَتْبِ
قُمْ يا عَذولي فإنّ قلبك لا ... تخطِرُ فيه وَساوسُ الحبّ
جسمَك أبلى السّقامُ أم جسدي ... وقلبُك المُستهام أم قلبي
دَعْني بِداء الهوى أموت فما ... أطيبَ في الحبّ مِيتَةَ الصَّبّ

* * *

وقال في غلامٍ مَجدورٍ :

رأوْا جُدَرِيًّا لاح في صَحْنِ خَدّه ... كدُرّ العقود في نُحور الكواعب
وما هو إلاّ البدرُ لمّا تكاملت ... محاسنُه نقّطْنه بالكواكب
وقالوا رمتْه النائبات ضَلالةً ... وما علموا أنّ العُلى بالنوائب[1]

الجيم

وقال يصف الشقيق[2] :

وترى الشقيق كأنّ روضتَهُ ... مـمّا سقاه مُضاعفُ النَّسْجِ
حُلَلٌ مُعَصْفَرةٌ شُقِقْن على ... مُتقابلاتِ ثَواكِلِ الزَّنْجِ

* * *

وله في زهر الباقِلاء[3] :

لله في زمن الربيع وصائفٌ ... حُفّتْ بزَهْرَةِ باقلاء مُبهِجَهْ

(١) في « ب » : وما علموا فعل العُلى بالنوايب .

(٢) في « ب » : الشفق . والبيتان من مختارات الوافي . (٣) الأبيات من مختارات الوافي .

وَلَوَتْ بمَفْرِقِها عِصابةَ لؤلؤٍ فكأنّ شمساً بالنجوم مُتوَّجَه
وكأنّ أنملها خَبَتْكَ بدُرّةٍ بيضاء مُطْبَقة على فَيْروزَجه

الحار

وقال من قصيدة[1] :

بمثلِ ذا لا يُعالَجُ البَرْحُ[2] كيف يُداوَى بقاتلٍ قَرْحُ
عابوا ضلالي به فلا رشَدوا واستقبحوا عِلّتي[3] فلا صَحّوا
يا وَجْبَةَ القلب حين قلتُ له علّك من نشوةِ الهوى تصحو
هذا وكم لي أراك تنصحُه فما ثنى من عِنانه النُّصْحُ
لكنه ينطوي على حُرَقٍ لِنارها في فؤاده قَدْحُ
وكلما زيّن السّلُوّ له قال أعنديَ يَحْسُنُ القُبْحُ
ويا مُميتي بالهجر حَسْبُك قد أتعبني قصدُك الذي تنحو
وكان مَزْحاً هواك أمسِ فيا هَوْلَهُ ما جرّ ذلك المَزْحُ

ومنها في وصف فرس :

ومُقْرَبٍ لو أعرتَه اللّمحَ بالـ ـعين كبا في غُباره اللَّمْحُ
على الدُّجى منه مَسحةٌ وعلى مَتْن الضيا من يمينه مَسْحُ
أغرّ ، صافي الأديم ، أدهم ، لا يخجل إلّا من لونه الجُنح
كأنما قُدَّ جسمه من دُجا الـ ـليل ومن وجهه بدا الصُّبح

---

(١) في « ب » : وقوله من قصيدة . (٢) في « ح » : الترح . (٣) في « ح » : صحتي .

قصّر عن شأوه الجياد كما قصّر عن مكرماتك المدْحْ

ومنها في المدح :

كأنني البحتريّ[١] أنشده وهو ، على عظم شأنه ، الممتح[٢]

فكلّ مجدٍ لمجده تبعٌ وكلّ طودٍ لطوده سَفَح

ومنها :

قد كنتَ حرباً للدهر قبلُ وفي أيامه ثم بينت الصلح

ومنها :

فاسلم فأنت السواد من مقلة الـ ـدهر ومن بيضة العلى المحّ

* * *

وقال من[٣] قصيدة :

سَلْه ، مِنْ سُكْرِ الهوى كيف صحا فسقى الدمعُ الجفونَ القُرّحا

زاده في الحبّ وَجْداً بكم لائمٌ لام عليكم ولحا

فاستلذّ الهجر واستدنى النوى[٤] وارتضى السُّخْط وخان النُّصحا

وسقى الأطلالَ مِن أجفانه مَدْمعاً لولاكمُ ما سفحا

لا رَعاهُ الله إن مال إلى سَلْوَةٍ بعدكمُ أو جَنَحا[٥]

---

(١) انظر في التعريف به الهامش السادس من الصفحة ٣٢٥ .

(٢) هو الفتح بن خاقان ، فارسي الأصل ، آخاه المتوكل واستوزره وقدمه على أهله وولده . كان ممن انقطع البحتري إلى مديحهم . قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ .

(٣) في « ح » : وله من . .   (٤) في « ح » : الهوى .   (٥) في « ح » : جمحا .

وصحيح الشَّوْق مصدوع الحشا نَطَق الدَّمْع به فافتضحا
بات لا يطرُقه طَيْفُكمُ ربَّ طَيْفٍ ضَلَّ لمّا سَنَحا

* * *

وقال من أبياتٍ في وصف كتاب :

حَيِّ كتاباً فَضَضْتُ خاتَمه عن مثل وَشْي الرّياض أو أملحْ
يا كرّم الله وجه كاتبه عرّض لي بالجفاء أو صرّح
شحّ بألفاظه ، وخاطِرُه بالدرّ من كلّ خاطرٍ أسمح
حتى أتاني كتابه فشفا كلَّ فؤادٍ بِبَيْنِه مُقرَح

الدال

وقال من قصيدة :

وَحَقِّ الهوى لا خُنْتُ ميثاق عهدِهِ وإني لأُغرى[1] من فُؤادي بوجدِهِ
وخَلْفَ الثنايا الغُرّ ما يَبْرُدُ الجوى ويَذْهب من جَمْرِ الغرام بوَقْدِهِ

ومنها :

وَحَيٍّ على الماء النَّميرِ طرقته وقد مَلَّ ساري الليل من طول وَخْدِه
فلم تر عيني ، والخيامُ كأنّما تَزَرّ على غِزْلان خَبْتٍ وأُسْده
بأصبرَ من قلبي على فَقْدِ صبره ومني على فَقْدِ الحبيب وبُعْده

---

(١) في «ب» : لأعري .

ومنها :

وقد كان مفتوناً بمُرْسَلِ صُدْغه على وَجْنَةٍ كالبدر ليلةَ سَعدِه
فلما رأت أن ليس في حِمْص عَقرَبٌ مَواشِطه ، أَخْفَيْنَ عقرب خدّه
وَقُلْن لساقيها ، ودُرُّ حَبابها[1] مُوكَّلَةٌ أيدي المِزاج بنَضْده :
أَأَنتَ أعرتَ الكأسَ واضحَ ثغره أمِ انتثرت فيها فرائد عِقده ؟

* * *

وقال من أخرى :

هذا الفراق وأنت شاهدُهُ فإلامَ تكتُمُ ما تكابِدُهُ
خانَ السُّلُوَّ من يَليق به ولَيُبْدِيَنَّ هواكَ جاحِدُه
فالبَيْنُ ما ظهرت علائمه والحبّ ما[2] نطقت شواهده

ومنها[3] :

ولقد رقبْتُ الطَّيْفَ أسأله عنكم ، فما صدقت مواعدُهْ
والمستمرُّ على قطيعته في الحبّ فاسدةٌ عقائده
ومن العجائب أن يزيد به داء السَّقام وأنت عائده[4]

ومنها في المدح :

مُتَيَقِّظٌ ورث الكمال فما يَخشى اعتراضَ النقص زائدُهْ
فالرِّزق والأجلُ المتاحُ معاً في ضمن ما رَقَشَتْ أساودُه

---

(١) في « ح » : وقلن لساقي الراح ، درّ حبابها .
(٢) في « ح » : قد .
(٣) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٤) في « ب » : غايده .

وتكفَّلَ الفَلكُ المُدارُ له ... بأسدَ[1] ما يَقضي عُطارِدُهُ

ومنها :

لو قاستِ الكُرَماءُ حاتِمَها ... بك أيُّها المقصودُ قاصدُه
لتَستَّرتْ خجلاً مكارِمُه ... وتَحوّلت بُخْلاً عوائده
لم يَرْقَ مجداً أنت ذرعُه ... من نام ليلاً أنت ساهده[2]

* * *

وقال من أخرى في ابن منير[3] :

وأين البِيض من لحظات بِيضٍ ... قطعتُ بها الليالي غيرَ سُودِ
وفي الحيّ المُمَنَّع من عقيلٍ ... عقـائلُ كالصَّوارِم في الغُمود
نواعمُ مثلُ أيّام التداني ... قُرِنَّ بمثل أيّام الصُّدودِ
تَذُبّ[4] عن اللَّحاظ بكل عَضْبٍ ... وتُدْني للقـلائد كلّ جيد

ومنها :

ودونَ مَها الخدورِ أُسودُ حربٍ ... تواثَبُ في الكريهة كالأسود
فوارسُ تَجْتني ثمرَ المعـالي ... بأيدي النصر من ورق[5] الحديد[6]

---

(١) في « ب » : بأشدّ . (٢) جاء في هذا البيت في « ح » قبل البيت السابق : لتسترت . .

(٣) هو ابن منير الطرابلسي أحد شعراء الخريدة . . انظر الصفحات ٧٦ – ٩٥ من هذا الجزء .

(٤) في « ب » : تدبّ . (٥) يحتمل أن تقرأ : دَرْق . والدَّرْق : الصلب من كل شيء .

(٦) في هامش « ب » : أخذه من ابن هانئ المغربي :

وجنَيْتمُ ثمر الوقائـع يانعاً ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر

ورواية الديوان (تبيين المعاني ص ٣٢١) : من ورق الحديد . .

ومنها :

وما وادٍ كأنّ يد الغوادي ... كَسَتْهُ قلائد الدُّرِّ النضيدِ

حَلَلْن فما حَلَلْن به نِظاماً[1] ... وقد غادَرْنَهُ أَرِجَ الصَّعيد

يضوع تُرابه مِسْكاً إذا ما ... سَحَبْنَ عليه أذيالَ البُرود

فَبِتْنَ وما حَطَطْنَ به لِثاماً ... يَخَلْنَ حَصاه من دُرِّ العقود[2]

بأحسنَ من صفاتك في كتابٍ ... وأنفسَ من كلامك في قصيد

* * *

وقال يصف الرّمانة[3] :

ومُحْمَرَّةٍ من بنات الغصو ... ن يمنعها ثِقْلُها أن تميدا

مُنَكَّسة التاجِ في دَسْتِها ... تفوق الخدودَ وتحكي النُّهودا

---

(١) في « ح » : نطاقاً .

(٢) في هامش « ب » : هذا من قول الآخر : يروع حصاه حالية العذارى . . البيت . يريد البيت :

يروع حَصاه حاليةَ العذارى ... فتلمس جانب العِقد النظيم

من الأبيات المشهورة :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... وقاه مُضاعَف النبت العميم

نزلنا دَوْحه فحنا علينا ... حُنوّ المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأٍ زُلالاً ... ألذّ من المدامة للنديم

يراعي الشمس أنّى قابلته ... فيحجبها ، ويأذن للنسيم

يروع حصاه . . . .

والأبيات يتنازعها المشارقة والمغاربة . . المشارقة ينسبونها إلى أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي ، معاصر أبي العلاء « انظر ترجمته في ابن خلكان » ويقولون إنها في وصف وادي بُزاعا « وهي قرية كبيرة في منتصف الطريق بين حلب ودمشق » . والمغاربة ينسبونها إلى حمدة الأندلسية بنت زياد بن تقي العَوْفي ويقولون إنها في وصف وادي آش قرب غرناطة . وانظر مقالاً جامعاً في تحقيق أطراف هذا الموضوع في مجلة الأديب البيروتية « تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٤٥ » للأستاذ أحمد عبيد .

(٣) الأبيات من مختارات الوافي .

تَفُضُّ فتفترّ عن مَبْسِمٍ كأنَّ به من عَقيقٍ عُقودا
كأنَّ المقابِل من حَبِّها ثُغورٌ تُقبِّل فيها خُدودا

* * *

وقال من قطعة :

مَنْ لِصَبٍّ مَسَّهُ فَرْطُ الكَمَدْ وفؤادٍ خانه فيك الجَلَدْ
أنا مأسورٌ وما أرجو فِدًى ومريضٌ غير أني لم أُعَد
أنا مقتولٌ ولكن قاتلي في الهوى ليس عليه من قَوَد
يا قضيباً ماس في دِعص نقاً وغزالاً [١] بين جَفنيه أَسد
سُقْم جفنيْك الذي ألبسني ثوبَ سُقْم وعذابٍ مُسْتَجَدّ
لكَ وجهٌ جلَّ مَنْ صوَّره لو رآه بدرُ تِمٍّ لسجد

* * *

وقال[٢] ، وهذه الأبيات على خمسة أوزانٍ وخمس قوافٍ :

قل للأمير أخي الندى والنائل المطّل للشعراء والقُصّادِ
لا زلتَ تنتهك العِدى بالذابل العسّالِ في الأحشاء والأكباد
ووُقيتَ من صَرْف الرّدى والنازِلِ المغتالِ بالأعداء والحسّاد

* * *

(١) في « ب » : ويا غزالا .
(٢) لم ترد (وقال) في « ب » . والأبيات من مختارات الوافي .

وقال من قصيدة :

يا باكيَ الدارِ بكاظمةٍ وبكاءُ الدّارِ من الكَمَدِ
أفنيتَ الدَّمْعَ على حجرٍ وأضعت الصبر على وَتَدِ
فأُذخِرْه مخـافةَ نازلةٍ أأمنتَ اليومَ صُروفَ غدِ
هي عينُك لو لم تجْنِ لمَا عاقبتَ جفونك بالسَّهدِ

ومنها :

فأتيتَ المـاءَ تحاوله والماءُ مُنْيَةُ[1] كلِّ صَدِ
فالوَيْلُ لنفسك إن وردتْ والويل لها إنْ لم تردِ
أقبلتَ فقلت أُقبِّلُهُ ولو أنّ الموت على الرَّصَدِ
فرشفت مُجاجةَ مُبْتَسَمٍ أشهى وألذَّ من الشَّهدِ

ومنها[2] :

يا أين الصبرُ فأنْشُدَه وعساي أدلُّ على الجَلَدِ
ظَعَنَ الأحبابُ وعندهمُ قلبي سلبوه ولم[3] يَعُدِ
وبراني السُّقْمُ بهم فبقيـــــــتُ[4] بلا قلبٍ وبلا جسدِ

الزال

وقال :

الوصلُ من الحياة أحلى وألذّ لو يُنْصِفُ من أضاع عهدي ونَبَذْ
لم يَشْقَ بحكمه الذي فيّ نَفَذْ لو ردّ إلى المحبّ ما منه أخذ

---

(١) في « ح » : والماء منيّة ، وفي « ب » : والماء أمنيّة . (٢) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٣) في « ح » : سلبوه لم . . (٤) في « ب » : وبقيت .

الرواء

وقال :

وأهيفِ القدِّ سهل الخد أسمر كالـ ـخَطِّيِّ صِرتُ به بين الورى سَمَرا
إنّ القلوب لتهواه وما برِحت منه على خطرٍ إن ماس أو خَطَرا
وكان غير عجيبٍ من ملاحته أن يجمع الحُسْنُ فيه الغُصْنَ والقمرا
عاثتْ لِحاظُكَ في بُستانِ وَجْنَتِه فقام مُفْتَرِساً باللَّحظِ مُنْتَصِرا
وقال لي القلبُ لمّا صار في يده هذا الذي لُمْتني فيه ، فكيف ترى
دَعْني أُهَتِّكُ سِتري في مَحبّته وما أُبالي أَلامَ الخلْقُ أم عَذَرا

* * *

وقال من قصيدة :

وأشهى ما إليَّ إذا أضاءت سماءُ الكأس من شمس العُقارِ
وأَغْيد مثل مَتْن الرّيح لِيناً تفُلّ جُفونُه جَفْنَ[(١)] اصطباري
كأنّ بخدّه ماءً وناراً تولّد منهما ليلُ العِذار
وتَسْكَر مُقْلَتاه براح فيهِ ففي لحظاته أثر الخُمار
سقاك على تورُّد جُلّنار الـ ـخدود مُدامةً كالجُلّنار

ومنها في المديح[(٢)] :

أَفِرُّ إليك من وَشَل العطايا وأَسْبح من نوالك في الغِمار[(٣)]
وإنكم إذا طلَعت نجوم الـ ـأسنّة في دُجى ليل الغُبار

---

(١) في « ح » جنن . (٢) لم تذكر الجملة في « ب » . (٣) ج الغمر : الماء الكثير .

لَآباءِ المكارمِ والمعالي وأبناءِ الضَّراغِمَةِ الضَّواري
فأنت الشمس لم يكْفُرْكَ ليلٌ دَجا ، والبدرُ جَلَّ عن السِّرار

* * *

وقال ، وقصد أن لا تخلوَ كلمةٌ من صاد وكلمة من سين ، وفي الأبيات تعسُّف :

تُصْغي لمستمع اصطخا بَ[1] لسانه الصُّمُّ السَّوادِرْ
وَصَل السَّجاحَةَ بالصَّبا حةِ سالبٌ بالصوتِ ساحِرْ
صَلَتانٌ[2] يَسْتَثْني لعصـمته وسيرته الخناصر
ساعٍ لمصلحة المجا لس والمُصاحب والمُسامِر[3]
مُتوَصِّلٌ سِرَّ الصديـ ـق وآسِفُ الخصْمِ المُساوِر
وَلَصيتُه السامي الصفا ت بسائر الأمصار سائر
صَدَقَتْ فِراسةُ واصفيـ ـه فسالٌ بمُصْمي السهم ناصر
نَدُسٌ[4] بصائب حِسِّه أنْـ ـتصر السَّوالف والمُعاصِر
وَسَمـا بأخمَصِه سمـا ء الخالصين سنا العناصِر

* * *

وقال من أبياتٍ يصف المطر ووقوعه على ماء[5] :

---

(١) في « ح » : اصطحاب . (٢) الصلتان من الرجال : الشجاع الماضي .
(٣) في « ح » : المساير . (٤) الندس : الكيّس .
(٥) الأبيات من مختارات الوافي ، وأولها عنده :
ولنا إذا انبجست أهاضيب الحيا يوم تغاث به البلاد وتمطر
وتظلل مدهمة أكف بروقه تطوى بها حلل الغمام وتنشر

والغيثُ منسكِبٌ كأنّ حَبابه دُرٌّ يُبَثُّ على المياه ويُنْشَرُ[١]
فحسِبْتُ أنّ الروضَ[٢] منه مُنَوَّرٌ والأرض غَرْقَى والغدير مُجَدَّر

* * *

وقال من قصيدة :

أَ لآلٍ ضَواحِكٌ أَمْ ثغورُ وليالٍ حَوالِكٌ أَمْ شُعورُ
وشُموسٌ من القَراطق تبدو سافراتٍ وجوهُها أَم بدور
كتَمَتْها الخدُور عنّا غداةَ الـ ـبين يا حُسْنَ ما كَتَمْنَ الخُدور
وتراءتْ لنا فَخِلْنا بأَنْ قد وُشِّحَتْ بالثُّغور منها النُّحور
حاسرات سُجْفَ الأَكِلَّة[٣] تيهاً ولها من قَنا الوشيج سُتور

ومنها[٤] :

وقفوا لِلْوَداع والأَرضُ من ثِقْـ ـل التّشاكي يوم الفِراق تمورُ
ثم ساروا والعيسُ من وَلَه البيْـ ـن على أَنْفُسِ الكُماةِ تسير
آه يا مُلْبسي السُّهادَ ، لِمَنْ بَعْـ ـدَهُمُ حُلَّةَ الرُّقاد أُعير
كدَّر العَيْشُ[٥] عيشتي ، واللّيالي رُبَّما شابَ صَفْوَها التكدير

ومنها في المدح :

صاحَ بالسيف مُصْلَتاً في الأعادي فأجابته هامُهـا والنُّحورُ

---

(١) في الوافي : درر تبث على المياه وتنشر .

(٢) في « ح » : الأرض . (٣) في « ح » : الأمة .

(٤) لم ترد في « ب » . (٥) في « ح » : الدهر .

ولوأنّ الأَرواحَ تُعْطَىٰ أماناً ... منه كانت خوفاً إليه تطيرُ

وكأنّ الطّلَّ تفاريد نقطٍ ... وكأنّ السّيوف فيها ضمير

* * *

وقال ، وقد أوردت هذه الأبيات لبعض المغاربة فوجدتها في ديوان ابن قُسيم[1] :

ما كنتُ لولا كَلَفي بالعِذارْ ... أَصبو إلى الشُّرْب بكأْس العُقارْ

سال كَذَوْبِ المِسْكِ في وَجْنةٍ ... وَرْدِيّةٍ تجمع ماءً ونار

هذا ، وما دبّ ، جُنوني به ... فكيف إن تَمَّ به واستدار

وفاتِرِ المُقْلَةِ ما زِلتُ من ... نواظر الخلقِ عليه أغار

ملّكتُه رِقّي على أنه ... يُجيرُ قلبي فتعدّى وجار

وَيْلاهُ من صِحّةِ أجفانه ... وما بها من مَرضٍ واحوِرار

وآهِ من وَجْنَتِه كلّما ... تعقربَ الصُّدْغ عليها ودار

أَهْيَفُ ما تحت مَزَرِّ القَبا ... أَبْلَجُ ما تحت مَدَبِّ العِذار

مثلُ قضيب البانِ لكنّه ... يحمل في أعلاه شمسَ النهار

وكلّما تاه عليّ اسمه ... وجدته[2] في الورد والجلّنار

* * *

وقال :

خير ما أَصبحتَ مَخْلوعَ العِذارِ ... فانفِ عنك الهمّ بالكأْسِ المُدارِ

قُمْ بنا ننتهبِ اللذّةَ في ... ظلّ أيام الشّباب المُستعار

---

(١) في « ح » وقال : وذكر الأبيات

(٢) في « ح » وفي هامش « ب » : طابته .

إنما العــارُ(1) الذي تحذَره | أن تراني ، من لباس العار ، عاري(2)

لا وَمَنْ داويتُ قلبي باسمه | لا تدرَّعْتُ بأثوابِ الوَقار

وتَخَيَّرْ منه أن أشربها | في سَنا الصُّبحِ على صَوتِ القَماري

قهوة تُعشَق مِنْ ذي هَيَفٍ | قَمَرِيِّ الوجهِ ليْليِّ العِــذار

تَسْكَرُ الألبــابُ من ألحاظِه | فهي تُغني الشَّرْب عن شُرْبِ العُقار

وإذا حدَّثتَه عن وَصْلِه(3) | راح لا يتمـالكُ إلاّ بازورار

قمرٌ(4) قبَّلتُ منــه وَجنةً | حَشْوُها ما شئتَ من ماءٍ ونار

نالَ منــه اللَّحظُ ما نال به | فهو فيــه أبداً طالبُ ثار

تفرس الصهباء منــه فرساً | بَدويَّ اللفظِ تُرْكيَّ النِّجار

وإذا طــاف بهــا تحسَبُه | بدرَ ليلٍ حاملاً شمسَ نهار

وسعيدٌ مَنْ تقضَّى عُمْرُه | بين كاساتِ رُضابٍ وعُقار(5)

في اصطباحٍ واغتباقٍ واقترا | بٍ واغترابٍ وانهتاكٍ واستتار

شغلتْه الراحُ أن تُبصِرَه | واقفــاً يندب أطــلالَ الدِّيار

نِعْمَ دُنياه التي راح بها | طرباً يعثر في فَضْــلِ الإزار

فإذا ماتَ ألتقى من ربِّه | رحمــةً تُسْكِنه دارَ القَرار

* * *

(1) في «ح» : العارى . (2) كذا في الأصلين . (3) في «ح» : عن حسنه .

(4) في «ح» : قمراً . (5) في «ح» : في اصطحاب برضاب وعقار .

وقال من قصيدة :

سَفَرَتْ فخِلْتُ سَوادَ مِعْجَرِها ... ليلاً تَقَنَّعَ جُنْحَه بَدْرُ

برزت لنا يومَ الوَداعِ وقدْ ... بَهَرَ الكواعبَ حَوْلَها الخطرْ (١)

من كلِّ جائلة الوِشاح إذا ... قامت وناءَ بِرِدْفِها الخصرُ (١)

فكأنها شمسُ الضُحى طَلَعَتْ ... وكأنهنَّ كواكبٌ زُهْرُ

نَفِدَ الزّمانُ ولم أنل أرَبًا ... مِنْ وصلِهم وتصرّمَ العُمْرُ

كم أجتني ثمر الوفا ويدي ... مِنْ فضلِ ما عَلِقَتْ به صِفرُ

وإذا الهوى عَذُبَتْ موارده (٢) ... للعاشقين فحُلْوُه مُرُّ

يا مَنْ جفا طَرْفي فأرّقه ... وخلا بقلبٍ حَشْوُه جَمْرُ (١)

عاقِبْ بسلبِ سوى الرُّقادِ فلي ... إلاّ على فَقْدِ الكرى ، صَبْرُ (١)

فلعلّ طيفاً منك يطرُقني ... تحت الظَلامِ فيُحمَدَ الهَجْرُ

ومنها في المخلص :

أألوم دهراً ما يُحدِثه ... نَهْيٌ عليَّ ولا له أمرُ

أم كيف أشكو صَرْفَ نائبةٍ ... ونَوالُ نصرِ اللهِ لي نصرُ

* * *

وقال :

كم يهتِك الدهرُ سِتري ثم أستُرُه ... وكم يقابل إقبالي بإدبارِ

وكلّما رُمْت منه مَخْلَصاً قعدت ... بيَ العوائقُ (٣) بين الباب والدارِ

(١) في « ح » يتخالف البيتان تقديماً وتأخيراً . (٢) في « ح » : مشاربه . (٣) في «ب» : العواقب .

الــمبن

وقال :

يا مَنْ يَعيب عليَّ حُبَّ مُدَلَّلٍ ترِفٍ بأَرديةِ الجمالِ نفيسِ

لا درَّ درُّكِ ، هل أصابك عارضٌ حتى رجَعتَ بصورة المَنْكوس

فَمِنْ عصيْتُ اللهَ من كلَفي به وتبعت طاعة شيخنا إبليس

ونقضتُ توبتيَ التي أبرمتُها نقضاً أباح مُحرَّماتِ كؤوسي

يسطو وتفرِسه المُدامةُ بغتةً فَفَدَيْتُه من فارسٍ مَفْروس

قد كان يعتقد المسيحَ ويرتضي عند الصَّباح بضجة[1] النّاقوس

ولطالما حمل الصليبَ وعَظَّمَ الـــلاهوت بالتسبيح والتقديس

وأتى على مَهَلٍ يَقُصُّ طرائق الأ ـإنجيل بين شمامِسٍ وقُسوس

كالبدر ، كالطّاووس ، إلاّ أنه في الُحسن فوق البدر والطّاووس

وبسينِ طُرَّتِه من التعويج ما في نُون حاجبه من التّقويس

يرضى ويغضب فهو في حالاته حُلْوُ التبَسُّم قاتلُ التعبيس

إن زار نالتُ[2] به المرادو إن يغِبْ فالذِّكر منه مُضاجعي[3] وجَليسي

وإذا رمى باللّحظ قال قتيلُه والدَّمعُ في الوَجناتِ غيرُ حبيس :

لولاكَ يا سَقِم النواظر لم يكن ظبْيُ الكِناس يصيد لَيْثَ الخِيس

* * *

(١) في « ب » : بدقة .
(٢) في « ح » : نال .
(٣) في « ب » : مضاجي .

وقال :

ياقلبُ ، على فِراقِهِم لا تاسا ... تُخْطي وتلوم في خَطَائِك[1] النّاسا

لو كنتَ زجرتَ طَرْفَك الخلاّسا ... ما رُحْتَ لأسْهُمِ الهوى بُرجاسا[2]

الشين

وقال :

كَمْ ذي جَلَدٍ حَشَاه بالوَجْدِ حَشَا ... مَنْ طَرَّزَ بالعِذار خدًّا[3] ووشى

سَطْرا شَعرٍ كلاهما مُنْذُ نشا ... بالمِسْك على حديقِ وردٍ نُقِشا

الصاد

وقال :

ما مِنْ أحدٍ يَزيد إلاّ نَقَصا ... فارحم أسفي وَداوِ هذي الغُصَصا

لم تَلْقَ ، فُديتَ ، مثلَ قلبي قَنَصا ... الشوقُ أطاع فيكَ والصبرُ عَصى

الضاد

وقال في حُبّ أهل البيت عليهم السلام[4] :

ويدٍ بآلِ محمّدٍ عَلِقَتْ ... مني ، فلستُ بغيرهم أرضى[5]

جعل الإلهُ عليَّ حُبّهمُ ... وعلى جميع عبادِهِ فَرْضا

---

(١) في « ب » : في هواك .

(٢) البُرجاس : غرض في الهواء يُرمى به .

(٣) في « ب » : بالخدّ عذارا .

(٤) لم ترد (عليهم السلام) في « ح » .

(٥) في « ح » : ترضى .

فأثارَ ذلكَ مِنْ زنادقةٍ حسداً فسمَّوْا حُبَّهم رفضا
وعَجِبْتُ هل[1] يرجو الشَّفاعةَ مَنْ ينوي لآلِ محمدٍ بُغضا

* * *

وقال في صديقٍ له مَرِضَ وشُفي[2] :

تَمَرَّضَ الجودُ مُذْ عتادكَ المَرَضُ وأصبحَ الدّهرُ بمعاديه يعترضُ
أضحى قذًى في عيونِ المكرُماتِ كما أمسى يُرى وهو في أحشائِه مَضَضُ
مَهلاً ، شقيقةَ نفسِ المجدِ ، كلُّ أذًى بالأمسِ أُبْرِمَ عادَ اليومَ ينتقِضُ
سهمٌ رمته الليالي وهي غافلةٌ فما تمكَّنَ حتى فَلَّه الغَرَضُ[3]

* * *

وقال « رباعيّة » :

يا مَنْ سلبَ الفؤادَ أينَ العِوَضُ أصْمَيْتَ وقلّما أُصيبَ[4] الغَرَضُ
إن كانَ بكيدِه لكَ المُعترِضُ فالجوهرُ أنتَ ، والأنامُ العَرَضُ

الظاء

وقال من قصيدة :

يا مُشعِراً بالعَذْلِ أثناءَ الحشا عذلاً[5] أضرَّ على الجوانحِ مِنْ لَظى

---

(١) في « ح » : إذ .   (٢) لم ترد اللفظة في « ح » .
(٣) في « ح » : العرض . والغرض : الهدف الذي يُرمى اليه .
(٤) في « ب » : يصيب .   (٥) في « ح » : حرقاً .

ما الوَجْدُ إلاّ أنْ تُقَبِّلَ مَبْسِماً ... خَصِراً فيوسعَ نارَ شوقك مُلْتَظَى[1]

ما نام عَزْمي عن مُعاوِدةِ السُّرى ... إلاّ وجدتُ من الصَّبابةِ مُوقِظا

ومنها في المدح[2] :

جمع المَهابةَ في طلاقة وَجْهِه ... كَرَماً فكان الحازمَ المُتَيَقِّظا

وثَنا نداه[3] له ثَنايَ فلن أُرى ... يوماً بغير مديحه مُتَلَفِّظا

* * *

وقال في الغزل :

ومُهَفْهَفٍ جعل الفؤادَ مَحلَّه ... قلبي، فخِفْتُ عليه حَرَّ[4] شُواظِه

قمرٍ هجرتُ لهجره سِنَةَ الكرى ... وشَمِتُّ من بَصَري ومن إيقاظه

تخشى القلوبُ عليه فاترَ طَرْفِه ... فكأنهنّ نَفَرْنَ من ألحاظه

ما شِمتُ وجهَ البدر من أعطافه ... حتى جَنَيْتُ الدُّرَّ من ألفاظه

هـذا الذي منّا استمال قلوبَنا ... فأمتُ بخالص ودّه وحِفاظه

العين[5]

وقال :

وَصَلَ الكتابُ فما فضضتُ خِتامَه ... حتى تأرّجَ طِيبُـه وتضوّعا

كالرّوض، إلاّ أنّ وَشْيَ سُطوره ... أسنى ندًى[6] عندي وأحسنُ مَوْقِعا

فأزَرْتُ مِنّي الطرفَ أحسنَ ما رأى[7] ... منشورَه والسمعَ أطيبَ ما وعا

(١) في «ب»: يتلظى. (٢) لا تبدو (في المدح) في «ب». (٣) في «ح»: يداه. (٤) في «ح»: شرّ.
(٥) قدّم في «ح» أبيات الغين على العين. (٦) في «ح»: يداً. (٧) في «ح»: ما أرى.

الغين (١)

وقال :

واقد سَنَحْنَ لنا بخمصَ جآذِرٌ … عُقِدَتْ ذوائبهن بالأرساغِ

ما بالهم حُجبت عقاربُ أرضِهم … وقتلْننا بعقارب الأصداغ

الفاء

وقال :

أسيرُ حُزْنٍ كَلِفُ … نِضْوُ سَقامٍ دَنِفُ

لم يَخْلُ جَفْنُ عينه … من عبراتٍ تَكِفُ

قد فعل الحبُّ به … أكثرَ ممّا أصف (٢)

بين ضلوعي كَبِدٌ … حَرَّى وقلبٌ يَجِف

والنفسُ بالذّلّ لكمْ … مُقِرَّةٌ تعترف

كأنّ قلبي كُرةٌ … يخطَفها مُخْتَطِف

أصرِف همّي بالمنى … لو أنه ينصرف

والحبّ لا يعرفه … إلّا المحبُّ الكَلِف

يعلمُ مَنْ يظلمني … أنّيَ لا أنتصف

سَقْياً لِأيامٍ مضتْ … وليس منها خَلَفُ

وعيشنا مجتمعٌ … وشمْلُنا مؤتلِفُ

* * *

(١) تقدّم في « ح » أبيات الغين على العين.

(٢) في « ب » : يصف.

وقال :

أَنت لي غيرُ مُنصِفِ ... يا كثيرَ التَّعَسُّفِ

يا هِلالاً مُرَكَّباً ... في قضيبٍ مُهَفْهَفِ

أَنت ناري وجَنّتي ... وطبيبي ومُدْنِفي[1]

أَنت ياقاتِلي بسفـ ... ـك دمي غيرُ مُكْتَفِ

وعلى العهد لا تدو ... م وبالوعد لا تفي

وإِذا زُرْتَ بان فيـ ... ـك دليلُ التَكَلُّفِ

والذي بان مِنْ غرا ... مِيَ بعضُ الذي خفي

أَنت غرّرتني بصَفْـ ... ـحة خدٍّ مُزَخْرَفِ

وَجْنَةٌ مثل ما يُصَفَّـ ... ـق ماءٌ بقَرْقَفِ

فمتى يكمُلُ العِذا ... رُ عليها وأَشتفي

* * *

وقال[2] من أُخرى يمدح بها معين الدين أُنُر[3] بدمشق[4] سنة أثنتين[5] وأَربعين وخمسمائة :

وكم ليلةٍ عاطانيَ الراحَ بدرُها ... ونادمني فيها الغزالُ المُشَنَّفُ

ومنتقَش بالمِسْك وَشْيُ عِذاره ... كما أنتظمتْ في جانب الطِّرْسِ أَحرفُ

---

(١) في « ب » : ومدنف . (٢) في « ح » : وله .

(٣) في الأصل « ح » : آنز . وانظر الهامش الخامس من الصفحة ٩١ ، والهامش الأول من الصفحة ١١٥ .

(٤) في « ب » : يمدح معين الدين بدمشق . (٥) في الأصلين : اثنين .

وقد يتبادى لفظُه وهو أعجم / كما يتقاوى خَصْرُه وهو مُخْطَف
أدقّ من المعنى الغريب ، وفوقه / أرقّ من الماء المَعين وألطف
معانٍ من الحسن البديع كأنها / خِلالُ مُعينِ الدين تُتْلَى وتُوصف

ومنها في المدح :

ومُسْتَصْغِرٍ في الله كلَّ عظيمة / ولو أنه منه على الموت مُشْرِف
كأنّ الملوك الغُرّ حول سريره / نجومٌ على شمس الظهيرة عُكَّف[1]

ومنها :

فإن تَلْقَهُ تَلْقَ ابنَ هيجاء ، دهرُه / يريك عِيان الدّهر كيف يُصرَّف
سَخِيٌّ جَرِيٌّ لَوْذَعِيٌّ كأنه / إذا ما بدا ، غَيْثٌ ولَيْثٌ ومُرْهَف

ومنها :

وقد هتف الداعي إلى الحمد باسمه / وقام مُنادي النصر باسمك يهتِف
تأَنَّسَ[2] شَمْلُ الدين عندك والعُلى / وشَمْلُ العِدى[3] والمال لا يتألّف

القاف

وقال من قصيدة :

أبَتْ عبرات العَيْن[4] بعدك أن تَرْقا / ولوعةُ ما بين الجوانح أن تَرْقَى
أعدُّ لقاء الحتف من بعض[5] ما أرى / ويَصْغُر عندي الخطبُ في جَنْب ما ألقى

---

(١) في « ح » : تمكف . (٢) في « ح » : تآلف . (٣) فوق اللفظة في « ح » : العلى .
(٤) في « ح » : البين . (٥) في « ب » : بعد .

ويخطِر لي معنًى على البانِ منكمُ ... فأبكي وأستبكي حمـائمَه الوُرْقا

ومنها :

ووَجْدٍ إلى يوم الفراق شَكَوْتُه[١] ... فلا لانَ لي قلبُ الفِراق ولا رَقّا
وَلِمْ فرّقوا بين المَنيّةِ والنَّوى ... ولم يجدوا في الفعل بينهما فَرْقا
أأحبابنا واللهِ ما رُمت عنكم الـ ... ـسُلُوَّ ولا عَوَّدْتُ حُبَّكم المَذْقا
ولا لحِقتْني مُقالةُ الشوق قائلاً ... لحادثةِ الأيام بعدكمُ : رِفقا

ومنها :

وأذكر أيام الوِصال وطيبَها ... وتلك الليالي البيضَ والزمنَ الطَّلْقا
فألزمُ أحشاءً أقام بها الجوى ... وقلباً أبى إلا الصَّبابةَ والخفْقا
وما كنتُ أبقى ساعةً لا أراكمُ ... ولكنّ دهراً سدّ دونَكمُ الطُرْقا
فصِرْتُ إذا ما ازْدَدْتُ شَوقاً إليكمُ ... أعلّلُ قلبي بالخيال الذي يلقى

* * *

وقال في جواب كتاب ابن[٣] منير الشاعر[٤] وشعره على الوزن والقافية :

بعثتَ الكتابَ فأهلاً به ... يَسُرّ النواظرَ تنميقُه
بمن[٥] أخجلَ الرَّوْضَ مَوْشيُّه ... لقد فَضَحَ الدرّ مَنْسوقه
غريبُ الصنعة تجنيسُه ... نفيسُ البِضاعة تطبيقه

(١) في « ب » : شكونه . (٢) في « ب » : بن .
(٣) هو ابن منير الطرابلسي . انظر في ترجمته ومختاراته الصفحات ٧٦ - ٩٥ .
(٤) في « ح » : لقد .

ومنها [١] :

وواصلني بعد طول الجفا [٢] ... كما وصل الصَبَّ معشوقه

فزايلَ جفنيَ تأريقُهُ ... وعاود غُصْنِيَ تَوْرِيقه

وَبِتُّ [٣] أُراقب مَسْطورَه ... كما راقب النجمَ عَيُّوقُه [٤]

فلمّا بدتْ ليَ ألفاظُه ... تَسَتَّرَ فِكري [٥] وتنميقه

وكاسدُ نقصيَ أخشى يُرا ... م في سوق فَضلِك تنفيقه

أما خف يُهتَك مَستُوره ... أما خاف يظهر مسروقه

* * *

وقال من أخرى :

صدَقوا ، ما لأنفسِ العُشّاقِ ... قَوَدٌ من قواتِل الأحداقِ

ومنها :

أنت صَبٌّ وتلك أُولى المطايا ... فامزُج [٦] الدّمعَ بالدم المُهْرَاقِ

يا مريضَ الجفون إنّ سَقام الـ ... ـأعين النُّجْلِ صِحَّةُ العُشّاقِ

شغلتني الأيام أن أتلقّى ... زائراً من خيالِكَ الطرّاقِ

ومنها :

يا رعى اللهُ سالفاتِ الليالي ... بالحِمى ، والزمانُ حُلْوُ المَذاقِ

وسقاها مُنْهَلُّ دمعي إذا لم ... يَجْرِ دمعُ السّحابة الغَيْداقِ

(١) لم ترد في « ب » . (٢) في « ح » : الجفاء . (٣) في « ح » : وأبتُ .

(٤) العيوق : نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها . (٥) في « ح » : فاي . (٦) في « ح » : فامزج .

ومنها :

لستُ مِمَّنْ يَثْني على كبدٍ حـــ ـــرّى يداً منه ، أو حشَى خفّاقِ
كذبوا ، هل رأيتَ مُهجَةَ صَبٍّ قطُّ تجري في إثْر دَمْعٍ مُراق
إنّما الوجد أن تَرَدَّدَ نفسُ الـــ ـــمرءِ شوقاً بين الحَشَى والتراقي
ولهذا أبيت أرتقب الطَّيـــ ـــفَ وأشتاقُ بَرْقَ أهلِ البِراق[1]

* * *

وقال من قصيدة :

مُتَيَقِّظ لولا تضرُّم بأسه كاد الوشيج[2] على يديْه يُورِقُ
لو لم يَشُبْ فَرْطَ الشجاعة بالنَّدى لأثار من سَطَواته ما يُحْرِق[3]

* * *

وقال[4] :

هل لك من داء الفراق إفراقْ يا صاحبَ القلبِ الشديد الأشواقْ
إيّاكَ والطَّرْفَ الكثير الاعلاق فإنه آفةُ قلبِ المشتاق

ومنها[5] :

أهْيَفُ القامة حُلْو الأخلاقْ له إذا مال الكرى بالأعناقْ
حِجْلٌ صَموتٌ ونطاقٌ نطّاقْ والله ، لو عيشٌ صفا لي أو راقْ

(١) البِراق : ج البَرقة وهي الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين . وبُراق : قرية في ظاهر حلب .
(٢) في الأصل : الوشيح . والوشيج : شجر الرماح . (٣) لم يرد البيتان في « ب » .
(٤) في « ب » : وقال في قصيدة . ويظهر أن هذا التقديم كان لبيتين السابقين اللذين تجاوزهما الناسخ .
(٥) لم ترد في « ب » .

ما قات من أجل غُصون تُشْتاق لها من الجَعْدِ الأثيثِ أوراق[١]

هلْ من طبيبٍ لِسَقامي أوْ راق

الكاف

وقال من قصيدةٍ يمدح بعض الأمراء ، ويلقب ببدر[٢] الدولة :

بكتِ الخطوبُ وثغرُ مجدك ضاحكُ ونبا الحُسامُ وسيفُ عزمك باتِكُ

يا ابن الأُلىٰ اغتصبوا الممالك بالقنا وإلى العُلىٰ لهمُ الطريقُ السالك

ولقد عجزتُ[٣] عن الهناء بدولةٍ نحن العبيدُ لها وأنت المالك

عربيّة الأوصاف ذات مكارمٍ جُبِرَ الكسيرُ بها وعاش الهالك

عجميّة قُرِنتْ بخيرِ متوّجٍ زُفّتْ إليه مدائحٌ وممالك

ملكٌ إذا برقتْ أسِرّةُ وجهه ضحك المقطّب واستنار الحالك

فكأنه فوق الحشيّة جالساً أسدٌ على متْنِ الفريسة بارك

فيغارُ منه البدرُ وهو سميُّهُ ويخاف فتكته الشجاع الفاتك

ومنها :

فاسلم فمالكَ في الشّجاعة والنّدى مِثْلٌ ولا لك في الجمال مُشارِكُ

وسقَتْكَ غاديةُ الشّباب كما سقىٰ راجيك صَوْبُ نَوالك المُتدارِك

فنداك مبذولٌ ، ومدحك سائر وحِماك ممنوع ، وطيبك صائكُ

* * *

(١) لم يرد البيت في « ب » . (٢) في « ب » : بدر . (٣) في « ب » : عجزت .

وقال من قصيدة أُخرى :

سرى مَوْهِناً واستكْتَمَتْهُ المهالكُ[١] … حبيبٌ أضاء الليلَ ، والليلُ حالكُ

ومنها :

وكم من قَوامٍ في الأكِلّة[٢] مُرْهَفٍ … يُضيء له بدرٌ ويرتجّ عاتكُ[٣]

من اللاء لا تلك الزيانب تنتمي[٤] … إليها ، ولا تلقاكَ منها العواتك

تصدُّ الفتى عن قلبه وهو حازمٌ … وتَثْنيه عن سُبل الهدى وهو ناسك

كأن ضنىً أحداقها وخُصورها … تقاسَمَه عُشّاقُهـــــا والبواتك

ومنها في المخلص :

ويهماء[٥] باتتْ كالقِسِيِّ ضوامراً … من الأيْنِ فيها اليَعْمَلاتُ الرّواتِكُ[٦]

وأصبحْن من جذب البُرين[٧] حواكياً … أزِمّتَهن المُسْنَماتُ[٨] التّوامِك[٩]

ولما أحسّتْ أنها من قواصدٍ[١٠] … نَدى[١١] ابنِ عليٍّ لم ترُعْها المَهالِك

---

(١) في « ح » : المسالك . (٢) في « ب » : الأهلة .

(٣) في « ح » : عاتك . (٤) في « ح » : ينتمي .

(٥) اليهماء : الفلاة لا ماء فيها ولا يُهتدى إلى طرقها .

(٦) الرواتك ، من رتك البعير : عدا في مقاربة خطو .

(٧) البُرِين : ج البُرَة : حلقة توضع في أنف الناقة .

(٨) في « ح » : السنمات . والمسنمات : من أسنم الكلأُ البعيرَ : عظّم سنامه .

(٩) التوامك : ج تامكة وهي الناقة العظيمة السّنام .

(١٠) في الأصلين : قواصدي . (١١) في « ح » : ندى ، وفي « ب » : يدي .

ومنها :

لقدْ جادَ لي حتى توهَّمتُ أنني ... له في الذي تحوي يَداه مُشارِكُ
وخَوَّلني فوقَ الذي كنتُ آمِلاً ... فعُدتُ ونظمُ الشعر للجودِ مالك
فلا ناكبٌ عن سُبل ما أنا قائلٌ ... ولا آخِذٌ إلاّ لما أنا تارك

ومنها في صفة الحرب :

إذا اليومُ أذْكىٰ نارَ حربٍ تصافحتْ ... بساحته هامُ العِدىٰ والسَّنابك
وللشمس لألاءٌ يلوح كأنّهُ ... على البَيض من تحت العَجاج سَبائك
وتُضْحي عِتاقُ الأعْوَجيّاتِ ضُمَّراً ... يَعُلُّ دماً منها القنا المُتشابك
لها لُجُمٌ زُرْقُ الأسنّةِ في الوغى ... فهنّ لأطراف العوالي عَوالِك
إذا صادفتْ جَلْداً(١) من الأرض رقَّمتْ ... بأيدٍ وفيها أوجهٌ وترائك
وضاقت خُروق الأرض وهي فسيحةٌ ... عليها ، وما ضاقت عليها المعارك
لِيَهْنِ المعالي والعوالي وما حوَتْ ... سُروج المَذاكي منكمُ والممالك
تزولُ الجبال الصُّمُّ وهي رصينةٌ ... ومجدُكمُ باقٍ على الدهر آرِكُ(٢)
لك العيدُ لا بل فيك للعيد رؤيةٌ ... أتيناك نستجدي بها ونُبارِك
وأنت أمَتَّ البخل وهو مُخلَّدٌ ... عطاءً ، وأحْيَيْتَ النّدىٰ وهو هالك
وَجُدْتَ ولم تُسأل وغيرُك واهبٌ ... إذا سيل من دون العَطيَّةِ ماحِك

* * *

(١) في «ب» : صلداً . (٢) في « ح » : آوِك . وأرك بالمكان «من باب نصر وضرب» أقام به فلم يبرح

وقال من أبيات :

مُلِّكوا حتى إذا مَلَكوا ... أخذوا فوق الذي تركوا
ما على الأحباب ، إن تلفت ... مُهجتي في حُبِّهم ، دَرَكُ
عاقبوني بالجفا ويدي ... بذُيول العفوِ تَمْتَسِك
هتكوا سِتر الوصال فوا ... حَرَبا من عُظْمِ ما هتكوا
وطريقُ الحبّ واضحةٌ ... فلماذا غيرَها سَلَكوا
ثم عادوا بالوِصال كما ... عاد بدرُ الدولة الملك

اللام

وقال من قصيدةٍ أوّلها :

متى نَجَعَتْ في لوعتي وبلابلي ... نميمةُ واشٍ أو نصيحةُ عاذلِ
وحسبُ الهوى أني إذا رُمتُ نُصرةً ... من القلب لبّاني بِنِيَّةِ خاذل
كأنّ نسيماً من صَباً وشمائلٍ ... ألمّ بمعشوقِ الصِّبا والشمائلِ
فرنّح في ثوب المَلاحة قدَّه ... تَرَنُّحَ خُوطِ البانةِ المُتمايل
ولمّا رمىٰ باللَّحْظِ قلتُ لجفنِه ... أخانَكَ طَرْفٌ أم كِنانةُ نابلِ
وما هي إلاّ مُقْلةٌ رَشَئِيّةٌ ... أصاب بها طَرْفي خَفِيَّ مَقاتلي

ومنها :

وإنّ بقاء النفس بعد فِراقه ... دليلٌ على أنّ الهوىٰ غيرُ قاتل

ومنها في المدح :

وكَمْ قائلٍ لمّا فَضَضْتُ حقائبي لَدَيْكَ وسارتْ في عُلاك عقائلي
أأنتَ الذي صُغتَ النجوم قِلادةً ليَلْبَسَها[1] في الحفل شمْسُ الأفاضل
ولله أخلاقٌ إذا شئت أنتجتْ فصاحةَ قُسٍّ[2] من فَهاهةِ باقِل[3]
سعى الدّهر في هضمي فلما كَفَلْتني إليك تناهى في نُموّ فضائلي
فها أنا منه بين شاكٍ وشاكرٍ وَجُودُك فيه خيرُ كافٍ وكافل

ومنها في التهنئة بالعيد ووصف الهلال :

وقد زارك العيدُ الذي أنت عيدُه بأبلجَ في بيتِ السّعادة نازِل
براه إليك الشّوقُ حتى أصاره[4] بفَضْلَة جِسمٍ كالقُلامةِ ناحل

* * *

وقال من أبيات في ممدوحٍ اسمه عبد الله :

وحقّ نصف اسمه الأخير لقد كنتُ له قديماً كأوّلِهِ
لا تُولِني من نَداك فوق مَدى شُكري فتوهي[5] قُوى تَحَمّلِهِ

* * *

وقال :

ما لِمَنْ مَلّني ولي ساءه قَوْلُ عُذّلي
لَيْتَه بالذي أُبا لِيتُ به في الهوى بُلي

---

(١) في « ح » : لتلبسها . (٢) انظر في التعريف به الهامش الرابع من الصفحة ٣٣٥
(٣) مضرب المثل في الفهاهة « أعيا من باقل » . وهو رجل من إياد بلغ من عِيّه أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمرّ بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي؟ فمدّ يده ودلع لسانه، يريد أحد عشر ، فشرد الظبي وكان تحت إبطه .
(٤) في « ح » : أساره . (٥) في « ب » : فيوهي .

يا خليليَّ والمَـلو لُ[1] كثيرُ التنقُّل
آه من سَطوة الحبيـــــب وفَرْطِ التّدَلُّل[2]

* * *

وقال في غلامٍ مُغرًى بالبِدال :

ومُغْرَمٍ بالبِدال قلتُ له : صِلْني ، فكان الجواب : لا أفعلْ
كأنّه ، والذي يديم له الـــــنّعمة ، مني يخاف أن يَحْبَلْ[3]
لو قيسَ بالرُّمح قَرْنُ والده الكان منه بمثاله أَطْوَل
يأتي ويؤتى إذاً مخافة أن يقالَ هـذا عليه قد أَفْضَل
فهو قليل الخلاف لو شئت أن[4] يبذُلَ عَشْراً بالنَّرْد لم يَبْخل
لا يعرف الغدرَ بالحريف ، ومنْ عادته أن ينام في الأوّل
لكلِّ ميلٍ بِعَيْنه أثرٌ وكلُّ عَيْنٍ بميله تُكْحَل
أحسن ما كان رامحاً يَقِص الـــأبطال حتى رأيته أعزل
يكون من فوقُ راكباً فإذا تمَّ له الدَّسْتُ صار مِنْ أسفل

ومنها :

فاغتنم الوقتَ قَبْلَ ينبُت في خدَّيك ما لا يُحَشّ[5] بالمِنْجَل
فاستعمِلِ النَّتْفَ ما استطعت فما أقبحَ زَرْعَ اللِّحَى إذا سَنْبَل
وإنّ وجهَ الإقبال عنك إذا وَلى رأيت التَّعذير قد أقبل

---

(١) في الأصلين : الملوك . (٢) في « ح » : التذلّل .
(٣) في « ح » : . . يديم لك النعمة مني يخاف أن أحبل .
(٤) في « ح » : لو . (٥) في « ب » : يجش .

المجم

وقال من قصيدة :

سقاني على عَينَيه كأسَ رُضابه   فأسكرني أضعافَ سُكرِ مُدامه
وأحسستُ من قلبي بداراً[1] إلى الهوى   فقلتُ له كُنْ منهما في ذِمامه
وما كنتُ أدري أنّ خمّار طرفه   يُرَوِّق لي ما خَلفَ دُرِّ لِثامه
هبوه أعار الشمسَ ضوءَ جَبينه   فمِنْ أينَ للخَطّيِّ حُسْنُ قَوامه
وإن أنتمُ أنكرتمُ أنّ قَدَّه   تَقَلَّدَ مِنْ عينيه مثلَ حُسامه
فلا تنكروه انّ حِليَةَ جيده   مُفَصَّلَةٌ[2] من ثَغره وكلامه

ومنها :

كأنّ العيون النُّجْلَ قاسَمْنَه الهوى   لِأنّ عليها مَسْحةً من سَقامه

ومنها في المدح :

فتىً لم تزل أموالُه وعُداتُه   على خَطَرٍ مِنْ بَذْله وانتقامه
ولو خاف مَنْ يسري إلى ظِلِّ مجده   ضَلالاً لَناداه النَّدى مِنْ أمامه[3]
ولم أكْسُه دُرَّ المديح وإنما   أعرتُ نجومَ الليلِ بَدْرَ تَمامه

* * *

وقال مُلْغِزاً بالسُّفْرة[4] :

وجائلةِ الوِشاح تُريكَ وَجْهاً   جِنانِيّاً تكوّن في الجحيم

---

(١) في « ح » : فراراً .   (٢) في « ح » : مفضلة .   (٣) في « ب » : أمانه .

(٤) في « ح » : وقال : ثم ذكر الأبيات دون الإشارة إلى اللغز . والسفرة ما يبسط عليه الأكل .

فتاةُ السِّنِّ صاحَبَها كثيراً ... سَراةُ الناس في الزمن القديمِ
وكم جعل النِّطاقُ لها عِناناً ... تُقادُ به إلى دار النعيم
حياةٌ في البِعاد وفي التداني ... وأُنسُ المَجالس والنديم
تجيء إليك مُنْعَمةَ النواحي ... وترجع وهي ذاتُ حَشاً هَضيم
وأحسن ما تكون إذا أتتْنا[1] ... أَناةَ الخطْو حاليةَ الأديم
وقد كتبتْ أناملُنا عليها ... أساطيراً مُلَوَّنةَ الرُّقوم
إذا هي أقبلت تسعى إلينا ... رأيت الشمسَ تَحْمِلُ بالنجوم

* * *

وقال في القطائف :

ومجدَّرٍ عذُبتْ مَراشفُ ثَغرِه ... ففدَوْتُ[2] ألثَمُها ولستُ بآثمِ
مُترقرِقٌ ماءُ الجمالِ بوجهه ... أندى وأكرم راحةً من حاتِمِ
يبدو فتمحَقُه الأكفّ تناولاً ... وهو الحبيب إلى نفوس العالَمِ
قَسَماً به وبما تجنّ ضُلوعُه ... يا خيرَ من جُذِبت إليه عزائمي
ما كنتُ قبل نَداك أَلمحُ شخصه ... إلاّ بأعيادٍ لنا ومواسم

ومنها في المائدة والسُّفرة :

ورأيتُ في دارِ الحبيب وصيفةً ... كالشمسِ تُحْمَل وهي ذاتُ قوائمِ

(١) في « ح » : أتينا . (٢) في « ب » : فعدوت .

وكثيرة الأَحداق تحت وِشاحها شمسُ الظهيرة في عُقود الناظم
ولربّما جاءتك بينَ وَصائفٍ نَقَطْنَ دائرَ وجهِها بدراهم

* * *

وقال[1] من قصيدة يمدح بها أتابك[2] زَنكي بن آق سُنقُر[3]، أولها :

بعزمك أيها الملكُ العظيمُ تَذِلُّ لك الصِّعابُ وتستقيمُ[4]

---

(١) في ابن عساكر « ج١٦ مخطوطات الظاهرية » المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم، أبو المجد التنوخي الحموي. شاب شاعر قدم دمشق « لفظة دمشق عن تهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران مخطوطات الاستاذ أحمد عبيد » على ماذكر لي ابو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي وأنشدني له قصيدة يمدح بها أتابك زنكي بن آق سنقر نصير أمير المؤمنين صاحب الشام أنشده إياها بقلعة حمص.

قال: وكان ملك الروم نزل شيزر وحاصرها وأشرفت منه على الهلاك. وكان أتابك يركب كل يوم في جيشه ويقف على تل ارجزا (!) ولا يزول عنه إلى المغرب، وملك الروم على جريجبنس (!)، جبل شرقي شيزر، ينظر إلى الجيش. فاذا قال له الفرنج دعنا نأخذ العسكر ونمضي اليه يقول لهم: هذا زنكي اتابك يقضي النهار كله في هذه المدة لأي سبب ؟ . . إنما يريدني أركب إليه وإذا حصلنا معه في أرض واحدة مايبقى لنا سبيل إلى السلامة، وقد جعل تحت كل مكمن كميناً، ونحن الآن على هذا الجبل في حصن وبيننا وبينه العاصي. وألقى الله في قلب ملك الروم منه الرعب حتى رحل عنها بعد إحدى (كذا) وعشرين عاماً، وطلب درب أفامية، وترك مجانيقه العظام. وتبعه أتابك إلى بعض الطريق وعاد ظافراً قد حفظ الإسلام بالشام. ورفع المجانيق إلى قلعة حلب المحروسة. فوصف مسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الحالَ فقال: وذكر القصيدة.

والقصيدة عند ابن عساكر ثلاثون بيتاً، وهي هنا في الخريدة خمسة وعشرون. وسنشير إلى الزيادات في مكانها.

وانظر الروضتين ج ١ ص ٣٢ فقد اختار من القصيدة خمسة عشر بيتاً تختلف في الترتيب عما هنا.

(٢) الأتابك هو الذي يربّي أولاد الملوك. وقيل لزنكي أتابك لأن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي دفع إليه ولديه: الب رسلان وفرّوخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيهما.

(٣) انظر الهامش السادس من الصفحة ١٥٤.

(٤) بعد هذا البيت عند ابن عساكر :

زاك الدهر منه أشد بأساً وَشَحّ بمثلك الزمن الكريم

إذا خَطَرتْ سيوفُك في نفوسٍ ... فأوّلُ ما يفارقها الجسوم

ولو أضمرتَ للأنواء حَرْباً ... لما طَلَعتْ لهيْبَتِك الغيوم

أيَلْتَمِس الفِرنج لديك عَفْواً ... وأنت بقَطْع دابِرِها زَعيم

وكم جَرَّعْتَها غُصص المنايا ... بيوم ٍ فيه يَكْتَهِل الفطيم

فسيفُك من مَفارِقِهم خَضيبٌ ... وذِكْرُك في مواطنهم عظيم

وكلُّ مُحَصَّنٍ منهم أخيذٌ ... وكلُّ مُحَصَّنٍ منهم يَتيم

ولمّا أنْ طلبتَهُمُ تمنّى الـ ... ـمَنيّة « جُوسَلينُهمُ »[1] اللئيم

أقام[2] يطوّف الآفاق حيناً ... وأنت على معاقله[3] مُقيم

فسار وما يُعادِلُه مَليكٌ ... وعاد وما يُعادِلُه سَقيم[4]

ألم تَرَ[5] أنّ كلب الروم[6] لمّا ... تَظَنّنَ[7] أنّك[5] المَلِكُ الرحيم[8]

فجينَ رَمَيْتَه بك في خميسٍ ... تيقّن أنّ ذلك لا يدوم[9]

---

(١) انظر الهامش الثاني من الصفحة ١٥٧ (٢) في « ح » : أفاق .

(٣) في « ح » وابن عساكر : على معاقلهم . (٤) بعد هذا البيت عند ابن عساكر :

يحاول أن يحاربك اختلاساً ... كما رام اختلاس الليث ريم

(٥) في الاصلين : ألم ير ... أنه ... وفي ابن عساكر : انه ، وما هنا عن الروضتين .

(٦) لم ترد اللفظة عن ابن عساكر سهوا . (٧) عند ابن عساكر : تبيّن .

(٨) بعد هذا البيت عند ابن عساكر بيتان :

فجاء يطبّق الفلوات خيلاً ... كأنّ الجحفلَ الليلُ البهيمُ

وقد نزل الزمانُ على رضاه ... فكان لخطبه الخطب الجسيم

(٩) بعد هذا البيت عند ابن عساكر :

وأبصر في المفاضة منك جيشاً ... فأحرز لا يسير ولا يقيم

كأنّك في العَجاج شِهابُ نورٍ تَوَقّدَ ، وهو شيطانٌ رجيمُ
أراد بَقاءَ مُهْجته فوَلّى وليس سوى الحِمام له حَميمُ
يؤمّلُ أن تجودَ بها عليه وأنت بها وبالدُّنيا[1] كريمُ
رأيتُك ، والملوكُ لها ازدحامٌ ببابك لا تزول ولا تَريمُ[2]
تُقَبِّل من رِكابك كلَّ يومٍ مكاناً ليس تبلُغه النُّجومُ
تَوَدُّ الشمسُ لو وَصَلتْ إليه وأين من الغَزالة ما ترومُ
أردتَ فليس في الدُّنيا منيعٌ وجُدْتَ فليس في الدُّنيا عديمُ
وما أحيَيْتَ فينا العدل حتّى[3] أميتَ بسيفك الزَّمن الظَّلومُ
وصِرتَ إلى الممالك في زمانٍ به وبمثلك[4] الدُّنيا عقيمُ
تزَخْرَفَ للأمير جنانُ عَدْنٍ[5] كما لعِداه تَسْتَعِرُ الجحيمُ
أقرَّ الله عينكَ من مَليكٍ تُخامِرُ غيرَ[6] هِمّته الهمومُ
فلا[7] بَرِحت لك الدُّنيا فِداءً ومُلْكُك من حوادثها سليمُ
وإن تَكُ في سبيل الله تَشْقَ فعند الله أجرُك والنّعيمُ

* * *

(١) في « ح » : على الدنيا .
(٢) في « ح » : لا تزول ولا يدوم .
(٣) في « ح » : إلا .
(٤) عند ابن عساكر : وبملكك .
(٥) في « ب » : عدل .
(٦) عند ابن عساكر : غب .
(٧) في « ح » وابن عساكر : ولا .

وقال من أُخرى في الشَّيْب :

وَمُرْتَدٍ بِقِناعِ الشَّيْبِ جاذَبَهُ(١) من أطَيْبَيْهِ عِنانَ اللَّذةِ القِدَمُ(٢)

قضى ولم يَقْضِ من عَصْرِ الصِّبا أَرَباً كأنَّما هو في أجفانه حُلُمُ

ومنها(٣) :

لو كنت أعلم أنّ الدهر يُعْقِبُني(٤) بؤسى لما اخترتُ أن تُهدى ليَ النِّعَم

وحاسدٍ سرّه(٥) أني ابتدأتُ به لمن تيقَّنَ أني منه مُنتقِم

لقد سعى طالباً نقصي فزِدتُ به فضلاً وكان دليلَ الصِّحةِ السَّقَم

النون

وقال من قصيدة يهنِّئ بالبُرْء :

زعموا أنك اعتللتَ وحاشا ك ، وقالوا زلَّتْ بك القَدمانِ

كذَبَ الحاسدون ما بك داءٌ غيرَ بَذْلِ اللُّهى(٦) وعشقِ الطِّعانِ

* * *

وقال من أُخرى :

أَلزمتَ طَرْفَكَ حِفظَ قلبك ضِلَّةً لقد ائْتمنتَ عليه غيرَ أمينِ

لا تُنْكِرَنَّ عليَّ فَيْضَ مَدامعي فالدَّمعُ يَنْقَعُ غُلَّةَ المحزونِ

بَخِلَ الغمامُ ، وما حَلَلْت بمَعْهَدٍ إلاّ حللتُ عليه عَقْدَ جُفوني

---

(١) في « ح » : جاد به .

(٢) في طرف السطر من « ب » : الهرم .

(٣) لم ترد اللفظة في « ب » .

(٤) في « ب » : تعقبني .

(٥) في « ح » : سرّني .

(٦) في « ح » : النهى .

ومنها :

وبْهجتي يا صاحبيَّ مُدَلَّلٌ   أنا بالحياة عليه غيرُ ضنين

وأبيك ، لو تُسْقىَ المُدامَ وريقَه[1]   لجهاتَ أيّها أبنة الزَّرَجون[2]

* * *

وقال من قصيدة في مدح نور الدين محمود بن زنكي[3] رحمه الله[4] :

قِفْ حيثُ تختلسُ[5] النفوسَ مَهابةً   ويَغيض من ماء الوجود مَعينُه[6]

فمن المُهنّدةِ الرِّقاق لَبوسُه[7]   ومن المُثقّفة الدِّقاق عرينه[8]

تبدو الشجاعةُ من طَلاقةِ وَجْهه   كالرُّمح دَلّ على القَساوةِ لِينُه

ووراء يَقْظته أناةٌ[9] مُجرِّبٍ   لله سَطْوةُ بأسه وسُكونه[10]

هذا الذي في الله صحّ جِهادُه   هذا الذي في الله[11] صحّ يقينه[10]

---

(١) في « ب » : بريقه .   (٢) الزَّرَجون : قضبان الكرم .

(٣) انظر في التعريف بها الهامش الثاني من الصفحة ٧٨ والهامش السادس من الصفحة ٤٥١

(٤) عند ابن عساكر في المقدمة لهذه القصيدة ، بعد انتهاء القصيدة الميمية «انظر ص ٤٧٠» : وأنشدني أبو اليسر له أبياتاً قالها في الملك العادل أبي القاسم محمود بن زنكي . والقصيدة عنده عشرون بيتاً وهي هنا تسعة أبيات ، وسنشير إلى الأبيات الأخرى في مكانها وأولها :

يا صاح هــل لك في احتمال تحية   تُهدى إلى الملك الأغر جبينه

وانظر الروضتين «ج ١ ص ٤ ٢» فقد اختار من القصيدة عشرة أبيات .

(٥) عند ابن عساكر : يختلس ، ولا نقط لحرف المضارعة في الأصلين .

(٦) وبعده عند ابن عساكر :

فهنالك الأسد الذي امتنعت به   وبسيفه دنيــا الإله ودينـــه

(٧) في « ح » وابن عساكر : لباسه .   (٨) في « ح » : يتقدم البيت على البيت : قف .

(٩) في « ح » : أناه .   (١٠) يتخالف البيتان ترتيباً في « ح » .   (١١) في الروضتين : بالله .

مَلِكٌ(١) الورى مَلِكٌ(٢) أغرُّ مُتوَّجٌ ... لا غدرُه يُخْشى ولا تلوينُه
إن حلَّ فالشرفُ التليد أنيسُه ... أو سار فالظفرُ العزيزُ(٣) قرينُه
والدهر(٤) خاذلُ من أراد عِناده ... أبداً وجبّارُ السماء مُعينه
والدينُ يَشْهدُ إنّه لَمُعِزُّه ... والشِّركُ يعلم إنّه لَمُهِينُه(٥)

* * *

وقال من أخرى :

أما ومكانِ خَصْرِك من قوامٍ ... ضعيفٍ عن مُعاقرة التثنّي
لقد أجللتُ وجهكَ أن يُبارَى(٦) ... ببدرٍ في الدُّجُنَّة مُرْجَحِنِّ
وَهَبْكَ أعرتُ فيك العَذْلَ سمعي ... أيدري العَذْلُ أين هواكَ منّي

---

(١) قبله عند ابن عساكر الأبيات :

هـذا الذي بخل الزمان بمثله ... والمشمخرّ إلى العُلى عرنينـه
هـذا عماد الدين وابن عماده ... نسباً كما انشق الوشيج رصينه
هـذا الذي يقف الملوك ببابه ... هذا الذي تهب الألوف يمينه

(٢) في « ح » : شهم .

(٣) في « ح » : القوي ، وفي الروضتين : الطريف .

(٤) عند ابن عساكر والروضتين : فالدهر .

(٥) بعد هذه الابيات عند ابن عساكر :

مازال يقسم أن يبدد شمله ... والدهر يكره أن تمين يمينه
حتى رمى بالأعوجية ركنه ... فانهد شامخه وخص ركينه
فتح الرُّها بالأمس فانفتحت له ... أبواب ملك لا يُذال مصونه
دانت الأمير لهـا فهبّ لنصره ... منها مبارك طائر ميمونه
وغداً يكون له بأنطاكية ... مشهور فتح في الزمان مبينه
طمن الجيوش برأيه وسنانه ... يوم اللقاء فما أبلّ طعينه

وانظر بعض قصائد الشعراء في فتح الرها في الصفحة ١٠٨ و ١٥٤ من هذا الجزء .

(٦) في « ح » : يباهى .

أَبَعْدَ البُعْدِ أَطمعُ في التّواني ... وبعد الوصال أَقنع بالتمنّي

وقد هتك العَواذِلُ فيك سِتري ... وأَخلَفَتِ المَواعِدُ فيك ظنّي

* * *

وقال من أخرى :

مُدامي من مُقبّلِه ... ومن صُدْغَيه رَيْحاني

تكاد الرّاح تُطْفِئه ... على سِرّي وإعلاني

ألا لله ليلةَ با ... ت يأمرني وينهاني

ووا ظمْي اللذّةِ ما ... قُبيل الصُّبح سَقّاني

وذي مَرَضٍ بمُقلته ... صحيح اللحظ وَسْنان

أُقرّبه فيُبعِدني ... وأَطلبه فيأباني

وكم يَجْني فأَعْذِرُه ... ويزعم أَنِّيَ[1] الجاني

أُمتّهمي بما قد قيـ ... ـل من زُورٍ وبُهتان

سعى[2] دمعي بسفك دمي ... وهتكي سِرّ كِتماني

فلا واللهِ ليس الغدْ ... رُ في حُبّيكَ مِن شاني

* * *

وقال :

باكِرا شمسَ القناني ... تُدرِكا كلّ الأماني

وخُذا في لذّةِ العيـ ... ـش على رغم الزمان .

(١) في « ح » : أنني . (٢) في « ب » : سقى .

من عُقارٍ تبعث النَّجْـ ـدَةَ في قلب الجبانِ
قهوة ألبسها المز ج قميصاً من جُمان
فهي من أبيضَ صافٍ لاح في أحمرَ قان
كخُدودِ الوَرد من تحـ ـت ثغور الأُقْحُوان
عاصيا الخلْقَ إذا الخلْـ ـقُ عن الغَيِّ نهاني
وإذا الله إلى الرُّشْـ ـد دعاني فدَعاني
إنّما البُغيةُ أن أُصـ ـبح مخلوعَ العِنان
ساجداً في قِبلة الكأْ س لتسبيح المَثاني
حيث لا يعلم دهري أبداً أين مَكاني
وتكاد الكأس أن تخـ ـضِب[1] أطراف البَنان
يا غزالاً شرِبَ الرّا حَ ثلاثاً وسقاني
آه للرّيق الرّحيقـ ـي على الثَّغْر الجُماني
ولِطَرْفٍ هتكتْ أجـ ـفانُه سِتْر جَناني
ليس يا قُرَّة عيني لك في العالم ثان
قمرٌ بان لنا في غُصُنٍ ليس ببان
حَلَّ من أهمط ذا الحو رِيَّ من دار الجِنان
وأرانا البدر من جيـ ـب القَباء الخُسْرواني[2]

(١) في « ح » : يخضب. (٢) في « ح » : قباه الخسرواني.

فتعالى الله ما أحـــــسنَ هـذا التُّركُماني

* * *

وقال من قصيدة :

ومن الحبائب في الرَّكائب هاتِكٌ ... بجبينه ظُلَمَ اللّيالي الجون[1]

ما شامَ صارِمَ جَفْنه وجُفُونه ... إلاّ اسفك دمي وماءَ جفوني

هتك الظلامَ وسار من أترابه ... في الرَّكب بين أهلّةٍ وغصون

يُبْرين أفئدةَ الرجال بما حوت ... أعطافُهن وليس من يَبْرين[2]

ومنها في المدح :

ولقد بَلَوْتُ خِلالَه فوجدتُه ... لَدْنَ المَهَزّةِ شامخ العِرْنين

يُنْبيك عن وَثَباتِه وثَباتِه ... ما عنده من يَقْظةٍ وسكون

الواو

وقال في جواب أبياتٍ لابن منير[3] ، من أبيات[4] :

---

(١) في « ح » : الخيل الجون .

(٢) يبرين : رملة متسعة يذكرها الشعراء . وقرية من قرى حلب من نواحي عزاز « ياقوت » .

(٣) من شعراء الخريدة وقد تقدمت ترجمته في الصفحات ٧٦ – ٩٥ من هذا الجزء .

(٤) لم ترد (من أبيات) في « ب » وفي الوافي في قصة هذه الأبيات :

كتب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي إلى الشيخ تقي الدين أبي الخير أمين الملك سلامة بن يحيى بن البقفي :

قل لابن يحيى مقال غير مُغَوِّ ... إشهد من الآن أنني حَمَوي

لا رافضيٌّ غثٌّ أقيمُ على الـشَّـ ... ـيخين سوق البهتان بل أموي

لم أنتفع مذ أقمت في حلب ... طرفة عين بأنني علوي =

لو كانَ إبليسُ قبلُ لاحَ له ... آدمُ من نقش فصِّكِ الغروي[1]
لَخَرَّ ما شئتَ ساجداً وَعَنا ... لله طَوْعاً وكان غيرَ غَوِي[2]
والدَّهرُ قد ماتَ منهُ حادثُه[3] ... خَوْفاً ، فأنىّ يكونُ غيرَ سَوِي

الهاء

وقال من قصيدة :

حَتّامَ أنتَ عن الذي بك ساهِ ... وإلامَ قلبُك بالصَّبابةِ لاهي

ومنها[4] :

لله أيامُ الوصال ، فإنّها ... أمَلُ النّفوس وطيبُ لَهْوِ اللّاهي

= وأن قلبي تجوز لأيام صفين ... ن ودائي من كربلاء دَوِ
يصنع بي كهاها ويافعها ... ما يصنع الحنبليُّ بالنّنوي
كأنما عاينوا معاوية ... يلوح من نقش فصيّ الغروي
لا أدب عاطف على أدبي ... بل كل وجه دنوت منه زَوِ
فالرزق لا مُعقبٌ ولا لَمَمٌ ... حتى كأني خلقت غير سَوِ
ويقفي يتم القصيدة وهي في أربعة عشر بيتاً . .
فكتب جوابه ابن قسيم :
يا شاعراً أودعت أنامله ... دُرَّ القوافي كتابَه النبوي
والقصيدة عند الصفدي في واحد وعشرين بيتاً ، منها :
ولو كشفناك لم تكن حلبيّاً ... في مذهبٍ ولا حَمَوِي
لو كان ابليس قبل . . . .

(١) في « ب » : الغزوي . (٢) بعده في الوافي :
فأيّ وجه رآك ناظره ... فأزورّ لا مقبل به وَزْوي
(٣) في « ب » : حاسده . (٤) لم ترد اللفظة في « ب » .

أيّام صُحْبَتِنا المِلاحَ ، ودأْبُنا … فيها اُعتناقُ ظِبا ورَشْفُ شِفاه[1]

وَمَها[2] تُضاحكها البدور مَلاحَةً … معدومة الأَمْثـــال والأشباه

من كلّ فاتكة اللّحاظ إذا انْثنت … فتكتْ بقلب الخاشع الأَوّاه

ومنها في المخلص :

وتعمّدتني النائباتُ ولم تزل … حتى انتصرتُ بنصر نصر الله

ومنها :

ما زلتَ تلهو بالمكارم والنُّهى … حتى ظننّا أنّهن ملاهي

وإذا تناهى جودُ كلّ متمّم … فنوالُ كفّك ليس بالمتناهي

كم من ندى خافي الغداة نبذتَه … وأرى نوالك لا يزال[3] تُجاهي

يامَنْ إذا مَطَرَتْ سحائبُ جُودِه[4] … جاءت بلا مَطْلٍ[5] ولا استكراه

ما زلتُ أفتك بالزمان بِعِزِّ ما … أوليتنيه ، وللكرام أُباهي

ومنها[6] :

فاقبل به دَعْوى[7] ابنة الفكر التي … جاءتك في ثَوْبَيْ حِجًى وتَناهي[8]

لا تُشمِتَنَّ بها الحسودَ فإنها[9] … ذهب القلوب وجوهر الأَفواه

أَلبستُها دُرَّ[10] المديح قِلادةً … فاضمن لها بإلباس ثَوْبِ الجاه

---

(١) في « ح » في متن البيت : ورشف ملاهي . وفي هامشه : شفاه .

(٢) في « ح » : وظبيً .
(٣) في « ح » : ما يزال .
(٤) في « ح » : كفه .

(٥) في « ح » : هطل .
(٦) في « ح » : منها .
(٧) في « ب » : دعوة .

(٨) في « ح » : وتباهي .
(٩) في « ح » : فإنه .
(١٠) في « ح » : درع .

ابن رَواحة الحموي[1]

الفقيه أبو علي الحسين بن عبد الله بن رَواحة

ذكر أنه من ولد عبد الله بن رَوَاحَةَ صاحب النبيّ ﷺ وشاعره[2] الذي يقول :

وفينا رسولُ الله يتلو[3] كتابَه ... وقد لاح مفتوقٌ من الصُّبْح طالعُ

يَبيت يُجافي جَنْبَه عن فِراشه ... إذا اسْتَثْقَلَتْ بالمُشركين[4] المَضاجِعِ

(١) ترجم له الصفدي في الوافي « الجزء الحادي عشر مصورات المجمع العلمي العربي رقم ٨٧ » فقال :

الحسين بن عبد الله بن رواحة ، أبو علي ، الأنصاري الحموي الفقيه الشافعي الشاعر ، ابن خطيب حماة . ولد سنة ٥١٥ ه وتوفي سنة ٥٨٥ ه . سمع بدمشق من أبي المظفر الفلكي وأبي الحسن علي بن سليمان المرادي والصائن هبة الله وجماعة . ووقع في أسر الفرنج وبقي عندهم مدة . وولد له بجزائر البحر عز الدين عبدالله وقدم به الاسكندرية وسمّعه من السلفي . وكان قد سافر في البحر إلى المغرب فأسر ثم خلصه الله تعالى وحصلت له الشهادة على عكا . ثم اختار له طائفة من الأبيات .

وانظر ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر « ج ٤ ص ٣٠٢ » ومرثيته للحافظ ، وفي فوات الوفيات بعنوان ابن خطيب حماة ، وستةَ أبيات مختارة له ، وفي معجم الأدباء « ج ١٠ ص ٦٤ طبعة الرفاعي » وقد أثبت له قصيدته النونية في مدح السلطان صلاح الدين ، وبعضَ مرثيته للحافظ ابن عساكر ، وأبياتاً أخرى مختارة . وانظر كذلك الجزء الأول من الدارس في المدارس ص ٢٦٧

وفي سير النبلاء للذهبي « ج ١٧ مصورات المجمع العلمي العربي رقم ١٨٣ ، اللوحة ٢٤ » : ولأبي علي الحسين بن عبدالله بن رواحة يرثي الحافظ ابن عساكر . وقد اختار منها سبعة أبيات متفرقة .

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور . كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدراً وما بعدها ، وكان أول خارج إلى الغزو وآخر قافلٍ منه ، وله في الغزوات مواقف ، إلى أن استشهد بمؤتة وكان أحد الأمراء فيها . كان يكتب للرسول صلى الله عليه وسلم وينشد الشعر مديحاً فيه ورداً على المشركين . مناقبه كثيرة ، وقيل أن الآية « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا . . الآية » في آخر سورة الشعراء ، قد نزلت فيه .

« تهذيب التهذيب والإصابة »

(٣) سقطت اللفظة في « ب » .   (٤) في « ح » : بالمشركات .

لقِيتُه كَهْلا ، لكل فضيلةٍ أهلا ، وهو مقيم بحَماةَ للاُحتساب ، وإقراء[1] فقه الشافعي والآداب . شعر أبنِ رَواحة رُوح الشِّعر ، ورَوْح السِّرّ ، ورَيْحان أهل الأدب ، وراحةُ ذوي التَّعب ، معنًى لائق ، ولفظٌ رائق ، ورويٌّ شائق ، وكلام فائق ، وأُسلوب مُوافق ، سَمْحُ الغريزة ، سَهْل النَّحيزة ، معسُولُ الكِلَم ، مَغْسُول الحِكَم ، لا يتكلّف صَنْعةً ، ولا يَتَعَسَّفُ صِيغةً[2] ، ولا يركب إلاّ الذَّلول ، الذي يسلُب العقول ، إن أقصد ، بلغ المَقْصِد ، وإن أقطع ، أحسن المَطْلَع والمَقْطَع[3] ، وإن نَسَب أهَبَّ نسيمَ النَّسيب متأرِّجَ الرَّيّا ، وإن تغزّل شبَّه بالغزالة والغزال الحبيبَ[4] المُتَبَلِّج المُحيّا .

رأيته في سِنِي صُحْبتي لنور الدين يتردّد إليه في كل سنةٍ ويمدحه ، وهو بتشريفه وبجائزته يمنَحُه ، وكان يُنشِده قصائدَ فيما[5] يتفق من الوقائع ، ويُنْشُد لديه مقاصد[6] بما يتّسق له في تلك الصنائع[7] . وسافر إلى مصر في زمان الصالح ابن رُزِّيك[8] ، فنفَقت بضائع رجائه في سوق الرّواج ، وظفر داءُ أمله[9] عنده من دواء النُّجْح بالعلاج .

ولمّا أراد الرجوع إلى الشام ركب البحر إليه ، فقطع فَرَنْجُ صِقِلِّيَّةَ الطريق عليه ، وحملوه إليها أسيرا ، وأقام هناك في الأَسر كثيرا ، حتى توصل بسحر الشعراء[10] إلى حَلِّ عُقْدَته ، ونَشْط عُقْلَته ، وعاد إلى حماة في حِمًى من السلامة منيع ، وذَرًى من الكرامة

---

(١) في « ب » : واقرا . وتكررت اللفظة مرتين في آخر صفحة وفي رأس صفحة جديدة .
(٢) كذا في الأصلين ، ومراعاة السجع تقتضي كلمة أخرى كالضَّيْعة مثلا بمعنى الحرفة والصناعة ، أو نحوها .
(٣) في « ح » : المقطع والمطلع . (٤) في « ب » : الحبّ . (٥) في « ح » : ممّا .
(٦) لم ترد اللفظة في « ب » . (٧) في « ح » : فيما يسق له من ملك الصنايع .
(٨) في « ب » : رزّيك . وانظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ١٨٧ .
(٩) في « ب » : داء الماة . (١٠) في « ح » : بسحر الشعر .

مَريع ، وجعل نورُ الدين له من إنعامه إدراراً يَكفيه ، وكان يَقبله ويُقبل عليه ويروي فيه[١] . أنشدني لنفسه في قلعة حلب سنة ثلاث وستين في ذي الحِجّة :

يا ماطلاً لا يرى غَليلي ... لَدَيْهِ وِرْداً سوى سرابِ[٢]
تَعَلَّمَ الطَّيفُ منك هجري ... فلا أراه بلا اُجتناب[٣]
كم كتبَ الدَّمعُ فوق خدّي ... إليك شكوى[٤] بلا جواب
أغلقتَ باب الوِصال دوني ... فَسُدَّ للصَّبر كلُّ باب
إن كان يحلو لديْك ظُلْمي[٥] ... فَزِدْ من الهجر في عذابي
عسى يُطيلُ الوقوفَ بيْني ... وَبَيْنَك اللهُ في الحساب[٦]

* * *

وأنشدني لنفسه أيضاً[٧] :

من لِعيْنيَّ بالكَرى ... فأرى الطيفَ إن سرى
طال عهدي فعاد قلْـ ... ـبي لِطَرْفي مُخَبِّرا
كُلَّما اُشْتَقْتُ أن أرا ... كَ أطلتُ التَّفكُّرا
يا هِلالاً وبانةً ... وكَثِيباً وجُؤْذرا

---

(١) كذا في « ب » ، وفي « ح » : ويرى فيه .
(٢) في « ب » : شراب . (٣) في « ب » : احتناب .
(٤) في « ح » : دعوى . (٥) عند ياقوت والفوات : قتلي .
(٦) البيتان الأخيران من مختارات ياقوت في معجم الأدباء ، وابن شاكر في الفوات . وحول هذه الأبيات في « ب » التعليقة التالية : أخذه من قول الأول : ولقد هممتُ بقتلها من حبها .. البيت . وتتمته : كيما تكون خصيمتي في المحشر .
(٧) في « ح » : أيضاً لنفسه .

لم أبُحْ بالهوى الخفـــــيّ اختياراً فأُهْجَرا

إنما السُّقْم نمّ عنـــــه ودمعي به جرى

أنت أبديتَ لي بوجـــــهك عُذراً إلى الورى

أنت فرّقت بين أجـــــفان عَيْنَيّ والكرى

دَعْ نُوَدِّعْ خَدَّيْك لثْـــــماً وإنْ شئتَ مَنْظرا

قبل أن يكْمُل العِذا رُ عليه ، فما يُرى[1]

* * *

وأنشدني له من قصيدة في العذار :

قمرٌ أعار الصُّبْحَ حُسنَ تبسُّمٍ وأعار منه الغصنَ لِينَ تأوُّدِ

وأُخْضَرَّ شاربُه فبان ، لِعُاتي[2] منه اُخضِرارُ الرّوْض حَوْلَ المَوْرِدِ

ومتى يُباحُ لعاشقيه مُقَبَّلٌ كالدُّرِّ في الياقوت تحتَ زَبَرْجَد

* * *

وأنشدني لنفسه سنة أربعٍ وستين :

مالي على السُّلْوانِ عَنْك[3] مُعَوَّلُ فإلامَ يَتْعَبُ في هواكَ العُذَّلُ

يزدادُ حُبُّكَ كلَّ يَوْمٍ جِدَّةً وكأنَّ آخِرَه بقلبي أوّلُ

أصبحتَ ناراً للمُحِبِّ وَجَنّةً خدّاك جَمْرُ غضاً وريقُك سَلْسَلُ

لك لِينُ أغصان النَّقا لو لِنْتَ لي ولك اعتدالُ قَوامِها لو تَعْدِلُ

---

(١) في « ب » : عليها فما ترى . (٢) في « ب » : لماني . (٣) في « ح » : منك .

يا راشقاً هَدَفَ القلوبِ بأسهمٍ ... خَلِّ السِّهامَ فسِحْرُ طَرْفِكَ أقتَلُ
ما لِلْوُشاةِ سَعَوْا بنا يا لَيْتَهمْ ... ثَكِلوا أحِبَّتَهم كما قد أثكَلوا
جَحَدوا الذي سمعوا وقالوا غيرَه ... ولوَانَّهمْ لا يسمعون تقوَّلوا[1]
هَبْ أنَّ أهلكَ أوْعدوا وتهدَّدوا ... مَنْ يرْعَوي مِنْ ذاكَ أوْ مَنْ يَقْبَل
وَيْلاهُ منهم يُشْفِقون عليك مِنْ ... أجْلي ، وإشفاقي أشَدُّ وأكمل
مالي أعاينُ وجهَ ودِّكَ مُعْرِضاً ... حَذَرَ الرَّقيب وَوَجْهُ ودّي مُقْبِل

* * *

وأنشدني له في غلامٍ لَبِسَ الكُحْليّ :

برزتَ للناسِ في قميصٍ ... أكْحَلَ مِنْ طَرْفِكَ الكحيلِ
فيك من الحُسْنِ كلُّ فنٍّ ... وفيك للنفس كلُّ سُول[2]
كيف اتَّخَذْتَ الحِدادَ لُبْساً ... ولستَ تأْسى على القتيل

* * *

وأنشدني لنفسه في موفق الدين خالد بن القَيْسَراني مُستوفي نور الدين[3] :

دَعَوْتُكَ مُشتاقاً لِنَيْلِ صَنيعةٍ ... فكنتَ إلى بذل الصنائع أشْوَقا
وكم عُقَدٍ حُلَّتْ بعزمك لم تكن ... تُحَلُّ بعزمٍ مِنْ سِواكَ ولا رُقا

---

(١) في هامش «ب» التعليقة التالية : مأخوذ من قول الأول : إن يسمعوا الخير يخفوه .. البيت . يريد البيت :

إن يسمعوا الخيرَ يُخفوه ، وإن سمعوا ... شراً أذيع ، وإن لم يسمعوا كذَبوا

والبيت لطُريح الثقفي . وقابل مع رواية عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٨ (٢) في « ب » : سولى .

(٣) في الروضتين ج ١ ص ١١ أنه كان وزيراً لنور الدين : « ورأى له وزيره موفق الدين خالد القيسراني الشاعر في منامه أنه يغسل ثيابه وقصّ ذلك عليه ؛ ففكر ساعة ثم أمره بكتابة إسقاط المكوس وقال هذا تفسير منامك» . وانظر ص ٥٢١ من هذا الجزء من الخريدة في ترجمة القيسراني تعريف العماد به ورأيه فيه .

تفاءل نورُ الدين باُسمك مثلما حَوى بك[1] نَعْتاً في الأُمور مُحَقِّقا
فأَصبح في الملك المُخَلَّد[2] خالداً كما كان في الرأي السعيد مُوَفَّقا

* * *

وأنشدني لنفسه في العِذار :

لا تلوموا عليه قلبَ مُحِبٍ فجميع القلوبِ طَوْعُ يَدَيْهِ
لا تظنّوا عِذاره طرّز الخـــدّ فما كان ذا اُفتقاراً[3] إليه
إنما لحظُه أَراق دماءً وبدا أُثْرها على وَجْنَتَيْه
فرأى وَرْدَها بقتليَ نمّا مَّ فأَوْلى[4] بنفسجاً عارضَيْه
فتيقنتُ أنني ضاع ثأْري حين لم يبق شاهدٌ لي عليه

* * *

وأنشدني أيضاً[5] له من قصيدة :

تودُّون عَوْدي ، لو قَدَرْتُ ، إليكم وقد أَبْعَد المِقْدار في البَيْن شُقَّتي
كأَنّيَ سَهْمٌ كلّما جرّني الهوى إليكم رمتْني الحادثات فأَقصت[6]

ومن الغزل :

كأَني سأَلتُ الرّيح عن لين قدِّها فهزّت قضيبَ البان لي حين هَبَّتِ

---

(١) في « ح » : منك . (٢) في « ب » : المعظّم .
(٣) في « ب » : افتقار . (٤) في « ح » : فأبدى .
(٥) لم ترد اللفظة في « ب » . (٦) في « ب » : فأقصت . وفي « ح » : فأحمت ، وفوقها : فأقصت .

ومن مديحها :

له سائِلا عِلْمٍ وجود ، يُجيب ذا   على عَجَلٍ منه ، وذا عن تَثَبُّتِ[1]
فذا بنوالٍ المُؤالف مُنْطِقٍ[2]   وذا بِمَقالٍ المُخالِفِ مُسْكِتِ

* * *

وأنشدني له في صبيٍّ مُقْرِئٍ في[3] سنة سبع[4] وستين[5] :

تلا فدعا قلبي إلى حُبِّ وَصْلِهِ   وعهدي بما يتلوه يَنْهى عن الحبِّ
فكيف اصطباري عنه لو كان مُسْمِعي   غِناءَ الغواني من مُقَبَّلِهِ العَذْبِ

* * *

وأنشدني له في غلامٍ أهدى له ورداً :

أقول للوَرْدِ ، ونَشْرُ الذي   أهداه[6] لي أَذْكَى مِنَ الوَرْدِ
أَشْبَهْتَه في النَّشْرِ طِيباً فلِمْ   خالَفْتَه في الحفظ للعهد

* * *

(١) في هامش « ب » التعليقة التالية : « ولابن الرومي :

ما زال معدِنَ معروفٍ ومعرفةٍ   له فوائد وهِبَّاتٍ وعَلّام

أصله لابن الرومي :

ترى قاصديه ، ذا سؤال يَميحُه   فواضِلَه ، أو ذا سؤالٍ يُباحِثه
فما يجتني الميسورَ من لا يزورُه   ولا اللؤلؤ المنثورَ من لا يحادثه »

قلت : والبيت الأول من قصيدة لابن الرومي في مدح إسماعيل بن بُلبُل ، وروايته : لا زال « مخطوطة الديوان بخط الأستاذ الشيخ شريف سليم في حيازة الأستاذ أحمد عبيد » . وانظر البيتين التاليين ، مع بعض الخلاف في الرواية ، في المطبوع من ديوان ابن الرومي بشرح الشيخ شريف سليم ج ٢ ص ٢ : .

(٢) في « ح » : ناطق ، وفوقها منطق . (٣) لم يرد الجار في « ب » . (٤) في « ح » : أربع .

(٥) البيتان من مختارات الوافي . وفي تقديمها : ومن شعر ابن رواحة في مليح يقرأ القرآن .

(٦) في « ب » : أهواه .

ومن مقطعاته في الألغاز والمعمَّى :

أنشدني[1] لنفسه قوله في الجُلَّنار مُلغزاً[2] :

وما تاجُ رُوميٍّ لبَيْضَةِ باسلٍ   عليها دَمٌ إذ فَلَّلَتْها المَضارِبُ
تُناسِبُ أقراطَ الدُّيوكِ ذُيولها   كما العُرْفُ للتَّشريف منها مُناسِبُ
لها باطنٌ كالزَّعْفرانِ تَعَلَّقَتْ   به من شَرارٍ أوْ نُضارٍ، كواكب
حَكَتْها صِغاراً بالخُدودِ شَبيه ما   حَكَتْها كِباراً بالنُّهودِ الكواعِب
إذا افْرِطَتْ فهْيَ العَقيقُ مُبَدَّداً[3]   وإن رُشِفَتْ فالشهْدُ بالثَّلْجِ ذائب

* * *

وقوله[4] في مليحٍ[5] اسمه إبراهيم :

صدَّني بعد اقترابٍ وجفاني   قَمَرٌ يخجلُ منه القمرانِ
لستُ أدعو باسمه ضَنًّا به   غير أني بالذي أخْفيه كانِ
ظَمأي فيه ظَمًا آخِره   ليتني أوّله ممّا عَراني

* * *

وقوله في اسمِ مُبارك[6] :

وأغيَدَ لا تحكي الأسِنَّةُ لَحْظَه[7]   ولا يَمْلِكُ الخَطِّيُّ لِيناً بِقدِّهِ

---

(١) في « ب » : أنشدنيها . (٢) لم ترد اللفظة في « ب » .
(٣) في « ح » : مبدد . (٤) في « ح » : وله .
(٥) في « ب » : في معمّى ، وفي « ح » : في مغني ، وفي الوافي في تقديم الأبيات : ومنه في مليح اسمه ابراهيم .
(٦) في الوافي في تقديم الأبيات : ومنه في مليح اسمه مبارك .
(٧) في متن « ب » : طرفه : وعلى الهامش : لحظه .

تآلَفَني قُرْبُ الـتَّـمام لِبُعْدِهِ ... وخالفني وَصْلُ الغَرام لِصَدِّهِ[1]
صباحي إذا ما زارني فيه مثلُه ... وعَيْشي إذا ما صدَّ عني بِضِدِّهِ[2]

* * *

وقوله في اسمِ إلياس[3] :

أتَيْتُ[4] مَنْ أهواه عَكْسَ اسْمِه ... فلم أنَلْ منـه سِوى الإسمِ
وكلَّما أطْمَعني ضِـدُّه ... عاد به اليـأْ إلى الوَسْمِ

* * *

وقوله في إسماعيل بن[5] بكّار :

أسْمَرُ عِيلَ الصَّبْرُ في حُبِّه ... ليس له في الحُسْن[6] من مُشْبِهِ
إنْ شِئْتَ أنْ تعْرِفَه باسْمِه ... أفْرِدْه من رابع حَرْفٍ به
طُوبى لِمَنْ بات لهُ ليلةً ... عكس أبيـه اِهوى قلبه

* * *

وقوله في اسم يحيى بن عَطِيَّة :

مَنْ نال مِنْ يَحْيى اسمَ والدِهِ ... أيقَنْتُ حقًّا أنّه يحيا
وَمَنِ ابتلاه بطُولِ هِجرته[7] ... وجفا عليه فليس في الأحْيا

* * *

(١) في الوافي : بصدّه . (٢) في « ب » : بصدّه .

(٣) في تقديم الأبيات في الوافي : ومنه في مليح اسمه الياس .

(٤) في « ح » : أبيت . (٥) في « ب » : ابن .

(٦) في « ح » : في الحبّ . (٧) في « ب » : هجره .

وأنشدني له في الأستطراد بمن كان زاهداً في شبابه ثم حَرِص في مَشِيبه ورغب في الدنيا :

تَجَلَّدْتُ عنها في الشَّبابِ لِعِزَّةٍ ... وأَبْدَيْتُ بعد الشَّيْب ذِلَّة مَفْتونِ
فقالتْ : أَزُهداً[1] في شَبابٍ ، ورغبةً ... بِشَيْبٍ ، أنا المشتاق وأنت اُبنُ فضلون[2]

* * *

وأنشدني له في هجو إنسانٍ بمصر :

أَحكمتْ عِرسُه ضُروبَ الأَغاني ... من ثقيلٍ في رأسه وخفيفِ
وتمنّتْ عليه كلَّ الملاهي ... غيره وحدَه ، لمعنًى لطيف
فقضيباً لأسمٍ ونايًا اشكلٍ ... ورَباباً للجرّ[3] والتصحيف[4]

* * *

وله من قصيدة :

عُدني وإلاّ فعِدْني ... إنْ صحّ جسمي تزورْ
تاريخُ وَصلك عندي ... مُذْ لَمْ أَنَلْهُ شُهور
وإنّ هِجرانَ يومٍ ... على المحبّ كثير

* * *

وأنشدني لنفسه :

قُلْ للرّوافض : إنّكُمْ في سَبِّكم ... أهلَ الهدَى مَع حُبّنا[5] عَلَمَ الهُدى

---

(١) في «ح» : أزهدٌ . (٢) مكان الشطر فراغ في «ح» ، ولعله : بشيب ، أمشتاق وأنت آبن فضلون . وابن فضلون كان من الزهدة المبدقيقترن اسمه بقصص كثيرة شائعة في الحياة العامة . (٣) كذا في الأصلين . ولعلها : للحرّ .
(٤) الأبيات من مختارات الوافي . (٥) في متن « ب » : جنا ، وفي الهامش : حبنا ، وفي الوافي : في حبكم .

مِثْلُ النّصارى لا[1] نَسُبُّ لأجلهم عيسى ، وقد سَبُّوا النّبيَّ مُحَمّدا[2]

* * *

ثم سافر إلى مصر وأقام في ظلِّ الملك الناصر ، وإنعامه الوارف الوافر ، وفاز بالجاه الظاهر[3] ، والإحسان المتدارك المُتواتر ، وكنا مُخَيِّمين[4] بمرج الفاقوس[5] ، مُصمِّمين على الغَزاة إلى غَزّة ، مُرَنِّحين أعطاف نشاطنا[6] المُهتزة ، وقد وصلت أساطيل ثَغْرَيْ دِمياط والاسكندريّة بسَبْيِ الكفّار ، وقد أَوْفَتْ على ألف رأسٍ عِدَّةُ مَنْ وصل في قيد الإسار ، فحضر ابنُ رواحة مُنْشِداً مُهَنِّئاً بالعيد ، ومُعَرِّضاً بما وهبه الملك الناصر من الإماء والعبيد ، بقصيدةٍ منها ، وذلك في عيد النحر سنة اثنتين[7] وسبعين[8] :

أَيَحْسُن بعد ضَنِّكَ حُسْنُ ظَنّي فأجمعَ بين يأسي والتّمنّي

وما نَفْعي بعَطْفِك بعد فَوْتٍ كَرِقّة شامتٍ من بعد دفن

أأطْمَعُ أن أكون شهيدَ حُبٍّ فأُصْحَبَ منك حُوريًّا بعَدْن

قيل له هذا البيت حَسَنٌ لولا أن الحوريّ[9] مُذَكَّر .

---

(١) في « ح » : ما . (٢) البيتان من مختارات الوافي .

(٣) في « ب » : بالحباة الظافر . (٤) في « ب » : مجتمعين .

(٥) فاقوس : اسم مدينة في حوف مصر الشرقي في آخر ديار مصر من جهة الشام .

(٦) في « ح » : نشاطها . (٧) في « ب » : اثنين .

(٨) في الروضتين « ج ١ ص ٢٧٠ » ينقل عن الخريدة هذه المقدمة متخففاً من بعض السجع ويختار من القصيدة عشرة أبيات سنشير إليها في مكانها ، وعند ياقوت في معجم الأدباء من القصيدة مثل الذي عند صاحب الروضتين بزيادة بيت واحد سندل عليه في مكانه .

أما الصفدي فقد اختار منها في الوافي سبعة عشر بيتاً هي الأبيات الخمسة عشر الأولى باستثناء البيت الرابع عشر : ولو حكم الهوى . . ثم الأبيات الثلاثة : لقد جلب – يزيدهم – فما من ظبية . . من مقطع وصف الأساطيل المنصورة والسبايا المأسورة . (٩) في « ح » : لولا الحوريّ مذكراً .

مَلَكتَ عليَّ أجفاني وقلبي ... فأبعدتَ الكرى والعَذْلَ عنّي
فكم أرعيتَ غيرَ اللَّوْمِ سمعي ... وكم أوْعيتَ غيرَ النوم جَفني
صَدَدْتَ وماسوى إفراطِ وَجْدي ... لك الداعي إلى فَرْط التجنّي
لقد أبديتَ لي في كلّ حُسْنٍ ... ضروباً أبدعت لي[1] كلَّ حُزن
فكم فنٍّ من البلوى عَراني ... لِعشْق الوصفِ منك بكلِّ فنِّ
كأنّكَ رُمْتَ أن أسلوكَ حتى ... أقمتَ الشِّبْه في بَدْرٍ وغُصْن
فألبسَ وجهَك الأقمارَ تمّاً ... وعلّمَ قَدَّك البانَ التثنّي
رماني في هواك طِماحُ طَرْفي ... إلى حُسْنٍ فأخاف فيك ظنّي
فكم دمعٍ حَمَلْتُ عليه عيني ... وكم نَدَمٍ قَرَعْتُ عليه سِنّي
غدرتَ وما رأيتَ سوى وفاءٍ ... فهلّا قبل يَغْلَقُ فيك رَهْني[2]
ولو حكمَ الهوى فينا بعدلٍ ... لكنتَ أحقَّ بالتعذيب منّي

ومنها[3]:

أقمتَ الموتَ لي رَصَداً فأخشى ... زيارتَه وإن يكُ لم يَزُرني
كما رصَد العِدى في كلِّ يومٍ ... صلاحُ الدين في سَهْلٍ وحَزْنِ[4]
يَرَوْن خيالَه كالطيف يَسْري ... فلو هَجَعوا أتاهم بعد وَهْن
أبادَهُمُ تَخَوُّفُه فأمسى ... مُناهُمْ لو يُبَيِّتُهم بأمْن

---

(١) في «ب»: أبدعت في، وفي «ح»: أبدعت بي، وما هنا عن الوافي.

(٢) في «ح» في هامش السطر لفظة: وقد.

(٣) لم تذكر في «ح».

(٤) البيت والبيتان التاليان من مختارات الروضتين.

تملَّكَ حولهم[1] شرقًا وغرباً فصاروا لاُقتناصٍ تحتَ رَهْنِ

يشير إلى أنه مالك مصر ومالك الشام والإفْرَنج بينهما[2] .

أطاف عليهمْ مِنْ كلِّ فَجٍّ قبـائلَ يُقبلون بغير وَهْنِ

أقام بآل أيوب رِباطـاً رأت منه الفَرَنْجُ مَضيقَ سِجن[3]

فهم للدِّين والدُّنيا جبـالٌ رواسٍ لا تُرى أبداً كَعِهْن

إذا اُتّبعوا[4] له عَزماً ورأياً غَنُوا في الحرب عن ضربٍ وطعن

وإنْ نادى : نَزَالِ ، فلن يُبالوا قتالَهُمُ لإنسٍ أو لجنّ[5]

رجا أقصى الملوكِ السِّلمَ منهم ولم ير جهده في البأس[6] يُغني[7]

وخافتهم ملوك[8] الناس جَمْعاً فلم تقلِب لهم ظَهْرَ المِجَنِّ

لهم من بأسه رُكْنٌ شديد ولو طُلِبوا لما آوَوْا[9] لِرُكْن

حوتْ آفاقُ مِصْرِهِمُ حُصوناً فكيف إذا أداروا كُلَّ حِصْن[10]

غَطارِفَةٌ لهم سُلْطانُ عَدْلٍ يَسُنُّ لهم مَكارِمَهم ويُثْني

---

(١) عند ياقوت : جيشهم . (٢) في « ح » : ملك الشام ومصر والافرنج بينهما .

(٣) البيت من مختارات الروضتين . (٤) في « ح : تبعوا .

(٥) البيت مكرر في « ح » . (٦) في « ب » : في اليأس .

(٧) البيت من مختارات الروضتين ومعجم الأدباء ، وبعده في معجم الأدباء :

فألقى السِّلْم بعد الحرب كرهاً ولم ير من مُناه سوى التمنّي

(٨) في « ح » : قلوب . (٩) في « ب » : لما أدّوا .

(١٠) لم يرد البيت في « ح » .

ومنها :

وكم معنًى من الإحسان فاقوا[1] به كرماً على كعبٍ[2] ومعْنِ[3]

لهم من يوسفَ الدُّنيا جميعاً وليس له نصيبٌ غيرُ مُثْنِ

أرى رأيَ التناسخ مِصْرَ حقّاً بضمٍّ[4] أسمٍ إلى عَدْلٍ وحُسْنِ

ولم أر مثله ملكاً جواداً خزائنُه قِفارٌ وهو مُغْنِ

غدا[5] كالشمس يوم وغًى بنَقْعٍ فَشَقَّ النورُ منه مِلاءَ دَجْنِ

---

(١) في « ح » : فاتوا .

(٢) هو كعب بن مامَةَ الإيادي الجاهلي ، كان مضرب المثل في الجود ، يقال : « أجود من كعب بن مامة » . من خبره أنه آثر بعض أصحابه بنصيبه من المــاء في بعض الأسفار حتى مات عطشاً . وانظر في ذلك مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٦٧ ، وفرائد اللآل ج ١ ص ١٥٤ ، وبلوغ الأرب للألوسي ج ١ ص ٨١ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ « نشرة العريان » في « أجواد أهل الجاهلية » .

(٣) هو معن بن زائدة الشيباني ، من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء . أدرك العصرين الأموي والعباسي . وكان في أيام الأمويين مكرماً متنقلا في الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزاري أمير العراقين . فلما صار الأمر إلى بني العباس واحترب المنصور مع يزيد هـذا في واسط أبلى معنٌ مع يزيد بـلاء حسناً ، فلما قُتل يزيد خاف معنٌ واستتر ، وطلبه المنصور فتغلغل في البادية ؛ حتى كان يوم الهاشمية - وهو يوم ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة - والهاشمية مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة - وكان معن متوارياً فخرج متنكراً وقاتل قدّام المنصور حتى أفرج الناس عنه ؛ فحفظها له المنصور وأكرمه ، وجعله في خواصه . ثم ولاّه إمارة سجستان فأقام مدة وقتل فيها غيلة . أخباره كثيرة معجبة ، وللشعراء فيه أماديح ومراث من الشعر الخالد منها مرثية مروان ابن أبي حفصة المشهورة :

مضى لسبيله معنٌ وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

وهي من أفخر الشعر وأحسنه . ومنها مرثية الحسين بن مطير الأسدي :

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

« الأعلام ، وابن خلكان »

(٤) في « ب » : بضمّ .   (٥) في « ح » : بدا .

ومنها يصف الداويّة مِنَ الفرنج ، وهم لا يَرَوْن مُقارَبة النّساء اترهُّبِهم[1] :

أرى داويَّةَ الكفّار خافت ... به داءً يُضَعِّف كُلَّ مَتْنِ

أبَوْا نَسْلاً مَخافة[2] نَسْلِ بنتٍ ... تُمارِق دينَهم أو قَتْلَة اْبن

فقد عقموا به من غير عُقْمٍ ... كما جَبُنوا به من غير جُبْن

ومن أفناهم عدماً حقيقٌ ... بِحَمْدٍ مثلما وجدوا ويغني

ومنها يصف الأساطيل المنصورة والسّبايا المأسورة :

لقد خَبر التجارِبَ منه حَزْمٌ ... وقلّبَ دهرَه ظهراً لبطن[3]

فكفَّ الكفرَ أن يَطْغى بمَكْرٍ ... يُحَيِّرُ كلَّ ذي فكرٍ وذهن

فساق إلى الفرنج الخيلَ برّاً ... وأدركهم على بحرٍ بسُفْن[4]

لقد جاب الجواري بالجواري ... يَمِدْن بكلِّ قدٍّ مُرْجَحِنّ

يَزيدُهمُ اجتماعُ الشّمل بُؤساً ... فمرنانٌ تنوح على مُرِنّ

فما مِنْ ظبيةٍ تُفْدى بليثٍ ... ولا ليثٌ فِدى رشأٍ أغَنّ

زهتْ إسكندريَّةُ يومَ سيقوا ... ودِمياطٌ فما مُنِيا بِغَبْن[3]

وخَيْرُهما هناءٌ ما أتاها ... بقُرْب[5] الملك كلُّ عُلىً يُهَنّي

فلو لَبِسَتْ به الفخر بُرْداً ... لجرّت فَضْلَ أذيالٍ ورُدْن

---

(١) في « ب » : لترهبنهم . (٢) في « ب » : لخيفة .

(٣) البيت من مختارات الروضتين .

(٤) البيت والبيتان التاليان من مختارات الروضتين .

(٥) في « ح » : فقرب .

لقد سبق النّدى منه السّبايا | فكم عَزَبٍ بأهلٍ بات يَبْني[١]
وأعْجلَهُ السّماحُ عن ادّكاري | ولو[٢] ألقاه مَنّ بغير مَنّ
فأسْاحةٌ تخافُ لَدَيْه حَزْناً[٣] | وأموالٌ تطير بغير خَزْن[٤]
وكيف يصون بحراً[٥] جودُ بحرٍ | فيحمل مِنّةً لأخٍ وخِدْن
وإن الناصر الملك المُرجّى | لأَوْلى من وَلي حَيّاً بهَتْن
يُبيد عُداته ويَشيد مجْداً | لآلٍ فهو يُفْني حين يُقْني[٦]
إذا لاقى العِدى فأشدُّ لَيْثٍ | وإن بَذَل النّدى فأسحُّ مُزْن

ومنها في التهنئة[٧] :

يُهنّي الملك عيداً[٨] لو عداكُمْ | لما ظَفِرَ المُهنّا بالمُهنّي[٩]

---

(١) في هامش «ب» التعليقة التالية : أخذه من قول أبي تمام وقصّر: لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على . . البيت .
يريد البيت :

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على | بانٍ بأهلٍ ولم تغرب على عَزَب

من بائيته المعروفة في مديح المعتصم ووصف فتح عمّورية .

(٢) في « ح » : فلو . (٣) في « ب » : حرباً . (٤) في « ب » : حزن .

(٥) في « ح » : بحر . (٦) في « ح » : فهو يغني حين يفني . (٧) لم ترد الجملة في « ب » .

(٨) في « ب » : يهني العبد ملكاً .

(٩) بهذا البيت ينتهي ما عندنا من النسخة « ح » وفي آخرها : نجز الكتاب المتعلق بأخبار عدة من شعراء بلاد الساحل وغيرهم وهو المسمى بخريدة الشعراء ، بتاريخ الرابع والعشرين من شوال من سنة اثنتين وأربعين وستمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل . والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .
وعلى ذلك لا يبقى بين أيدينا من الأصول إلا النسخة « ب » وإلا ما تسعفنا به النسخة «ك» و «ع» .

الأمراء بنو مُنقذ الكنانيّون

من

شيزر (١)

كانوا من أهل بَيْتِ المَجْد والحَسَب ، والفضل والأدب ، والحماسة والسّماحة ، والحصافة والفصاحة ، والفروسيّة والفِراسة ، والإمارة والرِّئاسة . اجتمعت فيهم أسباب السيادة ، ولاحتْ من أساريرهم وسِيَرِهم أمارات السّعادة ، يُخَلِّفون المجد أوّلاً لآخر ، ويرثون[٢] الفضل كابراً عن كابر . أمّا الأدبُ فهم شموعه المشرقة ، ورياضه المونِقة ، وحِياضه المُغْدِقة ، وأمّا النّظم فهم فُرسان مَيْدانه ، وشُجْعان فُرسانه ، وأرواح جُثمانه .

قال مجد العرب[٣] العامريّ بأصفهان في سنة نيّفٍ وأربعين وهو يُثني عليهم ، ويَثْني عِنان مجده إليهم : أقمت في جَنابهم مُدّة ، واتّخذتهم في الخطوب جُنّة ، وللأمور عُدّة ، ولم أَلقَ في جوارهم جَوْراً ولا شِدّة . وممدوحه منهم ، الأمير عِماد الدولة أبو العساكر سلطان بن علي بن مُقَلَّد بن مُنْقِذ[٤] ، وما زالوا مالكي شَيْزَرَ ومُعْتَصِمين بحَصانتها ، مُمْتَنعين بمَناعتها ، حتى جاءت الزلزلة في سنة نَيِّفٍ[٥] وخمسين[٦] فخرَّبتْ حِصنها . وأذهبتْ حُسْنها ، وتملّكها نور الدين عليهم وأعاد بناءها فتشعّبوا شُعَباً ، وتفرقوا أيدي سبا . فمنهم :

---

(١) بلد وحصن منيع قريب من حماة ، معروف إلى اليوم بهذا الاسم . (٢) في «ب» : ويورثون ، ولعلها : ويورّثون .

(٣) انظر في التعريف به الهامش الأول من الصفحة ٧٩ . وانظر قولة العامري فيهم في معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٢٧

(٤) ترجم له ابن عساكر « التهذيب ج ٦ ص ١٨٧ » فقال عنه : سلطان بن علي بن مقلد بن نصر القضاعي أبو العساكر الكنانيّ ، ولد بأطرابلس سنة أربع وأربعمائة وسمع من الفقيه ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي إمرتها ، وله شعر ، أورد منه مقطوعة في وصية أولاده أولها :

أبَنيّ لست بعـالمٍ ما أصنع ... بكمُ أأجمع شملكم أم أصدعُ

توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بشيزر . وانظر النجوم الزاهرة « ج ٥ ص ١٨٠ » وزامباور « معجم الأسرات الحاكمة ج ١ ص ١٦٥ » . (٥) تغيب الكلمة في «ب» وما هنا عن «ع» ومعجم الأدباء .

(٦) انظر قصة ذلك في الروضتين ج ١ ص ١٠٤

الأمير مُؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مُرشد[1]

ابن علي بن مُقلَّد بن نَصْر بن مُنْقِذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار[2] بن زياد بن رغيب[3] بن مَكْحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك[4] ابن أبي مالك بن عَوْف بن كِنانة بن بَكْر بن عُذْرة بن زيد اللّات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك ابن حِمْيَر بن مُرَّة بن زَيْد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان[5] بن عابَر[6] بن ارفَخْشَذْ[7] بن سام بن نوح بن لَمَك[4] بن مَتَوْشَلَخ بن أَخْنُوخ[8] بن يَرْد[9] بن مَهْلائيل بن قَيْنان بن أَنُوش بن شِيث بن آدم عليه السلام .

أُسامة كاسْمه ، في قوّة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أمارة الإمارة ، ويؤسّس بيتَ قريضه عِمارةُ العِبارة ، نُشِر له عَلَمُ العلم ، ورَقِيَ سُلَّمَ السِّلْم ، ولَزِم طريق السَّلامة ، وتنكَّب سُبُل المَلامة ، واشتغل بنفسه ، ومُحاورة أبناء جنسه ، حُلْوُ المُجالسة ، حالي المساجلة ، نَدِيّ النَّدِيِّ بماء الفُكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف ، أسكنه عِشق الغُوطَة ، بدمشق المغبوطة ، ثم نَبَتْ به كما تنبو الدّار

---

(١) تقدم التعريف به في الهامش الخامس من الصفحة ٧٦ . وانظر أيضاً في تهذيب تاريخ ابن عساكر « ج٢ ص ٤٠٠ » وفي معجم الأدباء لياقوت « ج ٥ ص ١٨٨ نشرة الرفاعي » وفي مقدمة لباب الآداب التي كتبها الأستاذ أحمد محمد شاكر ترجمتَه وطائفةً من شعره . وفي الروضتين لأبي شامة تتوزّع أخباره وأشعاره ، وانظر بخاصة ج ١ ص١١١ - ١١٣ و ص ٢٦٤ . وكتب أسامة أطرافاً من سيرته في كتابه « الاعتبار » نشر جزءاً منه درنبورغ « ليدن ١٨٨٤ » ونشره نشرة أكمل فيليب حتي « برنستون ١٩٣٠ »

(٢) في الأصل : سرار . (٣) في الأصل : رعيب . (٤) في الأصل : ملك .

(٥) قابل هذه السلسلة بما عند ياقوت وفي مقدمة لباب الآداب . (٦) في الأصل : غابر .

(٧) في بعض كتب الأنساب بالدال المهملة . (٨) في الأصل : خنوخ . (٩) في الأصل : يزد .

بالكريم ، فانتقل إلى مصر[١] فبقي بها مُؤمَّراً مُشاراً إليه بالتعظيم ، إلى أيّام ابن رُزِّيك[٢] فعاد إلى الشام ، وسكن دمشق مَخْصوصاً بالإكرام ، حتى أُخذت شَيْزَرُ من أهله ، ورَشَقهم صَرْفُ الزمان بنَبْله ، ورماه الحدثان إلى حِصن كَيْفا[٣] مقيماً بها في ولده ، مُؤْثِراً بلدها على بلده ، حتى أعاد الله دمشق إلى سَلْطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيّوب في سنة سبعين . ولم يزل مَشغوفاً بذكره ، مُسْتَهْتَراً بإشاعة نظمه ونثره ، والأمير العضد مُرْهَف[٤] ولد الأمير مؤيّد الدولة جَليسه ، ونَديمه وأنيسه ، فاستدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين وكنت قد طالعت مُذَيَّل السمعاني[٥] ووجدته قد وصفه وقرّظه ، وأنشدني العامريّ[٦] له بأصفهان من شعره ما حَفِظه ، وكنت أتمنّى أبداً لُقياه ، وأشيم على البُعْدِ حَياه ، حتى لَقيته في صَفَرَ سنة إحدى وسبعين بدمشق وسألته عن مولده ، فقال : سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، يوم الأحد السابع والعشرين من جُمادى الآخرة[٧] . وأنشدني لنفسه البيتين اللذَيْن سارا له ، في قَلْع ضِرسه[٨] :

وصاحبٍ لا أَمَلُّ الدَّهرَ صُحْبَتَهُ ... يشقى لنفعي ويسعى سَعْيَ مُجْتَهِدِ

---

(١) انظر ابن خلكان في تأريخ قدومه مصر . (٢) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ١٨٧

(٣) بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر « بلدة فوق الموصل » من ديار بكر .

(٤) سيخصه العماد بالحديث فيما نستقبل من تراجم . (٥) انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٠

(٦) انظر في التعريف به الهامش الأول من الصفحة ٧٩ . (٧) في « ب » : سابع عشري جمادى الآخرة . وما هنا عن ابن خلكان . ويضيف : قات بقلعة شيزر ، وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة بدمشق رحمه الله تعالى ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه .

(٨) في ابن خلكان : ونقلت من خط الأمير أبي المظفر أسامة بن منقذ المذكور لنفسه وقد قلع ضرسه وقال : عملتها ونحن بظاهر خلاط « بلد بأرمينية » وهو معنى غريب ويصلح ان يكون لغزاً في الفرس . ويورد أبو شامة في الروضتين « ج ١ ص ٢٦٤ » أنه وجد هذين البيتين مع بيتين آخرين في ديوان ابن منير الطرابلسي ، ثم يوجه ذلك ويعلله . وقد جاء البيتان في الديوان وعند ابن عساكر وابن خلكان بروايات متقاربة .

لم أَلْقَه مُذْ تصاحَبْنا فحين بَدا ... لناظريَّ افترقنا فُرْقَةَ الأبَدِ

لو أنصفتَ فَهْمك إن كنت مُنْتَقِداً ، فرقيتَ عن مَرْقَب وَهْمِك مُجْتهداً ، وغُصْتَ بنظرِ فكرِك في بحار معـانيه ، لغنِمت من فوائد دُرَره ولآليه ، ولَعلمتَ أنّ الشِّعر إذا لم يكن هكذا فَلَغْوٌ ، وأنه إذا لم يبلغ هذا الحدّ من الجِدّ فهُجْرٌ ولَهو . ومَنِ الذي أتى في وصف السنّ المقلوع ، بمثل هذا الفنّ المطبوع ، فهل سبقه أحدٌ إلى معنـاه ، وهل ساواه في هذا النَّمَطِ سِواه .

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه ، في معنى قَلْع ضِرسه :

وصاحبٍ صاحبني في الصِّبا ... حتى تَرَدَّيْتُ رِداءَ المشيبْ

لم يَبْدُ لي ستين حَوْلاً ولا ... بَلَوْت من أخلاقه ما يَريب

أفْسده الدَّهْرُ ومن ذا الذي ... يحافظ العهدَ بظَهْر المَغيب

ثم افترقنا لم أُصِبْ مِثْلَه ... عُمْري ، ومثلي أبداً لا يُصيب

فاعجب لها من فُرْقةٍ باعدتْ ... بين أليفَيْن وكلٌّ حبيب

* * *

وأنشدني لنفسه من قديم شعره :

قالوا نَهتْهُ الأربعون عن الصِّبا ... وأخو المَشيب يجور[1] ثُمَّتَ يَهْتدي

كم حار في لَيْلِ الشَّباب فدَلَّهُ ... صُبْحُ المَشيب[2] على الطريق الأَقْصَد

(١) في « ب » : يحوم ، وما هنا عن « ع » . (٢) في مصورة الديوان : كم ضلّ . . وضح المشيب . وسنشير في التعليقات التالية إلى مصورة الديوان « مصورات المجمع العلمي العربي رقم ١٢٥ عن نسخة دار الكتب المصرية » كما وقفنا فيها على مختارات العماد .

وإذا عَدَدْتُ سِنِيَّ ثم نَقَصْتُها ... زَمَنَ الهُموم ، فَتِلْكَ ساعةُ مَوْلِدي[١]

تَعَجَّبْ من مقاصد هذه الكَلِمِ ، وتَعَرَّضْ لِمَوارد هذه الحِكَم ، واْقضِ العَجَب كلَّ العَجَب ، من غَزارة هذا الأدب ، ولولا أنّ المِداد أفضلُ ما تُرْقَمُ به صحائف الكتب ، لحرَّرْتُ هذه الأبيات بماء الذهب[٢] ، فهذا أبلغ[٣] من قول أبي فراس بن حَمْدان[٤] :

ما العمرُ ما طالتْ به الدّهورُ ... العمرُ ما تَمَّ به السرورُ

أيّامُ عِزّي ونَفاذ أمري ... هي التي أَحْسُبُها من عمري[٥]

فالفضل للمُتقدِّم في ابتكار المعنى وللمتأخر في المبالغة ، حيث ذكره في بيتٍ واحد ولم يجعل له نصيباً من العمر إلاّ ساعةَ مَوْلِده . فجميع الحياة على الحقيقة نَصَب ، وألم وتعب .

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه من قديم نظمه :

تَجَرَّمَ حتى قد مَلِلْتُ عِتابَهُ ... وأعرضتُ عنه لا أُريدُ اقترابَهُ

إذا سقَطتْ من مَفْرِقِ المرء شَعْرَةٌ ... تأفَّفَ منها أن تَمَسَّ ثِيابَهُ[٦]

* * *

وأنشدني من قديم قوله في السُّلْوان أيضاً :

لم يَبْقَ لي في هَواكُمُ أَرَبُ ... سَلَوْتُكُمْ ، والقُلوبُ تَنْقَلِبُ

---

(١) الأبيات في مصورة الديوان «باب الشواهد والامثال» . (٢) انظر الأبيات وتعليق ياقوت الذي يشبه أن يكون نقداً للعماد في معجم الأدباء ج ٥ ص ١٩٤ (٣) لم ترد (فهذا أبلغ) في الأصل ، واستدركت من « ع » .

(٤) الشاعر المعروف ، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي ، ابن عم سيف الدولة . أمير فارس له وقائع كثيرة قاتل فيها الروم مع سيف الدولة ثم أُسر بمنبج ، وكان متقلداً لها . عُرف شعره في الأسر بالروميات . مات قتيلاً قرب حمص قتله أحد أتباع أبي المعالي بن سيف الدولة وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، وبينهما تنافس .

(٥) البيتان من مزدوجة أبي فراس الطردية . (٦) البيتان في مصورة الديوان «باب المكاتبات والمعاتبات» .

أَوْضَحْتُمُ لِيَ سُبْلَ السُّلُوِّ وقد كانت لِيَ الطُّرْقُ عنه تَنْشَعِبُ
إلامَ دَمعي من هَجْرِكُم سَرِبٌ قانٍ ، وقلبي من غَدْرِكُم يَجِبُ
إن كان هذا لِأَنْ تعبَّدني الْـــحُبُّ فقد أَعْتَقَتْنِيَ الرِّيَبُ
أَحْبَبْتُكُمْ فوق ما توهَّمه الـــنَّاس وخُنْتُمْ أضعافَ ما حَسبوا(١)

تَأَمَّل هذه المعاني والأبيات ، بِمَيْن التأنّي والتّثبات ، تعرف أنّ قائلها من ذوي الحَمِيَّة ، والنفوس الأَبِيّة ، والهمم العَلِيّة ، وكلّ من يملكه الهوى ويسترقُّه ، قلّما يطلقه السُّلُوّ ويُعْتِقُه ، إلاّ أن يكون كبيراً غاب عقلُه هواه ، واستهجن في الشهوات المذمومة نيلَ مُناه . وقوله : « فقد أعتقتنيَ الرِّيَبُ » في غاية الجَوْدَة ونهاية الكمال ، أعذبُ من الزلال ، وأطيب من السِّحر الحلال ، وألعب بقلوب المُتَيَّمين من نسيم الشَّمال .

* * *

وقوله أيضاً من قديم شعره :

إذا اختلفت في الهوى عني إساءتُهُ أبدى تَجَنِّيه ذنبي قَبْلَ أَجْنيه
كذاك إنسانُ عيني لا يزال يرى عَيْبي ، ولستُ أرى العيبَ الذي فيه

* * *

وقوله أيضاً :

يا دهرُ ما لكَ لا يَصُـــدُّكَ عن إساءَتِيَ العِتابْ

---

(١) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص ١٩٦ وهي في الديوان «باب المكاتبات والمعاتبات» في سبعة أبيات ، فالأول : لم يق ،
والثاني : وضعتُ عني أثقال حبّكمُ وحامل الحبّ مثقَل تَعب
والثالث : ودّي فدى ودّكمْ وغفنِيَ أجـــفاني عليه من فعلكمْ عَجَبُ
والرابع : إلام ، والخامس : إن كان ، والسادس :
أريتموني نهج السلو وقد كانت لي الطرق عنه تنشعب
والسابع : احببتكم . . ولم يرد البيت : أوضحتم . . في الصورة .

أمْرَضتَ من أهوى ويأْ بىْ أن أمرِّضَهُ الحجابُ[1]

لو كنتَ تُنْصِفُ كانت الْـ أمراض لي وله الثّوابُ[2]

قد قيل في مرض الحبيب كلُّ معنًى بِكْر ، مُخْتَرَع لديه[3] ومُبْتَدَع فِكر ، إلاّ أن هـذه الأبيات لطيفة المغزى[4] طريفة المعنى ، مَقْصِدها سُهَيْل ، ومَوْرِدها سهل ، لو سمِعَتْها في البادية عقيل لم يثبُتْ لهـا عَقْل ، ولا شكَّ أن حبيبه عند استنشاق هوائها ، فاز بِبُرْءِ مُهْجَته وشفائها .

هذه الأبياتُ كنت نقلتُها من تاريخ السّمعاني[5] فلما لقيت مؤيِّد الدولة قرأتها عليه وكنت أثبتُّها على هذا الوجه . أبصر مني العينان ، وإن لم يحط السّمعان ، من أنباء تاريخ السّمعاني ، الحاوي للمعاني ، أبياتاً رواها ، وناظمها بماء الحكمة رَوّاها ، وقد بدّدْتها في كتابي هذا غَيْرَةً[6] من المُلْتقِط ، وحِفْظاً لها من العِيِّ[7] المُشْتَطّ المشترط .

وأما أشعاره التي أنشدنيها بدمشق سنة إحدى وسبعين من نظمه على الكِبَر قوله حين قلت له : هل لك معنًى مُبتَكَرٌ في الشيب :

لو كان صَدَّ مُعاتِباً ومُغاضِبا أرضيتُه وتركتُ خَدّي شائبا[8]

لكن رأى تلك النّضارة قد ذَوَتْ لمّا غدا ماء الشّبيبة ناضِبا

ورأى النُّهى بعد الغَواية صاحبي فثنى العِنان يُريغ غيري صاحبا

---

(١) في « عود الشباب » : . . . وما بي أن يمرّضه الحجاب . (٢) الأبيات في مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » بلفظ : الأمراض بي . وأورد ياقوت « ج ٥ ص ١٩٧ » بعدها : أخذ هذا المعنى من قول الشاعر : يا ليت علّته لي غير أن له أجرَ المريض وأني غير مأجور

(٣) كذا ، ولعلها : بديهة . (٤) في الأصل «ب» : المعري . (٥) انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٠ . (٦) في الأصل : عبرة . (٧) في الأصل : العي .

(٨) رواية مصورة الديوان : لو كان صدّ مغاضباً ومعاتباً أعتبته ووضعت خدّي تائبـا

وأَبيه ، ما ظَلَمَ المَشيبُ وإِنّه … أَمَلي ، فقلت عساه عني راغبا

أَنا كالدُّجى لمّا تناهى عُمرُه … نَشَرتْ له أَيدي الصّباح ذَوائبا[1]

وهذا معنًى مُبتكَرٌ في الشَّيْب لم يُسْبَق إليه .

* * *

وقوله :

أَنْستنيَ الأَيّامُ أَيامَ الصِّبا … وذَهَلْتُ عن طِيب الزّمان الذّاهِب

وتنكّرتْ حالي فكلُّ مآربي … فيما مضى ما هُنّ لي بمآرب

* * *

وقوله :

نهارُ الشَّيْبِ يكشف كلَّ رَيْبٍ … تَكَفَّلَ سَتْرَه لَيْلُ الشَّبابِ

يَنُمُّ على المَعايب والمَساوي … كما نَمَّ النُّصُول على الخِضاب

فهل لي بعد أَن ضَحَّى بِفَوْدي … نهارُ الشَّيْب ، عُذْرٌ في التّصابي

* * *

وقوله :

أَفْدي بُدوراً تَمالَوْا … على المَلال ولجّوا

قد كنت أَحسب أَني … من هجرهمْ لست أَنجو

هذا الذي كنتُ أَخشى … فأَين ما كنت أَرجو

* * *

(١) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص١٩٧ – ١٩٨ وهي في مصورة الديوان « باب الكبر والشيب » عشرة أبيات ورواية البيت الأخير : أنا كالدجى لما انتهى نشرت له … أيدي الصباح من الضياء ذوائبا .

وقوله :

قُلْ للذي خَضَبَ المَشيبَ جَهالةً ... دَعْ عنك ذا فلكلِّ صِبْغٍ ماحِ

أوَ ما ترى صِبْغَ اللّيالي كلّما ... جَدَّدْنَه[1] يَمْحُوه ضَوْءُ صباحِ

* * *

وقوله في مَحْبوس :

حَبَسوك والطَّيْرُ النواطق إنّما ... حُبِسَتْ لِمِيزتِها على الأَنْدادِ

وتهيَّبوك وأنت مُودَعُ سِجْنِهِمْ ... وكذا السُّيوف تُهابُ في الأَغْماد

ما الحبسُ دارُ مَهانةٍ لِذوي العُلىٰ ... لكنه كالْغِيلِ لِلْآسادِ[2]

* * *

وأنشدني قوله في الشمعة :

أنظر إلى حُسنِ صبرِ الشمعِ يُظْهِرُ للـ ... ـرائين نُوراً وفيه النار تَسْتَعِرُ

كذا الكريم تراه ضاحكاً جَذِلاً ... وقلبُه بدخيل الهَمّ مُنْفَطِرُ[3]

* * *

وقوله :

لَأَرْمِيَنَّ بنفسي كُلَّ مَهْلَكَةٍ ... مَخُوفةٍ يتَحاماها ذَوو الباس

حتى أُصادِفَ حَتْفي فهو أَجملُ بي ... من الخُمول وأستغني عن الناس[4]

* * *

---

(١) في الأصل : جددته . (٢) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص ١٩٨

(٣) البيتان في مصورة الديوان « باب الشواهد والامثال » وهي كذلك عند ياقوت ج ٥ ص ١٠٩ بلفظ : بدخيل الغم . (٤) الأبيات في مقدمة لباب الآداب عن الخريدة .

وقوله :

العجز لا يَنْقُصُ رِزْقاً ولا يَزيدُه حَوْلٌ ولا فَحْصُ
كلٌّ له رِزْقٌ سيأتيه لا زيادةٌ فيـه ولا نَقْصُ
قد ضَمِنَ اللهُ لنـا رزقَنا جاءت به الآثار والنَّصّ
فما لنا نطلبُ من غيره لولا قنوطُ النَّفس والحِرْص

* * *

وقوله في نِفاق الدهر :

نافقتُ دَهْري فوجهي ضاحِكٌ جَذِلٌ طَلْقٌ ، وقلبي كئيبٌ مُكْمَدٌ باكِ
وراحةُ القلب في الشَّكْوى ، ولَذَّتُها لو أمكنت ، لا تُساوي ذِلَّةَ الشاكي[1]

قد تَمَكَّنَتْ كلمة « لو أمكنت » فما أحسنَها مَوْقِعاً ، وأجملَها مَوْضِعاً ، ثم قارن اللذَّةَ بالذِّلَّة وهما متجانسان .

* * *

وقوله :

إذا حال حالِكُ صِبْغ الشَّباب سقى عَهْدَه الغيثُ من حائلِ
فماذا الغُرور بِزُورِ الخِضا ب لولا التَّعَلُّلُ بالباطلِ

* * *

وقوله من قديم شعره :

أأن[2] غضَّ دَهْري[3] من جماحِيَ أو ثَنَى عِنانِيَ أوْ زَلَّتْ بأخْمَصِيَ النَّعْلُ
تظاهر قَوْمٌ بالشَّماتِ جَهالةً وكم إحْنَةٍ في الصدر أبرزها[4] الجهلُ

(١) الأبيات عند ابن عساكر « التهذيب » ج ٢ ص ٤٠١ ، وعند ياقوت ج ٥ ص ١٩٩ ، وفي مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » .
(٢) في الأصل : لئن ، وما هنا عن مصورة الديوان .
(٣) في مصورة الديوان : دهرٌ .
(٤) في الأصل : آزرها ، وما هنا عن الديوان وياقوت .

وهل أَنا إِلاّ السَّيْفُ فَلَّ حَدَّه قِراعُ الأَعادي ثم أَرْهَفَهُ الصَّقْلُ[1]

* * *

وقوله :

لا تُوصِ عند المَوْتِ إِلـــــلا بالوديعة والدّيونِ
وَدَعِ التَّشاغُلَ بالحُطــــام كفاكِ شُغْلُكَ بالمَنون
فَوَصِيَّــةُ الأَموات بالــــأَحياء من شُعَبِ الجُنون

وما أَحسن بيت المعري :

يُوَصّي الفتى عند المَماتِ كأَنه يَمُرُّ فيَقْضي حاجةً ويعودُ[2]

* * *

ورأَيته وقد أُهدي له دُهْنُ البَلَسان ، فسأَلتُ عنه ، فقال : كتبتُ إِلى المُهَذَّب الحكيم أَبن النقّاش هذه الأَبيات على لسانِ [3]:

رُكْبَتي تَخْدم المهذَّبَ في العِلْــــم وفي كلّ حِكْمةٍ وبيانِ
وهي تشكو إِليه تأْثير طولِ الْــــعُمْر[4] في ضَعْفِها ومَرّ الزمان
فبِهـا فاقةٌ إِلى ما يُقَوِّيــــها على مَشْيِها من البَلَسان
كلّ هـذا عُلالةٌ ، ما لمن حا زَ[5] الثمانين بالنُّهوض يدان
رَغبةٌ في الحياة من بعد طول الــــعُمْر ، والمَوْتُ غاية الإِنسان

---

(١) الأبيات في مصورة الديوان «لباب الأدب» ، وعند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٠ (٢) اللزوميات ، بلفظ : عند الحمام .
(٣) في الأصل «ب» بعد « لسان » لفظة أخرى لاتتبين لقراءة . وانظر في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة « ج ٢ ص ١٦٢ » ترجمة ابن النقاش وأبيات أسامة ، وفيه : وكتب أسامة يستهدي دهن بلسان .
(٤) في مصورة الديوان : الدهر . (٥) كذا في الاصل . وفي عيون الأنباء : جاز .

وقوله :

لا تَحْسُدَنّ على البَقاء مُعَمَّراً فالموتُ أيْسَرُ ما يؤول[1] إليه
وإذا دعوتَ بطول عُمْرٍ لأمرئ فاْعلم بأنك قد دَعَوْتَ عليه

* * *

وقوله :

يا ربِّ عفواً عن مُسِيــــــءٍ خائفٍ ما كان منهُ
مُتَيَقِّن أنْ سوف يَصْــــلى النار إن لم تعفُ عنه

* * *

لمّا أنشدني في الشيب أنشدته لنفسي :

ايـامُ الشَّبـاب تولىَّ والشيْب صُبْحٌ تألّقْ .
ما الشَّيْبُ إلا غُبـارٌ من رَكْضِ عُمري تعلّقْ[2]

وقلتُ : ما أظنُّ أني سُبقت إلى هذا المعنى . فأنشد لبعضهم بيتين وهما :

قالوا غبـارٌ قد عَلا كَ فقلتُ : ذا غيرُ الغُبارِ
هـــذا الذي نقل الملو كَ إلى القبور من الديار

قلتُ : ولكن حققتُ أنّه من غبار ركض العمر ، وهو معنى مبتكر .

* * *

(١) في الأصل : تؤول . وما هنا عن ياقوت ج ٥ ص ٢٠٠
(٢) انظر الصفحة ٩٤ من هذا الجزء فقد سبق ذكر هذه الأبيات هناك .

وحضرتُ عند الأمير مؤيَّد الدولة أُسامة يوماً آخر بدمشق سنة إحدى وسبعين .
فأنشدني قوله في القديم في أستدعاء صديقٍ إلى مجلس المنادمة بالمَوْصل وقد غاب عنها :

أَمُهَذَّبَ الدين أستمِعْ من عاتبٍ   لولا وِدادُك لم يَفُهْ بِعتابِ
أَتُطيعُ فِيَّ الدهرَ وهو كما ترى   يقضي عَلَيَّ بفُرْقة الأَحباب
أَمَلِلْتَني وجعلتَ سُكْرك حُجَّةً   ونهضت ، أم لم تستحلَّ شرابي
قَسَماً لئن لم تأْتني مُتَنَصِّلاً   مُتَبرِّعاً بالعُذْر والإِعتاب
لَأُحَرِّمَنَّ الخَنْدريس وأغتدي   مُتَنَمِّساً بالماء والمِحراب
وتَبُوءُ مُعْتَمِداً بإِثمِ تَنَسُّكي   وَبِعابِهِ ، أَعظِم به مِنْ عاب

* * *

وقوله في الشوق والمكاتبة :

لو أن كُتْبي بقَدْر الشَّوْقِ واصلةٌ   تتابَعتْ كَدُموعي أو كأَنفاسي
وإن وجدتُ سبيلاً أو قَدَرْتُ على   خلاص عَقْلِ أسيرٍ في يد الكاسِ
أَجْرَيْتُ أسودَ عَيْني فوق أبيضها   بمائها لا مِداداً فوق قِرطاسِ
وقلتُ للشوق يا سَحبانُ[1] أَمْلِ على   يدي ، أُعيذُكَ مِنْ عِيٍّ وإبلاس
حتى أبوحَ بما أشكو إليك كما   باحَ المريض بشَكْواه إلى الآسي

* * *

(١) انظر في التعريف به الهامش الرابع من الصفحة ٣٣٦

وقوله في العِذار :

أُنظر شَماتَةَ عاذلي وسُرورَه ... بكُسوف بَدْري واُشتهار محاقِهِ
غطّى ظلامُ الشَّعْرِ من وَجَناته ... صُبْحاً تُضيء الأَرضُ من إشراقه
وهو الجهول يقولُ هذا عارضٌ ... هو عارضٌ لكن على عُشّاقه[1]

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

ما أنت أوّل مَنْ تناءتْ دارُه ... فَعلامَ قلبُك ليس تخبو نارُه
إمّا[2] السُّلُوُّ أو الحِمام ، وما سِوى ... هذَيْن قسمٌ ثالث تختاره
هذا وُقوفُك للوَداع وهذه ... أَظْعان مَنْ تَهْوى وتلك دياره
فاُستَبْقِ دمعك فهو أوّلُ خاذلٍ ... بعد الفِراق وإن طما تيّاره
فَذَرِ الدُّموعَ تَقِلُّ عن أَمد النَّوى ... إن لم يكن من لُجَّةٍ تَمْتاره[3]
لَيْتَ المطايا ما خُلِقن فكم دمٍ ... سَفكَتْه ، يُثْقِلُ غيرَها أَوزاره
ما حَتْفُ أَنفسِنا سواها إنها ... لَهِيَ الحِمام أُتيح أو إنذاره[4]
لو أنّ كلَّ العِيس ناقةُ صالحٍ ... ما ساءني أَني الغَداة قُداره[5]

* * *

(١) الابيات في مصوّرة الديوان « باب الغزل » .   (٢) في الأصل والديوان : أما .

(٣) في هامش « ب » : لو قال : لو انه من لجة تمتاره لكان أبلغ . ورواية البيت في مصورة الديوان :
مَدَدُ الدموع يقلّ عن أمد النوى ... إن لم تكن من لجة تمتاره

(٤) في هامش الأصل « ب » : هذا من قول الأول : ما فرّق الأحباب بعد الله الا الإبلُ . . الأبيات .
وانظر الأبيات لأبي الشيص في العقد الفريد ج ٥ ص ٣٧٤ « نشرة العريان » .

(٥) هو قدار بن سالف عاقر الناقة . والقصيدة في مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » في ٣٢ بيتاً .

وتناشدنا بيتاً للوزير المغربي[١] في وصف خفقان القلب وتشبيهه بظلّ اللّواء الذي تخترقه الريح وهو :

كأنَّ قلبي إذا عَنّ أُذّكارُكُمُ ظِلُّ اللواء عليه الريحُ تَخْتَرِق

فقال الأمير مُؤيَّد الدولة أُسامة : لقد[٢] شبّهتُ القلب الخافق وبالغتُ في تشبيهه وأربَيْتُ عليه في قولي من أبياتٍ هي :

أحبابَنا ، كيف اللقاء ودُونَكُمْ عرضُ[٣] المَهامِه والفيافي الفيحُ

أبكَيْتُمُ عيني دماً لفراقكم فكأنّما إنسانها مجروح

والبيتُ المُشار إليه :

وكأنّ قلبي حين يَخْطُرُ ذكركُمْ لَهَبُ الضِّرام تعاورته الرّيح[٤]

فقلت : له صدقتَ ، فإن الوزير المغربيّ قصد تشبيه خفقان القلب[٥] وأنت شَبَّهتَ القلب الواجد[٦] باللهب ، وخفقانَه باضطرابه عند اضطرامه لتعاور الريح ، فقد أرْبَيْتَ بالفصاحة على ذلك الفصيح .

* * *

(١) ابو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي ، وزير من الدهاة الادباء العلماء ، ولد بمصر سنة ٣٧٠ ، وقتل الحاكم الفاطمي أباه ، فهرب الى الشام ثم الى بغداد والموصل وتقلبت به الأحوال الى ان استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد ، وحدث ما اوجب مفارقة مشرف الدولة بغدادَ فخرج الوزير معه منها وقصد ابا نصر بن مروان بميافارقين ، وأقام عنده على سبيل الضيافة الى ان توفي سنة ٤١٨ . له ديوان شعر ونثر و « مختصر اصلاح المنطق » في اللغة و « الايناس » و « أدب الخواص » و « والمأثور في ملح الخدور » . « الأعلام وابن خلكان »

(٢) في الأصل : فقد . وما هنا عن معجم الادباء . (٣) عند ابن عساكر : خوض .

(٤) الأبيات عند ابن عساكر ج ٢ ص ٤٠١ وياقوت ج ٥ ص ٢٠١

(٥) عند ياقوت : قصد تشبيهه خفقان القلب . (٦) عند ياقوت : الواجب .

وأنشدني أيضاً من قوله أيام شبابه وهو مُعْتَقَلٌ وقد جرى ذكر الخيال :

ذَكَرَ الوفاءَ خيالُكَ المُنْتابُ ... فألَمَّ وهو بودّنا مُرْتابُ
نفسي فِداؤكَ من حبيبٍ[1] زائرٍ ... مُتَعَتِّبٍ[2] عندي له الإعتاب
مُسْتَشْرِفٍ كالبدر خَلْفَ حجابِهِ ... أوَ في الكرى أيضاً عليك حِجاب
ودّي كعهدِكَ والدّيارُ قريبةٌ ... من قبل أن تتقطّعَ الأسباب
ثَبْتٌ فلا طولُ الزّيارة ناقِصٌ ... منه ، وليس يزيده الإغْباب
حَظَرَ[3] الوفاءُ عليّ هَجْرَكَ طائعاً ... وإذا اقْتُسِرتُ[4] فما عليّ عِتاب[5]

قلت له أحسنت . وتذاكرنا قولَ أبي العلاء المعري في الخيال[6] :

لو حَطَّ رحليَ فوق النجم رافعُه ... ألفيتُ ثَمَّ خيالاً منكَ مُنْتَظِري[7]

وأبلغ من هذا[8] في بعد المسافة[9] :

وذكرتُ كم بين العَقيق إلى الحمى[10] ... فجزِعْتُ من أمد النّوى[11] المُتطاوِلِ

(١) في مصوّرة الديوان : من خيال .
(٢) في الأصل : متغيّب .
(٣) في الأصل : خطر .
(٤) في الأصل : اقتسرت .
(٥) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٢ . وهي في مصوّرة الديوان « باب الغزل » بزيادة البيت :
أنكرت هجري والزمان بجَوْره ... يقضي بأن تتهاجر الأحباب
وبعده البيت : حظر الوفاء . . ثم : ودي كعهدك . . ثم : ثبت فلا . .
(٦) في الأصل : في الخال .
(٧) البيت الخامس من قصيدته « في سقط الزند » :
يا ساهر البرق أيقظْ راقد السَّمَرِ ... لعلّ بالجزْع أعواناً على السَّهر
(٨) عند ياقوت : وأبلغ من هذا قول المعري في . . .
(٩) في هامش الأصل « ب » التعليقة التالية : حكاية حاشية على الأصل ، انا كتبتها على الأصل ، ما أعجب قول العماد رحمه الله « وأبلغ من هذا في بعد المسافة » أتراه لم يعلم ان المراحل لو كانت الف مرحلة كان النجم أبعد منها والسلام .
(١٠) رواية سقط الزند : الفقتى .
(١١) عند ياقوت : أمد المدى .

وعَذَرْتُ طَيْفَكَ في الجفاء فإنه يَسْري فَيُصْبِحُ دونَنا بمراحِلِ[1]

* * *

ثم أنشدني الأمير أسامة قصيدةً نُونيّة ، لنفسه ، منها :

مُحيّاً ما أرى أَمْ بَدْرُ دُجْنِ وبارقُ مَبْسِمٍ أم برقُ مُزْنِ

وثغرٌ أم لآلٍ أم أقاحٍ وريقٌ أم رَحيقٌ بنتُ دَنّ

ولحظٌ أم سِنانٌ ركّبوه بأسمرَ من نبات الخطّ لَدْنِ[2]

ومنها :

فيا مَنْ منه قلبي في سعيرٍ وعيني منه في جنّاتِ عَدْنِ[3]

إذا فكّرتُ في إنفاق عُمري ضَياعاً في هواكَ قَرَعْتُ سِنّي

---

(١) الابيات الثلاثة عند ياقوت ج٥ ص٢٠٣ . والبيتان الأخيران هما البيت السابع والثامن من قصيدة المعري « في سقط الزند » :

ليت الجياد خرسنَ يومَ جُلاجِل ورُزقن عقلاً في تنائف عاقل

(٢) وبعده في مصورة الديوان :

وأين من الظُّبا ألحاظُ ظَبْيٍ ثناني عن سُلوّي بالتثني

اذا جاء الملال له بجرمٍ محاه وجه بشفيع حسن

(٣) وبعده في مصورة الديوان :

حباكَ هواي منى محض وُدٍّ تنزّه عن مُداجاة وضِغن

وقبلك ما تملّكه حبيب ولا سمحت به نفسي لخدن

أحين خابتني وملكت قلبي قلبت لخالتي ظهر المجنّ

فهلاّ قبل يعلق في فؤادي هواك وقبل يغلق فيك رهني

تساورني همومي بعد وهن فترمي كل جارحةٍ بوهن

ألم يكفِ العواذل منك هجري وقلبك ما يجنّ من التجنّي

وآسَفُ كيف أَخْلَق عهدُ ودّي … وآسى كيف أخلف فيك ظنّي

وأَعجبُ[1] ما لقيتُ من الليالي … وأيُّ فِعالها بي لم يَسُؤني

تَقَلُّبُ قَلْبِ مَنْ مَثْواه قلبي … وجَفْوَةُ مَنْ ضَمَمتُ[2] عليه جفني[3]

* * *

وأنشدني لنفسه من قصيدة :

حتّامَ أرغبُ في مَودَّة زاهدِ … وأروم قُرْبَ الدّار من مُتباعِدِ

وإلامَ أَلتزمُ الوفاء لغادرٍ … جانٍ وأُسْهِرُ مُقْلَتيَّ لراقد[4]

وأقول هِجْرَتُه مَخافَةَ كاشحٍ … يُغْري بنا ، وحِذارَ واشٍ حاسِدِ

وأَظُنُّه يُبدي الجفاء[5] ضَرورةً … وإذا قطيعتُه قطيعةُ عامد[6]

ياهاجراً[7] أفنى اصطِباري هَجْرُه … وأبتزَّ ثوبَ تَماسُكي وتجالُدي

كيف السّبيلُ إلى وِصالك بعدما … عَفَّيْتَ بالهِجران سُبْلَ مَقاصدي

---

(١) في مصورة الديوان : وأوجع . (٢) في مصوّرة الديوان : طبقت .

(٣) القصيدة في مصوّرة الديوان « باب الغزل » . وعند ياقوت منها « ج ٥ ص٢٠٣ » البيتان الاخيران .

(٤) في مصوّرة الديوان . وأقرّ بالعتبى لجانٍ جاحد ، وبعده :

وعلام أُعمل فكرتي في سادرٍ … ساهٍ وأسهر مقلتيّ لراقد

وأروض نفسي في رضا متجرّمٍ … فاتت مودّته طلابَ الناشد

(٥) في مصورة الديوان : الصدود .

(٦) وبعده في مصوّرة الديوان :

من لي بنيل مودّةٍ ممذوقةٍ … منه يُبهرجها اختبار الناقد

أرضى بباطنها وأقنع بالمنى … منها وأدفع غيبها بالشاهد

(٧) في مصورة الديوان : ياظالماً .

ويلومُني في حَمْلِ ظُلْمِك جاهلٌ ... يَلْقى جَوًى قلبي بقلبٍ باردِ
يَزْري على صَبْري(١) بصبرٍ مُسْعِدٍ ... ويَصُدُّ عن دمعي بطرفٍ جامدِ(٢)
أتُراكَ يعطِفُك العِتابُ وقلَّما ... يَثْني العِتابُ عِنانَ قلبٍ شاردِ
هَيْهات وصْلُك عند عَنْقا مُغْرِبٍ ... ورضاكَ أبعدُ من سُهًى وفراقدِ
وَمِنَ العَناءِ طِلابُ ودٍّ صادقٍ ... من ماذقٍ وصلاحُ قلبٍ فاسدِ(٣)

* * *

وأنشدني لنفسه في الحَباب من أبيات :

وقد علاها حَبابٌ ... كاللؤلؤ المنظومِ
رأيت شمسَ نهارٍ ... قد رُصِّعتْ بالنُّجوم

* * *

واجتمعنا عند الملك الناصرِ صلاح الدين بدمشق ليلةً ، وكان يلعب بالشِّطْرَنج ، فقال لي الأمير أسامة : أما أُنْشِدُك البيتيْن اللذيْن قلتُهما في الشِّطْرنج . فقلت : هاتِ . فأنشدني لنفسه :

أنْظُر إلى لاعبِ الشِّطْرَنْج يجمعُها ... مُغالِباً ، ثم بعد الجمع يَرْميها

(١) في مصورة الديوان : جزعي . (٢) وبعده في مصورة الديوان :

لِمَ لاترقّ لناظرٍ أرّقته ... وحشا حشاه الوجد جذوة واقد
ومروّع يلقى العواذل في الهوى ... بفؤاد موتورٍ وسمع معاند
قلق الوساد كأن تحت مهاده ... أسداً ومضجعه نيوب أساود

(٣) الأبيات في مصورة الديوان « باب الغزل » .

كالمرءِ يكدحُ للدُّنيا ويجمعُها … حتى إذا مات خَلّاها وما فيها[1]

* * *

وأنشدني لنفسه ، وقد نظمه في غرضٍ له في نور الدين رحمه الله :

سلطانُنا[2] زاهِدٌ والناس قد زهِدوا … له فكلٌّ على الخيراتِ مُنْكَمِشُ

أيّامُه مثلُ شهرِ الصوم طاهرةٌ … من المعاصي، وفيها الجوعُ والعطش[3]

* * *

وأنشدني لنفسه :

أأحْبابنا هَلّا سَبَقْتُمْ بوَصْلِنا … صُروفَ اللّيالي قبل أن نتفرّقا[4]

تشاغلتُمُ بالهَجرِ، والوَصلُ مُمْكِنٌ … وليس إلينا للحوادث[5] مُرْتَقَى

كأنّا أخذنا مِنْ صُروفِ زمانِنا … أماناً ومن جَوْرِ الحوادثِ مَوْثِقا[6]

* * *

وقال :

قمرٌ إذا عايَنْتُه[7] شَغَفاً به … غَرَسَ الحياءُ بوَجْنَتَيْه شَقيقا

وتلهّبتْ خجَلاً، فلولا ماؤُها … مُتَرَقْرِقاً فيها[8] لصار حَريقا

---

(١) البيتان عند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٤ (٢) في مصورة الديوان : أميرنا .

(٣) البيتان في مصورة الديوان « باب الملح » ، وعند ياقوت « ج ٥ ص ٢٠٤ » ، وفي الروضتين « ج ١ ص ٢٢٩ » في معرض الحديث عن نورالدين وأنه « لا يبتهج بالمديح لما علم من تزيد الشعراء . قال : وإياه عنى أسامة بقوله : » ثم اورد البيتين .

(٤) في « ب » : تتفرقا . (٥) في مصورة الديوان : في الحوادث .

(٦) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٤ ، وفي مصورة الديوان « باب المكاتبات » .

(٧) في الأصل : عانيته ، وما هنا عن ياقوت . (٨) في الأصل : فيه ، وماهنا عن مصورة الديوان .

وأزورّ عني مُطرِقاً فأضلّني … أنْ أهتدي نحو السُّلوِّ طريقا[١]

* * *

وقال :

صَدَّ عنّي وأعْرَضا … وتناسى الذي مضى

واستمرّ الصدود وانـ … ـقطع الوصلُ وانقضى

واختفتْ في الهوى ذُنو … بٌ بَدَتْ حين أبغضا

صرّح الآن هَجْرُه … لي بما كان عرّضا

كلُّ عَيْبٍ يبين في السُّـ … ـخْطِ يخفى مع الرِّضا

وإذا استُعْطِف المَلو … لُ تجنّى وأعرضا

ليتَ مَنْ مَلّني وأنْـ … ـحَل جِسْمي وأمرضا

عاد بالوصلِ أو قضى … فيَّ بالعدل إذْ قضى[٢]

* * *

وقال :

أقولُ للعينِ في يومِ الوَداعِ[٣] وقدْ … فاضتْ بدمعٍ على الخدَّيْنِ مُسْتَبِقِ

تَزَوّدي اليومَ مِنْ توديعِهم نَظَراً … ثم أفْرُغي في غدٍ للدَّمْعِ والأرقِ[٤]

* * *

(١) الأبيات عند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٥ ، وفي مصورة الديوان « باب الغزل » . وبعده :

فلْيلحني من شاء فيه فَصبْوتي … بهواه سُكرٌ لستُ منه مُفيقا

(٢) في مصورة الديوان « باب الغزل » من هذه الابيات أربعة : الأول والثاني والرابع والسادس .

(٣) في مصورة الديوان : في يوم الفراق .

(٤) البيتان في مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » بلفظ : ففي غد تفرغي !

وقال في المعنى :

ياعينُ في ساعةِ التَّوْديع يَشْغَلُكِ الْـــبكاء عن آخر التَّسْليم والنَّظَرِ
خُذي بحظِّكِ مِنْهمْ قبلَ بَيْنِهِم ثم اُجْهَدي بعدَهُمْ للدَّمْعِ والسَّهَرِ[(١)]

* * *

وقال :

يا مُدَّعي الصَّبر عن أحبابه ، ولهُ دَمْعٌ إذا حَنَّ ذِكْراهُمْ يُكَذِّبُهُ
خَلَّفْتَ قلبك في أرضِ الشَّآم وقد أصبحتَ في مصر يامغرورُ تَطْلُبه
هلّا غداةَ النوى اُستصحبته وإذا اُخْـــتار المُقامَ فهلّا كنتَ تَصْحَبُه
أفردتَه بالأسى في دار غُرْبَته وعُدتَ ، لا عُدتَ ، تَبْكيه وتَنْدُبه
هَيْهاتَ قد حالتِ الأيّام بَيْنَكُما فَعَزِّ نَفْسَك عمّا عَزَّ مَطْلَبه

* * *

وقال :

صبري على فَقْدِ إخواني وفُرْقَتِهِمْ غَدْرٌ ، وأجْمَلُ بي من صَبْرِيَ الجَزَعُ
تقاسَمَتْهُمْ نوًى شَطَّتْ بهم ورَدًى فالحيُّ كالمَيْتِ ما في قُرْبِهِ طَمَعُ
وأصبحتْ وَحْشَةُ الغَبْراء دونَهُمُ مِنْ بَعْدِ أُنْسي بهم والشَّمْلُ مُجْتَمِعُ
وعِشْتُ مُنْفَرِداً منهم وأقسم ما يكاد مُنْفَرِدٌ بالعيش يَنْتَفِعُ[(٢)]

* * *

(١) البيتان في مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » بلفظ : وبعدهم فاجهدي في ...
(٢) الأبيات في مصورة الديوان « باب المراثي » وتقدمها : وقال وقد وصله كتاب بموت صديق .

وقال :

ما حياتي في المَلول يَظلِمُني ... وليس إن جار منه لي جارُ
ودادُه كالسَّحاب مُنتَقِلٌ ... وعهده كالسَّرابِ غرّارُ
آمَنَ ما كنتُ منه فاجأني ... بغدره ، والمَلولُ غدّار
عَوْني عليه مدامِعٌ سُفُحٌ ... وزَفْرَةٌ دون حرّها النار[1]

* * *

وقال :

أصبحتُ لا أشكو الخطوبَ وإنما ... أشكو زماناً لم يَدَعْ لي مُشتكى
أفنى أخلائي وأهلَ مودّتي ... وأباد إخوانَ الصفاء وأهلكا
عاشوا براحتِهم ومُتُّ لفقدِهم ... فَعليَّ يَبكي ، لا عليهم ، مَنْ بكا
وبَقيتُ بعدَهمُ كأنّي حائرٌ ... بمَفازةٍ لم يَلْقَ فيها مَسلكا[2]

* * *

وقال :

ونازحٍ في فؤادي مِنْ هَواه صَدى ... لم يَرْوِ غُلّتَه عَلّي ولا نَهَلي
في فيهِ ما في جِنانِ الخُلْد من دُرَرٍ ... ومن رُضابٍ ومن خمرٍ ومن عسل
لو كنتُ أعلمُ أنّ البين يفجؤني ... رَوّيْتُ، قبلَ النوى، قلبي من القُبَل[3]

* * *

(١) الأبيات في مصورة الديوان « باب الغزل » .

(٢) » » » » « باب المراثي » ، وفي تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٢٠ ؛

(٣) » » » » « باب شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق » بلفظ : بالعلّ والنهل في الأول ، ومن أقاحٍ ، ومن خمر ... في الثاني .

وقال :

إن يحسُدوا في السِّلْم مَنـــزِلتي من العِزِّ المُنيفِ
فبما أُهين النَّفْسَ في يوم الوغى بين الصُّفوف
ولطالما أقدمتُ إقـــدامَ الحُتوفِ على الحُتوف
بعزيمـةٍ أمضَى على حدِّ السيوف من السيوف(1)

* * *

وقال :

إلقَ الخطوبَ إذا طرقْـــنَ بقلبِ مُحْتَسِبٍ صبورِ
فسينقضي زمنُ الهمو م كما انقضى زمنُ السُّرور
فمن المحالِ دوامُ حا لٍ في مدَى العُمْرِ القصيرِ(2)

* * *

وقال :

بكاءُ مِثْلِيَ مِنْ وَشْكِ النَّوى سَفَهٌ وأَمرُ صَبْرِيَ بعد البَيْنِ مُشْتَبِهُ
فما يُسَوِّفُني في قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وليس في اليأس لي رَوْحٌ ولا رَفَهُ
أُكاتِمُ الناسَ أَشْجاني وأَحسَبُها تَخْفَى ، فيُعلِنُها الإِسْقامُ(3) والوَلَهُ
كأنني من ذُهول الهمّ في سِنَةٍ وناظري قَرِحُ الأَجفانِ مُنْتَبِهُ
أذنبتُ ثم أَحلتُ الذنبَ من سَفَهٍ على النَّوى ولَبِئْس العادةُ السَّفَهُ

---

(1) الأبيات في مصورة الديوان « باب ماقاله في الحماسة ووصف به شجاعته » ، وفي لباب الآداب ص ١٨٤

(2) الأبيات في مصورة الديوان « باب الأدب » .

(3) في مصورة الديوان : فتعلنها الأسقام . .

أقمتُ طوعاً وساروا ثم أندبُهم ... هلّا صحبتُ نواهم حيثُ ما اتجهوا

أضرّ بي ناظرٌ تدمى محاجرُه ... وخاطرٌ مُذ نأوا حيرانُ منشده

فما يلائمُ ذا بعد النّوى فرحٌ ... ولا يروق لهذا منظرٌ نَزِه

سَقياً لدهرٍ نعِمنا في غضارته ... إذ في الحوادث عمّا ساءنا بَلَهُ

وعيشُنا لم يخالط صفوَه كدرٌ ... وودُّنا لم تَشُبْ إخلاصَه الشُّبَه

مضى وجاء زمانٌ لا نُسَرُّ به ... كلُّ البريّةِ منه في الذي كرهوا[1]

* * *

وقال في الزّهد :

مثوبةُ الفاقِدِ عن فقدِه ... بصبره ، أنفعُ مِنْ وَجْدِه

يبكيه في حُزنٍ عليه فهل ... يَطمعُ في التّخليد مِنْ بَعْدِه

ما حيلةُ النّاس وهل مِنْ يدٍ ... لهمْ بدفعِ الموت أو صدِّه

وُرودُه لا بدّ منه ، فما ... يُنكَرُ[2] ما لا بُدَّ مِنْ وِرْدِه[3]

سِهامُه لم يَستَطِعْ[4] ردَّها ... داوودُ بالمُحكَمِ من سَرْدِه[5]

(١) الأبيات في مصورة الديوان « باب شكوى الفراق » . (٢) في مصوّرة الديوان : فلمْ ننكر .

(٣) في هامش الأصل التعليقة التالية : أخذه من أبي الطيب : نحن بنو الموتى . . البيت . .

يريد البيت : نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه

من قصيدته في رثاء عمة عضد الدولة وتعزيته بها . (٤) في الأصل : تستطع .

(٥) في هامش الأصل : من المعري . يريد الاشارة الى بيت المعري :

لا يصل الرُّمح الى طِرفه ... ولا الى المحكم من سَرْدِه

في قصيدته المشهورة في رثاء جعفر بن علي بن المهذّب « سقط الزند » :

أحسنُ بالواجد من وَجدِهِ ... صبرٌ يعيد النار في زَندِهِ

ولا سليمانُ ابنُهُ ردَّها ... بِمُلْكِه والحَشْدِ من جُنْدِهِ

عَدْلٌ تساوى الخلقُ فيه فما ... يُمَيِّزُ المالكُ من[1] عبده

كلٌّ له حَدٌّ إذا ما انتهى ... إليه وافاه على حَدِّه

تجمعُنا الأرضُ، وكلٌّ[2] امرئٍ ... في لحده كالطفل في مَهده

أما ترى أسلافنا[3] عَرّسوا ... بمنزلٍ دانٍ على بُعْدِه

تبوّءوا الأرضَ ولم يُخبِروا ... عن حَرِّ مثواهُمْ ولا بَرْدِه

لحادثٍ أسكتَهم أمسكوا ... عن ابتداء القول أو ردِّه

لو نطقوا قالوا التُّقى خيرُ ما ... تَزَوَّد العبدُ[4] إلى لَحْدِه

فارجِع إلى الله وثِقْ بالذي ... أتاك[5] في الصّادقِ مِنْ وعده

للصابرين الأجرُ، والأمنُ مِنْ ... عذابه، والفوزُ في خُلْده[6]

* * *

وقال:

أيُّها المغرورُ مهلاً ... بلغَ العُمْرُ مَداهُ

كم عسى مَنْ جاوز السبـ ... ـعين يبقى كم عساه

أنسيتَ الموتَ أم، أمَّـ ... ـنك الله لظاه

---

(١) في مصورة الديوان: عن. (٢) في مصورة الديوان: فكل.

(٣) » » » : وزّادنا. (٤) » » » : المرء.

(٥) » » » : وافاك.

(٦) الأبيات في مصورة الديوان « باب الزهد والاعتبار ».

تظلمُ الناسَ لِمَنْ تر جوه أو تخشى سطاهُ

أنت كالتَّنور يَصْلى الـــنار في نفع سِواه

* * *

وقال يرثي ولداً له[١] :

أزور قبرك[٢] والأشجانُ تمنعني مِنْ أن أرى نَهْجَ قَصْدي حين أنصرفُ[٣]

فما أرى غير أحجارٍ مُنَضَّدَةٍ قد احْتَوَتْكَ ، ومأْوى الدُّرَّةِ الصَّدَفُ

فأَنْثني لستُ أدري أين مُنْقَلبي كأنني خائف[٤] في الليل يَعْتَسِف

إن قصّر العُمْرُ بي عن أن أرى خَلَفًا له ففي الأجر عند الله لي خَلَف

أقول للنفس إذ جدّ النّزاعُ بهـا يا نفسُ وَيْحَكِ أين الأهلُ والسَّلَف

أليس هـذا سبيل الخلق أجمعهم وكلّهم بوُرودِ الموت مُعْترِف

كم ذا التأسُّفُ أم كم ذا[٥] الحنين وهل يَرُدُّ مَنْ قَدْ حواه قبرُه الأسَف

* * *

وقال :

تقلّب أحوالِ الزمانِ أفادني جميلَ الأسى فيما يَنُوب من الخطْبِ

إذا حَلَّ ما لا يُستطاع دِفاعُه فما أجملَ الصبرَ الجميلَ بذي اللُّبِّ

* * *

(١) في مصورة الديوان : وقال في ولده أبي بكر . (٢) في هامش الأصل : قصرك .

(٣) « « « : أن أهتدى لطريقي حين أنصرف .

(٤) في هامش الأصل : حائر . وهي رواية الديوان .

(٥) في الأصل : أم ماذا ، وما هنا عن مصورة الديوان .

وقال :

صَبْراً لأيامٍ تنـــــا هتْ ، في مُعاندتي وعَضِّي
فالدَّهْرُ كالميزان ما ينفكُّ مِنْ رفعٍ وخَفْضِ
هـذا مع الأفلاكِ مُرْ تفعٌ وذا بحضيض أرْضِ
وإلى الفناء جميعُ مَنْ خَفَضْتَه أو رَفَعْتَهُ يُفضي

* * *

وقال :

أرجأْتُ كُتْبي إلى حين التقاء فقد أكْدى رَجائي ، وزاد الشوقَ إرجائي
وألجـأتني إلى صبري موانـعُ أيـــــامي فلم يُسْلِني سَعْيي وإلجائي
حتى أحاطَتْ بيَ الأشواقُ واشْتملتْ عليَّ واسْتحوذَتْ مِنْ كل أرجائي
فهل سبيلٌ إلى قُربٍ يُميط شَجَا صَدْري فقد طال تَبْريحي وإشجائي

* * *

وقال :

حُسْنُ التّواضعُ في الكريم يَزيدُه فَضْلاً على الأضْراب والأمْثالِ
يكْسُوه مِنْ حسن الثَّناء مَلابِساً تَنْبو عن المُتَرَفِّع المُخْتال
إنّ السيول إلى القَرارِ سَريعةٌ والسَّيْل حَرْبٌ للمكان العالي(١)

* * *

(١) في هامش الأصل : هذا النصف بعينه لأبي تمام وأوله : لا تنكري عطل الكريم من الغنى .

وقال وكتب بها إلى ولده الأمير مُرْهَف[1] من حِصْن كَيْفا[2] جواباً عن كتاب أنفذه إليه مَع مُسْتَميح ٍ لم يتمكن من بُلوغ ِمآثره من بِرّه[3] :

أبا الفوارس ، مالاقيتُ من زمني ... أشدَّ من قبضِه كَفِّي عن[4] الجودِ

رأى سَماحي بِمَنْزورٍ تجانفَ لي ... عنه وُجُودي به فاُجْتاح مَوْجُودي

فصِرْتُ إن هَزَّني جانٍ تعوَّدَ أنْ ... يَجْني نَدَايَ رآني يابِسَ العُود

* * *

وقال في المعنى :

أباالفوارس إن أنكرتَ قَبْضَ يَدي ... مِنْ بعد بَسْطَتِها بالُجودِ والكَرَمِ

فالذَنْبُ للموتِ أرجاني إلى زمَنٍ ... غَلّتْ أكُفَّ النّدى بُؤْساه بالعَدَم

* * *

وقال :

حَذَّرَتْني تَجارِبي صُحْبَةَ العـا ... لَمِ حتّى كَرِهْتُ صُحْبَةَ ظِلِّي

ليس فيهم خِلٌّ إذا ناب خَطْبٌ ... قلتُ ما لي لِدَفْعه غيرُ خِلِّي

كلُّهمْ يَبْذُل الوِداد لدَى اليُسْـ ... ـر ولكنهم عِدًى للْمُقِلِّ

فاُعْتَزِلْهُم ففي اُنفرادِك مِنْهُم ... راحةُ اليأْسِ من حِذار وذُلِّ

* * *

(١) انظر الهامش الرابع من الصفحة ٩٩ ؛ (٢) انظر الهامش الثالث من الصفحة ٩٩ ؛

(٣) انظر الأبيات وتقدمها عند ياقوت ج ٥ ص ٢٠٦ (٤) في الاصل : من . وما هنا عن ياقوت .

وقال :

سُقُوفُ الدُّورِ في خَرْبِرْتَ[1] سُودٌ كَسَتْهــا النّارُ أثوابَ الحِدادِ
فلا تَعجَبْ إذا ارتفعتْ علينا فَلِلْحَظِّ اعتنــاءٌ بالسَّواد
بياضُ العَيْنِ يكسُوها جَمالاً وليس النّورُ إلاّ في السَّــواد
ونور الشَّيْبِ[2] مكروهٌ، وتَهْوَى سوادَ الشَّعْرِ أصنافُ العِباد
وطِرْسُ الخطِّ[3] ليس يُفيدُ عِلْماً وكلُّ العِلْمِ في وَشْيِ المِداد

* * *

وقال يرثي ولدَه عَتِيقاً :

غالَبَتْني عليك أيدي المَنايا ولها في النّفوس أمرٌ مُطاعُ
فتَخَلَّيْتُ عنك عَجْزاً ولو أغـــنى دِفاعي أطال عنك الدِّفاعُ
وأرادتْ جَميلَ صَبْري فرامَتْ مَطْلَباً في الخُطوب لا يُسْتَطاع[4]

* * *

وقال فيه :

كلما امتدّ ناظري ردّهُ الدَّمْــعُ حَسِيراً عن أن يرى لكَ شِبْها
لم يَرُقْني مِنْ بعد فَقْدِكَ مَرْأًى فيــه لِلعَيْنِ مُسْتَرادٌ ومَلْهى

---

(١) خَرْتَبِرْت : اسم أرمني للحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات ، وذكره أسامة في شعر له لكنه أسقط التاء ضرورة . . ثم ذكر الأبيات بلفظ : بيوت الدور . « ياقوت في معجم البلدان » . (٢) عند ياقوت : ونور الشعر .

(٣) في الأصل : الخدّ ، وما هنا عن ياقوت في معجم البلدان ، وفي معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠٦

(٤) في الأصل : لا استطاع

كنتَ عندي أَلَذَّ مِنْ رَغَدِ العَيْـــــشِ وأَحلىٰ من الحياة وأشهى

* * *

وقال في مدح الملك الناصر صلاح الدين سلطان مِصْر والشّام واليمن :

سَمِعَتْ صُروفُ الدَّهْرِ قولَ العاتبِ وتَجَنَّبَتْ حَرْبَ المَليكِ الحاربِ
وتجافتِ الأَيّامُ عن مَطْلوبه ومُرادِه ، أَكْرِمْ به من طالب
هُوَ مَنْ عَرَفْنَ فلوْ عَصاهُ نَهارُه لرماه نَقْعُ جُيوشِه بغَياهِب
وإذا سَطا أَضْحَتْ قلوبُ عُداتِه تُلْوىٰ كَمِخْراقٍ[1] بِكَفَّيْ لاعِبِ
مَنْ ذا يُناوي النّاصرَ المَلكَ الذي في كفِه بَحْرا ردًى ومَواهِب
وإذا سرىٰ خِلْتَ البَسيطةَ لُجَّةً أَمواجُها بيضٌ وبيضٌ قَواضِب
مَلَكَ القُلوبَ مَحَبَّةً ومَهابةً فاقتادَها طَوْعاً بِهَيْبَةِ غاصِب

* * *

وله في الشَّيْب والانْحِناء والعَصا :

حَنانِيَ الدَّهْرُ وأَبْـــــلَتني اللّيالي والغِيَرْ
فصِرْتُ كالقَوْسِ وَمِنْ عَصايَ للقَوْسِ وَتَرْ[2]
أَهْدِجُ في مَشْيي وفي خَطْوِي فُتورٌ وَقِصَرْ

---

(١) المخراق : السيف .

(٢) في هامش الأصل : مثله ، ولعله منه أخذ ، في وصف العصا :

كأنَّنا أنا قوسٌ وهي لي وتر أرمي بها عن بنات الهمّ والهرم

كأنني مُقَيَّدٌ وإنما التَّقَيُّدُ الكِبَرْ
والعُمْرُ مِثْلُ الماء في آخره يأْتي الكَدَرْ[1]

* * *

وله في الخيال :

يا هاجِراً راضياً وغَضْبانا ومُعْرِضاً هاجِداً ويَقْظانا[2]
هَجَرْتَ[3] إمّا لِهَفْوَةٍ فَرَطَتْ منّي وإمّا ظُلْماً وعُدْوانا
طَيْفُكَ ما بالُه يُهاجِرني مَنْ أعْلَمَ الطَّيْفَ بالذي كانا[4]

* * *

وله :

يُهَوِّنُ الخطبَ أنَّ الدهرَ ذُو غِيَرٍ وأنَّ أيامَه بَيْنَ الوَرَى دُوَلُ
وأنَّ ما ساء أو ما سَرَّ مُنْتَقِلٌ عنّا ، وإلاّ فإنّا عنه نَنْتَقِلُ

* * *

وله :

تناسَتْنِيَ الآجالُ حتى كأنّني رَذِيَّةُ[5] سَفْرٍ بالفَلاةِ حَسِيرُ

---

(١) في هامش الأصل : أخذه من قول الصابي :

والعمر مثل الكأس يرسُبُ في أواخره القذى

(٢) في مصورة الديوان :

يا معرضاً راضياً وغضبانا وهاجري هاجعاً ووسنانا

(٣) في مصورة الديوان : صددت . (٤) الأبيات في مصورة الديوان « باب الغزل » .

(٥) في الأصل : رديّة . والرذيّة : الناقة المهزولة من السير ، وقال أبو زيد : هي المتروكة التي حسرها السفر لا تقدر أن تلحق بالركاب . « التاج » .

ولمّا تَدَعْ مِنّي الثّمانُون مُنّةً(١) … كأنّي إذا رُمْتُ القِيامَ كَسِيرُ

أُؤدّي صَلاتي قاعداً ، وسُجودُها … عليَّ إذا رُمتُ السُّجودَ ، عَسِير

وقد أنذرتْني هذه الحالُ أنني … دَنَتْ رِحْلَةٌ مني وحان مَسِيرُ(٢)

* * *

وله من قصيدةٍ يصف ضَعْفَه في كِبَرِه مِنْ قِطعة :

فاعجبْ لضعفِ يدي مِنْ حملِها قلماً … مِنْ بعد حَطْمِ القَنا في لبَّةِ الأَسَدِ(٣)

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

ليَ مَوْلىً صَحِبْتُه مَذْهَبُ(٤) العُمْـ … ـرِ فلَمْ يَرْعَ حُرْمتي وذِمامي

ظَنّني ظِـلَّهُ أُصاحِبُه الدّهْـ … ـرَ على غير نائلٍ واحترام

---

(١) المُنّة : هنا ، القوة .

(٢) الأبيات في الاعتبار ص ١٢٢ « درنبورغ » أو ١٦٣ « حتّي » .

(٣) البيت من مختارات ابن خلكان . وهو من أبيات أوردها مجموعةً صاحب الروضتين «ج ١ ص ٤١١» قال :

وما أحسن ما قال أسامة في كبره :

مع الثمانين عاث الضعف في جَلَدي … وساءني ضعفُ رجلي واضطراب يدي

إذا كتبتُ فخطّي جدّ مضطرب … كخطّ مرتعش الكفين مرتعد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً … من بعد حطم القنا في لبّة الأسد

وإن مشيت وفي كفّي العصا ثقلت … رجلي كأني أخوض الوحل في الجَلَد

فقل لمن يتمنّى طول مُدّته … هذي عواقب طول العمر والمُدد

الأبيات في الاعتبار ص ١٢٢ « درنبورغ » أو ١٦٣ « حتّي » .

(٤) في « ع » : مدة .

فافترقنا كأنّه كان طَيْفاً   وكأني رأيتُه في المنامِ[1]

* * *

وللأمير مجد الدين مؤيّد الدولة ابن منقذ في مدح الملك الناصر :

لَهْفي لِشَرْخِ شَبيبتي وزَماني   وتَرَوُّحي لفُتوَّةٍ وطِعانِ
أيّامَ لا أُعطي الصَّبابةَ مِقْوَدي   أنَفاً ، ولا يَثْني الغَرامُ عِناني
وإذا اللّواحي ، في تقَحُّمِيَ الوَغى   لا في المُدامِ ولا الهوى ، تَلْحاني
وإذا الكُماةُ على يقينٍ أنَّهمْ   يَلْقى الرَّدى في الحرب مَنْ يَلْقاني
أعْتَدُّهمْ ، وهُمُ الأُسودُ ، فرائسي   فهُمُ دَريئةُ صارمي وسِناني
والأُسْدُ تلْقى مِثْلَها مني إذا   لاقَيْتُها بقُوى يدٍ وجَنانِ
كم قد حَطَمْتُ الرُّمحَ في لَبّاتِها   فتَرَكْتُها صَرْعى على الأذقانِ
حتى إذا السَّبْعون قصَّرَ عَشْرُها   خَطْوي ، وعاثَ الضَّعْفُ في أركاني
أبْلَتْنيَ الأيّامُ حتى كَلَّ عَنْ   ضَرْبِ المُهَنَّدِ ساعِدي وبَناني
هذا وكمْ للدّهرِ عندي نَكْبةٌ   في المالِ والأهلينَ والأوطانِ
نُوَبٌ يَروضُ بها إبايَ وقد عَسا[2]   عُودي ، فما تَثْنيه كَفُّ الحاني
لا أستَكينُ ولا ألينُ وقد بَلا[3]   فيما مضى صَبْري على الحِدْثانِ[4]

---

(١) الأبيات في مصورة الديوان « باب الشواهد والأمثال وما ينسج على هذا المنوال » .

(٢) عسا الشيء : يبس وصلب .   (٣) في الأصل : بلي .

(٤) في الأصل : الحدثان .

فالآن يطمع في اهتضامي إنه ... قد رام أمراً ليس في الإمكان

والناصرُ الملك المتوَّجُ ناصِري ... وعُلاه قد خطَّتْ كتابَ أماني

قد كنتُ أرهبُ صَرْفَ دَهْري قبلَه ... فأعاد صَرْفَ الدَّهْرِ من أعواني

أنا جارُه ويدُ الخطوبِ قصيرةٌ ... عن أن تنال مُجاوِرَ السُّلْطان

مَلِكٌ يَمُنُّ على أسارى سَيْبِه(١) ... فيُعيدُهم في الأَسْرِ بالإِحْسان

خَضَعَتْ له صِيدُ الملوكِ فمِنْ بُرى(٢) ... أقلامِه غُرَرٌ على التيجان

مَلأَ القلوبَ محبَّةً ومَهابةً ... فخَلَتْ من البغضاء والشَّنَآن

لي منه إكرامٌ عَلَوْتُ به على ... زُهْرِ النُّجوم، ونائلٌ أغناني

قَرَنَ الكَرامةَ بالنَّوالِ مُوالياً ... فعَجَزْتُ عن إحصاء ما أولاني

فَنَداهُ أَخْلَفَ ما مضى مِنْ ثَرْوَتي ... وبقاؤه عن أُسْرتي أسْلاني

فَلأُهْدِيَنَّ إلى عُلاه مَدائحاً ... تَبْقى على الأحْقاب والأزْمان

مِدَحاً أَفوقُ بها زُهَيْراً(٣) مثلَما ... فاقَ المليكُ الناصرُ ابنَ سِنان(٤)

يا ناصِرَ الإسلام حينَ تخاذَلَتْ ... عنه الملوكُ ومُظْهِرَ الإيمان

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: سيبه. (٢) في الأصل: بري.

(٣) هو زهير بن أبي سُلمَى شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، اجتمع له ما لم يجتمع لغيره: كان أبوه شاعراً، وخالة بَشامة بن الغدير شاعراً، وأختاه وابناه وحفيده من الشعراء، وكان هو راوية لزوج أمه أوس ابن حَجَر الشاعر المشهور. عرف بتثقيف شعره وتهذيبه وإشاعة الحكمة فيه فكان حكيم الشعراء.

خلَّد هرِم بن سِنان وصاحبه الحارث بن عوف بأماديحه، لسعيهما بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء، وتحملها ديات القتلى. مات في السنوات الأولى للاسلام وأوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما.

(٤) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المرّي. كان هو وأبوه من سادة غطفان، ومن أجواد العرب في الجاهلية، تضرب بهم الأمثال « انظر مجمع الأمثال ج١ ص٠٩٠٣ وص١٧٢ وفرائد اللآل ج١ ص٠٦٠٣ وص٤٥١ ».

بك قد أعزّ اللهُ حزبَ جُنودِهِ … وأذَلَّ حِزْبَ الكفرِ والطُّغيان

لمّا رأيْتَ النّاسَ قَدْ أَغواهمُ الشّـ … ـيْطانُ بالإلحادِ والعِصْيانِ

جَرَّدْتَ سَيْفَكَ في العِدى، لا رَغْبَةً … في المُلكِ بل في طاعةِ الرّحمانِ

فضربْتَهم ضَرْبَ الغرائبِ واضِعاً … بالسّيْفِ ما رفعوا من الصُّلْبان

وغَضِبتَ للهِ الذي أعطاكَ فَضْـ … ـلَ الحُكْمِ غِضْبَةَ ثائرٍ حرّان

فقتلتَ مَنْ صَدَقَ الوَغى، ووَسَمْتَ مَنْ … نجّى الفِرارُ بذِلّةٍ وهَوان

وبذلتَ أموالَ الخزائن بعد ما … هرِمَتْ وراء خَواتِمِ الخُزّان

في جمعِ كلِّ مُجاهدٍ ومُجالِدٍ … ومبارزٍ ومُنازِلِ الأقران

من كلِّ مَنْ يَرِدُ الحروبَ بأبيضٍ … عَضْبٍ، ويصْدُرُ وهو أحمرُ قان

ويخوض نيران الوغى، وكأنّه … ظَمآنُ خاضَ مَوارِدَ الغُدْران

قومٌ إذا شهِدوا الوغى قال الورى: … ماذا أتى بالأُسْدِ مِنْ خَفّان(١)؟

لوْ أنهم صَدَموا الجبال لزَعْزَعوا … أركانها بالبيض والخِرْصان

فهمُ الذّخيرةُ للوقائع بالعِدى … وانْفتح ما اسْتَعْصَى من البُلدان

أنت الذي علمتهم … فارس الفرسان

فاسلمْ مدى الأيام يا مَنْ ما له … ثان(٢)

وأسْعَدْ بشهرِ اللهِ فهو مُبَشِّرٌ … لعُلاكَ بالتّأييدِ والغُفْران

في دَوْلةٍ عَمّتْ بنائلها الورى … فدعا لها بالخُلْدِ كلُّ لِسان

---

(١) خفّان: مأسدة معروفة يضرب بها المثل.

(٢) تحجب بقعة من الحبر الكلمات الناقصة في البيتين. ولعل الشطر الأخير: في كل مكرمةٍ وفضلٍ ثان.

وله في الهزل :

خَلَعَ الخليعُ عِذاره في فِسْقِه ... حتى تَهَتَّكَ في بُغىً ولِواطِ
يأْتي ويُؤْتى ، ليس يُنْكِر ذا ولا ... هــذا ، كذلك إبرةُ الخيّاط

* * *

وله :

يا عاتِبينَ عِتابَ المُسْتريب لنا ... لا تَسْمعوا في الهوى ماتدّعي التُّهَمُ
مَنْ لي بأنّ بَسيطَ الأرض دونَكُمُ ... طِرْسٌ وأنّيَ في أرجائه قلمُ
أَسعى إليكم على رأسي ويمنعني ... إجلاليَ الحبَّ أنْ يَسْعى بيَ القَدَمُ

* * *

وله قصيدة مشهورة كتبها إلى دمشق بعد خروجه منها إلى مصر في زمان بني الصُّوفيّ[1] كتبها إلى الأمير أُنُر[2] ، ويُشير إلى بني الصوفي ، أنشدنيها لنفسه وهي ذاتُ تَضْمين[3] :

---

(١) أسرة وليت الوزارة وتدبير الحكم في دمشق لبعض حكامها والمتسلطين عليها ، منهم مؤيد الدولة وزير ابق « انظر الهامش الثالث من الصفحة ١٩ » ومنهم أخواه زين الدولة حيدرة وعز الدولة . « انظر الهامش الأول من الصفحة ١١ » وانظر فهرس ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

(٢) في الأصل : انسز ، وهو خطأ . إذ ليس بين انسز وأسامة جهة جامعة . مات انسز سنه ٤٧١ « انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٣١ » وولد أسامة سنه ٤٨٨

(٣) والقصيدة تنظر الى قصيدة المتنبي المشهورة في عتاب سيف الدولة :

واحرَّ قلبــاه ممن قلبه شَبِمُ ... ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

وتُضمِّن كثيراً من أشطرها .

وهي في مصورة الديوان موزعة في بابين : باب الغزل وفيه الأبيات العشرة الاولى ، وباب المكاتبات وفيه بقية القصيدة بزيادة بيت واحد سنشير اليه في مكانه . وأورد منها صاحب الروضتين « ج ١ ص ١١٤» =

وَلَوا ، ولمّا(١) رَجَوْنا عَدْلَهُمْ ظَلَموا … فليتَهُمْ حَكَموا فينا بما عَلِموا

ما مَرَّ يوماً بفكري ما يَريبُهُمُ … ولا سعتْ بي إلى ما ساءهُمْ قَدَمُ

ولا أضَعْتُ لهم عهداً ولا اطّلَعَتْ … على ودائعهم في صَدْرِيَ التُّهَمُ

فليتَ شِعْرِيَ بِمَ(٢) استوجَبْتُ هجْرَهُمُ … مَلُّوا فَصَدَّهُمُ عن وَصْلِيَ السَّأَم

حَفِظْتُ ما ضَيَّعُوا، أغضيْتُ حين جَنَوْا … وَفَيْتُ إذ غدروا ، واصلتُ إذْ صَرَموا

حُرِمْتُ ما كنتُ أرجو مِنْ وِدادِهِمُ … ما الرِّزقُ إلاّ الذي تَجْري به القِسَمُ

مَحاسِني ، مُنْذُ مَلُّوني بأَعْيُنِهِمْ ، … قَذًى ، وذِكْرِيَ في آذانِهِمْ صَمَم

وبعدُ لوْ قيلَ لي ماذا تُحِبُّ وما … هواكَ(٣) من زينة الدُّنيا لقلتُ هُمُ

هُمْ مجالُ(٤) الكَرى من مُقْلَتَيَّ ، ومن … قلبي مَحَلُّ المُنى ، جارُوا أوِ اجْتَرَموا

تبدَّلُوا بي ولا أبغي بهم بَدَلاً … حسبي هُمُ أنصفوا في الحُكمِ أو ظلموا

يا راكباً تَقْطَعُ البيداءَ هِمَّتُه … والعِيسُ تعجَزُ عمّا تُدْرِكُ الهِمَمُ

بَلِّغْ أميري(٥) مُعِينَ الدِّينِ(٦) مَأْلُكَةً … مِنْ نازحِ الدارِ لكِنْ وُدُّه أَمَمُ

وقُلْ له أنتَ خيرُ التُّرْكِ فَضَّلَكَ الْـ … ـحياءُ والدِّينُ والإقدامُ والكَرَمُ

= ثمانية عشر بيتاً متفرقة وقال في تقديمها : ... لما خرج من شيزر استوطن دمشق ثم فارقها الى الديار المصرية وكتب إلى معين الدين أنر أتابك صاحب دمشق يعاتبه في أسباب المفارقة .

وانظر ردّ أبي الثناء محمود بن نعمة الشيزري على قصيدة أسامة هذه في آخر هذا الجزء .

(١) في الروضتين : فلما . (٢) في الأصل : بما .

(٣) في مصورة الديوان : مُناك ، وفي الروضتين : تختار .

(٤) في الروضتين : لهم مجال . . (٥) في الأصل : أميرَيْ .

(٦) انظر الهامش الخامس من الصفحة ٩١ والهامش الأول من الصفحة ١١٥

وأنتَ أعدلُ من يُشْكَى إليه ولي ... شَكِيَّةٌ أنت فيها الخصمُ والحَكَمُ
هَلْ في القضيّة يا مَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ ... وعدلُ سيرته بين الورى عَلَمُ
يضيعُ واجِبُ حقّي بعدما شَهِدَتْ ... به النّصيحةُ والإخلاصُ والخِدَمُ
وما ظَنَنْتُك تنسى حقّ مَعْرِفتي ... إن المعارف في أهل النُّهى ذِمَمُ (١)
ولا اعتقدتُ الذي بيني وبينك مِنْ ... ودٍّ، وإن أجاب الأعداءُ، يَنْصَرِمُ
لكن ثِقاتُك ما زالوا بِعَتْبِهِمُ ... حتّى استوتْ عندكَ الأنوارُ والظُّلَمُ
باعُوكَ بالبَخْس يَبْغُون الغِنى، ولهمْ ... لَوْ أنّهم عَدِمُوكَ، الوَيْلُ والعَدَمُ
واللهِ ما نصحوا لما استشرتَهُمُ ... وكلُّهمْ ذو هوًى في الرأي مُتَّهَمُ
كم حَرَّفوا من مَعانٍ (٢) في سِفارَتِهِمْ ... وكم سَعَوْا بفسادٍ، ضَلَّ سَعْيُهُمُ
أين الحَمِيَّةُ والنفسُ الأبيَّةُ إذ ... سامُوكَ خُطَّةَ خَسْفٍ عارُها يَصِمُ
هَلّا أنِفْتَ حياءً أو مُحافظةً ... من فعل ما أنكرته العُرْبُ والعَجَمُ
أسْلَمْتَنا، وسُيوفُ الهندِ مُغْمَدَةٌ ... ولم يُرَوَّ سِنانَ السَّمْهَرِيِّ دَمُ
وكنتُ أحسبُ مَنْ والاكَ في حَرَمٍ ... لا يعتريه به شَيْبٌ ولا هَرَمُ
وأنَّ جارَكَ جارُ السَّمَوْأَلِ (٣) لا ... يَخْشى الأعادي ولا تَغْتالُه النِّقَمُ

(١) في هامش الأصل كلمة : تضمين . يريد ان الشطر تضمين لشطر المتنبي ، من بيته :

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... إن المعارف في أهل النُّهى ذِمَمُ

(٢) في مصورة الديوان : مقالٍ .

(٣) السَّمَوْأل بن عادياء شاعر جاهلي كان مَضْرِب المثل في الوفاء « أوفى من السموأل » . أشهر أخباره وفاؤه لامرىء القيس حين حفظ له دروعه ، فذبح ابنه ولم يسلم الدروع .

وما طمانُ[١] بأولى من أسامةَ بالـــوفاء لكن جرى بالكائن القلمُ

هَبْنا جَنَيْنا ذُنوباً لا يُكفِّرُها عُذرٌ ، فماذا جنى الأطفالُ والحُرَمُ

ألقيتَهُمْ في يد[٢] الإفرنج مُتَّبِعاً رضى عِدًى يُسْخِط الرَّحمنَ فِعلُهُم

هُمُ الأعادي ، وقاكَ اللهُ شرَّهُمُ وهمْ بزَعْمِهِمُ الأعوانُ والخدَم

إذا نهضتَ إلى مجدٍ تُؤثِّلُهُ تقاعدوا ، فإذا شيَّدْتَه هدَموا

وإن عرَتْكَ من الأيام نائبةٌ فكُلُّهُمْ للذي يُبْكيك مُبْتَسِم

حتّى إذا ما انْجَلَتْ عنهم غَيابَتُها بِحَدِّ عَزْمِك وهو الصَّارِمُ الخَذِمُ[٣]

رَشَفْت آخر[٤] عَيْشٍ كُلُّه كَدرٌ وورْدُهُمْ مِنْ نَداكَ السَّلْسَلُ الشَّبِم

وإن أتاهُمْ بقَوْلٍ عنك مُخْتَلَقٍ واشٍ ، فذاكَ الذي يُحْبى ويُحْتَرَم[٥]

وكلُّ مَنْ مِلْتَ عنه قرَّبوه وَمَنْ والاكَ فهْو الذي يُقصى ويُهْتَضَم

بَغْياً وكُفْراً لِما أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنٍ ومَرْتَعُ البَغْي لولا جَهْلُهُمْ وَخِم

جَرِّبْهُمُ مِثْلَ تجريبي لِتَخْبُرَهُمْ فللرِّجال إذا ما جُرِّبوا قِيَمُ

هل فيهمُ رَجُلٌ يُغْني غِنَايَ إذا جَلَّى[٦] الحوادثَ حَدُّ السَّيْفِ والقلم

---

(١) طمان المذكور خادم تركي كان لأتابك ملك الامراء زنكي بن آق سنقر رحمه الله هرب من خدمته إلى دمشق فطلبه اتابك الشهيد ولجّ فيه ، فاشتمل عليه معين الدين رحمه الله للجنسية وحماه ، فلما ألح في طلبه سيّره الى العرب الى البرية وقام له بما احتاجه الى ان ردّه الى خدمته بدمشق .

(هذا التعليق من الروضتين ومن مصورة الديوان)

(٢) في الروضتين : في رضى . (٣) في الأصل : الحذم .

(٤) في مصورة الديوان : آجن . (٥) في الأصل : يجني ويجترم ، وماهنا عن مصورة الديوان .

(٦) في مصورة الديوان : جلا .

أَمْ فيهمُ مَنْ له في الخطْبِ، ضاق به ... ذَرْعُ الرجال، يَدٌ يَسْطو بها وَفمُ
لكنَّ رأيَك أدْناهمْ وأبْعدني ... فليْتَ أنَّا بقدر الحُبّ نقْتَسِمُ(١)
وما سَخِطْتُ بِعادي إذْ رضِيتَ به ... وما لِجُرْحٍ إذا أرضاكُم ألَمُ(٢)
ولستُ آسَى على التَّرْحال من بلدٍ(٣) ... شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيه والرَّخَمُ(٤)
تعاقَّمتْ بحبال الشَّمْسِ فيه يدي(٥) ... ثم انْثنتْ وهي صفْرٌ مِلْؤها نَدَمُ(٦)
فاسْلمْ فعاشتْ لي فالدَّهْرُ طَوْعُ يدي ... وكلُّ ما نالني من بُؤْسِه نِعَمُ

* * *

وأردتُ أن أُوردَ من نَثْرِه ما يَزْهَر فَجْرُه، ويَبْهَر سِحْرُه، فوجدتُ له جواب كتابٍ كتبه القاضي الفاضل أبن البَيْساني(٧) إليه مِنْ مصر عند عَوْده إليها ونحن

(١) في هامش مصورة الديوان: «مضمّن». و في هامش الأصل لفظة: تضمين. يريد تضمين قول المتنبي:

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرّته ... فليت أنا بقدر الحب نقتسم

(٢) على هامش هذا البيت والبيت التالي مثل ما على هامش البيت السابق. والاشارة الى بيتي المتنبي:

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا ارضاكم ألم
وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ ... شهبُ البزاة سواء فيه والرّخمُ

(٣) في مصورة الديوان: عن بلد. (٤) انظر الهامش الثاني.

(٥) في مصورة الديوان: منه يدي. (٦) وبعده في الديوان:

لكن فراقك آساني وآسفني ... ففي الجوانح نارٌ منه تضطرم

(٧) أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف علي بن القاضي السعيد محمد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل والملقب بمجير الدين «او محيي الدين». ولد بعسقلان سنة ٥٢٩ وانتقل الى الاسكندرية ثم الى القاهرة. وزر للسلطان صلاح الدين وكتب له وتمكن منه واستمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز ولما توفي العزيز وقام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الأفضل نورالدين كان ايضاً على حاله، ولم يزل كذلك الى أن وصل الملك العادل وأخذ الديار المصرية وعند دخوله الى القاهرة توفي القاضي الفاضل وذلك سنة ٥٩٦ =

بدمشق سنةَ إحدى وسبعين ، وأثبتُ أوّلاً الرّسالة الفاضليّة وهي أديبة غريبة ، صنيعة بديعة ، جامعة للدُّرر ، لامعة بالغُرَر . وهي :

وصل كتاب الحضرة الشاميّة الأجليّة ، المؤيّدة الموفّقة المكرّمة ، مجد الدين ، قدوة المجاهدين ، شيخ الأمراء ، أمين العلماء ، مؤيّد الدولة ، عز الملّة ، ذات الفضيلتين ، خالصة أمير المؤمنين ، لا زالت رياضُ ثنائها مُتناوحة ، وخطرات الرّدى دونها متنازحة ، والبركاتُ إلى جنابها متوالية ، والليالي بأنوار سعادتها متلالية ، والأيام الجافية ، عن بقيّة الفضل بها مُتجافية ، وأحكامها الضافية ، تاركةً للمجد فيها فئةً تَتَحيّزُ[1] إليها المكرُمات إذا لم يكن لها فية . فأنشده ضالّةَ هوًى كان لِنُشْدانها مَرْصَدا ، ورفع له ناراً مُوسَوِيّةً سمع عندها الخطاب وآنس الخيرَ ووجَد الهُدى ، وكانت نارُ الغليل ، في فؤاده بخلاف نار الخليل ، فإنها لا تقبل نَدى الأجفان بأن يكون بَرْداً وسلاما ، ولا تُرى بمائها إلاّ أضرى ما كانت ضِراما ، وشهد الله حوالةً على عِلْمه بما هو فيه ، لا إحالةً بما يُخالِفه الضمير وينافيه ، لقد كان العبدُ ناكس[2] الرأس خَجَلا ، غَضيض[3] الطَّرْف حَياء ، مُقيَّد النظر إطراقا ، حَصِر القول تَشَوُّرا[4] منه . فارقها على تلك الصفة فلا هو قضى مِنْ حقِّها فرائض لَزِمت ، والله وتعيّنت ، ولا الضرورة في مقامها بحيث تبلّغه[5] أنسها أذِنت ، ولا مَدّت هــذه الطيفيّة والسحابة الصيفية بالنّوى المستأنفة ما اقتربت ، ولا الأيّام بالبُعد ما أساءت فإنها بالقُرب ما أحسنت

= برز القاضي الفاضل في صناعة الانشاء وفــاق المتقدمين ، وكانت له طريقة عرفت باسمه فيما بعد . كان سريع الخاطر كثير الرسائل حسن الشعر حتى قيل : لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مائة مجلد . تولى أبوه القضاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوه اليها . انظر ابن خلكان ، والعهد في أول شعراء مصر .

(١) في الاصل : تتحير . (٢) الكلمة مكررة في الأصل ، آخر سطر وأول سطر جديد .

(٣) في الأصل : عضيض . (٤) تَشَوَّرَ : خجل . (٥) في الأصل : تبلغه .

وإن أمرءا يَبْقى على ذا فؤادُه ... ويُخبِرُ عنــه ، إنــه لصبور

ويعود إلى ذكر الكتاب الكريم . وسجد لمحرابه وسلّم ، وحَسِب سُطورَه مَباسمَ تَبسّم ، ووقف عليه وُقوف المُحِبّ على الطّلل يُكلّمه ولا يتكلّم ، وهطَل جَفْنُه وقد كان جُمادَى ودمْعُه وقد كان[1] على صفحة المُحَرّم ، وجدّد له صَبابةً لا يَصْحَبُها أمل ، وخاف أن لا يُدْرِكَ الهَيْجاء حَمَل[2] ، وقال الكتاب :

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَلَلْ[3]

وعزّ ، والله ، عليه أن يدخل كاتبُه القلوبَ ويَخْرُج من المُقَل ، وأنشد نيابةً عنها :

وإن بلاداً ما اُحْتَلَتْ بي لعاطِلٌ ... وإنّ زماناً ما وفى لي لَخَوّانُ

وما يحسب العبدُ أن الملك يعجَز عن واحدٍ وهو بالورى مُسْتَقِلّ ، وأن السّحاب يُعْرِض عن ذَكِيّ الروض وهو على الفَلا مُسْتَهِلّ .

ولقد كتب[4] في هذا المعنى بما يرجو أن لا يُرْجا ، وأنهى منه ما اُقتضى الصَّوابُ أنْ يُنْهى ، والله المسؤول لها في عاقبةٍ حميدة ، وبقيّةٍ من العمر مديدة ، فإنها الآن نوحُ الأدب وطُوفانُها العِلْمُ الذي في صدرها ، ولا غَرْوَ أن يبلغ عمرَه بعمرها ، على أن يتحقّق خُلودها في الجنّةَ بعَمَلِها ، وفي الدُّنيـا بذِكْرِها ، فإن الدّارَيْن يتغايران على عقائل فَخْرِها ، ولا يتعيّران[5] عن إجرائها على رَفْعِ قَدْرِها ، وعلى أنها طالما أقامت الحدّ

---

(١) تكررت (وقد كان) هذه في الأصل . (٢) من الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لبِّثْ قليــلا يدركِ الهيجا حَمَلْ ... ما أحسن الموت إذا حان الأجلْ

انظر سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٣ و ج ١ ص٣٠٦ « نشرة محي الدين عبد الحميد » والعقد الفريد ج٣ ص١٣٢ «نشرة المرحوم الأستاذ أحمد أمين » . ويروى ضح رويدا . وانظر مجمع الأمثال ج١ ص٣٨٤

(٣) وتتمته : وإن بليت وإن طالت بك الطيل . وهو من مطالع القطامي الحسنة « الأغاني ج٢٠ ص١١٩» .

(٤) في الأصل : كتبت . (٥) كذا ، ولعلها : يتغيّران .

على الدُّنْيا السَّكْرى حتى بلغَتْ في حَدّها من العُمْر الثمانين ، وآذنت الأَيّامَ بسلاح الحرب من سيفها وسلاح السّلْم من قَلَمِها تأْديبَ الجانين ، وما حَمَلَتِ العصا بعد السيف حتى أَلقت إِليها السَّلَمَ فوضَعَتِ الحربُ أَوْزارها ، ولا اُستقلَّتْ بآية موسى إِلاّ لتَنْفجِرَ بها أَنوار الخواطر وتَضْرِبَ بحارها ، وما هي إِلاّ رُمْحٌ وكفى بيدها لها سِنانا ، وما هي إِلاّ جَواد يَجْنُب السِّنين خَلْفَها فتكون أَناملُها لها عِنانا .

وعلى ذكر العصا فإِن تيسَّر الكتاب المجموع فيها حُسِب أَنّه ثانية العصا ، وأُضيف إِلى محاسنها التي لا تحصى أَو يُحصى الحصا .

وكان من مدةٍ قد شاهد بحلب كُتُباً بخطّ المولى الولد دلَّت على مضضٍ ومرض ، ولعلّه الآن قد عُوفيَ من الأَمْرَيْن ، وقَرَّتْ بوجهه العين ، وجدَّدَتْ عَهْداً بنظرِه ، وقرّت عليها لسانه إِسناد خَبَره ، وبَلّت غُلّةَ الحائم ، ورأَتْ منه هِلال الصائم ، وطالعها وجهُ الزمان المُغْضَب منه بصفحة المباسم ، وفي مواعيد الأُنْس منه الضامنُ الغارم ، وهو يُسلِّم عليه تسليم النَّدى على وَرَقِ الورد ، ويستثمر الوفاء من غرس ذلك العهد . ولكتاب الحضرة العالية من الخادم مَوْقعُ الطَّوْق من الحَمام يَتَقَلَّدُ فلا يُخْلَع ، ويُعْجِبها فلا تزال تَسْجَع ، بحاليه[1] طوقاً على الأَسى إِلاّ أَنه بِدُرّ الدَّمع مُرَصَّع ، ولا يَمْنعه منه شعار السُّرورِ أَن يَحْزَن لفُرقتها ويجزَع ، فإِذا أَنعم به فمع ثِقَةٍ ويخشى أَن يكون هذا الشرطُ له قاطعا ، بل مع من اُتفق فإِنه كالمِسْك لا يدعُه العَرْفُ الضائع أَن يكون ضائعا :

أُكْتُبه تكتبْ لي أَماناً ماضياً	وأُبعثه تبعث لي زماناً راجعا
إِن أَشتريه[2] بمُهجتي فقليلةٌ	فاُسمَح به ، فمتى عرَفْتُك مانعا

(١) كذا ، ولعلها : بحاليه . (٢) كذا في الأصل .

وجواب مُؤَيِّد الدولةِ ، وقرأتُه عليه فسَمِعه :

وَصَلَ الكتابُ أنا الفِداءُ لِفِكْرَةٍ نَظَمَتْ نفيسَ الدُّرِّ فيه أَسْطُرا
وَفَضَضْتُه عن جَوْنَةٍ فتأَرَّجَتْ نَفَحاتُه مِسْكاً وفاحَتْ عَنْبرا
وأعدْتُ فيــه تأمُّلي مُتَحيِّراً كيف أُستحال اللفظُ فيه جَوْهرا

الخادمُ يخدُم المجلس العالي الأجلَّ الأوحد الصَّدْر الفاضل ، فَضَّلَهُ اللهُ برفع دَرجاته في الجِنان ، كما فَضَّلَه بمُعْجز البلاغة والبيان ، وبلَّغه من الخيرات أَمَلَه ، وخَتَم بالحُسْنىٰ عَمَلَه ، وجَمَّلَ ببقائه الدُّنْيا ، وأَجْزَل حَظَّه من رحمته في الأُخْرى ، بسلامٍ يُغاديه نَشْرُه ويُراوِحُه ، ودعاء لا يُحْجَبُ عن الإجابة صالِحُه ، وثنــاء يضيق عن حَصْر فضــائله مَنادِحه ، وما عسى أن يقول مُطْريه ومادِحُه ، والفضل نُغْبَةٌ مِن بحره الزاخر ، وقَطْرةٌ من سَحابه المــاطر ، تَفَرَّد به فما له فيه من نظير ، وسبق مَنْ تقدَّمه في زمانه الأخير ، فتَق عن البلاغة أكماماً تزيَّنَتْ الدنيا منها بالأعاجيب ، وأتى بآياتِ فَصاحةٍ كادت أن تُتْلى في المَحاريب ، إذا أُسْتُنْطِقَت أُزْدَحَمَتْ عليها العُقول والأسماع ، ووقع على الإقرار بإعجازها الأتفاق والإجماع ، فسُبْحان من فَضَّله بالبلاغة على الأنام ، وذَلَّلَ له بديعَ كلامٍ ما كأنّه من الكلام ، تعجزُ عن سلوك سبيله الأفهام ، وتَحار في إدراك لُطْفِ معانيه الأوهام ، هو سِحْرٌ لكنه حَلال ، ودُرٌّ إلاّ أنَّ بَحْرَه حُلْوٌ سَلْسال .

ولا يظنّ ، أدام الله ببقائه جَمالَ الزّمان وأهله ، ويسَّرَ له إظهار مكتوم فضله ، أنَّ الخادِمَ يَسْلُك سبيل النِّفاق في مَقالِه ، ولا إعارة شَهادةٍ[1] في وصف كماله ، لا والله

(١) في الأصل : شهاده .

ما ذلك مَذْهَبه ، ولا هو مُراد المجلس العالي ولا أَرَبه ، ولكنّها شهادة ولا يَحِلُّ كَتْمُها ، وقضيَّةٌ جرى بقول الحق فيها حُكْمها ، ولولا أنّ الخادم قد بقي فيه أثرٌ من إقدام الشباب ، لأَحْجَم عن إصدار كتابٍ أو ردّ جَواب ، لكنه على ثقةٍ من كريم مُساهلة المجلس العالي وحُسْنِ تجاوُزِه : ويقينٍ أنَّ فضله جدير بسَتْر نَقْص الخادم وسدّ مَعاوِزه ، وهو يُضْرِب عن ذكر ما عنده من الشوق إلى كريم رؤيته ، والوحشة بمَحْجوب خِدْمته ، ويقتصر على ما قاله زهير :

إن تُمْسِ دارُهم منّي[1] مُباعَدةً فما الأَحبّةُ إلاّ هُمْ وإنْ بَعُدوا

فأما ما أنعم به من ذِكْر الخادم في مطالعاته ، فهو كذِكْر موسى أخاه هرون عليه السَّلامُ في مُناجاته ، ولا سواء ، موسى ذَكَر شقيقَه ، والمجلسُ العالي ذكر رَفيقَه ، وهذه اليدُ البيضاء مُضافةً إلى سالِف أياديه ، مقابَلَةٌ بالاعتراف بالمِنَّة لساميه ، فلقد شرّفه بذكره في ذلك المقام العالي ، وإن كان لا يزال على ذكر الإنعام المتوالي ، تقريبُ مالكِ رِقِّه وإكرامُه قد شرّفاه ، وإنعامُه قد أغناه عن الخَلْق وكفاه ، إن سأله أَجاب سؤالَه ، بما يُحقّق رجاءه وآماله ، وإن أَمسك عن غنى فضله بفضله ، فاجأه بتَبَرّع مواهبه وبَذْله ، فالخادمُ مِنْ تشريف مالِكِ رِقِّه ذو تاج وسرير ، ومِنْ غزير إنعامه في روضةٍ وغدير ، وذلك ببركاتِ المجلس العالي ويُمْنِ نقيبته ، وجميل رأيه في الخادم وحُسنِ نِيَّته ، لكن يَشُوب ما هو فيه من إنعامٍ لم تبلغه أمانيه أسَفٌ قد أَقَضَّ[2] لَيِّنَ مِهاده ، وسلك من القلب حَبَّةَ سواده ، على ذاهبِ عمرِه ، وقوة أَسْرِه ، إذ لم يكن أَبلاهما في خِدمة مالك رِقّه ، وبَذْل رأسه بين يَدَيْه إبانةً عن صحّةِ ولائه وصِدْقه ،

---

(١) في الديوان « دار الكتب ص ٢٨٠ » : عنا . (٢) في الأصل : أقص .

والخادمُ يتسلَّى عمّا فاته من الخِدَمِ في المُبِهِمِّ ، بخدمته بصالح دعائه في الليل المُدْلَهِمّ ، والله سبحانه يتقبّل من الخادم فيه صالحَ دعائه ، وينصره على جاحدي نَعْمائه ، بمُحمّدٍ وآله .

فأمّا ما أنعم به من ذكر أصغر خَدَمِه مُرْهَف[1] فهو يخدم بتقبيل قدمه ، والخادم يقول ما قاله أبو الفتيان ابن حيّوس[2] عن خدمة أبو الحسن[3] رحمه الله لمحمود بن صالح[4] .

على أنه ، لا فُلَّ غَرْبُ لسانه مَدَى الدَّهْرِ لا يَحتاجُ مِنِّي مُتَرْجِما[5]

وهو يقومُ بالجواب عن شريف الاهتمام ، وجزيل الإنعام .

وأمّا ما تَطَوَّل به من ذِكر كتاب « العصا » وشَرَّفه ، حتى تَوَهَّم أنه أَحسنَ فيما صنّفه ، وعند وصوله من ديار بكر ، لا يُلْقي عَصا تَسْيارِه إلاّ بمصر ، يقتفي أثر عصا الكليم ، إلى جنابه الكريم ، إلاّ أنه آية إقراره بالرُّبُوبيَّة لفضله وإفضاله ، ساجدٌ سُجودَ السَّحَرة لتعظيمه وإجلاله ، يتقَّنَّ من إنعامه حُسنَ التجاوز عن نقصه ، ويعوذ بكرمه من منافثة علمه وفحصه ، وتشريف الخادم ولو بسَطْرٍ واحدٍ عند خُلُوّ البال ،

(١) انظر الهامش الرابع من الصفحة ٩٩ .

(٢) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٩٦

(٣) كذا . وابو الحسن هو الأمير علي بن منقذ سديد الملك « انظر الصفحة ٥٥٢ وما بعدها » جد أسامة ، ولابن حيوس فيه مدائح لأنه هو الذي قدّمه إلى صاحب حلب محمود بن صالح .

(٤) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب . وليها سنة ٤٥٢ ووجه اليه المصريون عمّه ثمال بن صالح فانتزعها منه سنة ٤٥٣ ، وتوفي ثمال بعد عام ؛ فوليها عطية بن صالح ، فأغار عليه محمود فامتلكها سنة ٤٥٤ ، وقوي أمره وصفا له جوّها فاستمر الى ان توفي . كان شجاعاً فيه حزم وعقل . « الأعلام »

(٥) انظر البيت في ديوان ابن حيوس ج ٢ ص ٦٠٦ برواية : لاتحتاج منه مترجما . والبيت من قصيدة للشاعر يمدح بها محمود بن نصر ويتطرّق الى شكر الأمير ابي الحسن سديد الملك علي بن منقذ .

والفراغ من مُهِمّ الأشتغال ، يرفع مِنْ قَدْره ، ويُوجده أنّه بالمكان المَكين مِنْ حُسْن ذِكره[1] ورأيه[2] ، أدام الله أيّامه في ذلك أعلى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكتب إليَّ وقد رحلنا من دمشق في خدمة الملك الناصر إلى حلب في شوال سنة إحدى وسبعين :

عِمادَ الدين أنت لكل داعٍ دعاك لِعَوْنه خيرُ العِمادِ
تقومُ لنصره كرَماً إذا ما تقاعد ذو القَرابة والوداد
قضى لك بالعُلى كرمُ السّجايا وما أُوتيتَ من كرم الوِلاد
أبثّك وَحْشتي لك وأشتياقي إليك وما لقيتُ من البِعاد
وإني في دمشق ، ومَنْ حَوَتْهُ لِبُعدِك ذو أغتراب وانفراد
ومِثلُك إن تطلّبه خَبيرٌ بهذا الخَلْق ليس بِمُستفاد
أنار بك الزمانُ فلا عَداتهُ لفَقد عُلاك أثوابُ الحِداد

* * *

وكتب إليَّ أيضاً في ابتداء مكاتبة :

يا عِمادي حين لا مُعتمَدٌ وصَدى صوتيَ في الخَطْب المُلِمّ
والذي بَوَّأني من رأيه في أعالي ذروة الطَّوْد الأَشَمّ
مُنذُ فارقتُك أُنسي نافرٌ وسَنا صُبحي كليلٍ مُدْلَهِمّ

---

(١) في الأصل : ذكر . (٢) كذا في الأصل ، ولعلها : رأيه وذكره ، انقياداً للسجع .

فإلى من أشتكي شيئاً إذا غاب عني مُشتكىً طارقِ غمّي
وإذا كنتَ مُعافىً سالماً في اعتلاءٍ وسُعودٍ هان همّي

خادم المجلس العالي يخدم بالثّناء والدّعاء :

ويومئ بالتحيّة من بعيدٍ كما يومي بأصبعه الغريقُ

وعنده من الشوق مع قُرْب العهد إلى شهيّ رؤيته ؛ والوَحشةِ لخدمته ، ما يُعْجِزُ الأَقلامَ شرحُه ، ويَحْرُقُ الطِّرسَ لفحُه ، وهو ينحرف من مَقام[1] الأشتكاء ، إلى مَقـام الدُّعاء ، ويرغب إلى الله أن يكلأه بحفظه في سفره ومقامه ، ويُجْزِل حظّه من فضله وإنعامه .

* * *

ووصلتْ منه مُكاتبةٌ إلى الملك الناصر صلاح الدين في صَفَرَ سنة اثنتين[2] وسبعين فقال لي القاضي الفاضل[3] : خُذْها وأَوْرِدْها في الخريدة والجريدة وهي :

لا زِلتَ يامَلِكَ الإسلام في نِعَمٍ قرينُها المُسْعِدانِ : النَّصْر والظَّفَرُ
تُردي الأعادي وتَستَصْفي ممالكَهم وعونُك الماضيانِ : السَّيفُ والقَدَر
فأنت إسكندرُ الدُّنيا ، بنُورِكَ قد تضاءل المُظْلمـان : الظُّلْمُ والضَّرر
أَعدْتَ للدَّهر أيّام الشباب وقد أظلّه المُهْرِمان : الشَّيْبُ والكِبَر
وجاد غَيْثُ نَداك المسلمين فمِنْ سحـابه المُغْنِيان : الدُّرُّ والبِدَر
وسِرْتَ سِيرةَ عَدْلٍ في الأنام كما قضى به الصّادقان : الشَّرْع والسُّوَر

---

(١) في الأصل : مكام . (٢) في الأصل : اثنين .

(٣) انظر في التعريف به الهامش السابع من الصفحة ٥٣٧

فَفُقْ بنصرٍ على الكفار إنّهم ... يُرْدِيهِمُ المُهْلِكان : الغَدْرُ والأَشَرُ
ثَناهُمُ إذْ رأَوْا إقبالَ مُلْكِهِمُ ... إليهمُ المُزْعِجان : الخوْف والحَذَر
وما الفِرار بِمُنْجِيهم ، وخَلْفَهُمُ ... مِنْ بأسه المُدْرِكان : السُّمْرُ والبُتُر
وسوف يعفو غداً منهم بصارِمه ... وجيشِه المُخْبِران : العَيْنُ والأَثَر
ولو رَقُوا في ذُرَى ثَهْلانَ أَسْلَمَهُمْ ... لسيفه العاصِمان : الحِصْنُ والوَزَر
قضى بتفضيله عَمّنْ تقدّمه ... ما اُسْتُودِع المُخبران : الكُتُبُ والسِّيَر
عَدْلٌ به أَمِنَ الشاءُ المُهَمَّل أن ... يروعَه الضّاريان : الذئبُ والنَّمِر
وَجُودُ كَفٍّ إذا اُنْهَلَّتْ تفرّقَ في ... تيّارها الزاخِران : البحرُ والمطر
مكارمٌ جُمِعَتْ فيه ، توافَقَ في ... تَفْضِيلِها الأكرمان : الخُبْرُ والخَبَر
فاُسلم وعِشْ واُبقَ للإسلام ما جَرَتِ الْـ ... أفلاك والنَّيِّران : الشمسُ والقمر
بنَجْوَةٍ من صروف الدهر يقصُر عن ... مَنالها المُفْسدان : الخَطْبُ والغِيَر

المملوك لبعده عن خِدمةِ مَوْلاه قد أنكر الزّمان ، فما هو الذي كان ، وأَوْهَتِ الأيّام ما أبقته من يسير قُوّتِه ، واُسترجعتْ ما أعارته من ضعيف نهضته ، وأذاقته طعْمَ الاغتراب ، وأدخلت عليه الهمّ من كلّ باب ، فهو في زاوية المَنْزِل ، عن كلمات[1] الناس فيه بمَعْزِل ، فهو كما قال :

أنا في أهلِ دمشق ، وهُمُ ... عددُ الرّمْلِ ، وحيدٌ ذو اُنفراد
ليس لي منهم أليفٌ وشَجَتْ ... بيننا الأُلْفةَ أسبابَ الوِداد

(١) في الأصل : كلما .

يحسبوني إنْ رأوْني وافداً ... قد أتاهم من بقايا قوم عاد

وانفرادي رَشَدٌ لي ، والهوى ... أبداً يصرف عن سُبْل الرَّشاد

* * *

وقد سألني أن أنتجز له مطلوباً عند الملك الناصر فكتب إليّ يستحثّني[١] :

عمادَ الدين ، مَوْلانا جَوادٌ[٢] ... مَواهبه كمُنْهَلِ السّحاب

يُحكِّم في مَكارمه الأماني ... ولو كلّفنَهُ[٣] ردَّ الشباب[٤]

وعُذرك في قضا شُغلي قَضاه ... يُصرِّفه ، فما عُذْرُ الجواب

---

(١) جاءت هذه الأبيات في مصورة الديوان « باب ما قاله في المكاتبات وما ينخرط في سلكها من المعاتبات » ؛ وفي تقديمها : وقال ، وكتب بها الى صديق له سأله السفارة عند بعض الامراء الرجل سأله ذلك فتأخر جوابه :

(٢) في مصورة الديوان : ابا البركات لي مولى جواد .

(٣) في الديوان : كلفنه . (٤) وبعده في مصورة الديوان :

فما بالي أرى ما أبتغيه ... بعيداً عند منقطع السّراب

أخوه

الأمير أبو الحسن علي بن مُرشِد بن علي بن مُقلد بن مُنقذ[1]

وسيأتي ذكر جدِّه الأمير الأكبر مفردا

أميرِ العِصابة ، كثير الإصابة ، سيّد بني مُنقِذ ، ذو بأس مُرْدٍ ونَدىً مُنْقِذ ، كبير آل مُقَلَّد ، لم يثنِ أحدٌ جِيدَه من عارفته غيرَ مُقَلَّد ، وهذه شِيمتُه ، مُذْ فارقَتْه مشيمَتُه ،

---

(١) في تهذيب تاريخ ابن عساكر « مخطوط » : ابن نصر بن منقذ .... المعروف بعز الدولة الكناني . ولد سنة ٤٨٧ بشيزر وسمع الحديث ببغداد وكتبه بخط حسن ، وكان فهماً شاعراً قدم دمشق غير مرة . قال الحافظ : حضر عندي في سماع بعض كتاب دلائل النبوة وكتاب الجهاد لابن المبارك ثم خرج الى عسقلان فقتل بها شهيداً سنة ٥٤٦ . ثم اورد طائفة من شعره اكثرها مما دار بينه وبين اخيه .

وترجم له صاحب الوافي « مصورات المجمع العلمي العربي ٨٨ » فكان مما قال عنه : كان ذكياً شاعراً جندياً دخل بغداد وسمع من قاضي المارستان وغيره ، وكان أكبر اخوته . . واستشهد بعسقلان ، وما كان له صبوة ولا ميل إلى لهو . ثم اختار له أحد عشر بيتاً بعضها مما هنا عند العماد .

وترجم له ياقوت في معجم الادباء في أعقاب ترجمة أسامة « ج ٥ ص ٢١٤ » بمثل ترجمة العماد أو قريب منها ، وذكر انه استشهد في رمضان سنة ٥٤٥ على غزّة في حرب الفرنج ، وزاد على مافي الخريدة من مختارات .

وترجم له صاحب النجوم الزاهرة « ج ٥ ص ٣٠١ » في وفيات سنة ٥٤٦ فقال عنه : « وفيها توفي الأمير علي . . وكان فاضلا أديباً حسن الخط . . وكان اكبر اخوته وبعده اسامة . واختار له البيتين :

قد قلت للمنثور إن الورد قد ... وافى على الأزهار وهو أمير

فافترّ ثغر الاقحوان مسرّةً ... لقدومه ، وتلوّن المنثور

وانظر قصيدة الحصكفي في مدحه أوردها العماد في ترجمة والده ص٥٦١ من هذا الجزء .

ونيطت به تَميمتُه ، فارسُ الخَيْل فارسُ الخيْر ، طـاهر الذَّيْل عالي الطير ، سَمِيُّ جَدِّه ، ووارث جَدّه ، شَيْزَريٌّ ما أَحد بشيءٍ زَرٰى عليه ، بل كلُّ لسانٍ ثاني الثَّناء إليه ، كِنانيٌّ ملأَ بالأدب كِنانته ، وشَفَع بعلمه عَفافَه ودِيانته .

وَرَدَ بغداد حاجًّا بعد العشرين وآب ، وأقام بها فَصْلَي تِشرين وآب ، وعاد إلى بلده وأقام ولم يَرِمْهُ ، وساعده القَدَرُ بما رامه وما لم يَرُمْهُ ، فشِعره كالشِّعْرى عُلُوّا ، ونَثْره كالنَّثْرَة[1] سُمُوّا ، ذكره السَّمْعاني[2] في تاريخه فقال :

أَنشدني أبو الحجاج يوسُف بن مُقَلَّد التَّنوخيّ الدمشقي الجماهري ، أنشدني الأَمير أَبو الحسن بن مُرْشد بن مُنْقِذ لنفسه ببغداذ :

ودَّعْتُ صَبْري ودمعي يوم فُرْقَتِكم ... وما علمتُ بأَنّ الدَّمع يُدَّخَرُ
وضَلَّ قلبيَ عَنْ صَدْري فعُدْتُ بلا ... قلبٍ ، فيا وَيْحَ ما آتي وما أَذَرُ
ولو علمتُ ذَخَرْتُ الدَّمْع مُبْتَغِياً ... إِطفاء نارٍ بقلبي منك تَسْتَعِرُ[3]

* * *

وقال : سمعتُ أَبا الحجاج يقول : سمعت الأَمير عليّ بن مُرْشِد يقول : سمعتُ دُرّاجا يصيح بدَرْب الحبيب ، فعملتُ فيه هذه الأَبيات فأَنشدنيها :

يا طائراً لعبتْ أَيدي الفِراق به ... مثلي فأَصبحَ ذا هَمٍّ وذا حَزَنِ[4]
داني الأَسى نازحَ الأَوطان مُغْتَرِباً ... عن الأَحبّة مَصْفُوداً عن الوطن

(١) كوكب في السماء تسميه العرب نثرة الأسد . (٢) انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٠ .
(٣) الأبيات من مختارات ابن عساكر في تاريخه ، والصفدي في الوافي ، وياقوت في معجم الأدباء «ج ٥ ص ٢١٤» .
(٤) في الأصل : حرن .

بلا نديمٍ ولا جارٍ يُسَرُّ به ولا حميمٍ ولا دارٍ ولا سَكَن

لكنْ نطقتَ فزال الهمُّ عنك، ولي همٌّ يُقَلْقِلُ أحشائي ويُخْرِسُني

وكلُّ مَنْ باح بالشكوى استراح ومَنْ أخفى الجوى نَثَّ[1] عنه شاهِدُ البَدَن[2]

أرَّقتَ عيني بنَوحٍ لستُ أفهمُه مَعْ ما[3] بقلبيَ مِنْ وَجدٍ يُؤَرِّقني

وما بَكَيتَ ولي دمعٌ غواربُه إذا ارْتَمَتْ منه لم تَنْشَقَّ بالسُّفن

* * *

وقال: حدَّثني أبو الحجاج، حدَّثني الأمير أبو الحسن بنُ مُرْشِد، أنه كتب إلى صديقٍ له:

ما فُهتُ مع مُتَحدِّثٍ مُتشاغِلاً إلاَّ رأيتُك خاطِراً في خاطري

ولو استطعتُ لزُرتُ أرضَك ماشياً بسواد قلبي أو بأسودِ ناظري[4]

* * *

وله كتب بها إلى أخيه مُؤَيَّدِ الدولة أُسامة[5] وهو بالمَوْصِل:

ألا هل لمحزونٍ تذكَّر إلْفَهُ فحَنَّ وأبدى وَجْدَه، مَنْ يُعينُهُ

وعَيْشاً مضى بالرَّغْم إذ نحنُ جيرةٌ تَرِفُّ على رَوْض الوِصال غُصونُه

لَدى منزلٍ كان السرورُ قرينَكم به فتولَّى إذ تولَّى قرينُه

---

(١) في الهامش من «ب»: نثّ الخبر: أفشاه.

(٢) » » » » : أي نحوله. (٣) في الاصل: مما.

(٤) البيتان من مختارات الصفدي في الوافي.

(٥) انظر الصفحات ٤٩٨ - ٥٤٧ من هذا الجزء.

فلو أَعْشَبتْ مِنْ فَيْضِ دمعي مُحولُه … لَما رَضِيَتْ عن دمعِ عيني جُفونُه[1]

* * *

وأنشدني له ٱبن أخيه الأَمير عَضُدُ الدَّوْلة مُرْهَف[2] :

لأَشْكُرَنَّ النوى والعِيسَ إذ قَصَدتْ … بي مَعْدِنَ الجُودِ والإِحسانِ والكَرَمِ

فسِرتُ في وطني إذ سِرْتُ عن وطني … فَمَنْ رأى صِحَّةً جاءتْ من السَّقَمِ

وقد ندمتُ على عُمرٍ مضى أسفاً … إذ لم أَكُنْ لك جاراً منه في القِدَمِ

فاْسلم ولا زِلتَ محروسَ العُلى أبداً … ما لاحتِ الشُّهْبُ في داجٍ من الظُّلَمِ[3]

---

(١) الأبيات من مختارات ابن عساكر. (٢) هو ٱبن أسامة وسيترجم له العماد ، انظر الصفحة ٥٠٧ وما بعدها.

(٣) البيتان الأولان من هذه الأبيات الاربعة عند ابن عساكر ، وفي تقديمها : وقال وقد ارتحل عن وطنه بشيزر وأقام ببعلبك ضيفاً للأمير الأتابكي .

الأمير عز الدولة سديد الملك

أبو الحسن عليّ بنُ مُقَلَّد بن مُنقِذ(1)

من الطبقة الأُولى ، جَدّ الجمـاعة ، موفور الطاعة ، أَحكم آساس مجده وشادها ، وفَضَل أُمراء دِيار بكرٍ والشام وسادها ، ذو المجد البـاذخ ، والجَدّ الشامخ ، والمَحْتِد

---

(١) هو أول من ملك حصن شيزر من بني منقذ ، ملكه من الروم ، وكان نازلاً بجواره بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ ، فحدثته نفسه بأخذه ، وتسلّمه بالأمان من الأسقف بمال بذله له في رجب سنة ٤٧٤ وشرع في عمارته وتحصينه الى أن تمكنت حاله فيه ، وقويت نفسه في حمايته . ولم يزل في يده ويد أولاده إلى أن جاءت الزلزلة سنة ٥٢٢ فهدمته وقتلت كل من فيه من بني منقذ وغيرهم تحت الهدم ، وشغر الحصن ، فجاء نور الدين محمود بن زنكي في بقية السنة وأخذه . ولم يحيَ سديد الملك بعد أن تملكه إلا نحو السنة ومات وملكه بعده ابنه ابو المرهف نصر .

كان قبل تملكه شيزر يتردد إلى دمشق وإلى حلب ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس ، وكان بينهما ودّ ، وكانا أخوين من الرضاع . ثم جرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه . فخرج من حلب الى طرابلس الشام سنة ٤٦٥ ، وصاحبها يومئذ جلال الملك ابن عمّار فأقام عنده سنوات وعمر بها حصن الجسر .

كان شجاعاً فارسا مقداما ، قوي النفس ، قوي الفطنة ، كريما مقصوداً . وخرج من بيته جماعة نجباء أمراء فضلاء ، ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي .

أديب فاضل له في الأدب يدٌ طولى وترسُّلٌ حسن وشعر سائر ،كان من أبلغ أهل الشام في معرفة اللغة والنحو . أورد له ابن خلكان من شعره البيتين اللذين قالهما في المملوك الذي ضربه « انظر المختارات ص ٥٥٥ »

وفاته عند ابن عساكر سنة ٤٧٩ ، وعند ابن خلكان وياقوت سنة ٤٧٥ ، غير ان ابن خلكان ينقل بعد ذلك عن العماد في كتابه « السيل والذيل » ، انه توفي تحت الهدم لما هدمت الزلزلة حصن شيزر يوم الاثنين ثالث رجب سنة ٥٢٢ . قلتُ : ولا وجه له .

انظر ابن خلكان ، وابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق في حوادث سنة ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، والنجوم الزاهرة « ج ٥ ص ١١٤ » ، وياقوت في معجم الأدباء « ج ٥ ص ٢٢٠ - ٢٢٦ » ، والروضتين « ج ١ ص ١١١ - ١١٣ » ، ونتفاً من أخباره في كتاب « الاعتبار » لأسامة .

ومنها :

يا بنَ الذين إذا شَبَّتْ وغًى ملأوا دُروعَهم نَجْدَةً وأستفرغوا العِيَبا

وخوَّفوا النّاسَ فارتاعَتْ ملوكُهمُ تَرَوُّعَ السِّرْبِ لمّا عارَضَ السَّرَبا[1]

مَنْ أمَّ مَسْعاكَ أنضى فِكْرَه سَفَهاً ولستَ تلقاهُ إلاّ خائباً نَصِبا[2]

وكم حَلَلْتَ[3] بثَغْرٍ عزَّ ساكنُه سَدَدْتَه بسَدادٍ صَحَّحَ اللَّقَبا

ضافَرْتَ[4] مالكَه ، دامتْ سعادتُه بمَحْضِ ودٍّ أزالَ الشَّكَّ والرِّيَبا

فأنتما فيه سَيْفا عِصمةٍ ورَدًى أمضى مِنَ الباتراتِ المُرْهَفاتِ[5] شَبا

إنْ طاوَلا عَلَوا ، أو فاضَلا فَضَلا أو حاربا حَرَبا ، أو خاطَبا خَطَبا

إني أقول وليس المَيْنُ من شِيَمي إني شريكُك فيما عَنَّ أو حَزَبا[6]

لمّا اُشتكى مُرْشِدٌ[7] أعْظَمْتُه نَبَأً ذادَ الكَرى وأستثارَ الهمَّ والوَصَبا

حتَّى إذا جاءتِ البُشْرى بصحَّته قَضَتْ بتسكين قلبٍ طالما وَجَبا

فلا بَرِحْتَ وإنْ سيءَ العِدى[8] أبداً تلقى الخطوبَ بجَدٍّ[9] يخرُق الحُجُبا

*   *   *

(١) السِّرب : قطيع الظباء وغيرها ، وجمعه : أسراب . والسَّرب : جمع سُربة وهي جماعة الخيل ما بين العشرين الى الثلاثين .

(٢) في الديوان : إلا خائفاً وصبا .

(٣) في الديوان : وقد حللت .

(٤) » » : ظافرت .

(٥) » » : من المرهفات الباترات .

(٦) في الأصل : حربا .

(٧) هو الأمير أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد ، ولد المترجَم ووالد أسامة ، وسيتحدث عنه العماد عقب هذه الترجمة . انظر الصفحة ٥٥٨ وما بعدها .

(٨) في الديوان : وإن ساء العدى .

(٩) في الأصل : بحد . وما هنا عن الديوان .

الرّاسخ ، والفطنة واللّسَن ، والمَنْظَر الحَسَن ، والنَّظْم الذي هو ألذّ عند المُسَهَّد من لذيذ الوَسَن ، وهو من جلالته في النفوس ، ومنزلته عند الرئيس والمرؤوس ، ممدوحُ فُحول الشعراء ومنهم ابن حَيّوس[1] ، ولابن حَيّوس فيه من قصيدة طويلة ، اقتصرت منها على أبياتٍ قليلة ، كتبها إليه من طرابلس إلى ثغر حلب[2] ، مطلعها :

أمّا الفِراقُ فقد عاصَيْتُه فأبىٰ ... وطالتِ الحربُ إلاّ أنّه غَلَبا

أراني البَيْنُ ، لمّا حُمّ عن قَدَرٍ ... وَداعَنا ، كلَّ جِدٍّ قبله[3] لَعِبا

ومنها :

يا ابنَ المُقلَّد قد قلّدْتَني مِنَناً ... ما قاربَ الحمدُ أدناها ولا كَرَبا

وَيُمْنُ[4] جَدِّك أفضىٰ بي إلى مَلِكٍ ... ما ابتَزَّهُ الشِّعْرُ إلاّ هَزَّه طَرَبا

ومنها :

يَعِنُّ ذِكْرُكَ أحياناً فيُخبِرُني ... فَرْطُ الإصاخَةِ عن قلبٍ إليكَ صَبا

أُثْني فيُعْجِبه قولي ويُكْثِرُ من ... سَلامتي بعد إذْ[5] فارقْتُك العَجَبا

وكلُّ ما نِلْتُ من عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... وثروةٍ فإلى آلائك انتسبا

---

(١) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٩٦

(٢) القصيدة في ديوان ابن حيوس « تحقيق ممالي الاستاذ خليل مردم بك ونشر المجمع العلمي العربي » أول قافية الباء ج ١ ص ٢٠ – ٢٥ في ٤٧ بيتاً . وفي تقديمها : « وقال يمدح الامير أبا الحسن عليّ بن منقذ ويلقب بسديد الملك سعد الدولة ويهنئه بعافية ولده » . وفي نسخة أخرى : « وقال أيضاً وكتب بها الى الأمير الأجل سديد الملك أبي الحسن علي بن المقلد بن منقذ نضر الله وجهه عند وصوله إلى ثغر حلب وهو مقيم بطرابلس » . وانظر تقدمة القصيدة وبيتين منها في معجم الادباء « ج ٥ ص ٢٢١ » .

(٣) في الاصل : بعده ، وما هنا عن ديوان ابن حيوس .

(٤) في ديوان ابن حيوس : فَيُمْن . (٥) في ديوان بن حيوس : بعد أن .

فالأمير أَبو الحسن عَليّ ، له فضلٌ جَليّ ، وشِعْرٌ كأنّه في نَضارته حَليّ ، وهو وفيّ ، بعلمه مَليّ ، قديم العصر من الطبقة الأُولى ، لكن رأيت ذكر مثله أَوْلى ، فأدبه في سُوق الفضائل أَرْوَج وأَغلى ، ونسبه عند الأَفاضل أَبهج وأَعلى ، وسأورد من شعره ما شَدَدْتُ عليه يدي ، وهو مُنْتَقحي ومُنْتقاي[1] ومُنْتَقَدي .

أَنشدني مَجْدُ العرب العامريّ[2] بأَصفهان قال : أَنشدني الأَمير أَبو سَلامَة مُرْشِد[3] لأَبيه الأَمير أَبي الحسن عليّ بن مُقَلَّد بن مُنْقِذ لنفسه في غلامٍ ضربه ، وما أَبدع هذا المعنى وأَغربه ، وأَعجزه وأَعجبه :

أَسْطو عليه ، وقلبي لو تمكَّن مِنْ ... كَفّيَّ غَلَّهما غَيْظاً إلى عُنُقي
وأَستَعِزُّ[4] إذا عاتَبْتُه[5] حَنَقاً ... وأَينَ ذُلُّ الهَوَى من عِزّةِ الحَنَقِ[6]

---

(١) في الأصل : منتقاءى .

(٢) سبق التعريف به في الهامش الاول من الصفحة ٧٩ . وفي كل طبعات فوات الوفيات – ولم أجد له ترجمة مطبوعة في غيره – ان وفاته سنة « ثلاث وخمسين وسبعمائة » وهو تحديد يبعث على الحيرة والشك لأنه لا يلتئم في شيء مع هذه الفترة . ثم عثرت على ترجمتين أخريين له : احداهما في تاريخ ابن عساكر وتهذيبه «مخطوطان» ويقول عنه : علي بن محمد بن غالب : شاعر بغدادي قدم دمشق وسمع منه بها شيئاً من شعره ابو الندى يعمر بن البشارة المقرىء إمام مسجد العقيبة (ترجمته في ابن عساكر ووفاته سنة ٥٥٨) وكان يذكره كثيراً ويثني عليه ويصفه بالبلاغة والكرم . ثم يورد له مختارات من شعره في عشرة أبيات دون ان يؤرخ لوفاته.

والترجمة الثانية في الوافي للصفدي «مصورات المجمع العلمي العربي رقم ٨٨» وهي تماثل ترجمة الفوات ولكنها تصحح تاريخ وفاته : « وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة » ثم تختار له شيئاً من شعره في عشرة ابيات ، وبعضه مغاير لما في الفوات وابن عساكر ، وتنتهي الترجمة بقول الصفدي : قلت : شعر متوسط .

(٣) والد أسامة ، وهو صاحب الترجمة التالية ص ٥٥٨ وما بعدها . (٤) عند ياقوت وابن عساكر «مخطوط» : واستمير .

(٥) في هامش معجم الأدباء وعند ابن عساكر « مخطوط » : عاينته .

(٦) البيتان عند ياقوت « ج ٥ ص ٢٢٢ » . وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر « مخطوط » : وكان بينه وبين محمود بن صالح مودة ، وكانا أخوين من الرضاع ، فشكى اليه محمود ، قبل اختلاط عقله ، هوىً به من شخص يهواه ، وكان كثير الضرب له ويظن انه بذلك ينال حظوة ، فعمل إجابة لسؤاله .

استعارة الخَنَق في هذا الموضع ، مَعْنًى مُبتَكَر له حُسْنُ المَوْقِع ، فما أقوى هذا التحقيق ، وما أحسن هذا التطبيق .

* * *

قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

ماذا التَّجيعُ بوجنتيكَ وليس مِنْ ... شَدْخِ الأنوف[1] على الخدود رُعافُ
ألحاظُنا جرحتْكَ حين تعرّضتْ ... لك أم أديمُكَ جَوْهَرٌ شَفّافُ[2]

* * *

وقرأتُ له من مجموع[3] :

إذا ذكرتُ أياديكَ التي سَلَفتْ ... مع سُوءِ فِعْلي وزَلّاتي ومُجْتَرمي
أكادُ أقتُلُ نفسي ثم يمنعني ... عِلْمي بأنك مَجْبُولٌ على الكَرَمِ[2]

* * *

وله :

مَنْ كان يرضى بذُلٍّ في ولايته ... مِنْ خوفِ عَزْلٍ ، فإني لستُ بالرّاضي
قالوا فتركبُ أحياناً فقلتُ لهم : ... تحتَ الصليبِ ولا في موكبِ القاضي[2]

* * *

وله :

ألا حَبّذا رَوْضَتا نَرْجِسٍ ... تُحيّا النّدامى بِرَيْحانِها
شرِبنا عليها كأحْداقِها ... عُقاراً بكأسٍ كأجفانِها

(١) في الأصل : شرط الأنوف ، وما هنا عن معجم الأدباء .

(٢) الأبيات عند ياقوت « ج ٥ ص ٢٢٣ » . (٣) في معجم الادباء : في مجموع .

وَمِسْنا من السُّكْرِ ما بَيْنَها ... نُجَرِّرُ رَيْطاً كقُضْبانِها

* * *

وذكر سَيِّدُنا صفوةُ الدّين البالِسِيُّ[1] ، وقد حكى لي أَنّ الأَمير أَبا الحسن بن مُنْقِذ كان راكباً في جماعة ، فنزلوا بروضةٍ فيها الشقائق والأُقْحُوان فاُستحسنوها ، فقالوا : تعالَوْا نَنْظِم فيه شِعْراً ، وزعم أَنّ منهم اُبن حَيّوس ، فقالوا للأَمير : اُبدأْ أَنت ، فقال :

كأَنَّ الشَّقائق والأُقْحُوان ... خدودٌ تُقَبِّلُهُنَّ الثُّغورُ

فهاتيك يُخْجِلُهُنَّ الحَياء ... وهاتيك يُضْحِكُهُنَّ السُّرورُ[2]

. . . .

---

(١) بالس مدينة بالشام بين حلب والرقة . والبالسي هذا كان ، فيما يبدو من حديث العماد في ترجمة الفقيه أبي المجد ممدان البالسي (انظر الجزء الثاني تراجم شعراء حلب) مُعيداً بالنظامية ببغداد . وهو يطلق عليه هناك كذلك لقب سيدنا الصفوة البالسي . ومن المعروف أن العماد نشأ بأصبهان وفيها تعلم علومه الأولى ، ثم قدم بغداد فدرس في النظامية الأدب والفقه والخلاف ومنها تخرج ليتعلق بالوزير ابن هبيرة .

(٢) تنخرم هنا نسخة الاصل بمقدار صفحتين ، ويتناول الخرم تتمة ترجمة سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد وأول ترجمة ابنه أبي سلامة مجد الدين مرشد بن علي ، والد أسامة .

١ — فأما تتمة الترجمة فالظن أنها بقية المختارات . ومنها البيتان اللذان أوردهما صاحب عود الشباب بعد هذين البيتين مباشرة ، وهما :

أَلقى المنية في درعين قد نُسجا ... من المنية لامن نسج داود

إنّ الذي صوّر الأشياء صوّرني ... ناراً من البأس في بحرٍ من الجود

ولعلّ منها ما أورده ياقوت (وهو هنا في تراجم آل منقذ ينقل دائماً عن الخريدة ، ويمضي في نفس التتابع ، موجزاً في المختارات ، متخففاً من بعض السجع) ج ٥ ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .

ولعل منها أيضاً ما أورده ابن عساكر « مخطوط » في ترجمة سديد الملك ، وهي — فيما عدا ما أشرنا اليه — مقطعات صغيرة « تسعة أبيات » وقطعة في ثلاثة عشر بيتاً بعث بها الى سابق بن محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب شفاعةً في أبي نصر بن النحاس الكاتب الحلبي .

=

[الأمير مجد الدين أبو سَلامة مُرشِد بن عليّ]

[والد أُسامة]

. . . .

لئِنْ[1] نَسِيَ امرؤٌ عَهْداً فإنِي ... لِعهدِ أبي فِراسٍ غيرُ ناسِ

وما عاش الأميرُ أبو فِراسٍ ... فما مات الأميرُ أبو فِراس

=

٢ – وأما ترجمة ابنه أبي سلامة مرشد بن علي ، والد أسامة ، فنستطيع أن نقدر أن منها ما أورده ياقوت « ج ٥ ص ٢٢٦ » وهو هو الذي أورده صاحب عود الشباب – .

وانظر في ترجمة الأمير مرشد هذا ، الهامشَ الثالث من الصفحة ١٣٣ وأضف : ابن سديد الملك ابي الحسن علي بن مقلد، ووالد أسامة ، اللذيْن تقدمت ترجمتها ، وأحد اخوة أربعة : عز الدين أبي العساكر سلطان (انظر الهامش الرابع من الصفحة ٤٩٧) وعز الدولة نصر ابي المرهف (وسترد ترجمته) وابي المتوج مقلد تاج الامراء . ولد سنة ٤٦٠ ومات على فراشه في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة ٥٣١ .

وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر « مخطوط » : قال الحافظ : ذكر لي ولده أبو المغيث أنه دخل اطرابلس غير مرّة ، وكان مولده بحلب . . وسافر إلى بغداد وأصبهان ... وكان حافظاً للقرآن ، حسن التلاوة ، كثير الصوم . . وكان أخوه « سلطان » كثير الحسد له على أولاده . . ثم اختار له قدراً حسناً من شعره ، وقال توفي سنة ٥٣١ بشيزر ودفن بداره . وانظر أطرافاً من أخباره في «الاعتبار» لأسامة ، والروضتين ج ١ ص ١١١ والنجوم الزاهرة ج٥ ص٢٦٠

(١) مع هذين البيتين ينتهي الخرم ، ويتصل ما انقطع من الأصل «ب» « انظر الهامش الثاني من الصفحة السابقة » وعند ياقوت في معجم الأدباء «ج ٥ ص ٢٧٧ » في التمهيد لهذه الأبيات ، في خلال ترجمة الامير مرشد : « وذكره مجد العرب ابو فراس العامري ، وقال : كنتُ مقيماً مدّة بشيزر في كنفهم ، حاظياً برفدهم ، سامياً بشرفهم . وأثنى على خلفهم ، وترحّم على سلفهم . قال : وكان الأمير حينئذ بقامة شيزر السلطانُ ابو العساكر أخوه وهو ممدوحي الذي حباني الاكرام والاحسان ، وكان الأمير مرشد يقرّبني ويكرمني ، وقال فيّ أبياتاً منها : » وذكر البيتين .

كان يقول العامري[١] كُنيتي أبو فِراس ، وأراد في البيت أن أبا فِراس بن حَمْدان[٢] ما مات وهذا يعيش ، فإنّ شِعره كشِعره ، وكان العامريّ يَتَبجّحُ بالبَيْتين .

وقال السَّمْعاني[٣] في التاريخ : أنشدني ولده الأمير أبو عبد الله محمّد بن مُرْشد بن عليّ بن مُقَلَّد بن منقذ من حفظه ، عند القُبّة التي فيها قبر أيّوب النبيّ عليه السلام عند عَقَبة أفيق[٤] بنواحي الأُردنّ . قال : وأنا قائم أكتب وهو وغلمانه على الخيل . قال : أنشدني والدي مُرْشد بن علي لنفسه بشَيْزر . وحضرت عند الأمير أُسامة بدمشق في صفر سنة إحدى وسبعين وأُعترف بأنّ هذه القصيدة لأخيه[٥] :

---

(١) انظر في التعريف به الهامش الثاني من الصفحة ٥٥٤ (٢) انظر في التعريف به الهامش الرابع من الصفحة ٥٠١

(٣) انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٠ .

(٤) أفيق قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق ، والعامة تقول « فيق » . وهي عقبة طويلة نحو ميلين وتنزل فيها إلى الغور وهو الاردن « ياقوت » .

(٥) في تقديم هذه الابيات في الروضتين ج ١ ص ١١١ - ١١٢ ماخلاصته :

كان حصن شيزر لآل منقذ الكنانيين ، يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس ، إلى أن انتهى إلى الأمير أبي المرهف نصر بن علي بن المقلد ... بعد أبيه أبي الحسن « سديد الملك انظر ص ٥٥٢ » فبقي به مدة طويلة إلى أن مات بشيزر سنة احدى وتسعين واربعمائة ، وكان شجاعاً كريماً صواماً قواماً ، فلما حضره الموت استخلف اخاه الأمير أباسلامة مرشد بن علي وهو والد اسامة فقال : والله لا وليتها ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها ، وكان عالماً بالقرآن والأدب ، كثير الصلاح ، فولاّها أخاه أبا العساكر سلطان بن علي وكان أصغر منه فاصطحبا أجمل صحبة مدة من الزمان فولد أبو سلامة مرشد عدة أولاد ذكور فكبروا وسادوا منهم عز الدولة أبو الحسن علي « انظر الصفحات ٥٤٨ - ٥٥١ » ومؤيد الدولة اسامة بن مرشد « انظر الصفحات ٤٩٨ - ٥٤٧ » وغيرهما ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر ، إلى أن كبر فجاءه أولاد فحسد أخاه على ذلك فكان كلما رأى صغر أولاده وكبر أولاد أخيه وسيادتهم ساءه ذلك وخافهم على أولاده ، وسعى المفسدون بينهما فغيّروا كلاّ منهما على أخيه . فكتب الأمير سلطان إلى أخيه شعراً يعاتبه على أشياء بلغته عنه فأجابه بأبيات جيدة في معناها ، وكلهم كان أديباً شاعراً ، فنها : ثم أورد ثمانية عشر بيتاً .

وفي تقديم القصيدة عند ابن عساكر « التهذيب ، مخطوط » وكان أخوه كثير الحسد له على أولاده فكتب اليه قصيدة ، فأجابه المترجَم بقوله : وأورد منها عشرين بيتاً .

وعند ياقوت في معجم الادباء مثل ما في الخريدة .

ظَلومٌ أبَتْ في الظُّلْمِ إلاّ تَمادِيا[١] وفي الصَّدِّ والهِجْران إلاّ تَناهِيا[٢]

شَكَتْ هَجْرَنا والذَنْبُ في ذاك ذَنْبُها[٣] فيا عَجَبا مِنْ ظالِمٍ جاء شاكيا

وطاوَعَتِ الواشين فيَّ وطالما عَصَيْتُ عَذولاً في هواها وواشيا

ومال بها تِيهُ الجمال إلى القِلا[٤] وهَيْهاتَ أَنْ أُمسي لها الدهرَ قاليا

ومنها في العتاب :

ولا ناسياً ما اُسْتَوْدَعَتْ[٥] من عُهودها وإن هي أَبْدَتْ جَفْوَةً وتناسِيا[٦]

وقلتُ[٧] أخي يرعى بَنِيَّ وأُسرتي ويحفظ فيهم عُهْدتي وذِماميا[٨]

ويَجْزيهمُ ما لم أُكَلِّفْه فِعْلَه لنفسي فقد أَعْدَدْتُه مِنْ تُراثيا

فأَصبحتُ صفْرَ الكفِّ مِمّا رجَوْتُه أرى اليأسَ قد غَطّى[٩] سبيل رجائيا[١٠]

---

(١) في معجم الأدباء : التماديا .

(٢) بعده عند ابن عساكر البيت الخامس : ولا ناسياً . .

(٣) في الروضتين : في ذاك والذنب ذنبها .

(٤) في معجم الأدباء : العلا .

(٥) في الروضتين : ما أودعت .

(٦) بعد هذا البيت في الروضتين ثلاثة الأبيات التالية :

ولما أتاني من قريضك جوهر جمعت المعالي فيه لي والمعانيا

وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه تولّى برغمي حين ولّى شبابيا

وأين من الستين لفظ مفوّق إذا رمت أدنى القول منه عصانيا

وجاءت هذه الابيات عند ابن عساكر ، مع بعض الاختلاف في الرواية أو التحريف في النسخ ، بعد البيت الرابع : ومال بها . .

(٧) قبله عند ابن عساكر البيتان :

ودليت في الحرب الضروس بمهجتي على حرّها كيما تجيب المناديا

ورصّعت في علياك درّ مدائح تخال نجوم الأفق فيها قوافيا

(٨) في الروضتين : عهدي فيهم وذماميا .

(٩) في الروضتين : كذا الياس قد عفّى . .

(١٠) موضع هذا البيت عند ابن عساكر وفي الروضتين بعد البيتين التاليين : فالك – تنكرت – فأصبحت .

فما لَكَ ، لمّا أنْ حَنى الدّهْرُ صَعْدَتي ... وثلّمَ مني صارماً كان ماضيا

تنكّرْتَ حتى صار برُّكَ قسْوَةً ... وقُرْبُكَ منهم جَفْوةً وتنائيا[1]

على أنني ما حُلتُ عمّا عَهِدْتَه ... ولا غيّرَت هذي الشُؤونُ وِداديا

فلا زَعْزعَتْكَ الحادثاتُ[2] فإنّني ... أراكَ يَميني والأنام شِماليا[3]

* * *

وقرأتُ في بعض الكتب كلمةً نظمها الخطيب أبو الفضل يحيى بن سلامة الحَصْكَفي[4] في جواب رسالةٍ وصلت من الأمير عليّ بن مُرْشد[5] من شَيْزر ، وإنما أوردتُها هاهنا لكَوْنها في مدح بني منقذ ، وقد ذكرت ما فيه كفاية من شعر الخطيب الحَصْكَفي عند ذكره وهي[6] :

حوى مُرْشِدٌ وأبناه غُرَّ المَناقِبِ ... وحَلُّوا من العَلياء أعلى المَراتِبِ

---

(١) عند ابن عساكر وياقوت : وتناسيا .

(٢) في الروضتين وابن عساكر : فلا غرو « ولا غرو » عند الحادثات .

(٣) بعد هذا البيت في الروضتين وابن عساكر الثلاثة الابيات التالية :

تهنَّ بهـا عذراء لو قُورنت بها ... نجومُ سماءٍ لم تُعدَّ دراريا

تحلت بدرٍّ من صفاتك زانهـا ... كما زان منظوم اللآلي الغوانيـا

وعش بانياً للجود ما كان واهنـاً ... مشيداً من الاحسان ما كان واهيا

(٤) الملقب معين الدين ، المعروف بالخطيب الحَصْكَفي . ولد بَطَنْزة « بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية » ونشأ بحصن كَيْفا « انظر الهامش الثالث من الصفحة ٤٩٩ » وقدم بغداد ، ودرس الفقه والأدب على الأئمة ثم رجع إلى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها ، وتولى بها الخطابة والافتاء واشتغل عليه الناس وانتفعوا بصحبته . له خطب ورسائل وشعر . ولد في حدود سنه ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٣١ أو ٥٣٣ وسيترجم له العماد . (٥) والد المترجَم وأخو أسامة . وقد سبقت ترجمته في الصفحات ٥٤٨ – ٥٥١

(٦) انظر معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٣٠ – ٢٣١ فعنده من القصيدة الأبياتُ التسعة الأولى باستثناء البيت الرابع .

ذوائبُ مجدٍ ما علمتَ بأنهم … من العلمِ أيضاً في الذُّرى والذوائبِ

أتتْ مِنْ عليٍّ روضةٌ جاد رَوْضَها … سحائبُ فضلٍ لا كَجَوْدِ السَّحائب

ألم تر أنّ المُزْنَ فاضت فنوّلتْ … رَبابٌ وأروى منه حَلْيَ الكواعب

بأبياتِ نظمٍ[١] أفحمتْ كلَّ شاعرٍ … وآياتِ نثرٍ أعجمتْ كُلَّ خاطِب

وغُرِّ مَعانٍ أعْجَزَتْ كلَّ عالِمٍ … وأسطرِ خطٍّ أرعشتْ كلَّ كاتب

ربيعٌ بوِرْدٍ وافدٍ لمُطالعٍ … وربْعٌ لوَفْدٍ واردٍ بمطالب[٢]

وخَوْدٌ رمت بالسِّحرِ عن قوسِ حاجبٍ … لها في العُلى فخرٌ على قوسِ حاجِبِ[٣]

فلو قَطَبَتْ راحاً[٤] لما قطَّبتْ لها … وجوهٌ ولا غطّت على حِلْمِ[٥] شارب

مناقبُ نَدْبٍ، قال جدّي ابن مُنقذٍ … عليٌّ وعمي نجمه[٦] ذو المناقب

وبيتي كبيتي في القريض مُؤسَّس … بغير دَخيلٍ فهو إحدى العجائب

بنى منقذٌ مجداً تلاه مُقلَّدٌ … وقصّ عليٌّ نهجه في المذاهب

ولم يألُ جهداً مُرْشِدٌ في اقتفائهم … وأبناء ذاك البدر زُهْرُ الكواكب

إليهم نوى إرقالَه كلُّ خائفٍ … ومنهم حوى آمالَه كلُّ راغب

(١) في معجم الادباء : شمر .   (٢) رواية البيت في معجم الادباء .

وربعٌ لوردٍ وافدٌ لمطالع … ربيعٌ لوفدٍ واردٍ بمطالب

(٣) حاجب بن زُرارة بن عديّ الدارمي التميمي . من سادات العرب في الجاهلية ، كان رئيس تميم في عدة مواطن ، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . ادرك الاسلام وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات تميم فلم يلبث أن مات نحو السنة الثالثة للهجرة . « الأعلام »

(٤) في معجم الأدباء : يوماً . وقطب الشرابَ : مزجه .   (٥) في معجم الأدباء : حكم .

(٦) انظر زامباور « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » ج ١ ص ١٦٥

وفيهم روى أوصافَه كلُّ مادحٍ — وعنهم روى أوهامَه كلُّ عائبِ
لهم نارُ حربٍ أطفأت حربَ وائلٍ[1] — ونارُ قِرًى أوْفَتْ على نار غالبِ[2]
مغارسُهم طابَتْ وطابَ حديثُهم — وأطيبُ مسموعٍ حديثُ الأطايبِ
مناسِبُهم غُرٌّ وأكثرُ فخرِهم — بما استأثروه لا بِغُرِّ المناسِبِ
مكاسِبُهم حُسْنُ الثَّناء فما ابتَغَوا — به كبني الرعى[3] دَنِيَّ المكاسِبِ
متاعب دُنيا أوْبقَتْ بمَتاعِها — وأيُّ سُرورٍ في مَتاعِ مَتاعبِ
رآني عليٌّ لاعِباً بقرائنٍ — فجاء بأخرى مثلِها غيرَ لاعبِ
تحدّى كلامي فاعترفتُ بفضلِه — وأين الحِقاقُ من مِصاعِ المَصاعِبِ[4]

(١) هي حرب البسوس بين بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط بن هيب من ربيعة من عدنان . وهاج هذه الحرب مقتل كليب أخي المهلهل الشاعر المشهور .

(٢) غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي المجاشعي ، من وجوه العرب وسادات تميم، والد الفرزدق الشاعر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد على عليّ بالبصرة وأدخل عليه ابنه الفرزدق ، نحر لقومه مرة فلم يجاره احد ، وفيه يقول الفرزدق أبياته المشهورة من قصيدة :

وركبٍ كأنّ الريح تطلب عندهم — لها تِرةً ، من جذبها بالعصائب
اذا استوضحوا ناراً يقولون : ليتها — وقد خَصِرت أيديهم ، نار غالب

الأعلام ، الإصابة ج ٣ ص ١٨٩ ، الأغاني ج ١ ص ١٣٠ « الساسي »

(٣) كذا رسمت في الأصل ، ولعلها كبنى الرغْي .

(٤) الحقاق : ج حِقّ ، وهي الناقة التي سقطت أسنانها هرماً . المصاع : مصدر ماصع بمعنى قاتل وجالد . المصاعب : ج مُصْعَب ، وهو الفحل .

الأمير شرف الدولة أبو الفضل[1]

إسماعيل بن أبي العساكر سلطان[2] بن علي[3] بن منقذ

كان أبوه ابن عم[4] مؤيّد الدولة أسامة[5] أمير شيزر ، وسمعتُ أنه كان شابًّا فاضلاً ، وسكن بعد أخذ شيزر منهم بدمشق ، وتوفّي سنة إحدى وستين قبل وصولي إليها بسنة . سمعتُ من شعره قولَه :

ومُهَفْهَفٍ كتب الجمالُ بِخَدِّه	سطراً يُحَيِّر ناظِرَ المُتَأَمِّلِ
بالغتُ في اُستخراجه فوجدتُه	لا رأيَ إلاّ رأي أهلِ المَوْصِلِ[6]

* * *

وأثنى عليه الأمير مُرهَف[7] بنُ أسامة[5] بن منقذ ، وأنشدني له أشعاراً مليحة ، ومن جملتها بيتان في النَّحْل والزُّنبور ، وهما :

---

(١) ترجمه ياقوت ج ٥ ص ٢٣٤ ولقّبه شرفَ الدين واختار له طائفة من الأبيات مما آختاره العماد سنشير إليها .

(٢) انظر الهامش الثالث من الصفحة ٤٩٧ ، وهامش الصفحة ٥٥٨ ، والهامش الخامس من الصفحة ٥٥٩

(٣) انظر الصفحات ٥٥٢ - ٥٥٧ (٤) عند ياقوت : كان أبوه عمّ . . وهو الصحيح .

(٥) انظر الصفحات ٤٩٨ - ٥٤٧

(٦) البيتان عند ياقوت في معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٣٥ . ويقول في معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٧ «مادة الموصل» :

وقد ظُلِم أهل الموصل بتخصيصهم بالنسبة إلى اللواط حتى ضربوا بهم الأمثال ، قال بعضهم :

كتب العذار على صحيفة خدّه	سطراً يلوح لناظر المتأمل
بالغت في استخراجه ...	

ولقد جئت البلاد ما بين جيحون والنيل فقلّ ما رأيته يخرج عن هذا المذهب فلا أدري لِمَ خصّ به أهل الموصل .

(٧) انظر الصفحة ٥٧١ وما بعدها .

فطار لُبي ، وطاحتْ شِرَّتي ، ووهىْ حَوْلي ، وعَزَّ عزائي ، وأُنقضتْ حِيَلي
والنفسُ إن خاطَرتْ في غَمْرةٍ[1] وَأَلَتْ منها ، وإن خاطرت فى الوَجْدِ لم تَئِلِ
لها دُروعٌ تَقيها من سهام يدٍ فهل دروعٌ تقيها أسْهُمَ المُقَلِ
وزاد وجديَ أن زادت مَلاحَتُه كلٌّ بِهِ هو فيه غايةُ المَثَلِ
فانْظر إليه ترَ الأَقمار في قمرٍ وانْظر إليّ ترَ العُشّاق في رَجُلِ
بأيِّ أَمْريَّ أنجو من هوى رَشأٍ في جَفْنِه سحرُ هاروتٍ وسيفُ علي
تالله لا مَنْظَرٌ للعين أحسنُ مِنْ عَيْنٍ تُظاهِرُ بين الكُحْلِ والكَحَلِ
ووجنةٍ تَعِبتْ باللَّثْمِ فامْتزجتْ بحُمرةِ اللونِ فيها حُمْرةُ الخجَلِ
ظبيٌ إذا اْستلّ سَيْفَيْ مُقلتَيْه ويدٍ ذَلّتْ لديه أُسودُ الغابِ والأسَلِ
تأبَّطَ الرُمْحَ إذ وافاه مُعتدِلاً ولو تَثَنّى رآه غيرَ مُعتدِلِ
إذا رمى طرفُه باللَّحْظِ قال له قلبي : أَعِذْ لا رَماكَ اللهُ بالشَّلَلِ
أَمِنْ بني الروم ذا الرّامي الذي فَتَكتْ سِهامُه بالورى أَم من بني ثُعَلِ[2]
يَزْهى بوَجْنته خالٌ غَدوتُ به مِن الصَّبابةِ مَحسوباً من الخَوَلِ
خالَسْتُه ضَمّةً عند الوَداع له زالتْ ولَذّتُها في القلب لم تَزُلِ
ونِلتُ من ثَغْرِه رَشْفاً على حَذَرٍ من الرّقيب وتَقْبيلاً على عَجَلِ
ولستُ أُنكِرُ بعد الوصل فُرْقَتَهُ لأَنَّ عُمْرَ الفتى مُفْضٍ إلى أَجَلِ
إنْ خِفتُ رَوْعةَ هِجرانِ الحبيب فقد أَمِنْتُ في حُبِّه من رَوْعةِ العَذَلِ

(١) في الأصل : في عمره .

(٢) ثُعل بن عمرو بن الغوث من طيء ، جدّ جاهلي اشتهر بنوه بإجادة الرمي « الأعلام » .

ومُغَرِّدَيْن ترنّما في مجلسٍ ... فنفاهما لأذاهما الأقوامُ
هذا يجودُ بما يجودُ بعكسِه ... هذا ، فيُحْمَد ذا وذاكَ يُلامُ[1]

يعني العسل من النحل ، وعكسه اللسع من الزنبور .

* * *

وأنشدني أيضاً لابن عمه شرف الدين من أوّل قصيدة :

سَقامُ جَفْنَيْك قد أفضى إلى بدني ... فمَنْ لجفني بما فيه من الوَسَن

* * *

وأنشدني أيضاً لابن عمه المذكور شرف الدّولة إسماعيل[2] :

سُقيتُ كأسَ الهوى عَلاًّ على نَهَلِ ... فلا تَزِدْنِيَ كأسَ اللّوْم والعذَلِ
نأى الحبيبُ فبي مِنْ نأيه حُرَقٌ ... لو لابستْ جبَلاً هدّت قوى الجبل
ولو تطلّبتُ سُلواناً ازدتُ هوىً ... وقد تزيد رُسوباً نهضة الوَحِل
عفَتْ رُسومي فعُجْ نحوي لتندُبَني ... فالصَّبُّ غِبَّ زيال الحِبّ كالطّلَل
صحوتُ من قهوةٍ تُنْفى الهمومُ بها ... لكنّني ثَمِلٌ مِنْ طَرْفِه الثَّمِل
وما اعتبرتُ الذي استأنفتُ من حَزَنٍ ... إلاّ وطاح بما استسلفتُ من جَذَل
أُصَبِّرُ النّفسَ عنه وهي قائلةٌ ... ما لي بعاديةِ الأشواقِ من قِبَل
كم مِيتةٍ وحَياةٍ ذُقتُ طَعْمَهُما ... مُذْ ذُقتُ طعم النّوى اليأس والأمل
وكم رَدَعْتُ فؤادي عن تهافُتِه ... إلى الصّبابة رَدْعَ الحازِم البَطَل
حتى أتاحتْ ليَ الأقدارُ غُرّتَهُ ... وكنتُ من أجَلي منها على وَجَل

(١) البيتان عند ياقوت ج ٥ ص ٢٣٥ (٢) عند ياقوت من هذه القصيدة أربعة عشر بيتاً .

أخوه

الأمير ابو الفتح يحيى بن سُلطان بن مُنقذ

لقبه فخر الدين

ذكره لي الأمير مُرهف[1] بن أُسامة[2] ، وذكر أنه قُتل على بعلبكّ[3] في سنة أربعين وخمسمائة .

وأنشدني من شعره ما كتبه إلى أبيه يطلب منه رُمحاً :

يا خيرَ قومٍ لم يزل مَجْدُهمْ	في صفحاتِ الدّهرِ مَسْطورا
عبدُكَ يبغي أسمراً ذِكْرُه	ما زال بين الناس مَذْكورا
مُسدَّدٌ والجَوْرُ من شأنه	إن نال وِتراً صار مَوْتورا
وإن تَمضَّتَ به عاد عن	صُدور أعدائك مَكْسورا

---

١) انظر الصفحة ٥٧١ وما بعدها . (٢) انظر الصفحات ٤٩٨ - ٥٤٧

٣) في الاصل : بعل بك .

الأمير عز الدولة أبو المرهف نصر بن عليّ بن مُقلد[1]

عمّ مؤيّد الدّين أُسامة

كنا قد حضرنا عند الملك الناصر ليلةً بدمشق سنة إحدى وسبعين ، والأمير مؤيّد الدّين أسامة حاضر ، وتناشدنا مُلَحَ القصائد ، ونشدنا ضالّة الفوائد ، وجرى حديثٌ اُقتضى إنشاد الأمير أسامة بيتيْن لبعضهم في المشط الأسود والمشط الأبيض وهما :

كنتُ أستعمل السّواد من الأمـــــشاط ، والشَّعْرُ في سَواد الدّياجي
أتاقى مِثْلاً بِمِثْلٍ فلما صار عاجاً سَرَّحْتُه بالعاج

ثم قال الأمير أسامة : أخذ هذا المعنى عمّي نصر وعكسه وقال :

كنت أستعمل البياض من الأمـــــشاط عُجْباً بِلِمّتي وشَبابي
فاتَّخَذْتُ السَّوادَ في حالة الشيــــب سُلُوًّا عن الصِّبا بالتّصابي[2]

* * *

(١) سبقت ترجمته في الهامش الأخير من الصفحة ١٣١ ، وتعددت الاشارة اليه في خلال التراجم السابقة .

وترجم له ابن عساكر « مخطوط » فكان مما قاله عنه : ملك حصن شيزر بعد أبيه مدة طويلة . . . وذكر لي الامير ابو المغيث منقذ بن مرشد بن منقذ انه كان جواداً كريماً شجاعاً صواماً وكان باراً بأبيه حسن الفعال معه . قال : مات جدي الامير ابوالحسن وتولى الأمر بعده عمي عز الدولة ابو المرهف نصر وهو الذي ربّى اخوته ، وكان نصر من زهاد المسلمين وأهل القرآن ، وكان له شعر في الزهد ، وكان براً بوالده فعمل فيه والده أبياتاً . توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٩١ بشيزر .

انظر ص٥٨ و٥٩٥ وانظر معجم الادباء ج ٥ ص٢٣٨ فقد ترجم واختار له على مثال ماصنع العماد .

(٢) البيتان في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٣

وقال لي الأمير أسامة : كان عمي نصر قد أخرج حِجَّةً عن والدته[1] فرآها في النوم كأنّها تُنْشِدُه ، فانتبه والأبيات على حفظه :

جُزِيتَ مِن وَلَدٍ بَرٍّ بصالحةٍ　　فقد كَسَبْتَ ثواباً آخر الزَّمنِ
وقد حَجَجْتَ إلى البَيْتِ الحرام وقد　　أتيْتَه زائراً يا خَيْرَ مُحْتَضنِ
فلا تَنَلْكَ يدُ الأيّام ما طَلَعَتْ　　شمسٌ وما صَدَحَتْ وَرْقاءُ في فَنَنِ

وكان هذا نصر صاحبَ قلعةِ شيزر بعد والده سديد الملك[2] ، وكان كريماً ذا أرْيَحيّة .

* * *

قال الأميرُ مُرهَفُ بنُ أُسامة ، وهو بمحضرٍ من والدِه يحدّثني انه كتب القاضي أبو مسلم وادِع المعرّي[3] إلى الأمير أبي المُرْهَف نصر في نكبةٍ نالته :

يا نصرُ يا ابن الأكرمين ومَنْ　　شَفَعَ التِّلادَ بطارِفِ الفَخْرِ
هذا كتابٌ من أخي ثِقَةٍ　　يَشْكو إليك نوائبَ الدَّهْرِ
فامْنُنْ بما عوَّدْتَ مِنْ حَسَنٍ　　هذا أوانُ النَّفْعِ والضرِّ

فكتب إليه الأمير نصر إنه لم يَحْضُرْني سوى ما هو مُودَعٌ عندك ، وكان ستة آلاف دينار ، فاصْرِفْها في بعض مصالِحك واُعْذِر .

* * *

(١) في الاصل : والده.　　(٢) انظر الصفحات ٥٥٢ — ٥٥٧

(٣) وادع بن سليمان المعري ، قاضي معرة النعمان والمتولي على أمورها في عصره . قال فيه ابن الأثير : كان رجل زمانه همّةً وعلماً . توفي في المعرة سنة ٤٨٩ هـ « الأعلام » . وسيترجم له العماد في حديثه عن فضلاء أهل المعرّة « الجزء الثاني » .

وذكر أن نصراً كان بَرّاً بوالده سديد الملك[1] . ولوالده فيه :

جزى الله نصراً خَيْرَ ما جُزِيَتْ به — رِجالٌ قَضَوْا فَرْضَ العَلاء وتَفَلوا

هو الوَلَدُ البَرُّ العَطوفُ فإن رمى — به حادثٌ فَهْو الحِمامُ المُعَجَّلُ

يُفَدِّيك يا نَصْرُ[2] رِجالٌ مَحَلُّهُمْ — من المجد والإحسان أنْ يَتَقَوَّلوا

سأُثْني بما أَوْلَيْتَ بالمَوْقِفِ الذي — تَقِرُّ به الأقدامُ أوْ تَتزَلْزَل

وألقاكَ يومَ الحَشْرِ أبيضَ ناصِعاً — وأشكرُ[3] عند اللهِ ما كنتَ تَفْعَلُ[4]

---

(١) انظر الصفحات ٢ ٥ ٥ ٧ ٥ ٥ (٢) في الاصل : يصراً .

(٣) في الاصل : واسيله . وما هنا عن النجوم الزاهرة ومعجم الأدباء .

(٤) البيت الأول والأخير من هذه المقطوعة في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٣ ، ويضيف البيت :

إلى الله أشكو من فراقك لوعة — توقد في الاحشاء ثم ترحل

الأمير عضد الدولة أبو الفوارس

مُرْهَف[1] بن أُسامة بن منقذ

ذو المَجْدِ الأثير ، والفخر الأثيل ، والبيت الأصيل[2] .

أَنشدني بدمشق سنة إحدى وسبعين لنفسه :

سَمَحْتُ بُروحي في رِضاكَ ولم تكُنْ ... لتُعْجِزَني ، لولا رضاك ، المَذاهِبُ

وهانَتْ لِجَرَّاكَ العظائمُ كلُّها ... عَلَيَّ ، وقد جلَّتْ لَدَيَّ النَّوائب

فكان ثَوابي عن وَلائي تَجَهُّمٌ ... رَمَتْني به منكَ الظُّنُونُ الكَواذِب

---

(١) ترجم له ياقوت في معجم الأدباء « ج ٥ ص ٢٤٣ » فقال : فارقته في جمادى الاولى سنة اثني عشرة وستمائة بالقاهرة حيا ، ولقيته بها وهو شيخ ظريف ، واسع الخلق ، شائع الكرم ، جمّاعة للكتب ، وحضرت داره واشترى مني كتباً وحدثني أن عنده من الكتب مالايعلم مقداره ، إلا انه ذكر لي أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبة لحقته لم يؤثر فيها . وسألته عن مولده فقال : ولدت سنة عشرين وخمسمائة فيكون عمره إلى وقتنا هذا اثنتين وتسعين سنة وكان قد أُقعِد لايقدر على الحركة إلا انه صحيح العقل والذهن والفطنة والبصر ، يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان إلا أن سمعه فيه ثقل ، وكان ذلك يمنعني من مكاثرته ومذاكرته . وكان السلطان صلاح الدين ، رحمه الله ، قد أقطعه ضياعاً بمصر فهو يعرفها في مصالحه وأجراه الملك العادل ، أخوه صلاح الدين ، على ذلك ، وكان الملك الكامل ابن العادل يحترمه ويعرف له حقه . وأنشدني شيئاً من شعره وشعر أهله لم يحضرني منه في هذا الوقت ماأورده . وذكر له العماد في كتاب الخريدة ما ذكر أنه سمعه منه وهو . . » وأورد أبيات الخريدة . ثم قال . ومات في الثاني من صفر سنة ثلاث عشرة وستمائة . وانظر كذلك ذيل الروضتين لأبي شامة في حوادث سنة ٦١٣ « ص ٩٣ » .

والعماد كثير التحديث عنه واستقاء المختارات الشعرية منه « انظر الخريدة قسم شعراء مصر »

(٢) في عود الشباب : ذو المجد الاثيل ، والفخر الاصيل ، والبيت النبيل .

فَمَهْلاً فلي في الأَرض عن منزل القِلا مَسارٍ إِذا أَخْرَجْتَني ومَسارِبُ

وإن كنتَ ترجو طاعتي بإِهانتي وقَسْري فإنّ الرَّأْيَ عنك لَعازِب

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه وهو حاضر عند والده ، وذكر أنه مما كتبه إلى والده :

رَحَلْتم وقلبي بالوَلاء مُشَرِّقٌ لديْكُمْ وجسمي لِلْفَناء مُغَرِّبُ

فهـذا سعيدٌ بالدُّنُوِّ مُنَعَّمٌ وهـذا شَقِيٌّ بالبِعاد مُعَذَّب

وما أَدَّعي شَوْقاً فَسُحْبُ مَدامعي تُتَرْجِمُ عن شوقي إليكم وتُعْرِب

ووالله ما اُخْتِرْتُ التَّأَخُّر عنكم ولكن قضاءُ اللهِ ما مِنه مَهْرَب

الأديب أبو[1] عبد الله محمد بن يوسف بن منيرة[2] الكفرطابي[3]

وذكر أنه كان[4] قرأ على الطُّليطليّ . لقيتُ مَنْ قرأ عليه وهو أبو الثناء محمود ابن نعمة بن أرسلان الشَّيْزَري[5] بدمشق .

واستنشدتُه من شعر أستاذه ، فأنشدني له بيتين لم تَخلُ كلمةٌ منهما من زاي وهما : قال أنشدنيهما لنفسه :

تجاوزْتُ أجوازَ المَفاوزِ جازياً بأزرقَ عَزَّته نزوعُ النواهزِ

وزَجَّيْتُ نُزْلاً كالجوازي مُجَهَّزاً وأَزْجَيْتُ عَزْمَ الهِبْرِزِيّ المُناجزِ

* * *

(١) سقطت « أبو » في الأصل .

(٢) في تاريخ ابن عساكر وتهذيبه « مخطوطان » أنه : محمد بن يوسف بن عمر بن علي ، أبو عبدالله الكفرطابي نزيل شيزر ويعرف بابن المنيرة . أديب فاضل سمع الحديث من أبي السمح الفقيه الحنفي نزيل شيزر وقرأ الأدب على أبي عبد الله الطليطلي وكان له نظم ونثر ومصنفات . قدم دمشق ثم رجع إلى شيزر وسمع منه أخو الحافظ ابن عساكر. أنشدني ابو عبدالله محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري « انظر ص ٥٧٤ » انشدني الاستاذ أبو عبد الله بن المنيرة ... ثم أورد له سبعة وعشرين بيتاً . توفي في الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بعد الزلزلة « انظر في خبر الزلزلة الروضتين ج ١ ص ١٢٠ » .

وترجم له ياقوت « ج ١٩ ص ١٢٢ » فذكر أنه صنف بحر النحو نقض فيه مسائل كثيرة من أصول النحويين ونقد الشعر وغريب القران . وترجم له السيوطي في بغية الوعاة في مثل ترجمة ياقوت وكلاهما وهم في تاريخ وفاته حين جعلها سنة ٥٤٣ .

(٣) كَفَرطاب : بلد بين المعرّة ومدينة حلب « ياقوت » .

(٤) اللفظة مستدركة على هامش الأصل . (٥) صاحب الترجمة التالية . انظر ص ٥٧٥

وأنشدني أيضاً قال أنشدني أُستاذي ابن منيرةَ لنفسه في السيف :

ومُهَنَّدٍ تَقْفو المَنونُ سَبيلَه ... أبداً فكيف يُقال رَيْبُ مَنونِ

شَرِكَ المنايا في النفوس فرَحْنَ عَنْ ... غَبْنٍ ، وراحَ ولَيْسَ بالمَغْبُونِ[1]

لو أن سيفاً ناطقاً لتحدَّثَتْ ... شَفراته بسرائرٍ[2] وشُجون

فكأنّما القَدَرُ المُتاح مُجَسَّمٌ ... في حَدِّه أو عزم عزّ الدين

---

(١) بعد هذا البيت عند ابن عساكر :

يهوي فيترك كل قدّ توأما ... بهويه يكفيك غير خؤون

(٢) في الأصل : بشرائر .

الأديب أبو الثناء محمود بن نِعمة بن أرسلان الشيزرى[1]

لقيتُه بدمشق سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة ، وأنشدني من أشعاره ، وأجناني من ثماره ، ونزّهني في أزهاره ، وكتب القصيدة الميميَّةَ بخطِّه ، وأبرز لي من سَفَط تبريزه دُرَّ سِمْطه ، ووعدني أن يكتب لي من شعره ما أُوَشّح به كتابي هذا وأُطَرِّزه ، وأحْرُزه في كنز الفضائل وأَكنِزُه ، فعاقه القدر عن نَجاز وَعْده ، وطرّق الكدرُ بطارِق ثَمَدِ صَفْو وِرْده ، وتُوُفّي بعد سنة خمسٍ وستين وخمسمائة بدمشق .

ومن مشهور شِعره بَيْتٌ جمع فيه سِتّ تشبيهات ولم يُسْبَق إليه ، فإنّ أكثر ما جمع خَمْسَ تشبيهات بيتُ القائل :

فأَمْطَرتْ لُؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وسَقتْ   ورْداً وعَضّتْ على العُنّاب بالبَرَدِ

وبيتُ محمودٍ الشَّيْزَرِيّ :

تَنْضُو السّحائبَ عَنْ بدرٍ وأَنْجمِه   وتَمسَحُ الطَّلّ عَنْ وَرْدٍ بِعُنّابِ

فشبّه النِّقابَ بالسّحاب ، والوجهَ بالبدْر ، والحَلْيَ والشُّنُوف بالنجوم ، والعَرَق بالطّلّ ، والخدَّ بالورد ، والأَنامل المُخَضّبَة بالعُنّاب .

* * *

(١) ذكره صاحب النجوم الزاهرة « ج ٥ ص ٣٥٨ » في وفيات سنة ٥٦٦ فقال : وفيها توفي محمود . . الشاعر المشهور ، كان أديباً فاضلا بارعاً ، ثم أورد له بيتيه التاليين في كافات الشتاء .

وذكره السيوطي في بغية الوعاة فلم يزد على ذكر اسمه والبيتين .

وذكره ابن خلكان في خلال ترجمة محمد بن عبد الله المعروف بابن سُكّرة الهاشمي فأورد اسمه وبيتيه وسنة وفاته ، ونقل عن العماد أنه رآه بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة وانه انشده عدة مقاطيع له .

وله في كافات الشَّتْوَة[1] :

يقولون كافاتُ الشتاءِ كثيرةٌ ... وما هي إلاّ فَرْدُ كافٍ بلا مِرا

إذا صحّ كافُ الكيس فالكُلُّ بعدَها ... يَصِيحُ : وكلُّ الصَّيْدِ يُوجَدُ في الفَرا[2]

وللأمير الأديب أبي الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشَّيْزَرِيّ ، أنشدني لنفسه بدمشق في وزن قصيدة عملها مؤيّد الدين أسامة بن منقذ يشكو ابنَ الصُّوفيّ بدمشق وهذا يُجيبه عن تلك القصيدة[3] :

يا ظالماً نارُه في القلب تَضْطَرِمُ ... مَهْلاً فظُلْمك تَغْشَى نُورَه الظُّلَمُ

كأنَّك القوسُ تُرْدي وهي صارخةٌ ... وما ألَمّ بها من غيرها ألَمُ[4]

تَجْني وتُلزِمني ذنباً أتيتَ به ... ووجهُ غَدْرِك بادٍ ليس يلتثم[5]

فكم تُحيلُ على الأيّام صُنْعَك بي ... ودونَه تَعْجِز الأيّام والأُمَمُ

والبُعْدُ أيْسَرُ ما اسْتوجبتَ من جهتي ... والهَجْرُ واللَّوْم والتفنيدُ والسَّأَمُ

يا مَنْ وهبتُ له قلبي فعذَّبَه ... وما اعتراني على إعطائه ندم

---

(١) انظر في قصة هذه الأبيات ترجمة ابن سكرة الهاشمي « محمد بن عبدالله » في ابن خلكان، والوافي للصفدي « ج٣ ص٣٠٨ » ، والنجوم الزاهرة ج٥ ص٣٥٨ ، والمقامة الكَرَجية « الخامسة والعشرون » للحريري .

(٢) الفَرا : الحمار الوحشي . يضرب المثل « كلّ الصيد في جوف الفَرا » في الواحد الذي يقوم مقام الكثير لعظمه . وانظر في قصته مجمع الامثال « ج ٢ ص ٧٤ » وفرائد اللآل « ج ٢ ص ١٠٧ » .

(٣) انظر في ذلك كله ص ٥٣٣ من هذا الجزء .

(٤) في هامش الأصل « ب » : أخذه من قول ابن الرومي :

تُشكي المحبَّ وتشكو وهي ظالمة ... كالقوس تُصمي الرّمايا وهي مرنان

(٥) في الأصل : يلتتم .

بِئْس الجزاء بما أَوْلَيْتُ عَوَّضني ... والله يكرهُ ما يَأْتيه والكَرَم[1]

قُل للذي باعني بَخْساً بلا ثمنٍ ... بأيِّ عُرْوَة رِبحٍ[2] أنت مُعْتَصِم

وعاذلٍ بات يَلْحاني على قمرٍ ... أهوى الوفاء وأَنْ تُرْعَى له ذِمم

فقلتُ والعَذْلُ[3] يطويني ويَنْشُرُني ... أكْفف فَهَمُّك لا تُثْنَى له الهِمَم

لا تُهْدِيَنْ ليَ نُصْحاً لستُ أقبلُه ... واعلم بأنك في ذا النصح مُتَّهَم

مَنْ يتركُ العَيْنَ مُعْتاضاً بها أثراً ... عَمْداً ويُكذِبُ سَمْعاً ما به صَمَم

يا أيُّها الراكِبُ الطاوي لِطِيَّتِه ... أرضاً تَكِلُّ بها الوَخَّادَةُ الرُّسُم

أبلغ أُسامَةَ عن ذي النُّصح مَأْلُكَةً ... فيها البصائر والآداب والحِكَم

في أيّ دينٍ يُجازَى المحسنون بما ... يَسُوءهم ، ولماذا تُجْحَد النِّعَم

أتيتُمونا وقد ضاق الفضاء بكم ... ولم يَقِرَّ بكم قُورٌ ولا أَكَم

والسُّمْرُ قد شَرَعَتْ فيكم أسِنَّتَها ... وأرهفت لكم الهِنْدِيَّةُ الخُذُم[4]

وقد تبرّأ منكم كلُّ ذي نَسَبٍ ... وما أجارَكُمُ عُرْبٌ ولا عَجَم

أَلْفَيْتُمونا لكم خيرَ المجير وقد ... طافت بكم نُوَبُ الأيّام والنِّقَم

أتَتْكُمُ رَوْضَةٌ غَنّاء مُزْهِرةٌ ... من جودنا ، وغَديرٌ مُتْرَعٌ شَبِم

ومَنْزِلٌ عند خير المُنْزِلين لكم ... رَحْبُ الذُّرى ، ومُقامٌ طاهر حَرَم

وأطرفَتْ[5] أعيُنُ الأعداء دونَكُمُ ... ولم تَطُلْ نحوَكُمْ كفٌّ ولا قَدَم

---

(١) في هامش الأصل : تضمين . يريد الاشارة إلى بيت المتنبي :

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... والله يكره ماتأتون والكرم

(٢) في الأصل : ريح . (٣) في الأصل : والعدل . (٤) في الأصل : الخدم . (٥) في الأصل : وأطرفت .

فحين أدركَكُم ما تأملون بنا … وما أصابكُمُ عارٌ ولا سَقَمُ
كفرتُمُ صُنْعنا المشكورَ أنْعُمَهُ … بلؤمكم وهو ما بين الورى عَلَمَ
وكنتمُ عَوْنَ مَنْ يبغي عَداوتَنا … والله عونٌ لِمَنْ بالحقّ يَعْتصِم
بَغْيٌ تُشَيِّده الأطماعُ كاذِبةً … وكلُّ ما لا يَشيدُ اللهُ ينهدم
كما بغى ابن أبي سفيان حين بغى … ما ليس فيه له إرثٌ ولا قِسَم
ولو نشاء سَقَيْناكم بأسِنةٍ … أدْمٍ بها تلتقي الأقدام والقِمَم
لكن أجارتْكُمُ منّا مُحافظةٌ … لها المقاتل والأطفال والحُرَم
فأين كنتم، وبيضُ الهندِ مُصْلَتةٌ … والسَّمْهَرِيَّةُ والأكباد تَنْحَطِم[1]
والأعوَجِيَّةُ بالأبطال مُقبِلةٌ … والخلْقُ صِنْفان: مقتولٌ ومُنْهزِم
والخوفُ قد طَبَّقَ الأقطار أجمعَها … فالهامُ تُفْلَق والأصلاب تَنْقَصِم
هناك تأتي المنايا طَوْعَ بُغْيَتِنا … فلم تزل في نفوس القَوْم تَحْتَكِم
ونحن أُسْدٌ وغِيٌّ أرماحها أَجَمٌ … وَمِنْ فوارسها الأبطال والبُهَم
ومثل يوم ٍفَشَتْ في الناس روعته … من الفَرَنْج وموجُ الموْتِ مُلْتَطِم
قُمْنا وقد قَعَدَ الأقوام[2] أجمعُهُمْ … فما تَساوَتْ به العِقْبان والرَّخَم
والباطنيَّةُ مُذْ همُّوا بأجمعِهم … وأظهروا بفساد الدّين ما كتموا
وغرَّهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ وداخلهمْ … عُجْبٌ بما اجتمعوا فيه وما اجترموا

---

(١) في هامش الاصل كتابة بخط مغاير، يبدو أنها تفسير لفظتي: مصلتة وتنحطم.

(٢) جاء في هامش الأصل، في سطرين، الكلمتان التاليتان: أصل القوام. كأنه يشير الى الأصل الذي نقل عنه.

وأيْقَنوا أنّ صُبْحَ الحقّ لاحَ لَهُمْ … والخَلْقُ دونَهُمُ تغشاهُمُ ظُلَمُ

ثُرْنا لهم ثَوْرةً في الله صادِقةً … وَهَتْ عُرى عَزْمِهم[1] فيها وما عَزَموا

هذا وإنْ رابَتِ السُّلْطانَ حادِثَةٌ … واستعجمتْ ، وقَضاءُ الله يَنْعَجِم

قُمْنا لها فكَفَيْناها بأنْفُسِنا … وما تُساعِدُنا الأعْوان والخَدَمُ

وإنْ أتى المَحْلُ يوماً صاب صَيِّبُنا … وجاد فيه إذا ما ضَنَّتِ الدِّيَمُ

ولو تقاسَمْتُمُ بالحبِّ كان لكم … منه النَّصيبُ الحقيرُ التّافِهُ الزَّنِمُ

فكم أتَيْتَ بقولٍ منكَ مُخْتَلَقٍ … وما لهُ قَدَمُ صِدْقٍ ولا قِدَمُ

وما نَزَلْتَ على قومٍ ذَوي رَحِمٍ … إلاّ وشُتِّتَ مِنْ جَرّاك شَمْلُهُمُ

إنّي لأخْشى على مصرٍ وإن عَمَرَتْ … تُضْحي وأبياتُها من رَأْيِكُمْ رِمَمُ

فالله يَكْفي أميرَ المُؤمنين شَدي[2] … فَسادَ فِعلِكُمُ ما أوْرَقَ السَّلَمُ

(١) صبرهم .

(٢) هو صلاح الدين ، يوسف بن أيوب بن شادي .

الفهارس

الفهرس الأول

أبواب الجزء وأسماء الشعراء

الفهرس الثاني

فهرس المختارات الشعرية[1]

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
(ء)					
لا يغرّنك بالسيف المضاء –	الظّباء	القيسراني	٩٨	١٠	
هذا الحبيب وهذه الصهباء –	إغراء	عرقلة الكلبي	١٨٤	١٠	
مالي أرى قوماً يروضون العلا –	وإباء	نصر الهيتي	٢٣٠	١٠	
كأنما الفستق المُمَلَّحُ إذ –	صهباء	المنتهى الدمشقي	٢٦٥	٢	
وقالوا كن لنا خدناً وخِلاًّ –	يشاءوا	المؤتمن الساجي	٢٨٧	٢	
مشرئبٌّ ماضي البراثن ساط –	النَّجاء	الأمير يعمر بن عيسى	٣٧٩	٤	
(ءِ)					
من آلة الدست لم يُعطَ الوزير سوى –	إيماء	المرزي	٣٨	٢	

(١) رتبنا هـذا الفهرس على حرف الرويّ وحركته مبتدئين بالرويّ المضموم فالمفتوح فالمكسور فالساكن ، ملحقين بكلٍّ ما اتصل به هاء الوصل ، ناظرين إلى حركتها ، مقدمين الهاء المضمومة فالمفتوحة ... فاذا اتفقت الأبيات في الرويّ والمجرى « حركة الروي » وهاء الوصل والنفاذ « حركة هاء الوصل » راعينا تسلسل الصفحات . وقد ذكرنا اسم الشاعر ، ورقم الصفحة ، وعدد الأبيات ، ونبّهنا إلى ما جاء منهـا في الهامش ، وما تكرر ذكره ، وما انفرد عن القصيدة .

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
فنائي فيك أعذبُ من بقـائي	دوائي	ابن منير الطرابلسي	٨٧	٧	
أقول وقد بدا ينهـال ليناً	اللواء	« « «	٨٨	١	من القصيدة السابقة
نافرته البيضاء في البيضاء	القضـاء	القيسراني	١٢٣	٩	
وَهَبْ ما قالت الواشون حقّاً	بدر السماء	عرقلة الكلبي	١٨٤	٤	
أنا في الهوى لحمٌ على وضم لما	ومن بُرَحاء	فتيان الشاغوري	٢٥٨	٧	وآخران في الهامش
أي ركن وهى من العلماء	من العَلْياء	« «	٢٧٨	٤٤	
أظبيَ تجرّدْ من عيون ظباء	خباء	المهذب الدمشقي	٣٣٦	٢٤	
مجلسٌ حُفّ بالسّنا والسّناء	السّراء	الأمير يعمر بن عيسى	٣٦١	١٠	
غيّبتنا شـواهد الصّهباء	الغناء	« « « «	٣٦٤	٣	
يا حسن نـارٍ أتتنـــا	الظلماء	سعادة الأعمى	٤٢٤	٤	
أرجأتُ كتبي إلى حين اللقاء فقد	إرجائي	أسامة بن منقذ	٥٢٤	٤	
خِدعُ الخدود يلوحُ تحت صفائها	بحيائها	ابن منير الطرابلسي	٧٧	٢	
أشعلت قلبي ما رمى بشرارةٍ	مائِـهِ		٨٠	١	في الهامش
(ا)					
قمرٌ يغيبُ إذا بدأتُ ملامةً	بـدا	عرقلة الكلبي	١٩٥	٢	
(بُ)					
أنت جمادى إذا سئلتَ ندى	رَجَبُ	الغزي	٦	١	من القصيدة :
قم نفترعها كأنها الذّهبُ	العنبُ	«	١٨	٢٤	ومنها :

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أغْيَدُ للعين حين ترمقه	عَطِبُ	الغزي	٣٤	٤	
أصدوداً ولم يصدّ التصابي	المشيبُ	المهذ	٥٩	٢	
يشيمُ هواكم مقلتي فتصوبُ	فتُصيبُ	القيسراني	١٣٠	١٣	
ذَرِ المقام إذا ما ساءك الطّلبُ	والأَربُ	عرقلة الكلبي	١٨٦	٢	
لمن الخيل كلّ أرضٍ تجوبُ	شَعوبُ	«	١٨٧	٨	
أقفر من أهله ماحوبُ	فالذّنوبُ	عَبيد بن الأبرص	١٨٨	٣	في الهامش
هكذا في حبّكم أستوجِبُ	يَجِبُ	البديع الدمشقي	٢٦٩	١٢	
أخلّاي إذ أصبحتمُ في دياركمْ	غريبُ	ابو علي الحسن بن مسعود	٢٨٥	٣	
بكُتبك تنفلّ الكتائب نُكّصاً	لا تُعقّبُ	ابن الزعلية	٣٢٦	٦	
انظر إلى الماء فيه النار تلتهبُ	ذَهَبُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٦٣	٦	
جبالُ عُلاً تُطاولها هِضابُ	ذئابُ	سعادة الأعمى	٤٢٦	٢٥	
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا	كذَبوا	طُريح الثقفي	٤٨٥	١	في الهامش
وما تاجُ روميٍّ لبيْضةِ باسلٍ	المضارِبُ	ابن رواحة الحموي	٤٨٨	٥	
لم يبق لي في هواكُمْ أربُ	تنقَلِبُ	أسامة بن منقذ	٥٠١	٥	وآخران في الهامش
يا دهرُ مالك لا يصدُّك عن إساءتي العتابُ		« « «	٥٠٢	٣	
ذكر الوفاء خيالك المُنتابُ	مُرْتابُ	« « «	٥١٢	٦	وآخر في الهامش
سمحتُ بروحي في رضاك ولم تكن	المذاهِبُ	مرهف بن أسامة	٥٧١	٥	
رحلتمْ وقلبي بالوَلاء مُشرّقٌ	مغرّبُ	« « «	٥٧٢	٤	
أهلاً بطيف خيالٍ زارني سحراً	ذوائبُهُ	ابن قسيم الحموي	٤٣٤	١٤	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
يا مُدّعي الصبر عن أحبابه وله	يُكذّبُهُ	أسامة بن منقذ	٥١٨	٥	
وركبٍ كأطراف الأسنّة عرّسوا	غياهبُهْ	ابو تمام	٣٥	٢	في الهامش
(بَ)					
حملنا من الأيام ما لا نُطيقه	العصائبا	الغزي	٥	١	في الهامش من القصيدة :
ورود ركايا الدّمع يكفي الركائبا	الترائبا	«	١١	٤٢	
الفضل فضلان : طبعيٌّ ومكتسب	واصطحبا	«	٣٣	٢	
لا تحسبوا فيض عبرتي عجبا	وَثَبا	«	٦٣	١٢	وبيت آخر في الهامش
روحي الفداء لمن إذا آلمْته	وتذهّبا	ابن منير الطرابلسي	٨٤	٥	
إذا عبّ فيها شارب القوم خلتَه	كوكبا	ابو نواس	١١٦	١	في الهامش
لله نسبة أنفاسي إلى حُرقي	اُنتسبا	القيسراني	١٢١	٥	تتكرر في القصيدة :
ما اُستأنف القلبُ من أشواقه أرَبا	طَرَبا	«	١٥٣	١١	
وكم ليلةٍ قد بتُّ أُسقىٰ بكفّه	وكوكبا	عرقلة الكلبي	١٨٦	٢	
قد جاءك السعدُ والتوفيق واصطحبا	مُرتَقِبا	وُحيش الأسدي	٢٤٢	١٤	
وميض برقٍ أرى في فيكَ أم شَنَبا	أمْ ضَرَبا	فتيان الشاغوري	٢٥٤	٩	
رآني الفضل في فضلي سماءً	حَبّا	المنتهى الدمشقي	٢٦٧	٤	
بُرءٌ أبرّ على إرواء باكرةٍ	جَدِبا	ابن الزغلية	٣٢٣	١١	
أرأيتَ أحداقاً قُلِبْن قواضبا	مضاربا	المهذب الدمشقي	٣٣٨	٣	
وصاحبٍ لا أعاد الدهرُ صحبتَه	صُحِبا	الأمير يعمر بن عيسى	٣٩٠	٤	
لو كان صدّ مُعاتباً ومغاضِبا	شائبا	أسامة بن منقذ	٥٠٣	٥	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أما الفراق فقد عاصيتُه فأَبى	غَلَبا	ابن حيوس	٥٥٣	١٨	
تجرّم حتى قد مَلِلْتُ عتابَه	اقترابَه	أسامة بن منقذ	٥٠١	٢	
(بِ)					
متى ينجلي ليلُ الظّنونِ الكواذبِ	قاضبِ	الغزي	١٦	١٧	
ألا قولوا لذا السرّاج إنّي	العجيبِ	«	٢٩	٢	
ولربّما ستر الحيـاء فضيلةً	ثالبِ	«	٧٣	٢	
وأهوى الذي يهوي له البدرُ ساجداً	التُّربِ	القيسراني	٩٧	١	تكررا في القصيدة:
إذا كانت الأحداق ضَرْباً من الظُّبى	الضَّرْبِ	«	٩٧	١	
سقى الله بالزَّوْراء من جانب الغَرْب	من القلبِ	«	١٢٤	١٥	
كنت أستعمل البياض من الأمـ.. شاط	وشبابي	ابو المرهف نصر بن علي	١٣٢ و ٥٦٩	٢	في الهامش ثم في المتن
يا عارضاً نفسَه ، وعارضُه	بالحجُبِ	القيسراني	١٤٥	٣	
منحتكمْ يا أهل مصر نصيحتي	بنصيبِ	ابو نواس	١٧٩	٤	في الهامش
أقول والقلب في همّ وتعذيبِ	يعقوبِ	عرقلة الكلبي	١٨٠	١	
بأبي قدٌّ يعيشٍ بأبي	القُضُبِ	« «	١٨١	٢	
ومضروبة من غير جرمٍ ولا ذنب	قابي	« «	١٨١	٢	
خرف الخريف وأنتَ في شُغُلٍ	والحِقَبِ	« «	١٨٥	٣	
ومحبوبةٍ في القيظ لم تخلُ من يدٍ	الحبائبِ	« «	١٨٦	٢	
ونادبةٍ ناحتْ سُحَيْراً بأيْكةٍ	نادبِ	« «	١٨٦	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
لا ترقُدنْ وأبن ثوبًا معاً	من أشعبِ	عرقلة الكلبي	١٨٨	٢	
لمّا سمحتَ لأهل الشام بالخشب	من النَّشَبِ	الحافظ ابن عساكر	٢٧٧	١١	
سحابُ النّدِ مُنتشر الضَّبابِ	الحَبابِ	ابن الفراش	٢٩٠	٢٠	
لا تَلْقَ دهرك بالعتابِ	ذاتُ انقلابِ	« «	٢٩٤	١٩	
سرى ما بيننا سرّ الغيوبِ	عن قريبِ	« «	٣٠٠	٤٠	
كأنّ الرّيح حين يلوحُ سِربٌ	الهُبوبِ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٦٩	٣	
يا حبّذا يومنا ، والكأسُ ناظمةٌ	أحبابِ	ابو الحسن الدمشقي	٣٩٣	٤	
تاجُ الملوك ، أدام الله نعمتَه	ومن عَرَبِ	« « «	٣٩٤	٤	
مولاي جُد لي بوعدي	سير الرِّكابِ	« « «	٣٩٦	٧	
جَيشٌ تجيشُ على مثل الصقور به	شُطَبِ	سعادة الأعمى	٤٢٣	٢	
وشادنٍ نادمته	تحت رواق الغَيْهبِ	« «	٤٢٤	٤	
وجاثمٍ بيننا على الرُّكَبِ	من تعَبِ	« «	٤٢٤	٣	
أما والذي أهدى الغرام إلى القلب	السِّرْبِ	ابن قسيم الحموي	٤٣٥	١٤	
يا مالك القلبِ أنت أعلمُ من	القلبِ	« « «	٤٣٦	٨	
رأَوْا جُدَرِيًّا لاح في صحن خدِّه	الكواعبِ	« « «	٤٣٧	٣	
يا ماطلاً لا يرى غليلي	سوى سَرابِ	ابن رواحة الحموي	٤٨٣	٦	
تلا فدعا قلبي إلى حبّ وصله	عن الحبِّ	« « «	٤٨٧	٢	
لم تطلع الشمسُ منهم يوم ذاك على	عَزَبِ	ابو تمام	٤٩٦	١	في الهامش
أنستني الأيّامُ أيّام الصِّبا	الذّاهبِ	أسامة بن منقذ	٥٠٤	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
نهارُ الشيب يكشِفُ كل رَيْبِ	ـ الشَّبابِ	أسامة بن منقذ	٥٠٤	٣	
أمُهذَّب الدين استمع من عاتبٍ	ـ بعتابِ	« « «	٥٠٩	٦	
تَقَلُّبُ أحوال الزمان أفادني	ـ من الخطْبِ	« « «	٥٢٣	٢	
سمعتْ صروفُ الدَّهْرِ قولَ العاتبِ	ـ الحاربِ	« « «	٥٢٧	٧	
عماد الدين مولانا جوادٌ	ـ السحابِ	« « «	٥٤٧	٣	وبيت آخر في الهامش
حوى مُرْشِدٌ وأبناه غُرَّ المناقب	ـ المراتبِ	الحصكفي	٥٦١	٢٢	
وركبٍ كأن الريح تطلبُ عندهم	ـ بالعصائبِ	الفرزدق	٥٦٣	٢	في الهامش
تنضو السحائب عن بدرٍ وأنجمه	ـ بعُنّابِ	محمود بن نعمة الشيزري	٥٧٥	١	
دعا مُهجتي رَهْنَ أوصابِها	ـ وأطرابِها	أبو العلاء الحمصي	٤٠٣	٩	
تفيض نفوسٌ بأوصابها	ـ مابِها	« « «	٤٠٤	٩	
مُتَشَوِّف كالصَّبِّ خوفَ رقيبِه	ـ لحبيبه		٣٤٤	٢	
من لي بخالٍ جائرٍ في حُبِّه	ـ عَتْبِه	أبو طالب بن الخشاب	٣٩١	٥	
أسمرُ عيلَ الصبرُ في حبِّه	ـ من مُشْبِه	ابن رواحة الحموي	٤٨٩	٣	
نحن بنو الموتى فما بالنا	ـ من شربِهِ	المتنبي	٥٢١	١	في الهامش

(بْ)

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
مدحتُ الورى قبله كاذباً	ـ كَذَبْ	الغزي	٦	١	
فمٌ وثغرٌ وشنبْ	ـ وحَبَبْ	القيسراني	١٤٨	١١	
الحمد لله السميع المجيبْ	ـ الصايبْ	عرقلة الكلبي	١٧٩	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أَبا الوحش جَمَّلْتَ أَهل الأَدبْ	ذَنَبْ	عرقلة الكلبي	١٨٩	٢	
أَقسمتُ بواوِ صُدغ هذا الحاجِبْ	الحاجِبْ	« «	١٨٩	٢	رباعية
الصفوُ من ماء العِنَبْ	ماشُرِبْ	ابن الفراش	٣٠٦	٥	
حضر الكنديّ مغناكم فلم	وتَعَبْ	علي بن ثروان الكندي	٣١١	٢	
ويهتف طوراً بذكر الفراق	الحبيبْ	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٦	٢	
وصاحبٍ صاحبني في الصِّبا	المَشيبْ	أسامة بن منقذ	٥٠٠	٥	
(تُ)					
قلتُ وقد أَقبل ياقوتُ	وياقوتُ	عرقلة الكلبي	١٩٠	٣	
وقالوا لاح عارضُه	ولايتُهُ	القيسراني	١٤٦	٢	
أللّه يعلم أَنني ما خِلتُه	وصلتُهُ	ابن النقار	٣١٤	١١	
بُحيريّةٌ مُحيّةُ اللون طُرِّزَتْ	نُعوتُها	الأمير يغمر بن عيسى	٣٧٩	٣	
(تَ)					
هاتِ الحديث عن الزَّوْراء أَو هيتا	بتكريتا	المعري	٨	١	
أَمِطْ عن الدُّررِ الزُّهْرِ اليواقيتا	مواقيتا	الغزي	٨	٤١	
يا وابل المُزْنِ إِن حَيَّيْتَ حُيّيتا	رُوّيتا	سعادة الأعمى	٤٣٠	٢٠	
(تِ)					
وصاحبٍ خان ما أُستودعته وأَتى	الدياناتِ	الحافظ ابن عساكر	٢٧٥	٣	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
تودّون عَوْدي ، لو قدرتُ ، إليكمُ	شقّتي	ابن رواحة الحموي	٤٨٦	٦	
إني على شغفي بما في خُمرها	سراويلاتِها	المتنبي	٢٢٠	١	في الهامش
وكنتُ أُرجّي أن أرى منك رُقعةً	بقراتِها	المنتهى الدمشقي	٢٦٦	٢	
أترى يَثْنيه عن قسوتِهِ	من رقّتِهِ	ابن منير الطرابلسي	٨٢	٩	
قلّ الحِفاظُ فذو العاهات محترمٌ	مع سلامتِهِ	عبد الخالق بن أسد	٢٨٢	٢	
بكا على ما كان من مَرْدتِهِ	زلّتِهِ	ابو المعالي الشاعر المقدسي	٢٨٨	٢	
(تْ)					
أنكرتْ مقلتاه سفك دمي	فاعترفتْ	ابن منير الطرابلسي	٨٠	٣	
(ثُ)					
ترى قاصديه ، ذا سؤالٍ يميحُه	يباحثُهْ	ابن الرومي	٤٨٧	٢	في الهامش
(جُ)					
أفدي بدوراً تمـلوا	واَجّوا	أسامة بن منقذ	٥٠٤	٣	
كأن احمرار الخدّ ممن أُحبّه	سياجُها	عرقلة الكلبي	١٩١	١	
(جَ)					
لم تدر ما طعم الكلالِ ولا الوَجا	سجا	نصر الهيتي	٢٣٢	١٣	
ومُدمِنُ القرع للأبواب منتظِرٌ	أن يلجا	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٥١	٢	
فدَيْتُ سراجاً إذا لم يَرُحْ	راحَ هُو	العماد	٣٠	٢	
لله في زمنِ الربيع وصائفٌ	مُبْهِجَهْ	ابن قسيم الحموي	٤٣٨	٣	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
شربت من دنانهـــــم	قَدَحا		١٩٣	١	على وزنه قصيدة :
من لي بســـــاقٍ أغيد	سَرَحا	عرقلة الكلبي	١٩٣	١١	
يشدّ على الطريدة ثم يهوي	إلاّ التماحا	الأمير يعمر بن عيسى	٣٧٣	٣	
سَلْه من سُكر الهوى كيف صحا	القرّحا	ابن قسيم الحموي	٤٣٩	٧	
(حِ)					
لا راحةَ لي بغير شرب الراحِ	بالأقداحِ	عرقلة الكلبي	١٩٤	٢	رباعية
قال وُحيشٌ ليَ في منزلي	الماحِ	« «	١٩٤	٢	
إقدح زناد السرور بالقَدَحِ	من مُلَحِ	فتيان الشاغوري	٢٥٨	٢	
قل لاذي خضَب المشيبَ جهالةً	ماحِ	أسامة بن منقذ	٥٠٥	٢	
(حْ)					
سألتُ الكويفي في قُبلةٍ	وانبطحْ	الغزي	٧٥	٣	
لقد سمح الدّهر بالمقترَحْ	تمام الفرحْ	ابن الفراش	٢٩٢	٣٢	
حيِّ كتاباً فضضتُ خاتمه	أوْ أملحْ	ابن قسيم الحموي	٤٤٠	٤	
(خ)					
صفات القويضي فتى مشرق	الراسخْ	عرقلة الكلبي	١٩٥	٢	
(دُ)					
إذا قلّ عقل المرء قلّتْ همومه	يرمَدُ	الغزي	٦	١	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
فقد تُصقل الضبّاتُ وهي كليلةٌ	مُهَنَّدُ	الغزي	٦	١	
وما الفضل إلاّ مُزنةٌ أنت ماؤها	رُعودُ	«	٤٧	٨	ومطلعها :
لنا كلّ يوم من صلاتك عيدُ	وهو يعودُ	«	٤٧	١	في الهامش
يشاركني في سَيْبه كلّ ناطقٍ	توحيدُ	«	٦٩	٤	ومطلعها :
أسالفةٌ أصمتْ فؤادك أم جيدُ	الغيدُ	«	٦٩	١	في الهامش
أبو جعفرٍ في كفه ألف جعفرٍ	مَوْردُ	«	٧٢	٤	ومطلعها :
نظمنا لهم درّ المعاني فبدّدوا	انتقلّدوا	«	٧٢	١	في الهامش
ورد الكتابُ ، فِداه أسود ناظرٍ	تَبدَّدُ	في رسالة لابن منير	٩٢	٣	
يذود الظُّبي عنهنّ والحدق السودُ	سُودُ	القيسراني	١٥٠	١٣	
لصوصَ الشام توبوا من ذنوبٍ	والصِّفادُ	عرقلة الكلبي	٢٠٢	٢	
لئن أمسكتْ عني سحائبُ جوده	جَحُودُ	نصر الهيتي	٢٣٣	٢	
قرديَ في الأَقْفين وقّادُ	عوّادُ	ابن رويبل الأبار	٢٦٣	٣	
حمراء في كأسها السرّاء تطّردُ	والكمدُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٥٩	٣	
لا يقعدنّك ما حلّوا وما عقدوا	الأَسدُ	سعادة الأعمى	٤١٢	٦٥	
يوصي الفتى عند الممات كأنه	ويعودُ	المعري	٥٠٧	١	
إن تُمْسِ دارُهمُ مني مباعدةً	بَعُدوا	زهير بن أبي سلمى	٥٤٢	١	
لعلّ هدوءاً في التقاتل كامنٌ	مهدُهُ	الغزي	٧	١	
هو السيف لا يُغنيك إلاّ جِلادُه	نِجادُهُ	القيسراني	١٥٤	١٢	
من مثله حين عاد مُشتكياً	عُوَّدُهُ	نصر الهيتي	٢٣٨	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
هذا الفِراق وأنت شاهدُهُ	ما تكابدُهُ	ابن قسيم الحموي	٤٤١	١٢	
مع الرَّكبِ أنباء الحمى لو يعيدُها	يستعيدُها	القيسراني	١٢٩	٩	
(دَ)					
وسرّاجٍ سرى في القلب مني	السّوادا	العماد	٢٩	٣	
وقالوا بِعْ فؤادك حين تهوى	جليدا	الغزي	٣٧	٢	
لولا مزاحمةُ الصباح وان هدى	يدا	«	٤٦	١٣	
لا أقتضيك بما سماحك فوقه	النّدا	«	٧١	٢	ذكر في القطعة السابقة
لامُ عـــذارٍ بدا	للردّى	ابن منير الطرابلسي	٨٨	٦	
قات القوم كووا بنارهم	قِددا	في رسالة لابن منير	٩٣	٣	
في آمدَ السوداء بيضٌ ما أُنشئوا	قدودا	عرقلة الكلبي	١٩٧	٢	
لي حبيبٌ كالبدر حسناً وبُعدا	وقدّا	« «	١٩٧	٥	
إلام ألامُ فيك وكم أعادى	أعادا	« «	١٩٩	١٥	
قالوا ترى ماء وجنتيْه به	أبدا	عبد الخالق بن أسد	٢٨٣	٣	
قُضْب النّقا هزّتْ عليك قدودا	خُدودا	المهذب الدمشقي	٣٤٠	٤	
ألا قُل لمن ذمّ الزمان جَهالةً	وفنّدا	ابو الحسن الدمشقي	٤٠٠	١٥	
ومُحمَرّةٍ من بنات الغصو...ن	أن تميدا	ابن قسيم الحموي	٤٤٣	٤	
قل للروافض إنكم في سبّكمْ	الهُدى	ابن رواحة الحموي	٤٩٠	٢	
متى عُجتَ يا صاح بالسيّد	في الأفئدد	القيسراني	١٠٠	١٣	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أَحسنُ بالواجِدِ من وَجدِهِ	زَندِه	المعري	٥٢١	٢	في الهامش
على قاضي القضاة نسيج وحدِهْ	لحدِهْ	احمد بن محمد النوبندجاني	٥	٢	
(دْ)					
سقاني العسجديَّةَ ذو عِذارٍ	عسجدْ	ابن منير الطرابلسي	٨٤	٢	
حملتُ الجيـاد فأكرمني	الجيادْ	القيسراني	١٤٧	٢	
قلتُ لحسّادك زيدوا في الحسدْ	البلدْ	عرقلة الكلبي	٢٠٢	٢	
قال العواذِلُ ما أسمُ منْ	أحمدْ	عبد الخالق بن أسد	٢٨٣	٢	
خان المخالف والمعاهدْ	والمساعدْ	ابن الفراش	٢٩٥	٢٢	
إنّ من أمرضتَم لا يُعادْ	يُعادْ	نشو الدولة	٣٣١	٤٩	
من لصبٍّ مسّه فرطُ الكمدْ	الجَلَدْ	ابن قسيم الحموي	٤٤٤	٦	
(ذ)					
والعمر مثل الكأس ير...سب	القذى	الصابي	٥٢٨	١	في الهامش
أصبح الملك بعد آل عليٍّ	شاذي	عرقلة الكلبي	٢٠٣	٤	
الوصل من الحياة أحلى وألذّ	ونَبَذْ	ابن قسيم الحموي	٤٤٥	٢	رباعية
(رُ)					
خُذ ما صفا لك فالحياة غرورُ	ويجورُ	الغزي	٢١	٢٤	
يا عـاذلي في عبرتي	وَقرْ	«	٣٣	٣	من القصيدة :
صومٌ أغار عليه فِطرٌ	فجرُ	«	٤٧	٢٦	وذكر هذا المطلع في هامش ٣٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أيصبر قلبي عنهم بعد ما ساروا	مِدْرارُ	برهان الدين الحنفي	٣٠٨	٢	
درَّتْ عليكِ غوادي المُزن يا دارُ	وآثارُ	علي بن ثروان الكندي	٣١٠	٢	في الهامش
أَبْشِكُما لو أن نائبةً تعرو	الصبرُ	ابن الزغلية	٣١٨	٣٦	
بدا في سماء الملك من شخصك البدرُ	النصرُ	نشو الدولة	٣٢٩	١٥	
ما في الوجود له شكل يماثله	ولا ذَكَرُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٥٨	٣	
سلِ الحبيب الذي هام الفؤاد به	مذكورُ	ابو الحسن الدمشقي	٣٩٤	١٢	
يا مَنْ يعمُّ سماحُه ونوالُه	المُمطِرُ	« « «	٣٩٧	٦	
طِوالُ قناً تطاعنها قِصارُ	يحارُ	المتنبي	٤٢٦	١	في الهامش
والغيثُ منسكب كأن حبابه	ويُنشرُ	ابن قسيم الحموي	٤٤٨	٢	وأولها :
ولنا إذا انبجست أهاضيب الحيا	وتَمْطُرُ	« « «	٤٤٧	٢	في الهامش
أَلآلٍ ضواحِكُ أم ثُغورُ	شعورُ	« « «	٤٤٨	١٢	
سَفَرَتْ فخلتُ سواد معجرِها	بدْرُ	« « «	٤٥١	١٢	
عُدْني وإلاّ فعِدْني	تزورُ	ابن رواحة الحموي	٤٩٠	٣	
ما العمرُ ما طالت به الدهورُ	السرورُ	أبو فراس	٥٠١	٢	
انظر إلى حسن صبر الشمع يُظهر للرّائين	تستعرُ	أسامة بن منقذ	٥٠٥	٢	
ما حيلتي في المَلولِ يظلمني	جارْ	« « «	٥١٩	٤	
تناستنيَ الآجالُ حتى كأنني	حسيرُ	« « «	٥٢٨	٤	
وإن امرءاً يبقى على ذا فؤاده	لصبورُ		٥٣٩	١	
لا زِلتَ يا ملك الإسلام في نِعمٍ	والظَّفَرُ	« « «	٥٤٥	١٧	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
قد قلت للمنثور إن الورد قد	وهو أميرُ	أخو أسامة	٥٤٨	٢	في الهامش
ودّعتُ صبري ودمعي يوم فُرقتكم	يُدَّخَرُ	« «	٥٤٩	٣	
كأنّ الشقائق والأقحوان	الثّغورُ	جدّ أسامة	٥٥٧	٢	
وكم ليلةٍ قد بتُّ مستمتعاً بها	فجرُهُ	نُوحيش الأسدي	٢٤٤	٣	
شهمٌ غدا يزينُه أُصفرارُه	آثارُهُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٧٥	٧	
ما أنت أول من تناءت دارُهُ	نارُهُ	أسامة بن منقذ	٥١٠	٨	
(رَ)					
مسحتْ عارضي وما ذاك إلاّ	غُبارا	الغزي	٥٩	١	
ياشموسَ الحجال كان الشبابُ الـ..جَوْن	الأقمارا	«	٦٠	١٢	
لا وحُبّيك لا عبدتُك سِرّا	ظُهرا	ابن منير الطرابلسي	٨٠	٧	
رغيفُه من ذرّةٍ	أو أصغرا	« « «	٩٠	٦	
يا هندُ من لأخي غرامٍ ما جرى	جرى	القيسراني	١٤١	٣	
دبّ العِذارُ بخدّه فتعـذّرا	نيّرا	عرقلة الكلبي	٢٠٥	٢	
نديمي داوِ بالخمرِ الخُمارا	يسارا	« «	٢٠٦	٩	
رُبَّ يومٍ وليلةٍ بتُّ أقضيـ..ـها	وسُكرا	نُوحيش الأسدي	٢٤٤	٣	
يامحييَ الدين بعد ما دَثَرا	عُمَرا	ابن رويبل الأبار	٢٦٢	٦	
وما قلتُ شعراً رغبةً في لِقا أمرىءٍ	بِرّا	المنتهى الدمشقي	٢٦٧	٣	
كأنها مُقلة الحبيب إذا	حذِرا	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤١	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
على مثلها ظلتُ فرداً أهيـ...ـمُ	المطارا	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٥	٢	
وذي أربعٍ لا يطيق النهوض	سرى	السريّ الرفّاء	٤٢٥	٢	في الهامش
وأهيفِ القدّ سهل الخدّ أسمر كالـ..خطّيّ	سَمَرا	ابن قسيم الحموي	٤٤٦	٦	
مَنْ لعينيّ بالكرى	سرى	ابن رواحة الحموي	٤٨٣	١٠	
وصَلَ الكتابُ أنا الفِداء لفكرةٍ	أسطُرا	في رسالة لأسامة بن منقذ	٥٠١	٣	
يا خير قومٍ لم يزل مجدُهمْ	مسطورا	ابن عم أسامة	٥٦٧	٤	
يقولون كافات الشتاء كثيرة	بلا مِرا	محمود الشيزري	٥٧٦	٢	

(رِ)

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
رئيس الفضل والرؤساء إني	ضميري	الغزي	٢٦	١٧	
نمى لك ودّي منذ قامت رأسه	والظُفُرِ	«	٣٤	٢	
بيضٌ وسُمرٌ في قِبابهمْ	والسُّمْرِ	صرّ درّ	٤٨	١	
قومٌ كأن ظهور الخيلِ تُنبتهم	بلا مطرِ	الغزي	٦٨	٩	ومطلعها :
أطرقتِ من نخوةٍ في ساعة النظر	من شعري	«	٦٨	١	في الهامش
في طاعة الحبِّ ما أنفقتُ من عمري	من شَعَري	القيسراني	١٢٠	٨	
أما وكأسٍ تشِفُّ عن ثَغَرِ	خَفَرِ	«	١٢١	١١	
ألا كم ترامتْ بالسّ بمسافرٍ	يا دير حافرِ	«	١٢٥	١	في الهامش
عن خاطري نبأ الخيالِ الخاطرِ	من هاجرِ	«	١٢٦	٤	
أتراكَ عن وترٍ وعن وَتَرِ	النظرِ	«	١٤٢	١٤	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أقامتِ السُّحبُ فيها غير وانيةٍ	من المطرِ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٦٦	٣	
مُوَضَّنٌ كبياضِ الثلج ما سمحت	الأعاصيرِ	« « « «	٣٧٨	٣	
أطاعتك أطراف الرُّدينيَّةِ السُّمرِ	والبحرِ	أبو طالب بن الخشاب	٣٩٢	٢	
يا حبَّـــــــذا أبواه إذ	وخيرِ	أبو الحسن الدمشقي	٣٩٦	٦	
كم بين شدّي بأشطان النوى عيري	النواعيرِ	سعادة الأعمى	٤٢٥	١٠	
وجنيْتُمُ ثمر الوقائع يانعاً	الأخضرِ	ابن هانىء المغربي	٤٤٢	١	في الهامش
وأشهى ما إليّ إذا أضاءتْ	العُقارِ	ابن قسيم الحموي	٤٤٦	٩	
خير ما أصبحت مخلوع العذارِ	المُدارِ	« « «	٤٤٩	١٧	
كم يهتك الدهر ستري ثم أستره	بإدبارِ	« « «	٤٥١	٢	
يا ليت علّته لي غير أن له	غير مأجورِ		٥٠٣	١	في الهامش
قالوا غُبـارٌ قد علا..ك	غيرُ الغبارِ		٥٠٨	٢	
لو حطَّ رحليَ فوق النجم رافعه	منتظري	المعري	٥١٢	١	والمطلع :
يا ساهر البرق أيقظ راقد السَّمُرِ	على السَّهرِ	«	٥١٢	١	في الهامش
ياعينُ في ساعة التوديع يشغلك الْ..بكاء	والنظرِ	أسامة بن منقذ	٥١٨	٢	
إلقَ الخطوبَ إذا طرقْ..ن	صبورِ	« «	٥٢٠	٣	
ما فُهتُ مع متحدِّثٍ متشاغلاً	في خاطري	أخو أسامة	٥٥٠	٢	
يا نصرُ يا ابن الأكرمين ومن	الفخرِ	عم أسامة	٥٦٩	٣	
(رْ)					
وما مشيب المرء إلاّ غبرةٌ	غَبَرْ	العماد	٥٩	١	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
ويلاه على المهفهف الميّاسِ	قاسِ	عرقلة الكلبي	٢١٠	٢	رباعية
يا من يعيبُ عليَّ حبَّ مُدَلَّلٍ	نفيسِ	ابن قسيم الحموي	٤٥٢	١٤	
لَأَرْمِيَنَّ بنفسي كلَّ مَهْلَكَةٍ	ذوو الباسِ	أسامة بن منقذ	٥٠٥	٢	
لو أنّ كتبي بقدر الشوق واصلةٌ	كأنفاسي	» » »	٥٠٩	٥	
لئن نسيَ أمرؤ عهداً فإني	ناسِ	والد أسامة	٥٥٨	٢	
(شُ)					
سلطاننا زاهدٌ والناس قد زهدوا	منكمشُ	أسامة بن منقذ	٥١٦	٢	
كم ذي جلدٍ حشاه بالوجد حشا	ووشى	ابن قسيم الحموي	٤٥٣	٢	رباعية
لا باركَ الرَّحمنُ في وُحيشٍ	المعيشِ	عرقلة الكلبي	١٨٢	٢	
قالوا يسبُّك طُغريل وتهمله	الواشي	« «	٢١١	٣	
(صُ)					
لا يفرحنّ بما أتاه مُعجّلاً	مَخْلَصُ	الغزي	٦٦	٢	وثالث في الهامش ، والمطلع : في الهامش
سكر الربيب وقام في ندمائه	ويرقصُ	«	٦٦	١	
العجزُ لا ينقُص رزقاً ولا	فحصُ	أسامة بن منقذ	٥٠٦	٤	
(صَ)					
صلاح الدين قد أصاحتَ دُنيا	حريصا	عرقلة الكلبي	٢١١	٣	
ما من أحدٍ يزيد إلاّ نَقَصا	الغُصصا	ابن قسيم الحموي	٤٥٣	٢	رباعية
أما ترى البدر في السماء وقد	نقصَهْ	عرقلة الكلبي	٢١١	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
(طُ)					
وقفتُ وأنضاء المَطِيِّ ضُحًى تمطو	الشَّمْطُ	سعادة الأعمى	٤١٦	٤٢	
خلع الخليعُ عِذاره في فسقِه	ولواطِ	أسامة بن منقذ	٥٣٣	٢	
(ظِ)					
يا مُسعراً بالعذل أثناء الحشا	لظى	ابن قسيم الحموي	٤٥٤	٥	
ومهفهفٍ جعل الغرامُ محلّه	شُواظِه	« « «	٤٥٥	٥	
(عُ)					
خفِّضي الصوتَ يا حمامةَ مقرْى	المرفوعُ	القيسراني	١٣٦	٣	
ترى عند من أحببته لا عدمتُه	صانعُ	عرقلة الكلبي	٢١٢	٢	
لحا الله ملكاً يحتويه ابنُ مالكٍ	القلعُ	« «	٢١٣	٢	
رداء أُتباعِ الغيِّ هل أنت نازعُ	وازعُ	نصر الهيتي	٢٣٦	٣١	
من كان يُغربُ في القريض ويبدعُ	موضعُ	البديع الدمشقي	٢٦٨	١	في الهامش
وفينا رسولُ الله يتلو كتابه	طالعُ	عبد الله بن رواحة	٤٨١	٢	
صبري على فقد إخواني وفرقتهمْ	الجزَعُ	أسامة بن منقذ	٥١٨	٤	
غالبْتني عليكَ أيدي المنايا	مُطاعُ	« « «	٥٢٦	٣	
كتم الهوى فوشتْ عليه دموعُه	ضلوعُه	عرقلة الكلبي	١٨٣	٦	
(عَ)					
ولما رأيتُ الحسنَ عزَّ مرامه	شنيعاً	الغزي	٧٤	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
وَعِناقٍ تعلّقتــــــه بعدما	خليعا	عرقلة الكلبي	٢١٢	٢	
وصل الكتاب فما فضضتُ ختامَه	وتضوّعا	ابن قسيم الحموي	٤٥٥	٣	
ألِمّا على معنٍ وقولا لقبره	مربعا	الحسين بن مطير الأسدي	٤٩٤	١	في الهامش
أُكتبه تكتبْ لي أماناً ماضياً	راجعا	في رسالة للقاضي الفاضل	٥٤٠	٢	
ما خلتُ حاجاتي إليْ...ك	مُضاعَهْ	الحافظ ابن عساكر	٢٧٥	٥	
(عِ)					
متى جاوز الشوقُ حدَّ النزاعِ	الدّواعي	الغزي	٢٨	٢	
بكا لي حاسدي مَيْناً وأدري	الضّلوعِ	عرقلة الكلبي	٢١٣	٢	
نواحي الأرض ضاحكةُ الرّبوعِ	الدّموعِ	ابن الفراش	٢٩٧	٧	
وكنتُ إذا ذِكْر التفرّق راعني	بوداعِ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٩٠	٢	
وقائمةٍ لا تملّ القيــــــام	بديــعِ	سعادة الأعمى	٤٢٤	٢	
(غِ)					
ولقد سنَحْنَ لنا بحمص جآذرٌ	بالأرساغِ	ابن قسيم الحموي	٤٥٦	٢	
(فُ)					
أفدي الذي ضمّني والبين يحفزه	والشّظَفُ	الغزي	٣٧	٢	ويدخلان ضمن :
بيني وبين رضاهم مَهمهٌ قذفٌ	التلفُ	»	٦٤	٢٠	
يا مُسكري وجداً بكأس جفونه	قرقفُ	القيسراني	١٦٠	٣	
حبيبٌ لنا واعدٌ مُخلِفُ	ينصفُ	عرقلة الكلبي	٢١٣	١٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
نستغنمُ العمرَ والأقدارُ غافلةٌ	مكفوفُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٨٦	٤	
أســـــيرُ حُزْنٍ كَلِفُ	دَنِفُ	ابن قسيم الحموي	٤٥٦	١١	
وكم ليلةٍ عاطانيَ الراحَ بدرُها	المُشَنَّفُ	« « «	٤٥٧	١١	
أزور قبرك والأشجانُ تمنعني	أنصرفُ	أسامة بن منقذ	٥٢٣	٧	
ماذا التجيع بوجنتيْك وليس مِنْ	رُعافُ	جدّ أسامة	٥٥٦	٢	
(فَ)					
أَلِفَ الصُّدودَ وحين أسرف أسْعفا	تعطُّفا	ابن منير الطرابلسي	٨٦	٧	
إذا ما تأمَّلت القَوام المهفهفا	مُرْهفا	القيسراني	١٣٣	١٣	
ترى الإبريق يحمله أخوه	ارتشافا	«	١٣٦	٧	
أما آن للغضبان أن يتعطّفا	والجفا	عرقلة الكلبي	٢١٤	٥	
نتفتُ السوادَ من العارضيْ..ن	عنيفا	« «	٢١٤	٣	
عُجْ بالعقيق وعدّ عن تصحيفه	مُصَحَّفا	« «	٢١٦	٢	
ألا حبّذا وصلُ الحبيب الذي شفا	على شَفا	سعادة الأعمى	٤٢٨	٢٨	
(فِ)					
إن عاق فكري عن التجويد ضيقُ يدي	الحافي	الغزي	٧٠	٢	ومطلعها :
دارٌ بأكناف سعدي رسمها عافي	ومصطافي	«	٧٠	١	في الهامش
بما بعطفيْك من تيهٍ ومن صَلَفِ	تلفي	القيسراني	١٣٧	٦	
أبدى خلافًا لوعد وصلٍ	بائتلافِ	عبد الخالق بن أسد	٢٨٢	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أنت لي غير مُنصفِ	يا كثير التعسُّفِ	ابن قسيم الحموي	٤٥٧	١٠	
أحكمتْ عِرسُه ضروبَ الأغاني	وخفيفِ	ابن رواحة الحموي	٤٩٠	٣	
إن يحسدوا في السلم مَنْـ...زلتي من العزِّ	المنيفِ	أسامة بن منقذ	٥٢٠	٤	
إنما هذه الحياة متاعٌ	يصطفيها	الغزي	٣٦	٢	
قولا لطغريل ولا تقصُرا	وتعنيفِهِ	عرقلة الكلبي	٢١٥	٢	
من عزّ بزّ وعزّ الحرّ في ظَلَفِهْ	أَنَفِهْ	الغزي	٢٠	١٠	
(فْ)					
بأبي من صدّ عني وصَدَفْ	عَطَفْ	ابن منير الطرابلسي	٨٦	٤	
يا أبا الفضل بالنجفْ	ما أصِفْ	عرقلة الكلبي	٢١٥	٩	
(قُ)					
قالوا هجرتَ الشعر ، قلتُ : ضرورة	مغلَقُ	الغزي	٦	٣	
أمامكَ المُنْمياتُ السُّمْرُ والحَدَقُ	منطلقُ	«	٤٤	١٦	
كم ذا التجانُفُ والصُّدود فِراقُ	العُشّاقُ	«	٦١	١٩	وبيت في الهامش
لقد فتنتني فرنجيّةٌ	يعبقُ	القيسراني	٩٩	٣	
أوطنَ القلبَ من هواكمْ فريقُ	طريقُ	«	١٣٨	٢٣	
أرى الصوارمَ في الألحاظ تمتشقُ	الحدَقُ	«	١٤٣	١٦	
هذا هو الزمن البديع المونِقُ	يُعْشَقُ	عرقلة الكلبي	٢١٦	٧	
فكأنه للشمس جسمٌ ، والسُّهى	يخفقُ	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤١	٣	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
مُتيقظٌ لولا تضرُّم بأسه	يورِقُ	ابن قسيم الحموي	٤٦١	٢	
كأن قلبي إذا عنّ أذّكارُكُمُ	تخترقُ	الوزير المغربي	٥١١	١	
ويومئ بالتحية من بعيد	الغريقُ	في مكاتبة لأسامة بن منقذ	٥٤٥	١	
بعثت الكتاب فأهلاً به	تنميقُه	ابن قسيم الحموي	٤٥٩	٩	
(قَ)					
رنا وكأنّ البابليَّ المصفّقا	مُعتّقا	القيسراني	١٢٥	٨	
مدحتُ أبا الفضل الأمين جهالةً	أشرقا	عبيد بن صفية	٢٦٤	٢	
يا نسيماً هبّ مسكاً عَبِقا	جاقِما	البديع الدمشقي	٢٦٩	٩	
أو لجّة البحر إثر عاصفةٍ	فاصطفقا	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤١	٢	
أبتْ عبرات العين بعدك أن ترقا	ترْقَى	ابن قسيم الحموي	٤٥٨	١١	
دعوتُك مشتاقاً لنيل صنيعةٍ	أشْوَقا	ابن رواحة الحموي	٤٨٥	٤	
أأحبابنا هلاّ سبقتم بوصلنا	نتفرقا	أسامة بن منقذ	٥١٦	٣	
قمرٌ إذا عاينته شغفاً به	شقيقا	« « «	٥١٦	٣	وواحد في الهامش
(قِ)					
وصاحبٍ يتلقاني لحاجته	والخُلُقِ	عرقلة الكلبي	٢١٧	٣	
لي حبيبٌ قدُّهُ	الرِّقاقِ	« «	٢١٧	٣	
صدقوا ما لأنفس العشاق	الأحداقِ	ابن قسيم الحموي	٤٦٠	١٠	
أقول للعين في يوم الوداع وقد	مُستَبِقِ	أسامة بن منقذ	٥١٧	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
(كْ)					
أَوَما ترى طرب الغدي...ر	تحرّكْ	القيسراني	١٣٧	٣	
قفْ قليـــلاً لأَسأَلكْ	أنزلكْ	ابن منير الطرابلسي	٨٧	٤	
(لُ)					
بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ	مكبولُ	كعب بن زهير	٤	٣	
قلوب الورى أشراكهن الشمائلُ	الفضائلُ	الغزي	٤٢ ٦٧	٢٩ ٢	وبيت في هامش ٤٣ وتكرر المطلع في هامش ٦٧
لو لم أمتْ بهواك قال العُذّلُ	لا يَقْتُلُ	«	٧٣	١٣	وبيت في الهامش
أما آن أن يزهق الباطلُ	الماطِلُ	القيسراني	١٠٨	٤٦	
أقدُّك الغصن أَم الذابل	بابلُ	«	١١٥	٤٩	
جزى الله نصراً خير ما جُزيتَ به	وتنفّلوا	جدّ أسامة	١٣٢ ٥٧٠	١ ٥	في الهامش وسادس في الهامش
قال قومٌ بدا عِذار وُهيب	أسلو	عرقلة الكلبي	٢١٩	٢	
ميلوا إلى الدار من ذات اللَّمى ميلوا	ميلُ	« «	٢٢٠	٨	
طافَ ، وستر الظلام منسدلُ	الكَحَلُ	نصر الهيتي	٢٤٠	٢٧	
رُويدك كم تجني وكم تتدلّلُ	أتذلّلُ	فتيان الشاغوري	٢٥١	١٢	وبيتان في الهامش
أذكى صبابتك الخليـــط الراحلُ		المهذب الدمشقي	٣٣٨		شطر المطلع، ومنها:
لا أبتغي عرضاً ولا تصحيفه	النائلُ	« «	٣٣٨	٣	
دَوْحٌ زكا فعليه من أوراقه	إكليلُ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٦٧	٥	
مالي على السُّلوان عنك مُعوّلُ	العُذّلُ	ابن رواحة الحموي	٤٨٤	١٠	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أأن غضّ دهري من جماحيَ أو ثنى	النّعْلُ	أسامة بن منقذ	٥٠٦	٣	
ما فرّق الأحباب بعد الله	إلاّ الإبلُ	أبو الشيص	٥١٠	١	في الهامش
يهوّن الخطبَ أنّ الدهر ذو غِيَرٍ	دُوَلُ	أسامة بن منقذ	٥٢٨	٢	
إنا مُحيّوك فاْسلم أيها الطللُ	الطِيَلُ	القطامي	٥٣٩	١	في المتن والهامش
قابي أشــار ببينهمْ	وبالُهْ	أحمد بن طرخان	٣١٦	٢	
(لَ)					
بأبي من وصــلا	مَطلا	ابن منير الطرابلسي	٨١	١٧	
عاتبتُـه فاْستطــالا	دلالا	« « «	٨٣	١٢	
أخلىٰ فصدّ عن الحميم وما اْختلىٰ	فتوسّلا	« « «	٨٩	٧	
بدت قمراً وماست خوطَ بانٍ	غزالا	المتنبي	٢٠٧	١	ومطلعها :
بقائي شاء ليس هُمُ اْرتحالا	الجِمالا	«	٢٠٧	١	في الهامش
تقول صفيّةٌ ، والصفوُ منها	الجِمالا	عرقلة الكلبي	٢١٩	٤	
ياحاملي لا رأيتَ الدهر إقلالا	وإقبالا	فتيان الشاغوري	٢٥٤	٣	
أتطمعُ في عِقالك أن يُحَلّا	مُحْـالا	ابن الفراش	٣٠٤	١٧	
ولعمري كذلك الدهر لا ير...فع	أوْلىٰ	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٨	٢	
تحَنّنْ عليّ هداك المليـك	مقالا	الحطيئة	٣٨٥	١	في الهامش
مضى لسبيله مَعْنٌ وأبقى	تُنالا	مروان بن أبي حفصة	٤٩٤	١	في الهامش
وجهٌ كأنّ البدرَ حالة تِمّه	وكمالَهْ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٧١	٢	
يا غريراً غرّ الفؤادَ المدلّهْ	المَذَلّهْ	القيسراني	١٤٩	١٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
(لِ)					
إنّي لأشكو خطوباً لا أعيِّنُها	عذلي	الغزي	٧	٢	
أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ	العَطَلِ	الطغرائي	٢٧	١	في الهامش
قرّبا مربطَ النعامة مني ...	فِعالي	الحارث بن عبّاد	٥٢		الشطر الأول في الهامش
تجود الأخيليّة بالخيـــال	اللآلي	الغزي	٥٥	١٤	
فأنت إذا نطقت أبو المعاني	أبو المعالي	«	٦٧	٤	
كنت كالدّرة اليتيمة في العقـ..ـد	لآلي	«	٦٨	١	والمطلع :
لو توسلت بالظُّبا والعوالي	كالسعالي	«	٦٨	١	في الهامش
دعوا للحُميّا ما أستباحته من عقلي	الجهلِ	القيسراني	١٢٦	٦	
كلُّ دعوى شجاعةٍ لم تؤيَّدْ	محالِ	«	١٣٢	٦	
يا أهلَ بابل أنتم أصل بلبالي	البالي	«	١٣٤	١٢	
من رآني قبَّلتُ عين رسولي	بسُولي	«	١٤٠	٢	
ونجلٍ تدركُ الأبصار منه	حالِ	«	١٥٢	٥	
لو أن قاضي الهوى عليّ وَلي	ولي	«	١٥٣	١١	
بسيفك المُنتضى من الكَحَلِ	الخجَلِ	«	١٥٩	٧	
يا لائمي هل رأيت أعجب مِنْ	حَوَلِ	عرقلة الكلبي	١٨٠	٩	
إن التي ناولْتني فرددتها	لم تقتلِ	حسان بن ثابت	١٨٥	٢	في الهامش ومطلعها:
أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ	فحوملِ	«	١٨٥	١	في الهامش
وِصالٌ ما إليه من وُصولِ	عذولِ	عرقلة الكلبي	٢١٨	١٠	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
ليت الجياد خرِسن يومَ جُلاجِلِ	عاقِلِ	المعري	٥١٣	١	في الهامش
ونازحٍ في فؤادي من هواه صدى	نَهَلِي	أسامة بن منقذ	٥١٩	٣	
حسن التواضع في الكريم يَزيده	والأمثالِ	« « «	٥٢٤	٣	الشطر الاول في الهامش
لا تنكري عَطل الكريم من الغنى	العالي	ابو تمام	٥٢٤		
حذَّرتني تجاربي صُحبة العا...لَم	ظِلّي	أسامة بن منقذ	٥٢٥	٤	
ومُهفهفٍ كتب الجمال بخدِّه	المتأملِ	اسماعيل، ابن عم أسامة	٥٦٤	٢	
سُقيتُ كأسَ الهوى عَلاًّ على نَهلِ	والعَذَلِ	« « « «	٥٦٥	٢٧	
أخ لي على جور الزمان وعدله	وأشتمالِهِ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٥٤	١٠	
رشأ يتيه بحسنه وجماله	وكمالِهِ	« « « «	٣٨٩	٥	
وحقِّ نصف أسمه الأخير لقد	كأوَّلِهِ	ابن قسيم الحموي	٤٦٦	٢	

(لْ)

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
بين فتور المقلتين والكحلْ	ما أنتحلْ	القيسراني	١٤٤	١٨	
أيا نفسُ ويحك جاء المشيبُ	الغزلْ	الحافظ ابن عساكر	٢٧٥	٣	ورابع في الهامش
ومُغرَمٍ بالبدال قلت له	لا أفعلْ	ابن قسيم الحموي	٤٦٧	١٢	
لبِّثْ قليلاً يدركِ الهيجا حَمَلْ	الأجَلْ		٥٣٩	١	في الهامش

(مُ)

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
تسمَّى بأسماء الشهور فكفُّه	المحرّمُ	الغزي	٦	١	
جفونٌ يصحّ السقم فيها فيُسْقِمُ	فيُفْهِمُ	«	٣١	٢٠	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
سعوْا بنـا لا سعتْ بهم قدمُ	لهُمُ	الغزي	٨٨	٢	وأولها :
أحلىٰ الهوى ما تحلّه التهمُ	كتموا	»	٩٠	١٢	
مُناصح الفكر في نجواكَ مُتَّهَمُ	محتشمُ	ابن الزغلية	٣٢١	٢١	
بعزمك أيها الملك العظيمُ	وتستقيمُ	ابن قسيم الحموي	٤٧٠	٣٥	وخمسة في الهامش
ومرتدٍ بقناع الشيب جاذَبَه	القِدَمُ	» » »	٤٧٣	٥	
يا عاتبين عتابَ المستريب لنا	التُّهَمُ	أسامة بن منقذ	٥٣٣	٣	
واحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ	سَقَمُ	المتنبي	٥٣٣ ٥٣٥ ٥٣٧ ٥٧٧	٦	
وَلّوا ، ولمّا رجوْنا عدلهم ظلموا	علموا	أسامة بن منقذ	٥٣٤	٤٦	وبيت في الهامش
ومُغَرِّدَيْن ترنّما في مجلسٍ	الأقوامُ	اسماعيل ، ابن عم أسامة	٥٦٥	٢	
يا ظالماً ناره في القلب تضطرمُ	الظُلَمُ	محمود الشيزري	٥٧٦	٤٨	
أمُوَلَّدَ الأتراكِ إنّ مُوَلّدا..أعراب	مُتيما	عرقلة الكلبي	٢٢٢	٢	
سلا هل سلا عن ربَّة الخال والّلما	مُتظلِّما	» »	٢٢٣	٥	
على أنه لا فُلَّ غربُ لسانه	مترجِما	ابن حيوس	٥٤٣	١	
أنا سرجٌ لمليـــــكِ	شامَهْ	عرقلة الكلبي	٢٢٤	٣	

(مِ)

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
أنا ظالمي إن عفتُ سطوة ظالمي	لائمي	الغزي	٧١	١٤	
وما كلفة البدر المنير قديمة	اللطمِ	المعري	٩٧	١	والعجز في المتن
أترى فوّق سهماً من حسامِ	رامِ	القيسراني	٩٩	٧	
أبدى السُّلوَّ خديعةً لِلاّئمِ	هائمِ	»	١١٢	٤٥	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
قفْ حيثُ تُختلَسُ النفوسُ مَهابةً	مَعينُهُ	ابن قسيم الحموي	٤٧٤	٩	وأولها
يا صاح هل لك في احتمال تحيةٍ	جبينُهُ	« « «	٤٧٤	١١	في الهامش
ألا هل لمحزونٍ تذكرَ إلْفَهُ	يعينُهُ	أخو أسامة	٥٥٠	٤	
مولاي مجد الدين قد عاودتْ	أشجانُها	أبو الحسن الدمشقي	٣٩٥	١٠	
تباً لإســـــلامٍ غـدا	زينُهُ	الغزي	٤٢	٢	
(نَ)					
بالجدّ لا بالكدّ تُنتظَم المُنى	الغنى	الغزي	٣٨	٤٤	
يا غربةً جمات فؤادي للأسى	مَوْطِنا	عرقلة الكلبي	٢٢٥	٢	
وفي الشيب لي واعظٌ لو عقَلت	سنينا	« «	٢٢٥	٣	
أتى الجيلي بشعرٍ مثل شعرته	الاتنا	البديع الدمشقي	٢٧٠	٢	
يثـير صوتُك في القـ...ـب	حزْنا	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٧	٢	
ألبسه التكريز من حَوْكه	مَوْضونا	أبو نواس	٣٧٨	١	في الهامش
يا هاجراً راضيـاً وغضبـانا	ويقظانا	أسامة بن منقذ	٥٢٨	٣	
في دربِ صـــامت قحبةٌ	المدينَه	ابن رويل الأبار	٢٦٣	٤	
(نِ)					
والناسُ أهدى في القبيح من القطا	من الغربانِ	الغزي	٧	١	
نُسختْ برفدِك آيةُ الحرمانِ	الإحسانِ	«	١٤	٢٩	
وَخْزُ الأسنّة والخضوع لناقص	مُرّانِ	«	٣٧	٢	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
جيادٌ تفوق الطّرف سبقاً وسرعةً	وعدنانِ	الأمير يغمر بن عيسى	٣٦٥	٤	
بَحْرِيَّة أَربتْ على العُقبـ	ـانِ	« « « «	٣٧٨	٥	
يا مَن له الشكر بعد الله مفترضٌ	وفي عاني	ابو الحسن الدمشقي	٣٩٥	٢	
زعموا أنك اعتللت وحاشا..ك	القدمانِ	ابن قسيم الحموي	٤٧٣	٢	
أَلزمتَ طرفك حفظ قلبك ضِلةً	أَمينِ	« « «	٤٧٣	٥	
أما ومكان خصرك من قوامٍ	التثنّي	« « «	٤٧٥	٥	
مُدامي من مُقبَّـ	ـلهِ ريْحاني	« « «	٤٧٦	١٠	
باكِرا شمس القنـ	ـاني الأَماني	« « «	٤٧٦	٢٠	
ومن الحبائب في الرّكائب هاتكٌ	الجونِ	« « «	٤٧٨	٦	
صدّني بعد اقترابٍ وجفاني	القمرانِ	ابن رواحة الحموي	٤٨٨	٣	
تجلّدتُ عنها في الشّبابِ لعِزّةٍ	مفتونِ	« « «	٤٩٠	٢	
أيحسن بعد ضنّك حسنُ ظنّي	والتمنّي	« « «	٤٩١	٥٥	وآخر في الهامش
لا توصِ عند الموت إلاّ	والديونِ	أسامة بن منقذ	٥٠٧	٣	
ركبتي تخدم المهذب في العلـ. . .م	وبيانِ	« « «	٥٠٧	٥	
مُحيًّا ما أرى أم بدرُ دُجنٍ	مُزْنِ	« « «	٥١٣	٨	وثمانية في الهامش
لهفي لشرخِ شبيبتي وزماني	وطِعانِ	« « «	٥٣٠	٤٢	
يا طائراً لعبتْ أيدي الفراق به	حَزَنِ	أخو أسامة	٥٤٩	٧	
سَقام جفنيْك قد أفضى إلى بدني	الوَسَنِ	اسماعيل ابن عم أسامة	٥٦٥	١	
جُزيتَ من ولدٍ برٍّ بصالحةٍ	الزّمنِ	نصر عم أسامة	٥٦٩	٣	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
بُكاء مثليَ من وشك النّوى سفَهٌ	مشتبِهْ	أسامة بن منقذ	٥٢٠	١١	
أيها المغرور مهلاً	مداهْ	« « «	٥٢٢	٥	
(هَ)					
طولُ حياةٍ مالها طائلُ	ما يُشتهى	الغزي	٣٥	٢	
إنما هـذه الحياة متاعٌ	يصطفيها	«	٣٦	٢	
عطفوه فتمادى ولهـا	الوَلَها	ابن منير الطرابلسي	٨٠	٦	
يا بني الأعراب إنّ التُّـ...ـرْك	بنوها	عرقلة الكلبي	٢٢٩	٣	
لي قِطّـةٌ أنظف من زوجتي	فيها	ابن رويبل الأبار	٢٦٢	٢	في الهامش
سقى الله ما تحوي دمشق وحيّاها	وأهناها	ابن النقّار	٣١٤	١	
كان لي الوصـل بعد صدودٍ	أبهى	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٢	٢	
أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها	يرميها	أسامة بن منقذ	٥١٥	٢	
كلّما امتدّ ناظري ردّه الدّمـ...ـع	شِبْهَا	« « «	٥٢٦	٣	
(هِ)					
لي سيّدٌ بعض اسمه جَنّةٌ	مُحِبّيه	ابن منير الطرابلسي	٨٧	٤	
لا تُناظرْ جاهلاً أسـ...ـندك	إليهِ	القيسراني	١٣٦	٢	
جنِّبْ عن الدنيا إذا جنّبتْ	وتنزيهِ	عرقلة الكلبي	٢٢٨	٢	
حتّامَ أنتَ عن الذي بك ساهٍ	لاهي	ابن قسيم الحموي	٤٧٩	١٤	
لا تلوموا عليه قلبَ مُحِبٍّ	يديهِ	ابن رواحة الحموي	٤٨٦	٥	

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات	ملاحظات
إذا اُختفت في الهوى عني إساءته	أجنيهِ	أسامة بن منقذ	٥٠٢	٢	
لا تحسُدَنّ على البقاء معمَّراً	إليهِ	« « «	٥٠٨	٢	
(وِ)					
عذلوني في الحبّ والعذل يَغوي	يَكوي	عرقلة الكلبي	٢٢٨	٥	
لو كان إبليس قبلُ لاح له	الغروي	ابن قسيم الحموي	٤٧٩	٣	ومطلعها :
يا شـــاعراً أودعت أنامله	النبوي	« « «	٤٧٩	٣	في الهامش
قلْ لابن يحيى مقال غير غوٍ	حَمَوي	ابن منير الطرابلسي	٤٧٨	٨	في الهامش
فكأنّ لمع البرق خطفُ هُويِّهِ	سُمُوِّهِ	في رسالة المهذب الدمشقي	٣٤٢	٢	
(وَ)					
يا سـادتي ما عاقني عنكمُ	الكـــوَهْ	ابو علي الحسن بن مسعود	٢٨٥	٣	
(يِ يَ)					
أيهـــــــا السيّاف هيّا	شيّا	عرقلة الكلبي	٢٢٩	٤	
مَنْ نال مِنْ يحيى اُسمَ والده	يحيا	ابن رواحة الحموي	٤٨٩	٢	
ظلومٌ أبتْ في الظّلم إلاّ تماديا	تناهيا	والد أسامة	٥٦٠	١٢	وثانية في الهامش
إذا ما خدمتَ كبار الملوك	الحاشيَهْ	القيسراني	١٥٦	٢	
هتك الدّمعُ بصوبٍ هَتِنٍ	خفيّ	علي بن ثروان	٣١٢	٢	

الفهرس الثالث

فهرس المختارات النثرية

الفهرس الرابع

فهرس الأماكن

ت

ث

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

الفهرس الخامس

فهرس الأعــــلام(١)

(١) مضينا في وضع هذا الفهرس على أن نسقط ، في مراعاة الترتيب ، ألفاظ : ابن ، أب ، أخ ، عم ، وما تماثلها سواء جاءت هذه الألفاظ في أول الاسم أو في وسطه . وضمناه كل الأعلام باستثناء أعلام الأمكنة « الفهرس الرابع » ؛ وذكرنا العلم في مظانه كلها . اسماً ، ولقباً ، وكنية ، وصفة ، ونسباً ، وبلداً ، وشهرة ، حتى يكون أيسر إشارة وأكثر إحاطة وأقرب دلالة على الألقاب والأسماء والكنى الشائعة في هذا العصر .

ب

ت

ث

ج

ح

ر

ز

س

ص

ض

ط

ظ

ع

ﻫ

الفهرس السادس

فهرس المراجع والكتب[1]

ء

ب

---

(١) جمعنا في هذا الفهرس بين أسماء المراجع التي أخذنا منها في التحقيق والتعريف والتراجم ، وبين الكتب التي وردت في نص المبرد . وقد قدمنا على أسماء هذه الكتب اشارة * تمييزاً لها من المراجع .

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

ن

و

ي

الفهرس السابع

المستـــــدرك

ص

٣ أضف إلى مترجمي الغزي «الهامش الثاني» ابنَ الأنباري في «نزهة الألبا في طبقات الأدبا».

٩ البيتان الرابع والخامس وردا في ابن الأثير في آخر حوادث سنة ٥٢٤، ورواية البيت الأول عنده:

في فتيةٍ من ملوك الترك ما تركت ... للرعد كرّاتهم صوتاً ولا صيتا

٤١ في التعريف بأبي سعد الهروي «الهامش السادس». انظر أيضاً ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢١٠

٤٤ السطر الأخير في الهامش. انظر في تمام التعريف بجعبر الهامش الأول من الصفحة ٢١٣

٥٢ «الهامش الثالث». مطلع قصيدة الحارث بن عبّاد التي كرر فيها «قرّبا مربط النعامة مني» هو:

كلُّ شيء مصيره للزوالِ ... غير ربّي وصالح الأعمالِ

٥٢ آخر الهامش الثالث. البيت: «أبا منذر أفنيت فاُستبق بعضنا..» لطرَفة بن العبد وهو في السجن يخاطب عمرو بن هند ملك الحيرة.

٧٦ أضف إلى التعريف بابن مكنسة «الهامش السادس» ابنَ خلكان، فقد أشار إليه في خلال ترجمة القاضي الفاضل «عبد الرحيم».

٧٩ «الهامش الأول». انظر تعريفاً أوفى بمجد العرب العامري في الهامش الثاني من الصفحة ٥٥٥

٨١ عند العماد في ترجمة الحصكفي «شعراء جزيرة بني ربيعة وديار بكر وما يجاورها، الجزء الثاني» بيتان يبدو أنهما، وبيت الهامش «وعلى الوجنة..»، من قصيدة واحدة:

جلّ من صوَّرَ من ماءٍ مهينْ ... صوراً تسبي قلوب العاشقينْ

وأرانا قضباً في كثُبٍ ... تُخجل الأغصان في قدٍّ ولينْ

ص

١٦٠ « الهامش الخامس » . انظر في المطفات صبحَ الأعشى « ج ٨ ص ٢٤١ » .

١٧٨ الأصح أن يقرأ الشطر الثاني من البيت الثالث « فجد بها . . » :

من بعض ما خلف الطاغي أو الطاري

وانظر من أجل لفظة الطاري الروضتين « ج١ ص١٨٠ س٦ » ، ومن أجل لفظة الطاغي « ج ١ص ١٥٦ أبيات أسامة » .

١٩٩ البيت الرابع . قصة ميّاسة ومقداد من القصص الشعبي الذائع والمطبوع .

١٩٩ البيت الأخير . رُوي شطره الثاني في الروضتين « ج ١ ص ١٥٥ — ١٥٦ » : إذا ما يوسف بالمال جادا .

٢٠٨ أضف إلى مصادر التعريف بتلك النجاة « الهامش الثالث » طبقاتِ الشافعية « ج ٤ ص٢١٠» وتهذيبَ ابن عساكر « ج٤ ص١٦٦ » وشذرات الذهب « ج٤ ص٢٢٧»

٢١٣ « الهامش الأول » . انظر ابنَ خلكان في خلال ترجمة زنكي .

٢١٨ البيتان الأولان وردا في الروضتين « ج ١ ص ٢٢٩ » ومعهما بيتان آخران .

٢٢١ كان بنو نيسان حجّاب القصر في آمد ومدبّري الأمر . وقد وهمتُ حين قدرتُ أن ابن نيسان « ممدوح عرقلة » هو بهاء الدين ، ذلك لأن عرقلة توفي سنة ٥٦٧ وبهاء الدين كان حول ٥٧٣ ، وكان قبله أخوه جمال الدولة كمال الدين أبو القاسم علي بن الحسن « ٥٥١ » وأبوه مؤيد الدين أبو علي الحسن بن أحمد « ٥٣٠ » ويظهر أن أحدهما هو ممدوح عرقلة . انظر زامباور « ج ٢ ص ٢١١ » وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

٢٣٥ « الهامش الأول » . انظر في تمام التعريف بصدّيق بن جاولي كتابَ الروضتين « ج ١ ص ٢٦٠ » وفيه أنه صاحب بصرى وأنه قتل سنة ٥٧١ قتله ابن أخيه ...

وفي التعريف بابن المقدم ، شمس الدين ، انظر كتاب « أمراء دمشق في الاسلام »

ص

مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق الدكتور « صلاح الدين المنجد » ؛ وهو محمد بن عبد الملك بن المقدم .

وعلى ذلك يكون من الضروري أن يُقرأ السطر الرابع من الهامش بحذف الفاصلة (،) الموجودة فيه . والذي دفع إلى هذه الفاصلة الموهمة تعليقةٌ في هامش النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٧٣ » . ويتبيّن القارئ أن تعليقة النجوم هذه في حاجةٍ إلى إعادة نظر لأن شمس الدين صاحب بصرى هو صديق بن الجاولي ولأن مجموعة النصوص عند ابن الأثير والروضتين تجعلنا نفهم أن صاحب بصرى هذا وشمس الدين ابن المقدم اشتركا في إنفاذ الرسل إلى صلاح الدين .

٢٤٢ في الوافي للصفدي « مصورات المجمع العلمي العربي » ترجمةُ لوُحيش فيها :

سبع بن محمد أبو الوحش الأسدي الأديب [المعروف بوحيش تصغير وحش] شاعر دمشقي روى عنه أبو المواهب بن صصرى وقال مات في عاشر رجب سنة ٥٧٩ وروى له قال : أنشدني لنفسه : يَمَّمت دار بني فلان قاصداً .. « في أربعة أبيات » .

[ومن شعره : وكم ليلة ...] « انظر ص ٢٤٤ من هذا الجزء من الخريدة » .

وهـذه الترجمة في الوافي مزيج من ترجمتين وردتا في نسختين مختلفتين وما بين المعقوفتين [ ] هو زيادة إحداهما على الأخرى .

٢٤٤ « البيت السادس » . في الوافي : به .

٢٨٩ انظر في تمام التعريف بابن الفراش الروضتين ج ٢ ص ٢٠٩ « صلته بالعماد ، وعمله ، ووفاته سنة ٥٨٨ » .

٢٩٩ في إيضاح «الهامش الثالث» . الشرفان هما الأعلى الشمالي والأدنى القبلي وبينهما «صدر الباز» .

٣١٠ «الهامش الثالث» . أضف «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» إلى الكتب التي ترجمت للجواليقي .

ص

٣٢٠ « البيت الأخير » . في الأصلين جلّ ولعلها حلّ .

٣٩٣ ضبط الهامش الأول . أبو سعيد تاج الملوك بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب مجد الدين .

٤٣٣ في التعريف بابن قسيم « الهامش الثاني » أضف : واختار له صاحب الروضتين في الصفحات ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٣٦ من الجزء الأول .

٥١٦ في تعليل البيتين الثاني والثالث « سلطاننا ، أيامه » . انظر الروضتين ج ١ ص ٢٢٩

٥٥٩ الكلمة الأخيرة في السطر السابع كذلك جاءت في الأصل : لأخيه ؛ ولعل السياق يقتضي أن تكون : لأبيه .

٥٦٨ البيتان : كنت أستعمل السواد من الأمشاط .. لأحمد بن محمد بن الدويدة ، على ما في الجزء الثاني من الخريدة .

٥٦٩ وادع بن سليمان المعري « في الأصل والهامش » . جاء الاسم بالدال المهملة وعند ابن العديم « الانصاف والتحري — تعريف القدماء » : « واذع » بالمعجمة .

٦٢٥ أضف إلى أبيات النون المضمومة في فهرس المختارات الشعرية ص٦٢٥ بيتَ ابن الرومي : « تُشكي المحب وتشكو ... مرنانُ » الوارد في هامش الصفحة ٥٧٦ . وقد ذكر البيت خطأً في أبيات النون الساكنة في الصفحة ٦٢٩ .

الفهرس الثامن

الخطأ والصواب[1]

ص	س	الخطأ	الصواب
٤ « من المقدمة »[2]	١٢	كذلك في	كذلك من
١٢ » »	١٠	ثم أنه	ثم إنه
١٥ » »	١	الراوية	الرواية
١	٤	ذو	ذوو
٤٦	البيت الأخير	القرابُ	القرابَ
٦٠	٢ « من الهامش »	ان حاجة	ان لا حاجة
٧٩	٢ » »	٧٥٣	٥٧٣
٨٩	١٤	أبو الحسن	أبو الحسين
٩١	١١ و٥ » »	آنز	أُنُز
٩٦	٢	الأَفرنج	الإِفرنج
٩٧	٦ » »	ص ١٢٢	ص ١٢٣ — ١٢٤
١١٥	٨ » »	٣٧١	٣١٧
١٢١	١ » »	ص ( )	ص (١٥٣ — ١٥٤)

(١) سقطت سهواً أرقام الصفحات من ١٦١ - ١٧٦

(٢) أرقام المقدمة مستقلة عن أرقام الكتاب ، وهي في أسفل الصفحات .

ص	س		الخطـأ	الصواب
١٣٢	١		تؤيّـد	تؤيّـدْ
			دعوى مُحالُ	دعوى مُحالِ
١٣٢	١	« من الهامش »	٤٩٢	٤٩١
١٣٣	٦	» »	سلطان ابن علي	سلطان بن علي
١٣٣	٩	» »	النجوم الزاهرة	النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٦٠
١٣٩		البيت الأخير	أن يرى	أن ترى
١٤٢	٤	« من الهامش »	في « ب » يجر	في « ب » لم يجر
١٤٨	٣		مُن	مِن
١٤٩	٩		مِلَه	مِلّه
١٥٣	٣	» »	ص (١٢٠)	ص (١٢١)
١٥٨	١٠		ساحلِ	ساحلَ
١٩٤	٧	» »	بنت عمته	بنت عمه
٢٣٦	١٣		نُعمان	نَعمان
٢٦٥	١	» »	في «ب» وفي «ح»	في « ب » . وفي «ح»
٢٦٥	٣	» »	ابو الفضل المشتهى	ابو الفضل المنتهى
٢٧٧	٢	» »	ص (٣٢)	ص (١٩٧)
٢٨١	١٢	» »	بديعة . . الأعيان	(بديعة . . الأعيان)
٢٨١	١٤	» »	ابن الأثير	ابن كثير
٢٨٦	١٢	» »	عبد الرحمن أحمد	عبد الله بن أحمد
٢٩٥	٧		وقلتُ : لما	وقلتُ لما

ص	س		الخطأ	الصواب
٣١٩		أرقام الحواشي	تتمة حواشي الصفحة في التي تليها	
٣٧٧	٩	« من الهامش »	، لم أجد	، ولم أجد
٣٩٥و٣٩٧و٣٩٩		« رأس الصفحة »	ابو الحسن سلامة	ابو الحسن بن سلامة
٣٩٥	١٤		مفترضُ	مفترضٌ
٤٢٠	١١		لَثِمت	لَثَمْت
٤٧٧	١٢		الرحيقي	الرحيقيّ
٥٣١	٤		أنا جارَه	انا جارُه
٥٥١	١	« من الهامش »	٥٧٠	٥٧١

الفهرس التاسع

دليل ما اشتمل عليه هذا الجزء

---

* أرقام المقدمة مستقلة عن أرقام الكتاب ، وهي في أسفل الصفحات .